

مباهج الأعلام في مناهج الأقلام

مما ألقاه رسول الحكمة من خزائن الرحمة

تأليف

الشيخ عبد الرحمن البسطامي

(٧٨٢ - ٨٥٨هـ)

تقديم

محمد سعيد الطريحي

الشيخ عبد الرحمن البسطامي
حياته وآثاره

(٧٨٢ - ٨٥٨ هـ)

❖ محمد سعيد الطريحي

ولد عبد الرحمن بن علي بن محمد علي بن أحمد بن محمد البسطامي الحنفي، في مدينة أنطاكية، في سنة ٧٨٢هـ تقريباً، واتجه منذ صباه إلى العلم والتحصيل وشغف بحقائق الحروف والأسماء إلى أن سلك الطريق على يد شيخه شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد الحلبي البسطامي المشهور بابن الأطعاني بمدينة حلب سنة ٨٠١هـ، وكان رحمه الله عاملاً بالحديث والتفسير والفقه، وطاف بالبلاد ودخل القاهرة وأقام بها طويلاً وتتلمذ على يد الشيخ والإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن يعقوب الكومي التونسي، صاحب كتاب الكنزل الباهر في شرح حروف الملك الظاهر، والشيخ أبي محمد مخلوف بن علي بن ميمون الجنتوي الجناتي المغربي صاحب (لوامع البروق في سلطنة الملك الظاهر برقوق)، والسيد عز الدين حسين الأخلاطي، صاحب (الكنز المخزون)، و(الكتاب الجامع). وقرأ كتاب (قبس الأنوار وجامع الأسرار في علم الحروف والأسرار) على مصنفه الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف الندرومي سنة ٨٠٧هـ. كما قرأ (اللمعة النورانية في الأوراد الربانية) للبوني في مصر كذلك على الشيخ عز الدين محمد بن جماعة في نفس السنة. وكان عارفاً بخواص الحروف وعلم الوفق والتكسير، وله يد طولى في معرفة الجفر والجامعة، وهي فنون استوعبت معظم مؤلفاته، وكان إلى جانب تضلعه في الشريعة والحقيقة، واقفاً على حوادث التاريخ ومتمكناً من الجغرافية. وحج وجاور بمكة المكرمة. ثم دخل مدينة بروسا، وكانت في ذلك الوقت عاصمة الدولة العثمانية ومقر سلطانها. وهناك اجتمع بالشيخ المولى الفناري، واستفاد منه كثيراً.

ونال حظوة كبيرة لدى السلطان مراد الثاني العثماني، راعي العلماء، وإليه أهدى الشيخ البسطامي الكثير من مؤلفاته التي تربو على الستين مؤلفاً.

ويقول عصام الدين أحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبرى زاده (المتوفى ٩٦٨هـ)، في شقائقه، عندما ترجم للشيخ البسطامي: «وكان له تصرف عظيم بخواص الحروف، وتأثير عظيم بالاشتغال بأسماء الله تعالى». ثم قال: «وله تصانيف في علم الجفر علم الوفق وخواص أسماء الله تعالى، وعلم التواريخ ولا يمكن تعدادها».

وتوفي الشيخ البسطامي سنة٨٥٨هـ، ودفن بمدينة بروسا. وهو الذي جعل من علامات ظهور المهدي انتشار علم الحروف.

مؤلفاته:

١- مفاتيح اسرار الحروف ومصابيح أنوار الظروف.
٢- نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك.
٣- الفواتح المسكية في الفواتح المكية.
٤- لوامع أنوار القلوب وجوامع أسرار الغيوب في علم الحرف.
٥- كيمياء السعادة الربانية وسيمياء السيادة الروحانية.
٦- تلخيص تهذيب الاسماء واللغات للنووي، وسماه بالفوائد السنية.
٧- مناهج التوسل في مباهج الترسل، طبع في مطبعة الجوائب، الاستانه سنة١٢٩٩هـ. ومعه كتاب جنان الجناس للصلاح الصفدي.
٨- الادعية المنتخبة في الادوية المجربة.
٩- الحكمة الربانية في سرح اللمعة النورانية.
١٠- الجفر الجامع والسر اللامع.
١١- بحر الوقوف في علم الحروف.
١٢- الدرة اللامعة في الأدوية الجامعة.
١٣- الدرر في الحوادث والسير.
١٤- رشح عيون الحياة في شرح فنون الممات.
١٥- رشح عيون الذوق في شرح فنون الشوق.
١٦- السر الافخر والكبريت الأحمر.
١٧- شمس الاسرار وانس الابرار.
١٨- شمس الآفاق في علم الحروف والاوفاق.
١٩- قبلة حدود البواني في قبلة خدود الغواني.
٢٠- مختصر جهينة الاخبار في ملوك الامصار.
٢١- مفاتيح أسرار الحروف ومصابيح أنوار الظروف.
٢٢- مفتاح الجفر الجامع ومصباح النور اللامع.
٢٣- وصف الدواء في كشف آفات الوباء.
٢٤- مباهج الاعلام في مباهج الاقلام.

شعره:

ومن شعره في الإمام المهدي عليه السلام:

ويظهر ميم المجد من آل محمد ... ويظهر عدل الله في الناس أولا
كما قد روينا عن أبي الحسن الرضا ... وفي كنز علم الحرف أضحى محصلا

وقال أيضاً:

ويخرج حرف الميم من بعد شينه ... بمكة نحو البيت بالنصر قد علا
فهذا هو المهدي بالحق ظاهر ... سيأتي من الرحمن للحق مرسلا
ويملأ كل الأرض بالعدل رحمة ... ويمحو ظلام الشرك والجور أولا
ولايته بالأمن من عند ربه ... خليفة خير الرسل من عالم العلا

هذا الكتاب:

ألفه العلامة البسطامي في علم الكتابة والحروف وهذا الكتاب هو ثالث ثلاثة كتب لها اهميتها في هذا الفن أولها كتاب (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) لجابر بن حيان الكوفي، وثانيها: كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) لابن وحشيه أحمد بن علي بن مختار الكلداني أحد علماء النبط ومن أدباء العراق في عصره، وقد وصف في كتابه هذا اصول الأقلام التي تداولتها الأمم الماضية والحكماء السابقون، والفلاسفة العارفون.

أما كتاب البسطامي الذي اسماه (مباهج الاعلام في مناهج الاقلام) فقد رتبه على مقدمة وكتابين وخاتمة واشتمل على طائفة واسعة من الأقلام الروحانية، ويقصد البسطامي بالقلم الروحاني، القلم الذي كان يستعمل بموازاة الابجدية المعروفة للتعبير عن حالات روحية مختلفة، ولا يخفى على من يتطلع إلى الاشكال التي رسمها البسطامي للاقلام المقصودة بالبحث من الاحساس بالثروة الكبيرة من التراث الخطي القديم الغني بالتشكيل الخالص، وقد اثبتنا مخطوطة الكتاب كما هي في الأصل وبحسب نصوصها المحفوظة ضمن النسخة المحفوظة في مكتبة جامعة لايدن، المرقة OR14.121، ونرجو بنشرها أن تتاح الفرصة لجميع القراء والمتابعين لهذا الفن الاطلاع على ما ورد في هذا الكتاب النفيس ممهدين بذلك الطريق لمن أراد تحقيقه واخراجه على عدة نسخ أخرى منها ما حصلنا عليه مصوراً في أكاديمية الكوفة والذي نضعه في خدمة الباحثين عند الطلب، وفق الله الجميع للخير والهداية.

هذا كتاب مباهج الاعلام في
مناهج الاقلام مما القاه رسول الحكمة
من خزاين الرحمة بلسان الازواق
في هذه الاوراق على اضعف
عباد الله في بلاد الله
عبد الرحمن بن محمد
بن علي
البسطامي

لا زال بعلو قدره دائماً
على الورى صاحب هذا الكتاب

مباهج أعلام بها العلم والهدى
مناهج أقلام بها الحق ينطق
معانيه من تحت الحروف كأنها
بدور بانواع الحقائق تشرق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرد فى سماء ذاته ٥ وتوحد باسماء صفاته ٥
انزل كتاب حقايقه النونيه ٥ ونزل خطاب دقايقه
اللوحيه ٥ جامعا لسور معانيه الحرفيه ٥ ورافعا لصور مبانيه
الظرفيه ٥ حكمة جامعة ربانيه ٥ ورحمة واقيه رحمانيه ٥
فسبحانه من اله سره مصون ٥ وعلمه مكنون ٥ سوانح انواره
سبوحيه ٥ ولوايح اثاره قدوسيه ٥ جوامع ايات فرقانيه ٥
ولوامع بيناته شعشعانيه ٥ جواهر كلماته ملكوتيه ٥
وبواهر حكمياته جبروتيه ٥ فوايد لطايفه شافيه ٥
وفوايد عوارفه كافيه احمده حمد من طلعت شمس
شهوده من عرش وجوده على فرش اذواقه فى جنة اشواقه
فتبلج صباح فجره وتلالا مصابيح فجره واشكره شكر
عباده الاتقياء وعباده الانقياء على ما ابرز من طى غيب
الهويه بدور المعارف النبويه واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة من قرا سطور المعانى من الواح المثانى
بصنوف اقلامها السماويه وضروب اقسامها الصمدانيه فوقف

مح

مع دليله على سواء سبيله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى
فواتح حكمه شفاء القلوب وفوايح نعمه دواء الذنوب
صلى الله عليه وعلى آله واصحابه مفاتيح كنوز الكتابيه
ومصابيح رموز الخطابية صلاة تمتاج اقلامها مكيه وسنح
اعلامها مسكيه ما تنسم رياض ازهارها النورانيه على حياض
انهارها النوريه. اما بعد فلما كمل كتابى المسمى بتحبير
الوقوف فى علم الاوفاق والحروف استخرت الله فى تكميله
بطرق من لطايف الفوايد ومعارف الفرايد وطرق من
مباهج الاسرار فى مناهج الانوار وغير ذلك من درر الاخبار
وغرر الاثار لاخوان الصفا من الصوفيه وخلان الوفاء من
الحرفيه مما يليق ذكره فى هذا العصر الذى قد زالت
فيه العقايد وتزلزلت العوايد واظلمت المسالك وتحير
السالك ولا عجب فقد اصبح الناس سدا وعاد الاسلام غريبا
كما بدا فالقواعد المعرفانيه لديهم نكروا العقايد الفرقانيه
عندهم كفروا اللطايف الحرفيه مخوفه والمعارف العدديه
زندقه قد اشتغلوا بالمدرة الجسمانيه عن المدرة الروحانيه
وبالغيوب الظلمانيه عن الغيوب النورانيه وبالمباهج الشيطانيه
عن المناهج الرحمانيه وبالاشواق الشهوانيه عن الاشواق
الرضوانيه فلا الايات السماويه تذكرهم ولا الافات النفسا نيه
تزجرهم لان الحجب الترابيه والادارات البشريه قد طمست بصايرهم
وابصارهم واعمت سرايرهم واسرارهم فاذا سمعوا الحقايق

الكتابيه والرقايق الخطابيه فكانما ينادون من مكان
بعيد او من وراء حجاب حديد لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي فلذلك لا يظهر عليهم سمات
العباد ولا صفات الزهاد لانهم لم ينالوا احوال النقبا
ولا مواريث النجباء ولا خصوصية الافراد ولا كرامة الاوتاد
لان جنة الحقيقة قد يبست رياض ازهارها وتفيت
حياض انهارها حتى صار نظارها ذيابا وحضارها ذبابا
يتجاوب في نواحيها الصراصر وتتناوب في نواحيها الكواكر
شعر كفى حزنا بالواله الصب ان يرى :. منازل من
يهوى معطلة قفرا ولما رايت قصورها خاليه على عروشها
خاويه وضعت هذا الكتاب وجعلته بين ايجاز واطناب
ورتبته على مقدمة وكتابين وخاتمة وسميته منهج
الاعلام في مناهج الاقلام فجاء بحمد الله بديع البيان رفيع
البنيان لا تسمح بمثله الاوصيا ما دامت الارض والسما شعر
حلف الزمان لا يمن بمثله :. حنثت يمينك يا زمان فكفر
قد جمع من الكلمات اعجبها ومن العبارات ابدعها ومن المعاني
احسنها ومن المباني ابينها ومن اللطائف اشهاها ومن
المعارف ابهاها ومن المطالب اعلاها ومن المآرب اغلاها
وغير ذلك من الاسرار الربانيه والانوار العرفانيه شعر
اذا اسفرت في يوم عيد تزاحمت :. على حسنها ابصار كل قبيلة
وهو اشرف كتاب فاه به اللسان واظرف خطاب ترفعه البنان

حنثت يمينك يا زمان فكفر

على

على الواح الاذهان في عالم العيان وقد وضعت غير من
الكتب البهيه والنكته البهيه التي القاها السيد المطوف
على العبد الملهوف بلسان الاسرار من عالم الانوار شعر
جاءت بها رسل الارواح نازلة ❊ على سرائر نا من حضرة الحكم
قد اقتبسها كليم الطور من اعين وادى النور وتحدثت بذكرها
اخوان الصفا من اهل الهمم والضيا وصارت بها الركبان
الى بعض البلدان والحمد لله وله شكري الذي احيا بين
العلماء ذكرى لانه ما فات من شكر حكمة بها يذكر ولا فات
من بدر نعمة عليها يشكر ولما فعت خطيبا في حديقة
شكره وصوت عند لبيبا في حقيقة ذكره رايت روح
المثاني في عالم المباني معاينه شهود بين حفرة وجوبه
قبل انشاء هذه الصورة البديعة والسورة الرفيعة
فيما نحو جماله ناظري وتمتع بكشف لثامه سائري
شعر وعلى تفنن واصفيه لحسنه ❊ يفنى الزمان وفيه
ما لم يوصف تدبير هذه الاشارات وانظر الى ما وراها
من الدلالات فقد نظمت اللؤلؤ المستور من خلف الستور
ولابد من اذن واعيه لهذه الداعيه التي نزلت بطريق الالهام
في رؤيا المنام شعر قابض باذن حمار الاذن واعية ❊
ولا ترن طائل الاذان بالدرر هذا مع اعترافي بقصور الباع
في ميدان الطباع لان جنة الحقيقة جلت ان تكون
مسلكا للعناد ومحطا للعصيان الا الاحاد ومهما عز المطلو م

قصرت همة الطالب ولما عظم مهر الحسنا قل الخاطب
هيهات اين شراب الصياح من شراب الصباح شعر ∴
مالى وللام الذى قلدته ∴ ما للذباب وطعمة العنقاء
وما ترنّس للعبد عارض الفلك فى ساحة الملك وهو محترق
فى نفسه شوقا الى ابناء جنسه تلقاه بهو يك القسوة
ونهودك البنعة با قارب كلابه وعقارب كلابه فانشد
فى الحال لسان الحال شعر ومن ربط الكلب العقور
ببابه ∴ فعقر جميع الناس من رابط الكلب وذلك بعد
حصوله فى الارض واتصاله بعالم الخفض وكثافة جوهر
الشفاف ونقله من مرتبة الدرر الى مرتبة الاصداف
الى انجاه كريم الكتاب من رحيم الحساب فرجع بطرف
مطرق وشوق محرق وهو يقول كيف الخلاص من الاقفاص
فنادى رسول المدد بلسان العدد شعر ان الامور اذا
التوت وتعسرت ∴ نزل القضاء من السماء فحلها ولما
سعيت فى الخلاص بكل حيلة لم اجد اشرف من الدعاء
وسيلة الذى امر الله به فى كتابه العزيز وفيه رغب
رسوله الكريم فتحولت عن صورتى وكتمت عن ظاهرى ما انطوت
عليه سريرتى ورحت اقفوا اثار من بيده سراج الانوار
وانخص من على راسه تاج الابرار فوصلت ضحى الصباح الى حجى
الصباح ونزلت فى فناء اخوان الصفا وخلان الوفا فاستدنى
فاتى شعارى وبسطته برايتى أسمارى الى ان تحكمت الاشواق
من تلك

من تلك الاصداف وسرت كوس المعانى فى رؤس المعانى
وديت حميا الاسرار فى محيا الاحرار فسكرت الالباب واقبلت
وفود التهانى من كل باب ودام الشرب وامتلاء القرب شعر
الدهر يرقص والايام تنشده هذا هو العيش الا انه فانى
فلما اردت الرحيل سالنى شيئاً يشفى العليل فاحتجبت
عليه بقصور الفطرة وفتور الفكرة فابى على وحرج وعن
مقاله ما عرج فاستعنت بالقوى الشديد واجبته الى ما يريد
ولبيته تلبية العبيد وصنفت له هذا الدر الفريد من خاطر
كليل شريد وفكر من الهم فى جهد جهيد والله اسئل
بقلب جريح وفكر قريح سوال حقير جانى وفقير عانى اسرته
شهواته وقيدته عاداته ان لا يحجبنى بفضوح العيوب
عن فتوح الغيوب انه سميع الدعاء رفيع البناء المقدمة
روى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اول ما خلق الله القلم وفى حديث اخر
اول ما خلق الله النون قال الله تعالى ن والقلم وما
يسطرون قال ابن عباس وقد سئل عن معنى نون
والقلم اقسم الله بالدواة والقلم قال صاحب لؤلؤ المصون
واللؤلؤ المكنون فى معرفة علم الخط الذى بين الكاف
والنون النون هو النون الاعظم وهو الغيب الذى يستمد
منه القلم على الاشياء وقيل هو ملك اعطاه الله
علمه فى خلقه وهو ثلثماية علم وستون علما وقال

مطلب المقدمة

بن عباس خلق الله اللوح من درة بيضا والقلم من زمردة
خضرا قال الله تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اي علم الانسان ان يكتب
بالقلم وقرا ابن الزبير علم الخط بالقلم وقال تعالى ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال مجاهد
يعني الخط الحسن وقال او اثارة من علم قال ابن عباس
يعني الخط الحسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمعاوية الق الدواة وحرف القلم واقم البا وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم رواه
القاضي عياض وقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه
ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه كان
امي لا يكتب ورباني لا يحسب فسبحان الملك
الحق الذي اياه علم كل شيء وقد اختلف العلماء في اول
من كتب بالقلم فقيل ادم وقيل ادريس واعلم
ان الخط هيئة روحانيه وان ظهرت باله جسمانيه
والحروف اصل في الروح وان ظهرت بحواس الجسم والخط
ماخوذ من دائرة هي اصل الحروف كلها فاذا انا سبت
الحروف تلك الدايرة صح الخط واوله الالف وهو قطب
الدايرة وما بعد ذلك من تباين الحروف من المطاء سب
والتعريفات والمرادات فهو من جوانبها وكلما ظهر من الاجسام
المدورة والمربعة من التدوير والتربيع فمن نسبة الدايرة

هو

بهو مأخوذ واذا نظرنا ناظر الى الاشكال وجد لها انطباعا
في النفس قبل وجودها في التشكيل فالكتاب قوة فاعلة
والقلم قوة آليه والمداد قوة تصويريه والخط قوة مصورة
والمكتوب فيه قوة حاملة والبلاغة قوة ناميه والتنقيط
قوة معرفة والاشكال من الاعراب قوة مبينه والقارى قوة
مظهرة والسامع قوة عالمة قال بستاس القلم الطلسم
الاكبر وقال بعض العلماء الخط مفتاح اسرار الوجود ومطلع
انوار الشهود ظاهره صيد المعاني العرشيه وقيد المباني
الفرشيه وباطن السر الجامع للمضار والمنافع قال كعب
الاحبار اول من كتب ادم وقيل ادريس قاله الضحاك
واعلم ان الخطوط الكتابيه دليل على ما في المعاني القوليه
وما في المعاني القوليه دليل على ما في المعاني الفكريه وما في
المعاني الفكريه دليل على ما في المعاني المعينه واعلم ان
الخط من اجل العلوم فائدة واشرفها عائدة لاشتماله
في جميع المطالب الدينيه والدنيويه واحاطته بحقايق
دقائق المعاني العرشيه والفرشيه اذ منه الكبريت الاحمر
والياقوت الازهر وفيه فوايد شافيه وعوايد وافيه
ادركها اهل القلوب الطاهرة والبصاير الباهرة من الانبياء
العظام والحكماء الجسام وما زال نبلاء العلماء وعقلاء
الفضلاء يعظمون شانه ويحظون من شانه اذ به
ينتظم الصلاح للعباد وتغتنم الفلاح في الميعاد وقد بالغ

فالكتابة جمع الحروف خطا
والقراءة جمع الحروف لفظا

علماء المذاهب وفضلاء المشارق والمغارب في نظم عقود
عقائدها وحبك نفود قواعده وحل اشارات رموزه وفك
دلالات كنوزه وصانوه عن السهو والتحريف وحفظوه عن
اللهو والتصحيف حتى تناقله العلماء الجواهر كابراً عن كابر
هذا لما طرق الاسماع وانعقد بحمد الله عليه الاجماع والعذر
في التقصير واضح ولارباب الذوق لايح فان الفكرة جامدة
والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلها
حوادث الزمان قال الشافعي لو كلفت بصله ما حفظت
مسئلة وكثيرا مما استخرجناه وعرفناه ننسياه بحيث صرنا
كانا ما عرفناه وهذا آخر ما الغاه رسول الالهام وهذه
المقدمة وعند الله المزيد وبه العصمة والتأييد
الكتاب الاول تقي بالله يقيني بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله الذي فواتح اقلامه مكيه وفوايح اعلامه
مسكيه ومناهج طريقه نوريه ومباهج حقايقه توريه
وسوابغ انواره فرقانيه ولوايح آثاره رحمانيه وزواهر
اياته سبوحيه وبواهر دلالاته قدوسيه وصلى الله
على سيدنا محمد المنعوت بالحكمة الشافيه والمبعوث
بالرحمة الوافيه وعلى اله وصحبه مصابيح سماء المعالي
الربانيه ومفاتيح اسما المثاني الصمدانيه صلاة درر
فوايدها نبويه وغرر فرايدها صفويه وبعد فان
اشرف ما تسمو اليه الهمم ويجري به اللسان والقلم
ماكان

ما كان من العلوم تنتجه كتاب سماوي وخطاب نبوي
لا يحوم حول حماه اطيار الافكار الفرشيه ولا تظفر به الاضغاث
اولى الهمم الفرشيه مما هو نور الله الساطع وسره الجامع الذي
من تمسك به فهو من الفائزين افلح من استمطر به الفيض من
رب العالمين هبت نسمات الفجر على الصبوح للشاربين بسم
الله رب العالمين الرحمن الرحيم استفتحت وهو خير الفاتحين
شعر سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقوني
لغنت ٧ فيا له من كتاب لطايفه قدوسيه ومعانيه صمديه
واسراره ملكوتيه وانواره جبروتيه واقلامه ربانيه واعلامه
نورانيه شعر ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت
به الاعداء فمن خلا بعرايس فوائده اغتنى عن كل جليس
ومن انس بنفايس فرايده اغتنى عن كل انيس لان روضه
جوهري وحوضه كوثري ذره انيق وبحره عميق دقيق
المعاني وثيق المباني قد تغنت اطيار عباراته فتراقصت
اشجار ٤ طربا اشاراته وبكت انهار عيونه فتضاحكت عجبا ازهار
فنونه وتنسم طيب انواره فتبسم خضب احباره فشكرا
لمن هي كماله وشهي جماله يرقص قلوب العلماء طربا
وعقول الحكماء عجبا شعر فكل مليح حسنه من جمالها
معار له بل حسن كل مليحة ولما رأيت اوحد عصره
في حديقة قصره شرعت في تاسيس هذا الكتاب متوكلا
على الله الغني الوهاب وجعلته تذكرة لنفسي في غدي وامسي

وتبصره لمن تردى برداء الوفا من اهل الهمم والضياء مع
عوايق يشاغله وعلايق فيشاغله ولم اضع فيه الامانت
بالبيان واثبته العيان فانبا وقف عليه العارف من العلماء
والكاشف من الحكماء فلينعم باصلاح الفاسد وترويج الكاسد
فان الانسان محل الخطا والنسيان ولله در القائل
شعر فعين الرضا عن كل عيب كليلة ، ولكن عين السخط
تبدى المساويا ، فهدية المقل مقبولة على فاقته وكل
انسان يسعى على قدر طاقته شعر لوان كل يسير رد
محتقرا ، لم يتقبل الله يوما للورى عملا ، فالمرؤ يهدى
على مقدار قدرته ، والنمل يعذر في القدر الذى حملا ،
وقد رتبته على فصول لتحقيق فروع الاصول وجعلته
تكملة لكتابي المسمى بالدرة اللامعة في الادوية الجامعه
فانها تكمله يعلو بها مناده وشرف انواره ونفوح ازهاره
وتلوح اثاره ويعظم ان شاء الله تعالى عند اهل الفكر
مقداره شعر معانيه من تحت الحروف كانها ، بدور
بانواع الحقايق تشرق ولنقبض عنان الاكثار خوفا
على الناظرين من الاضجار وحتى تتفرغ البال عن شواغل
الحال فان كتاب الرجل عنوان عقله ولسان فضله
ما كل من طلب العلم حصله ولا كل من حصله وصله
وليس المقصود من هذا الاطناب الا ترغيب من اوتى
الحكمة من اولى الالباب تاليف ما ذكرت زدينا رقراة

في

في التوراة شوقنا لكم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا
شعر ومن حضر السماع بغير قلب : ولم يطرب فلا يلم
المغني وينشا إنا اسرع بعد الصلاة والحمد لله في رفع الستور
المسدلة وفتح الابواب المقفلة فمن فض ختم هذه الاوراق
وقراها على أولي الرواغ والاذواق اوضح السر المبهم
وكشف الرمز الاعظم وحل في محل حرم الامانة والامان
وتمتع بالحور الحسان انغير الحق شاهد ايتقون ام
انتم لا تبصرون شعر والشمس طالعة بالليل في القمر
مع الزوب وما للعين من خبر فصل الاول اعلم ان حروف
الامم على نواع منها ما يبداء به من اليمين وهي حروف العرب
ومنها ما يبداء به من الشمال وهي الروميه واليونانيه
والقبطيه وكل كتابة عن اليمين فهي متصلة وكل كتابة
عن الشمال فهي منفصلة وذكر العلماء ان لكل قلم
دائرة نزلوها على لغات بيانيه واشكال روحانيه
وليس فيها احسن من الشكل العربي واعلم ان جميع
كتابات الامم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة
العربيه والحميريه واليونانيه والفارسيه والسريانيه
والعبرانيه والروميه والقبطيه والبربريه والاندلسيه والهندية
فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب ادم ثم وجدها
بعد الطوفان اسماعيل وحكى بن عباس ان اول من كتب
بالعربية اسماعيل وحكى عروة بن الزبير ان اول من كتب

بالعربية ملوك مدين وقال ابن عباس اول من كتب
بالعربية ثلاثة رجال مرامر بن مروه واسلم بن سدره وعامر
بن جدره فاما مرامر فوضع الصور واما اسلم ففصل ووصل
واما عامر فوضع الاعجام فاما مرامر فهو من اهل الانبار
ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية روى عن الكلبي
رحمه الله تعالى انه قال ان الناقل لهذه الكتابة من
الحيرة الى الحجاز هو حرب بن اميه بن عبد شمس بن عبد
مناف القرشي وكان قد قدم الحيرة فعاد الى مكة بهذه
الكتابة وقيل لابي سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك
هذه الكتابة فقال من اسلم بن سدرة وقال سألت اسلم
ممن اخذت هذه الكتابة فقال من وضعها مرامر بن
مروة فحدوث هذه الكتابة قبل الاسلام بقليل وكانت
لحمير كتابة تسمى المسند وحروفها منفصلة غير متصلة
الفصل الثاني قالت العلماء بالله لما مضى من عمر
الدنيا سبع عشر الف سنة وذلك في اول دولة السنبلة
خلق الله ادم عليه السلام وانزل الله على ادم عشر
صحايف وفيها الف لغة وحروف المعجم في احدى وعشرين
ورقة وعلمه الف حرفة وانزل عليه الكلمات الوجوديه
والعدميه وعلمه سبعين الف باب من العلم روي عن
ابي ذر الغفاري انه قال قلت يارسول الله اي كتاب
انزله الله على ادم قال كتاب المعجم قلت اي كتاب المعجم
قال

قال اب ت ث الى اخرها قلت يا رسول الله كم حرف قال
تسعة وعشرون قلت يا رسول الله عددت ثمانية وعشرون
حرفا فغضب رسول الله حتى احمرت عيناه وقال يا اباذر والذي
بعثني بالحق نبيا ما انزل الله على ادم الا تسعة وعشرين حرفا
فقلت يا رسول الله اليس فيها لام والف فقال صلى الله عليه
وسلم لام الف حرف واحد قد انزله الله على ادم في صحيفة واحدة
ومعه سبعون الف ملك من خالف لام الف فقد كفر بما انزل
الله على من لم يعد لام الف حرف واحد فهو برئ مني وانا برئ
منه ومن لم يؤمن بالحروف تسعة وعشرون حرفا لا يخرج
من النار ابدا وقد تكلم آدم بسبعمائة لغة افضلها العربية
وله سفر جليل الشان في علم الحروف ومنه تفرعت سائر
العلوم الحرفيه والاسرار العدديه الى يوم القيامة وبعده
ورث علم الحروف شيث عليه السلام وانزل الله عليه خمسين
صحيفة وهو اول من بنى الكعبة بالطين والحجر وله سفر
جليل القدر في علم الحروف وبعده ورث علم الحروف انوش
وهو اول من زرع النخل ونطق بالحكمة وبعده ورث علم
الحروف قينان واليه ينسب القلم القيناوي وبعده ورث
علم الحروف مهلائيل وبعده ورث علم الحروف برد بالدال
المهملة وفي زمانه عبدت الاصنام وبعده ورث علم
الحروف ادريس عليه السلام وانزل الله عليه ثلاثين
صحيفة وفي عصره اليه انتهت الرياسة في العلوم الحرفيه

السفر اسم الكتاب سماوي

والاسرار العدديه والحقايق الفلكيه وقد ازدحم على بابه
الحكماء واقتبس من مشكاة انواره العلماء وله كتاب
كنز الاسرار وذخاير الابرار وقد شرحه بتكلوشا البابلي وكذلك
ثابت بن قرة الحراني وحنين بن اسحاق العبادي نكته العبادي
بكسر العين المهملة وهو شيخ الاطبا بالعراق وهو الذي
عرب الكتب اليونانيه وكان عالما بها وقد عرب كتاب
اقليدس وكتاب المجسطي لبطليموس توفي سنة ستين ومايتين
واما ثابت بن قرة الحراني الصابي الطبيب فهو الذي ترجم
كتاب الارثماطيقي توفي سنة ثمان وثمانين ومايتين
ولد ادريس بمصر واسمه باليونانيه ارميسيس وعرب فقيل
هرمس وهو اول من خاط الثياب واظهر الاكيال والاوزان
وهو اول من تكلم في علم النجوم واسرار النبات وبعده ورث
علم الحروف نوح عليه السلام وهو اول من قسم الارض
بين اولاده فاما سام فاعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام
وهو ابو العرب والفرس والروم واما حام فاعطاه بلاد
المغرب وهو ابو السودان والبربر والقبط واما يافث فاعطا
بلاد المشرق وهو ابو ياجوج وماجوج والترك والصقالبة
وله سفر جليل القدر في علم الحروف وبعده ورث
علم الحروف سام قال عليه السلام سام ابو العرب
وبعده ورث علم الحروف ارفخشد بالخاء المعجمة وبعده
ورث علم الحروف شالخ بالخاء المعجمة وبعده ورث علم الحروف

وبعده ورث علم الحروف عوض شالخ بالخاء
المعجمة وهو اول من ركب الخيل وبعده

عابر

عابر بالعين المهملة وهو هو د عليه السلام وهو اول من كتب
بالعبرانية وبعده ورث علم الحروف فالغ بالغين المعجمة
وبعده ورث علم الحروف رعود وهو قاسم الارض بين الناس
وبعده ورث علم الحروف ساروغ واسمه في التوراة سروور
وبعده ورث علم الحروف ناحور بالحاء المهملة وفي ايامه
حدثت الزلازل وبعده ورث علم الحروف تارح بالحاء المهملة
وهو آزر وبعده ورث علم الحروف ابراهيم عليه السلام وانزل
الله عليه عشر صحايف وله سفر رفيع الشان في علم الحروف
وهو اول من تكلم في علم الوفق ووضع مربع مايه في مايه في اساس
الكعبة حرسها الله تعالى قال بعض العلماء ان علم الحروف
من معجزات ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصره كان
ذو القرنين [illegible] وله سفر جليل القدر في علم الحروف
وكان مربع مايه في مايه موضوعا على لوائه وقد سمع الناس
ما جرى له في الحروب وما وجد من البركات والخيرات فاذا كان
في بيت فات الوبا لا يدخله وقد اجمع الحكماء على شرفه وكثرة
منافعه وقد جرب ذلك منه مرات فشوهد العجب
وبعده ورث علم الحروف ابنه اسماعيل عليه السلام
وهو اول من نطق باللغة العربية وبعده ورث علم
الحروف قيذار ومنه نشر الله العرب وبعده ورث علم
الحروف يوسف عليه السلام وهو اول من وضع القرطاس
وبعده ورث علم الحروف موسى عليه السلام وانزل الله

عليه التوراة وهي الف سورة من كل سورة الف آية وكان
من اعلم الانبيا بعلم العدد وقد وضع الوفق المسدس على
صحيفة من ذهب وهو استخرج به تابوت يوسف من نيل مصر
وبذلك أمر وبعده ورث علم الحروف يوشع بن نون وهو
الذى ~~خاطبته على الافق من خضرة كوكب ليس له سفر جليل~~ رد الله
له الشمس في قتال الجبارين وبعده ورث علم الحروف حزقيل
عليه السلام وهو الذى احيا ثمانية الاف من قومه وله سفر
جليل القدر في علم الحروف وبعده ورث علم الحروف اليسع
وهو الذى اعطاه الله قوة سبعين نبيا
عن بن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجتمع الياس والخضر كل عام بمكة فيقول احدهما
للاخر قل بسم الله لا ياتي بالخير الا الله بسم
الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله بسم الله ما شاء
الله وما بكم من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله
لا حول ولا قوة الا بالله قال ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها في كل يوم حين يصبح
امن من الحرق والغرق والشرق وكل شئ يكرهه حتى
يمسى فان قالها حتى يمسى كان في حرز الله حتى يصبح
رواه الشيخ عبد القادر الكيلاني في الغنيه وبعده
ورث علم الحروف داود عليه السلام وانزل الله عليه
الزبور وهو اول من قال اما بعد وبعده ورث علم
الحروف

الحروف سليمان عليه السلام وهو اول من كتب بسم الله الرحمن
الرحيم واول من دخل الحمام واول من عمل الصابون وبعده
ورث علم الحروف ارميا عليه السلام وله سفر رفيع القدر في
علم الحروف وبعده ورث علم الحروف دانيال عليه السلام وهو
ممن اتاه الله الحكمة والنبوة وبعده ورث علم الحروف
عيسى عليه السلام وانزل الله عليه التوراة بالسريانية
وكان من اعلم الانبياء بدقايق العلوم ولطايف المعاني
الحكمية وكان من اجل علومه علم الحرف وروى عن عيسى
انه ابراء في يوم واحد خمسين الفا من المرضى وبعده
ورث علم الحروف محمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن بن علي
بن ابي طالب العلم الذي دعى المصطفى هو علم الحروف وعلم
الحروف في لام الف وعلم لام الف في الالف وعلم الالف في
النقطة وعلم النقطة في المعرفة الاصلية وعلم المعرفة
الاصلية في علم الازل وعلم الازل في المشيئة اي المعلوم وعلم
المشيئة في غيب الهوية وهو الذي دعا الله اليه نبيه
قال فاعلم انه والهاء راجع الى غيب الهوية حسبما نص
على ذلك ابو عبد الرحمن السلمي في حقايق التنزيل ثم ان
الامام علي بن ابي طالب ورث علم الحروف من سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واليه اشار بقوله صلى الله عليه
وسلم انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فعليه
بالباب وروى الضحاك عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال انا دار الحكمة وعلي بابها وهو ابن عم رسول الله
ووارث علوم الانبياء والمرسلين والاصفياء والصديقين
وهو عمدة الاولياء من الصوفيه وحجة العلماء من الحرفيه
وشيخ الفقهاء من الحنفيه وامام الفضلاء من الشافعيه قد
ازدحم على باب علمه العلماء واقتبس من مشكاة فهمه
الحكماء واغترف من نهر كوثره البلغاء واعترف
بجوهر فضله الفصحاء وهو مفتاح الاسرار النبوة ومصباح
انوار الفتوة قال الامام علي رضي الله عنه سلوني
قبل ان تفقدوني فان بين جنبي علوما كالبحار الزواخر
وقال سلوني عن طرق السماء فاني اعلم بها من طرق الارض
وقال علمني رسول الله من تمسق ما يكون الى يوم القيمة
وصنف الجفر والجامعة في اسرار الحروف الكونيه ومعاني
الظروف العلويه والسفليه ومنه تفرعت سائر العلوم
الحرفيه والاسرار العدديه وفيه اسم الله الاعظم وتاج ادم
وخاتم سليمن وحجاب اصف بن برخيا وزير سليمن وقال
العلماء بالله انه نظهر مع الامام محمد المهدي ولا يعرفه
على الحقيقة الا هو وفيه ما جرى للاولين وما يجرى
للاخرين وهو الف وسبعماية مصدر من مفاتيح الاسرار
ومصابيح الانوار وهو عبارة عن سر القضاء والقدر
وقد ستر الله علمه عن اكثر العلماء ولم يأذن
للكل من الاولياء ان يعرفوا منه الا بعض اسراره الوقتانيه
واثاره

وآثاره العرفانيه لما فيه من نتايج السلوك ودوام مدد
اعمار الملوك وغير ذلك من الحقايق السبوحيه والرقايق
القدوسيه من اسرار الملكوت وحكمة الجبروت وقد
ذكرنا بعض هذه الفوايد الشافيه والفوايد الصافيه
في كتابنا المسمى بدرة الآفاق في علم الحروف والاوفاق
وهو اول من وضع مربع مايه في مايه من الصحابة كما
ذكره صاحب الكنز الباهر في شرح حروف الملك الظاهر
انه كان موضوعا على لواء بعض جيوش الكفار
في زمن الامام علي وكلما جهز اليهم طايفة من المسلمين
لم يقدروا على مقاومتهم حتى بلغ خبر هذا الوفق اليه
فوضعه بزيادة واحد على لواء ثم جهز اليهم طايفة
من الغزاة ومعهم هذا اللواء فانتصرت الطايفة الاسلا ميه
على تلك الكفرة وكان رضي الله عنه من اعلم الناس
بعلم الحساب وللامام علي في هذا الباب مناهج نوريه
ومباهج بنوريه تزياح الى رياض ازهارها وحياض انوارها
السرايرالربانيه والبصايرالنورانيه وبعده ورث علم
الحروف الحسين قال الحسين رضي الله عنه في القرآن علم كل شيء
وعلم القرآن في الاحرف التي في اوايل السور وعلم الحروف في لام
الف وساله رجل عن معنى كهيعص فقال لو فسرتها لك لمشيت
على الماء اوطرت في الهوى بسر الحرف والامام توفي سنة احدى
وستين بكربلا وبعده ورث علم الحروف زين العابدين ابو الحسن

علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان يصلي في كل يوم وليلة
الف ركعة توفي ٩٤ سنة اربع وتسعين بالمدينة وهو ذوا
المناقب الجليلة والاثار الجميلة ولله دره قدس الله سره
يارب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل انك ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون اقبح ما ياتونه حسنا
وبعده ورث علم الحروف ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن ابي
طالب الباقر وكان استاذ عصره في علم النجوم والاسما توفي
١١٤ سنة اربع عشر ومايه واوصى ان يكفن في قميصه الذي كان
يصلي فيه وبعده ورث علم الحروف ابو عبد الله جعفر الصادق
بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي
طالب وكان امام عصره في علم الحروف والاسماء ونقل
عنه انه يتكلم بغوامض الاسرار والعلوم الحقيقة وهو ابن
سبع سنين وقد صنف الخافيه في علم الحروف وجعل فيها
الباب الكبير اب ت ث الى اخرها والباب الصغير ابج د
الى تا قرشت وهو مصوب ومقلوب توفي ١٤٨ سنة ثمان
واربعين ومايه وبعده ورث علم الحروف ابوا محمد موسى
الكاظم ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي
طالب وكان شيخ وحده في علم الحروف والاسماء وكان
يحي الليل الى ان مات رضي الله عنه توفي ١٨٣ سنة ثلاثة
وثمانين ومايه وبعده ورث علم الحروف ابو الحسن
علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

بن علي

قال الزهري ما رأيت قرشيا افضل من زين العابدين

من جعفر الصادق

بن علي بن ابي طالب وكان شيخ وقته في علم الحروف والاسماء
توفي ٢٠٣ سنة ثلاثه ومايتين بطوس وبعده ورث علم الحروف
ابو المحفوظ معروف بن فيروز الكرخي وكان مجاب الدعوة
يستسقى بقبره يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب
توفي ٢٠٠ سنة مايتين وبعده ورث علم الحروف ابو القاسم
بن الجنيد بن محمد بن القواريري توفي ٢٩٨ سنة ثمان وتسعين
ومايتين . بعده ورث علم الحروف ابو الحسن سري بن مغلس
السقطي توفي ٢٥٩ سنة تسع وخمسين ومايتين وبعده ورث
علم الحروف ابو بكر الشبلي حكي عنه دخل على مصاب قد ذهب
عقله فالقى في يده قافا واوقع عليها سبع دوائر على هذه الصورة
وجعل يلعقها فبرى من وقته وله سفر جليل القدر والشان
باهر البرهان في اسرار الحروف وقد ذكر فيه انه
من نقش الحروف النورانيه في مربع اربعة عشر في
اربعة عشر على صحيفة من فضه في الساعة
الاولى من يوم الخميس في شهر رجب كان محفوظا في سفره
وحضره في البر والبحر من سطوات الحوادث ولا يضع يده
في شيء الا وجد فيه البركة الفايضة وقد توضع على
هذه الصورة فتدبره ففيه اسم الله الاعظم وصاحبه
لا يسال الله به شيئا الا اعطاه ما سال ومن وضعه في فمه
وهو عطشان روى فتدبره ففيه من الاسرار المخزونة
توفي ٣٣٤ سنة قدس الله سره اربعة وثلاثين وثلثمايه

الر كهيعص ٢٩٨	طس ٣٠٥	حم ق ن ٣١٠
احد ملك ٣٠٣	مليك معافي ٣٠١	شافي رحمن ٢٩٩
صمد مكرم ٣٠٢	مالك رب ٣٩٧	الله كفيل ٣٠٤

وبعده ورث علم الحروف ابو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذي وهو شيخ وقته في عصره توفي سنة ٣٦٧ سبع وستين وثلثمائة وبعده ورث علم الحروف ابو علي الدقاق وكان وحيد وقته في فنه توفي سنة ٤٠٦ ست واربعمائة وبعده ورث علم الحروف ابو القاسم القشيري قال قدس الله سره مرض ولدي مرضا شديدا فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي ما جاء بك قلت حال ولدي فقال لي واين انت من ايات الشفا فقلت لا اعرفها فانتبهت وتلوت الختمة الشريفة وما مررت باية فيها شفاء الا وجمعتها فاذا هي في ست سور من القران العظيم وهي ويشف صدور قوم مؤمنين شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى وشفاء قال القشيري كتبتها ومحوتها في قدح بماء واسقيتها ولدي فكانما انشط من عقال توفي سنة ٤٦٥ خمس وستين واربعمائة وبعده

ورث

ورث علم الحروف ابو علي الفارمذي وكان استاذ عصره
في وقته توفي سنة ٤٧٧ سبع وسبعين واربعمايه وبعده ورث
علم الحروف حجة الاسلام ابو حامد محمد الغزالي وقد صنف
الكتب المفيده في كل فن حتى في علم الحروف واسرار الروحانيا
وخواص الاعداد ولطايف الاسماء الالهيات وله دعاء
جليل الشان قد جربه العلماء بالله عند حلول الفاقه
وهو هذا اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم
يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك
وبفضلك عمن سواك قال الغزالي من ذكره بعد صلاة
الجمعة وداوم عليه اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث
لا يحتسب قال العلماء بالله من ذكره كل يوم ١١١ عدد مره
فتح الله عليه ابواب الخيرات في جميع الحالات بمنه وكرمه وله
كتاب الدر المنظوم في علم الحروف شرحه بعض علماء المغرب
وسماه مستوجبة المحامد في شرح خاتم ابي حامد ولله دره
قدس الله سره وروحه ونور ضريحه

اذا ما كنت ملتمسا لرزق ... ونيل القصد من عبد وحر
وتظفر بالذي ترجوا سريعا ... وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فان فيها ... لما املت سرا اي سر
تلازم درسها عقبا عشاء ... وفي صبح وفي ظهر وعصر
وعقبى مغرب وفي كل ليل ... الى التسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه ... وعظم مهابة وعلو قدر

وسترٌ لا تغيره الليالي ٭ بحادثة من النقصان تجري

وتوفيق وإفراح دوام ٭ وتأمن من مخاوف كل شر

ومن عدى وخوف وانقطاع ٭ ومن بطش الذي نهى وأمر

وعشت منعما في طول عمر ٭ على طول المدا في طول دهر

وقد شهد له جماعة من الاولياء وطايفة من العلماء

بالولاية العظمى والمقام العالي ودرجة الصديقية وشرف

المعالي ولا التفات الى ذم كل حاسد مشوم ومعاند محروم

وكل اعمى عن محاسنه غير موفق سوف يرى اذا كشف

الغطا وتحقق شعر سيدروك بعد اليوم يا أم جابر

٭ لمن شرف العليا وفخر المحامد ٭ اذا حجة الاسلام بان

مقامه ٭ لكل الورى ما بين خل وحاسد ٭ وهو الحبر المعظم

الذى باهابه النبي صلى الله عليه وسلم موسى وعيسى بن

مريم بقوله في امتحاصر هكذا افقالا لا [illegible] عليهما السلام

وذلك الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي روينا ذلك

بالاسناد المتصل العالي عن الشيخ الكبير العارف بالله ابي

الحسن الشاذلي توفي سنة خمس وخمسماية وبعده ورث

علم الحروف ابا يعقوب يوسف بن ايوب الهمداني وهو احد

اركان الصوفيه واوحد اعلام العلماء من السادة الحرفيه

توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمايه وبعده ورث علم

الحروف الشيخ عبد القادر الكيلاني وهو الذى قال انه

جاني ابو العباس الخضر ليمتحني بما امتحن به اولياءه من قبلي

فكشف

فكشف لي عن سريرته فقرا علي بما خاطبته به ثم قلت له
وهو مطرق ان يلخضر ان كنت قلت لموسى انك لن تستطيع
معي صبرا فانك انت لن تستطيع معي صبرا يا خضر انك اسرائيلي
وانا محمدي فها انا وانت وهذه الكرة وهذا الميدان توفي
سنة ٥٦١ احدى وستين وخمسمايه وبعده ورث علم الحروف
الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وله كتاب جليل الشان ن
في علم الحروف توفي سنة ٦٣٢ اثنين وثلاثين وستمايه
ولنقبض عنان اللسان في ارض البيان فانا لو استوعبنا
ذكر من تكلم في هذا العلم النوراني والسر الرباني من
السادة الانبيا ومن تابعهم في ذلك من الصديقين والاصفيا
من علماء الصوفيه ومشايخ الحرفيه لضاق الوقت ولو انه
من الساعة الى يوم قيام الساعة الفصل الثالث
قال العبد الضعيف الراجي عفو السيد اللطيف عبد الرحمن
بن محمد بن علي بن احمد الحنفي عبارة البسطامي اشارة وفقه
الله لطاعته وجعله من الفايزين برحمته لما ابهاني شارق
انواره ونلجا في طارق اسراره ورسل عبد الوسايل تمشي بيني
وبينه بالرسايل واشرقت شموس الاشواق من مشارق الاشراق
اخذت علم الحروف والاوفاق عن استاذ اهل الروايح
والازواق الشيخ الامام العارف بالله ابي عبد الله محمد بن محمد
بن يعقوب الكومي التونسي سقاه الله من حياض الرضوان
واسكنه في رياض الجنان وهو اخذ عن الشيخ ابي العباس

الدهان وهو اخذ عن الشيخ ابى العباس احمد الجامى وهو اخذ
عن الشيخ ابى العزايم ماضى وهو اخذ عن الشيخ القطب الغوث
الفرد الجامع ابى الحسن الشاذلى وهو اخذ عن قطب بعد قطب
الى الامام الحسن بن على ابن ابى طالب وهو اول الاقطاب
وهو اخذ عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا
قال العبد الملهوف الراجى عفو السيد العطوف عبد الرحمن
بن محمد بن على بن احمد الحنفى شريعة البسطامى ذريعة
سقاه الله من حياض اسراره على رياض انواره لما فزت بنظرة
من شمس وصلتى وبدر قبلتى الفارق بالله والدال على الله
الشيخ شمس الدين محمد بن احمد الحلبى البسطامى الشهير بابن
الاصفهانى قدس الله روحه ونور ضريحه لا اماط عنى كثايف
الخطوط النفسانيه وظلمات جمعها بالخلع والتجريد والبسنى
من خلع المواهب الربانيه ما طرزه شمس المعرفة وعلمه نور
التوحيد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا
اذا نظروا الى عباده البسوهم لباس السعادة وهو قدس الله
سره فاز بنظرة من الشيخ جلال الدين عبد الله بن خليل
الاسدابادى وهو فاز بنظرة من الشيخ علاء الدين
على العشقى وهو فاز بنظرة من الشيخ قوام الدين محمد
البسطامى وهو فاز بنظره من الشيخ تاج الدين
قاسم السيرجانى وهو فاز بنظرة من الشيخ جمال
الدين عبد الله البليانى وهو فاز بنظرة من الشيخ

أصيل

اصيل الدين الشيرازى وهو فاز بنظرة من الشيخ زين الدين السجاسى وهو فاز بنظرة من الشيخ قطب الدين احمد الابهرى وهو فاز بنظرة من الشيخ شهاب الدين عمر السهروردى وهو فاز بنظرة من الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلانى وهو فاز بنظرة من ابى سعيد المبارك المخزومى وهو فاز بنظرة من ابى الحسن على الهكارى وهو فاز بنظرة من ابى الفتح الطرسوسى وهو فاز بنظرة من ابى الفضل عبد الواحد التميمى وهو فاز بنظرة من ابوا بكر الشبلى وهو فاز بنظرة ابى قاسم الجنيد البغدادى وهو فاز بنظرة من ابى الحسن سرى السقطى وهو فاز بنظرة من ابى محفوظ معروف الكرخى وهو فاز بنظرة من ابى سليمان داود الطائى وهو فاز بنظرة من ابى محمد حبيب العجمى وهو فاز بنظرة من ابى سعيد الحسن البصرى وهو فاز بنظرة من ابى حفص عمر بن الخطاب وهو فاز بنظرة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اقتصرت على طريقة شيخى وسندى ومكان الروح من جسدى لانه عمدتى فى الاقتدا وعدتى فى الاهتدا قال العلماء بالله لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه شعر مزمات باللحظات كامقامه فى جنة الفردوس تحت المعارض وانما قدمت فى اول هذا الباب رواية علم الكتاب لان اسناد الاحوال كاسناد الاقوال قلت العلماء الاسناد العالى مزله الاسناد العالى كما قال الامام

أحمد بن حنبل طلب الاسناد العالى سنة عمن سلف وقال عبد الله ابن المبارك لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وقالت الفقهاء الاسناد من الدين وهو شىء عظيم الشان واضح البيان عند اهل الحديث واما ما اشرت اليه من اخبار علما الصوفيه ومشايخ الخرقيه فان فى ذلك فوايد جليله ومقاصد جميله منها معرفة احوالهم السنيه واقوالهم البهيه فتادب باداب اسرارهم الروحانيه وتقتبس من مشكاة انوارهم البصاير النورانيه ومنها معرفة مراتبهم الفايقه واعصارهم السابقه ليلا يحط العالى عن درجته ويرفع النازل فوق رتبته قال الله تعالى وفوق كل ذى علم عليم وقالت عايشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم ومنها بيان مصنفاتهم الفاخره وما لها من الجلالة الظاهرة فان علو قدر الاتباع من شرف المتبوع ومديد فيض الانهار من عظيم الينبوع وهذه الطريقه هى طريقة الانبيا والمرسلين واكابر الصديقين وهى المقام الاكمل فى المنهج الافضل ولله الحمد والطول وبه القوة والحول الفصل الرابع اعلم ان المظهر الاعلى والبرزخ الاسنى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو نور الانوار وسر الاسرار اليه تنزل اللطايف الفرقانيه وعنه توخذ المعارف الربانيه عنه اخذ اهل الظاهر ظاهرهم ومنه اخذ اهل الباطن باطنهم كما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فكل على

قدر

قدر إرثه وارثه على قدر نوره ونوره على قدر فتحه وفتحه على
قدر صفاء قلبه وصفاء قلبه على قدر معرفته بربه ومعرفته
بربه على حسب ما سبق له من وجود جبه وحقيقة الارث
ان ينتقل الموروث الى الوارث على الصفة التي كان بها عند الموروث
غير ان على الباطن احق بالارث واولى واقرب نسبة واعلى لان
علمهم تلزمه الخشية وتكشفه العظمة فكل صاحب علم لاخاشية
له فليس باهل ان يكون وارثا قال صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الانبياء، اى العلماء بالله فان العلم بالله يورث الخشية
ولم يزل سلسلة الصلاح والشهادة والخشية والولاية والصديقية
والقطبانية يمتد من ذلك البرزخ الاعلى المحيط الجامع صلى الله
عليه وسلم الى يومنا هذا ولن تزال كذلك الى ان يرث الله
الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وكل من لم يكن له
استاذ يصله بسلسلة السماع ويكشف له عن قلبه القناع
فهو في هذا الشان لقيط الطريقة لا أب له في الحقيقة إلا
ان تجذبه يد العناية الربانية والارادة الرحمانية من حضيض
الذل الى اوج العز والعلا . اذا المرء ربى نفسه عن اراده
ء لقد شاد بنيانا على غير اسه ء ومن لم تربه الرجال
وتسقه ء لبانا لهم قد رد من ثدى قدسه ء فذاك لقيط ماله
نسبة الولاء ولن يتعدى طور ابناء جنسه ء و شيخنا
واستاذنا وقدوتنا وملاذنا اوحد وقته في هذا الشان ووحيد
وعصره في هذا العرفان مظهر شموس المعارف بعد غروبها ومبدى

اسرار اللطائف بعد افولها هو الذى اقتبسنا من انواره وسلكنا على نهج اثاره وهو الذى اسرع باسرارنا حتى لحقت وقتو السنتنا حتى نطقت غرو من غرائس المعرفة فى قلوبنا فاينعت ثمراتها وفاحت زهراتها الا ننتسب الا اليه ولا نعتمد فى هذا الشان الا عليه وليس شيخك من سمعت منه وانما شيخك من اخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عباداته وانما شيخك من سرت فيك اشارته فمن نسبتنا الى غيره فهو بامرنا جاهل او عارف متجاهل ومن نسب تلميذ الى غير استاذه فكمن نسب ولدا الى غير ابيه وهذه الا نبوة اخوان يراعى نسبها ويحفظ سببها شعر نسب اقرب فى شرع الهوى بيننا من نسب من ابوى وانا الجد لنفسى استغفر الله من التقصير واياه اسال ان لا يحجبنا بسماع الالفاظ عن مشاهدة الالحاظ قال يحيى بن معين فى مرض موته اسناد عالى وبيت خالى وقال ابو عبد الرحمن السلمى فى اخر عمره استغفر الله علو الاسناد من زخارف الدنيا شعر ومن يسمع الاخبار من غير واسطة يحرم عليه سمعها بوشايط المفضل الحاسس اعلم ان جميع الاقلام مرتبه على ترتيب ابجد الا القلم العربى وجميعها منفصل الا العربى والسريانى والمغلى فاليونانيه والروميه والفارسيه من اليسار الى اليمين والعبرانيه والسريانيه والعربيه من اليمين الى اليسار فكل كتابة من اليسار فهى مرتبه على ترتيب الفلك الاعظم من المشرق الى المغرب وكل كتابة من اليمين الى اليسار فهى مرتبة على ترتيب فلك

التوابت

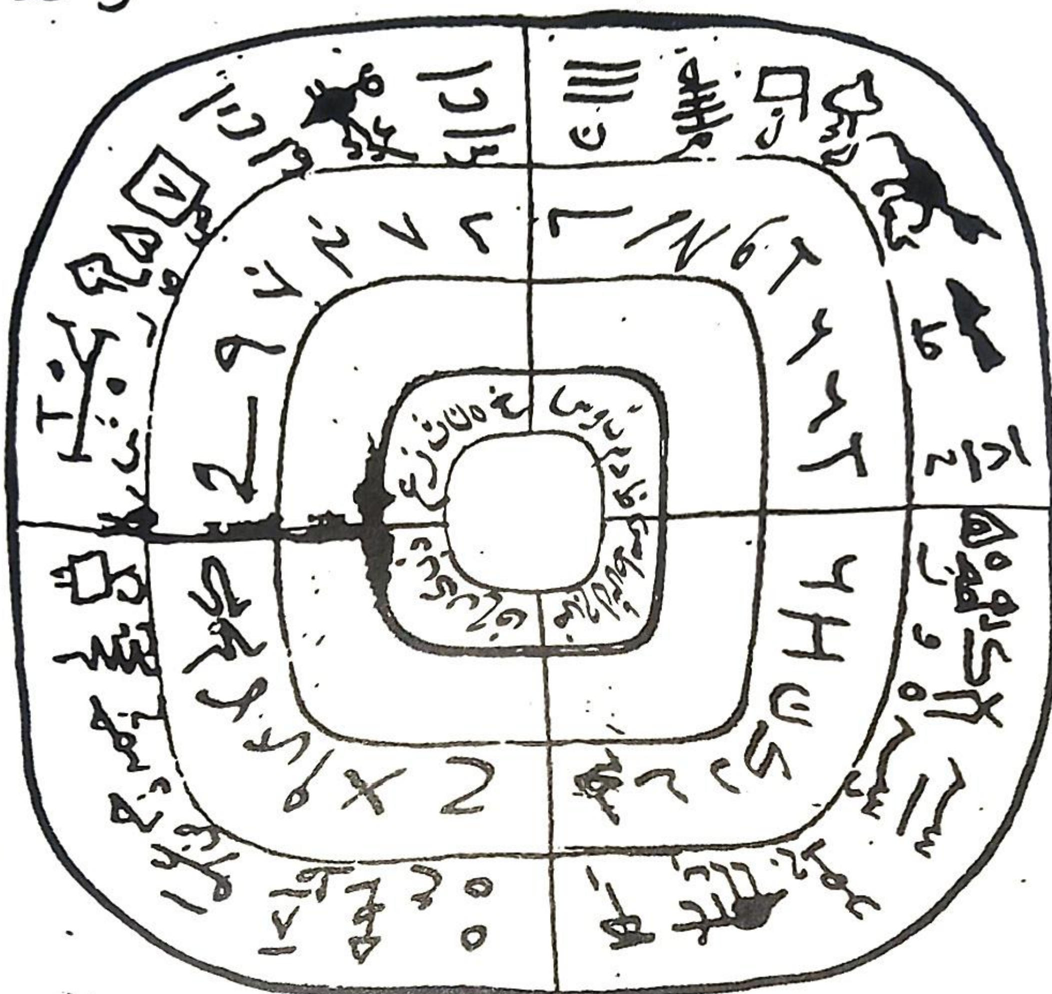
قلمه بن سرى قال الواقدى ولا فرق بين العربى والسريانى
فى الهجاء وهذه صفات حروف السريانى على حروف المعجم
فى هذا الجدول فافهم ترشد والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الف	بايت	جيم	دالت	هاسى	واو	زاى
٦	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥	٣
حابت	طات	يوت	كاف	لاتت	ميم	نون
[illegible]	٥	١	له	٦	[illegible]	٢
سمكت	عا	فا	صادى	قوف	راس	شاين
[illegible]	ع	و	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
تاو	ثو	خا	ذيل	ضا	ظا	غا
لا	لا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٢١	[illegible]

وهو اول قلم كان فى الدنيا ومنه تفرعت سائر الاقلام
قال ذو النون المصرى اعلم ان اصول جميع الاقلام عند
سائر الامم تخرج من قلم واحد وهو القلم الطبيعى واصله
مستخرج من الدائرة والقطب والجهات
الاربع وهو ستة وثلاثون حرفا
وقد استوعب جميع لغات
الامم وهى هذه
الدائرة كما
ترى

فافهم

فافهم ترشد.



قال وفي هذه الدايرة ثلاثة اقلام وقد نقلتها من صدر
قاعة هرمس فمن تدبر سرها المصون وفهم رمزها المكنون
صنع ما خطر بباله منها لعجايب والاسرار والغرايب من ساير الخواص
الروحانيه والمنافع والطلسمات لانها مرتبة على ترتيب الطبايع
والكواكب والبروج والمنازل فاما القلم العربي في القطع والوصل
فهو ثمانية وعشرون حرفا واما السرياني فهو كالعربي في القطع
والوصل واما العبراني فهو من ابجد الى تا قرشت وهو مشتق

من السرياني واما اليوناني فليس فيه الحاء والدال والضاد
والعين والهاء ولام الالف فاليوناني ولفرنجي والاصطنكيلي
كالسرياني واما السامري فهو ثمانيه عشر حرفا وقد نقص من العبراني
الالف والهاو الفا والغين واما الفارسي فهو عشرون حرفا وليس
فيه التا والحاء والصاد والضاد والطا والظاء والعين والقاف
التركي فعشرون حرفا ففي التركي ثلاثة احرف ليست في
الفارسي وهي الصاد والطاء والقاف وفي الفارسي ثلاثة احرف
ليست في التركي وهي الذال والفاء والهاء واما المغلي فهو سبعة
عشر حرفا واما القبطي فاثنان وثلاثون حرفا واما الرومي
فاربعة وثلاثون حرفا واما الارمني فستة وثلاثون حرفا وهو
اطول الاقلام وسنو في الغرض ان شا الله تعالى في كشف اسرار
الاقلام بلسان الالهام في كتابنا المسمى بشمس الافاق في علم
الحروف والاوفاق اذ هو بين ايدينا كالدر المنضود واللؤلؤ المعقود
فشغلنا عنه وعن غيره هذا الكتاب الذي ورد علينا نفيده
بلذيذ الخطاب في عالم العيان باشارة تاج الرسايل ومنهاج
الوسائل لتحريك الدرة النورانيه والحكمة الربانيه نور الله احداق
اهل الفضايل بانوار فرايحه الوقاده وابهج قلوب الناقدين
البصرا باثار خواطره المنقاده وها انا اشرع بعد استخارة من
الطول وبيده القوة والحول في رسم الاقلام التي استخرجتها
من كنوز القدما وحللتها من رموز الحكماء واخذتها بالنقل
الصحيح والكشف الصريح عن المشايخ الثقات الرواسخ لئلا يحتجب

عنها

عنها العالم بعلمه كما تحجب عنها الجاهل بحرفه وجهله
فسلم اللهم من حسد يسد باب الانصاف ويصد عن جميل
الاوصاف واستعيذ بالله من عليم اللسان وخيم الجنان شعر
فيارب صنه عن حسود وذمه ٭ وعن طعن طعان لئيم مذللا
القلم السرياني وهو قلم ادم عليه السلام وهو هذا كما ترى

[illegible] خ	لا ح	[illegible] ج	ڡ ث	ج ت	[illegible] ب	[illegible] ا
٢ ص	[illegible] ش	٦ س	لد ز	٥ ر	ه ذ	س د
لق ق	ف ف	ه غ	عر ع	و ظ	ع ط	صص ض
١٦ ى	٢١ و	ڡ هـ	الا ن	ج م	الا ل	الا ك

الثاني القلم الصوليباني وهو قلم شيث عليه السلام

وهو في ظهر هذه الصحيفة

كما ترى فافهم

ترشد والله

اعلم

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الثالث القلم القيناوي وهو قلم قينان بن انوش وهو كما ترى

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الرابع القلم البرباوي وهو قلم ادريس عليه السلام وهو
في الوجه المقابل لهذا فافهم ترشد والله اعلم بالصواب

ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

الخامس القلم الخزرمي وهو قلم نوح عليه السلام وهو كما ترى

ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

السادس القلم السامي وهو قلم سام بن نوح عليه السلام
وهو في ظهر هذه الصحيفة والله اعلم بالصواب

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ك	ل	م	ن	ه	و	لا ي

السابع القلم الصيني وهو قلم يافث بن نوح وهو هذا كما ترى

ا	ب	ج	د	ه	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الثامن القلم الهندي وهو قلم حام بن نوح عليه السلام وحروفه على الوجه المقابل لهذا فافهم ترشد والله اعلم

ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

التاسع القلم البرهمي وهو قلم ابراهيم عليه السلام وهو كما ترى

ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

العاشر القلم اليوناني وهو قلم اسحاق عليه السلام
وهو في ظهر هذه الصحيفة فافهم ترشد والله اعلم

ي	ط	ز	و	ج	ب	ا
ص	ف	س	ن	م	ل	ك
ذ	خ	ث	ت	ش	ر	ق

ضظغ

الحادي عشر القلم الصابي وهو قلم صاب وهو هذا كما ترى

خ	ح	ج	ث	ت	ب	ا
ص	ش	س	ز	ر	ذ	د
ق	ف	غ	ع	ظ	ط	ض
لا	و	هـ	ن	م	ل	ك

ي

الثاني عشر القلم اليعفوري وهو قلم
يعفور وهو في الوجه المقابل
هذا والله أعلم بالصواب
وهو كما ترى

ا	ب	ج	د	ه	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الثالث عشر القلم العبراني وهو قلم موسى عليه السلام وهو هذا

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الرابع عشر القلم العزري وهو قلم هارون وهو كما ترى

ا	ب	ج	د	ه	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الخامس عشر القلم الجبري وهو قلم داود عليه السلام وهو هذا

ز	و	هـ	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

السادس عشر القلم الكاهني وهو قلم سليمان عليه السلام

ز	و	هـ	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

السابع عشر القلم المروي وهو قلم علي عليه السلام وهو كما ترى

ن	م	ل	ق	ا	ث	ز	ى	د	غ	و	ا
او	رانى	ح	ف	٤	ا	ت	س	ر	ي	اذ	لاكنى

الثامن عشر القلم الافرنجي وهو قلم شمهورش وهو كما ترى

حَى	آتَ	ا	رَىْ	سَىْ	بى	٢
اوْ	آنهْ	آمْ	آلْ	قَا	طاى	آقهْ
اره	كُ و	تى	آس	آز	كُ	اط
		جمْ	قُمْ	آتَ	زَدْ	فث

التاسع عشر القلم القبطي وهو قلم جرجليس و... كما ترى

	ا	ب	ج	د	ه	و	ز
	ح	ط	ى	ك	ل	م	ن
	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

العشرون القلم الارمني وهو قلم دانيال عليه السلام وهو هذا

لف	ايبن	رى	نو	ايبت	اى	زا	ايخ	ثا	كم	ب	ايب
ادر	نا	نو	رمى	مينى	بجي	فيد	حا	هو	يكيى	زا	خ
يكيي	يود	هون	چو	رى	طون	فيل	ماسين	راء	بجي	ني	جا

الحادي والعشرون القلم العربي وهو قلم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صورته كما ترى ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي القلم الكوفي وهو قلم علي بن ابي طالب

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ك	ل	م	ن	ه	و	لاي

الثالث

الثالث والعشرون القلم العراقي وهو قلم الحسين بن علي وهو هذا

ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ى	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

الرابع والعشرون القلم البربري وهو قلم محمد بن الحسن بن علي

ح	ح	ج	ث	ت	ب	ا
ص	ش	س	ز	ر	ذ	د
ق	ف	غ	ع	ظ	ط	ض
لا	و	ه	ن	م	ل	ك

خاتمة اما الاقلام العرفيه والاعلام الحرفيه الثابته باللغات اللسانيه بين الذوات الانسانيه التي عقلها العقلاء وتصورها الحكماء فهي سبعمايه قلم لان ادم قد تكلم بسبعمايه لغة افضلها العربيه وفي الخبر ان الله انزل على ادم عشر صحايف وفيها الف

لغة قال بعض العلماء ان الحروف كانت يتشكل لآدم في صور الظروف في قوالب نورانيه بمعان روحانية عند ارادة مسمى صورها الخطية الدالة على اسرارها اللفظية وهي خاصية اختصه الله بها وقال بعض السلف ان آدم عليه السلام وضع جميع الاقلام قبل موته بثلثمائة سنة واودعها في صور البرائى وقد اقتصرنا في هذا الفصل على ما ذكره علماء الصناعة الكتابيه في رسائلهم الخطابيه وبالله المستعان وعليه التكلان

الفصل السادس بسم الله الفتاح مالامفتاح وبعد فها أنا ان شاء الله تعالى اشرع في وضع الاقلام التي وضعها اساطين الحكما وسلاطين القدما بعد ان طافوا في تحصيلها الفلوات وزفضوا في خدمتها اللذات والشهوات ومارسوا الدفاتر في صيد فوايدها وسامروا المحابر في قيد فرايدها وجالوا افكارهم في نظم قلايدها وافنوا اعمارهم في ترد شواردها فنظموا عقود عقايدها وحكوا نفوذ عوايدها ورفعوا أصول مبانيها وفرعوا فصول مثانيها وحلوا اشارات رموزها وفكوا ادلالات كنوزها وحققوا مناهج علومها ونهجوا مباهج فهومها وصانوها عن اهل الارادات النفسانيه وحفظوها من اهل الشهوات الشيطانيه حتى وصلت الينا عن المشايخ الكبار اولى الايدى والابصار بيضا نقيه فيها حليه لصورة بديعه وسورة رفيعه سريانية الاشاره غريبة العبارة شعر أغار عليها ان ترى الشمس وجهها

بغير

بغير حمار والمحب غيور ولما اصبحت رياضها زاهره
وحياضها زاخره في عالم الصون تحت حجاب الكون
ولم ار احد في هذا العصر كشف غطاء مبانيها او وصف
غطاء معانيها شرعت في تمهيد قواعد اسرارها وتشييد
معاقد انوارها وتوضيح عبارات فوايدها وتفتح اشارات
زوايدها ووضعتها بدرر من شوارق الحقايق وغرر
من بوارق الرقايق والحقتها بشواهد فرقانيه ودلايل
برهانيه واتبعتها بكلمات سبوحيه وعبارات
قدوسيه لم ينل بالمكاسب ولم تحز بالرغايب بل هبات
لواهب اسبابه وفتحت السعادة ابوابها فجاء بحمد الله
كتابا جامعا وافيا ولبابا نافعا شافيا فالاسماء حرزه
والدعوات كنزه والايات عرشه والبينات فرشه والاسرار
فوايده والانوار فوايده شعر كملت محاسنه فلو
اهدى السناء للبدر عند تمامه لم يخسف لاانتهى مثله
الاعصار ما اختلف الليل والنهار والحمد لله وله شكري
الذي بحر هذا البحر من صدري لكل كلمة ناقد وليس
الواجد كالفاقد فرحم الله من اعرض عن الفوايد واستجلى
هذه الفوايد فمن كان كفوا ليلقى هذه الاسرار الربانيه
والمواهب الرحمانيه فليبرز من مبرازة هواه وتميز عن زار
تقواه وليقدم صدقات بين يدي نجواه ومن كان بالعكس
مما نحن فيه فمن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه الاول

القلم الطبيعي وهو قلم الحكمة وهو لاردبوس الحكيم
ولاشك ان الواحدة اول الموجودات بالحقيقة وهي
علة النقطة والنقطة اول المحسوسات بالقوة وهي اصل
الاكره والاكره اول الموضوعات بالعمل وهي مظهر
الابعاد الثلاثة المتوهمة الماخذ في كل ذي جزء محسوس
المعتبرة في تقسيم مراتب الطبايع وتحديد اقسام الجهات
على نسبة تاليفيه التي بالاولى منها ظهر منشاء الطبيعين
الفاعلين وهو طبع الفوق والتحت حرارة وبروده وبالثانيه
ظهر مجموعها الى منفصليتها وهي طبع الزوايا الاربع المتساويه
عند كل تقاطع خطي حراره وبروده ورطوبه ويبوسه
وبالثالثه ظهر المركب من المجموع وهو طبع المشرق والمغرب
والجنوب والشمال حرارة ويبوسة وبرودة ورطوبة وبمقاومة
بعض نتايجها الى بعض تبين اعتدال الوسط وامتاز
كل ربع بالغالب عليه ووجدت صور الحروف وكيتها المتصله
والمنفصله مندرجة المعاني في طي التدبير ونشر التطوير
على انظام طبيعي النسق ثلاثي الترتيب سطحي التحرك وفق
التركيب عدد اعداد كل دور منه مثل ضلعه وهو قدر ما ينتهي
ادواره اليه ومبلغ وسطه مجموع كل حرفين متقابلين بكميتهما
وطبعهما عليه ولا بين كلما تضمنه القول بوضعه في مبسوطة
الاكرة الدايرة الشكل وفي الخارج عنه حتى لا يبعد عن الناظر
فيه بعد المشاهدة فهم ولا يدخل عليه عند تصوره تخيل

اشكال

لاشكال ولا وهم وهذه صورته كما ترى فافهم ترشد

جنوب
حار رطب

شمال
بارد يابس

حاشية قال الشيخ ابن العربي في الفتوحات المكية انما الجهات كما نص حار يابس والشمال بارد يابس والشرق حار رطب والغرب بارد رطب

الحروف الطبيعه									
الطبائع / المراتب	حار	[illegible]	رطب	[illegible]	معتدل	[illegible]	يابس	[illegible]	بارد
مرتبه	ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
درجه	ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
دقيقه	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
ثانيه	غ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

حسبما نص على ذلك الشيخ يعيش بن ابراهيم الاموي الاندلسي في كتابه المسمي بكيفية الاتفاق في تركيب الاوفاق وهذه صورة القلم الطبيعي

قال بعض علما المغرب اذا كنت في البلاد الشماليه فضعها من اليمين الى الشمال واذا كنت في البلاد الجنوبيه

فضعها من الشمال الى اليمين لحروف الشماليه الـ ٦ ٢ ٦ ـا ـه ـ ٢ ٢
ـا الثانى القلم الهندى وهو قلم هارش الحكيم وهذه صورته
١ ١ ١ أ ٢ ٢ ٢ ٣ ٣ ٣ عم عم غم 8 8 8 ٦ ٦ ٦ ٧ ٧ ٧
٨ ٨ ٨ ٩ ٩ ٩ وها انا اضع دايرة جامعة للضابطين العربى
والهندى الموضوع احدهما على رتب الاعداد المرتبه منزلين
كل ثلاثة حروف جامعة لثلاث رتب من العدد الاحاد والعشرات
والمئين والكلمة الاولى من اربع حروف لتعديتها الى الالوف
فالضابط الاول ايقغ بكرجلش دمت هنث وسخ زعذ عفض
طصظ والضابط الثانى كلمات مركبه تحتوى على توالها لعدد
من الواحد الى الالف عدداتاليا العدد وهذا هو الضابط العربى
ابج دهوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ
فكل واحد من العربى والهندى له ماخذ فى الاستنباط وكلاهما
متقاربان فى الوضع واصل الاستخراج فى ماخذ الهند ﷺ انهم جعلوا
لكل رتبة عدديه من الحروف مركزا متى تقدمته رجعت الى
رتبته مثل الواحد اذا تعدى الى مركز العشرات عاد بعشرة
وان تعدى الى مركز المئين عاد بمايه وان تعدى الى مركز
الالوف عاد بالف وكذلك ساير الاعداد الالوف والعربى
جعل الحروف تدور فى فلك اعدادها دايرة متداخلة أخرى فى
أول من مبدى الالف وهو الواحد مركز الغين وهو الالف
حرف بعد حرف وهذه صورة
الدايرة المذكوره كما ترى .

افهم

حاشيه حرف الالف له من العدد ١١١ وذلك ايقغ واذا ضربته فى الباء كان الخارج ٢٢٢ وذلك بكر واذا ضربته فى الجيم كان الخارج ٣٣٣ وذلك جلش واذا ضربته فى الدال كان الخارج ٤٤٤ وذلك دمت واذا ضربته فى الهاء كان الخارج ٥٥٥ وذلك هنث واذا ضربته فى الواو كان الخارج ٦٦٦ وذلك وسخ واذا ضربته فى الزاى كان الخارج ٧٧٧ وذلك زعذ واذا ضربته فى الحاء كان الخارج ٨٨٨ وذلك حفض واذا ضربته فى الطاء كان الخارج ٩٩٩ وذلك طصظ فافهم ذلك

ترشد افهم

الثالث القلم الزنجي وهو هذا فافهم ترشد والله اعلم

ححح	ججج	ععع	بتت	ـــ
ايقغ	بكر	جلش	دمت	هنث
٧٧٧	٩٩٩	ددد	لالالا	٥٥٥
وسخ	زعذ	حفض	طصظ	٥٥٥

وهذا القلم يعرف بترتيب الامام الرازي وهو لا يبين
الناس عن الطرفين

القلم العربي الرابع وهو في ظهر هذه فافهم ترشد
والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ا أ أ أ	ح خ خ	ج خ خ	ع غ ع غ	ع غ ع غ
ايقغ	بكر	جلش	دمت	هنث
٢ ٢ ٢	ح ح ح	٨ ٨ ٨	و ف ق	٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
وسخ	زعذ	حفض	طضظ	٥ ٥ ٥

الخامس مشجر القلم الطبيعي وهذه صورته فافهم ترشد

١ ١ ١ ١ / ١ ١ ١ ١	٢ ٢ ٢ / ٢ ٢ ٢	٦ ٦ ٩ ٩ / ٣ ٣ ٣	٣ ٣ ٣ / ٤ ٤ ٤	٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥
٦ ٦ ٦ / ٦ ٦ ٦	٧ ٧ ٧ / ٧ ٧ ٧	٨ ٨ ٨ / ٨ ٨ ٨	٩ ٩ ٩ / ٩ ٩ ٩	٥ ٥ ٥ / ٥ ٥ ٥

السادس مشجر الهندي وهو هذا كما ترى فافهم ترشد

١ ١ ١ ١	٢ ٢ ٢	٣ ٣ ٣	٤ ٤ ٤	٥ ٥ ٥
ايقغ	بكر	جلش	دمت	هنث
٦ ٦ ٦	٧ ٧ ٧	٨ ٨ ٨	٩ ٩ ٩	٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
وسخ	زعذ	حفض	طضظ	٥ ٥ ٥

السابع

السابع رقوم القلم المشجر وهو لديسقوريدوس الحكيم

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ابقغ	بكر	جلش	دمت	هنث
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
وسخ	زعذ	حفض	طصظ	ه ه ه

الثامن قلم زين الدين الكافي وهو هذا كما ترى

ع غ غ غ	س ش ش	و ف ق	ر ز ز	ص ض ض
[illegible]	ه ه ه	ع غ غ	ب ن ت	[illegible]

التاسع قلم عبدوش الحكيم الصوفي وهو هذا كما ترى

ع ب ث ث و ف ق ر ز سو س و ش ش ص ض
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض
[illegible]
ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

العاشر القلم المشجر وهو لافلاطون الحكيم وهو في ظهر الصفحة

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ا ب ج د	ه و ز	ح ط ى	ك ل م ن	
١ ٢ ٣ ٤	٥ ٦ ٧	٨ ٩ ١٠	٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠	. . . . .
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	زاير
س ع ف ص	ق ر ش ت	ث خ ذ	ض ظ غ	
٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠	١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠	٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠	٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠	. . . . .

الحادي عشر القلم القلفطري وهو لقلفطريوس الحكيم

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ى	ك	ل	م	ن
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]



ذكر بعض علماء المغرب ان القلم القلفطري استخرجه

قلفطيريوس الحكيم من ناوس أدمريوس الحكيم بعد

الف وخمسماية سنة من

وفائدة الثاني عشر قلم

سرميوس الحكيم

وهو هذا

ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

الثالث عشر قلم ميلا ايانوس الحكيم وهو هذا كما ترى

ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

الرابع عشر قلم حاليونس الحكيم وهو مرتب على ابجد وهو في ظهر الصحيفة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الخامس عشر قلم فيلاوس الحكيم وهذه صورته فافهم

							ا ب ج د هـ و ز
							ح ط ي ك ل م ن
							س ع ف ص ق ر ش
							ت ث خ ذ ض ظ غ

السادس عشر قلم واليس الحكيم وهذه صورته

٦	ما	كا	اما	نقا	صما	رطا	احب	هـ	س	لله	٩	لا	٢
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
سم	هو	عم	علا	ك	كا	سا	صح	م	هد	ك	كح	مه	ط
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	ه	ي

السابع عشر قلم الحكماء عربا المغرب وهو منسوب إلى أبي العباس السبتي وهو مشتق من القبطي وقد رمز به الندرمي في كتاب قبس الأنوار وجامع الأسرار وهو هذا

[illegible]	ى	لا	[illegible]	٣	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٨	[illegible]	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥	[illegible]	[illegible]	[illegible]	س	لد	[illegible]	[illegible]	ع	[illegible]	[illegible]
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي

الثامن عشر قلم تبع الحميري وهذه صورته فافهم ترشد

[illegible]	٥	X	[illegible]	[illegible]	ط	٩	[illegible]	[illegible]	٤	٦	[illegible]	٣٠	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١	[illegible]	ه	٩	[illegible]	٢	٢	[illegible]	لا

التاسع عشر قلم جابر بن حيان الصوفي وهذه صورته فافهم ترشد

٣	[illegible]	V	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	ده	ط	٥	+	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

العشرون قلم مهرارس الهندي الفيلسوف وهذه صورته فافهم

٦	٢	[illegible]	[illegible]	٣	٨	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ب	[illegible]	ش	٩		
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	له	[illegible]	[illegible]		

الحادي والعشرون قلم كتاب شمس الأسرار في علم الأبرار وهو هذا

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	لا

القلم الثاني والعشرون قلم الفرج الذي كان على عهد كسرى انوشروان

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	ه	لا	ي

الثالث والعشرون قلم دقيانوس الملك الرومي وهو هذا كما ترى

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	ه	لا	ي

الرابع والعشرون قلم الشيخ سعد الدين الحموي وهو هذا كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه لا ى

الخامس والعشرون قلم الطير وهو لصاحب شمس الواضح شرحه

السادس والعشرون معرب اليوناني وهذه صورته فافهم ترشد

الثلاثون قلم الحكمة الوثقيه لصاحب الدرة الفاخرة وهو هذا

ا ى ق غ	ب ك ر	ج ل ش	د م ت	ه ن ث
و س خ	ز ع ذ	ح ف ض	ط ص ظ	

الحادي والثلاثون قلم بعض الحكماء من الحرفيه وهو هذا

ا ى ق غ	ب ك ر	ج ل ش	د م ت	ه ن ث
و س خ	ز ع ذ	ح ف ض	ط ص ظ	

الثاني والثلاثون قلم بعض الحكماء وهذه صورته

ا ى ق غ	ب ك ر	ج ل ش	د م ت	ه ن ث
و س خ	ز ع ذ	ح ف ض	ط ص ظ	

الثالث والثلاثون قلم الكوفي وهذه صورته تامة

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ك	ل	م	ن	ه	و	لا ي

الرابع

الرابع والثلاثون قلم اليوناني وهذه صورته فافهم

A ا	ب	ج	د	هـ	و	ز
H ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الخامس والثلاثون قلم الحكمة اليونانيه وهو هذا

على أبجد

ر	ح	ه	~	ـــ	ـــ	ـت
٢	ج	ط	ط	ع	ﻛ	٧
٠٧	٤	٤	٣	٣	٠٩	٠٠٩
٨	ط	ﻫ	x	ق	ط	ى

السادس والثلاثون قلم التواريخ الروميه وهو هذا

على ابتث ايا

ﺗ	١	٦	٦	٢	٨	حه
A	⊔	⊔	ﺑ	ﺳ	ج	مصه
٨	٢	٦	ـ	د	ر	و
٢	٩	٩	٧	H	ﺣ	H

السابع والثلاثون قلم بعض العلماء وهذه صورته

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ك	ل	م	ن	ه	و	لا

الثامن والثلاثون في حروف لفافيطوس وهذه صورته

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ك	لا	م	ن	و	ه	ي

التاسع والثلاثون قلم اليوناني وهذه صورته

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الاربعون قلم التواريخ القبطية وهو هذا كما ترى

ا	ب	ج	د	ه	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

الثالث والاربعون قلم هرمس الفارسي وهذه صورته

ا	ب	ج	د	ه	و	ز
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ

النوع الثاني من حل المبهم اعلم ايها الطالب ان هذا النوع اكثر من الاول خصوصا بهذه الفنون خارجا عما وصفت في فهرست النوع الاول وهذا النوع تكشف به كل مبهم من المخفيات والاشكال والطلسمات والحروف والقلفطريات ودواير الكواكب وانواع الرموز المخبآت وساير الخطوط القديمة والمصطلحات وجميع العلوم المسترات وما نقش على الاحجار والسرايات من كهانة وسحر وطب وفلسفة ومما اودعه الاولون في تراثهم من العلوم وانواع الخطوط بايدي الفلاسفة وما اختاره كل حكيم منهم في كل زمان وما ذكره كل

واحد بكل لغة ولسان وبالله المستعان وعليه التكلان
ذكر عدة حروف الاقلام وما زاد فيهم وما نقص منهم
وهو شيء عظيم لا يحويه الا من خصه الله تعالى بالسعادة
ومنحه بالافادة والسيادة وذلك ان الناس اشد حرصهم
على تحصيل هذا العلم ولم يقع لاحد كما وقع لي الا القليل وايضا
من الماضين من وضع قلما زايدا عن حروف القلم العربي وثم
من نقص عنه وثم من وافقه وثم من مشى قلمه على حروف
ا ب ت ث وثم من مشى قلمه على ابجد وثم من مشى قلمه على حروف
كم او خط الى اخره فاعلم ذلك فان القلم العربي كح لكن
التورات التي بايدي الناس استمرت حروفها ٣ كج لانهم
نقصوا منها اربعة احرف وهي ع خ ه ب والسرياني واليوناني
وما اشبه ذلك كالاصطكليلي فانه كب والقبطي ٣٣ والارمني
٣٦ والمغلي ٢٧ والفارسي والتركي ج وليس في خطوط القوم
موصول الا حرف من السرياني والمغلي ولا ادري اهو قديم
ام حادث والسرياني هو اقدم الاقلام واحرفه يوافق حرف
العبراني في ابدال التاء بالثاء والكاف بالخاء والدال
بالذال والتكميل المستخرج بين الكاف والجيم وان العبري
كالجيم واحرفهما على ترتيب ابجد الى قرشت والرومي
كالعربي في العدد لا في المخارج والقديم منه كد واما
ما يخالف بعضه بعضا في العدد والمخارج فهي اقلام
كثيرة وسأذكر مع كل قلم حروفه ان شا الله تعالى واما الاربعة

الزايده

الزايرة في القبطي هي المتحيرة والارمني ناقص عن جملة
مخارج الحروف ثلاثة لان النحاة قسموا مخارج الحروف
الى ٢٦ والعربي حرفا وهو ٢٨ باعتبار ٢٩ والاول موافق
لمنازل القمر واحرف الايام واحرف النجوم واحرف الفلزات
السبعة وما تحتها من العدد ٢٨ والثاني ٢٧ اشارة الى
التركيب كالعشرة [illegible] لانها اعداد المركب ولذلك كانت
الاحرف المقطعة في اوائل السور في ٢٨ سورة والثالث
الهمزة على راى من يرى انها غير الالف ولابد لها والبوني
رحمهما الله تعالى في شمس المعارف واللمعة النورانية وجعل
كلاهما المدة والهمزة ولم يذكر لكونه اشارة الى الفارسي
ناقص عن العربي ثمانية احرف وهي ح ع ص ق ك ض ط ظ
وشد صار وحيد ابو جبر فان اصلها سا دستا فهي ولذلك
يكتب ويضم الحروف للكلام خلاف العرب لملازمة السين
المهملة للشين المعجمة مما لايليق ذلك في العربي الاشاذا في
لفظة او لفظتين كشيخ النحل والتركي موافقة في اشياء
كثيرة لكن فيه ٣ أحرف ليست في الفارسي وهي ق ص ط
وفي الفارسي ٣ احرف ليست في التركي وهي ژ ڤ د فالناقص
من التركي ثمانية احرف وهي ٥ ح ع ف ق شد فيه ترشه كر
الملائكة وهي فارسية ونفتات وهي بالتا وكذلك هيج
ومنه اصلها همزة الهاء وياتي الخطوط والاقلام موافقة للغة
العربي كالمشجر والمبدل وكالقمري والفهلوي والداوودي

والتميمي وساير ما يذكر من الاقلام وما يكتب به في
العلقطريات والموضوع من القلم الهندي انما هو العدد
وهو ٩ احرف قايمة مقام ٢٨ حرفا واصطلاح قلم عن ذلك
كالقبطي في موضع علم الحساب وهو علم الحجمطي لكنه قريب
والتعمية على اقسام كثيرة مثال شاهد هذه الكلمات نحو
اوحيط صلالة ذرمع في برخشش غضي مسج تذفق لكي
واضعه نقص منه الطاء المعجمة وجعل لا اصل لها ومنهم
من يبدل خلاف ذلك ومنهم من اذا كتب شيئا يهجي الكلمة
وياخذ الحرف الذي يلي الحرف من الكلمة على اصطلاح اب ت
ث او ابجد مثال الاول نحو محمد نحله وعلي عمالات
الباء ما بعدها شي والالف مع ما قبلها شي فيجعل الالف
للباء كالدايرة وهي كذلك بعض اصحاب اسرار الحروف ومثال
الثاني في محمد نفطه وعلي فمك ومنهم من يبدل الحرف
بثلاثة او اربعة او بالحرف الذي قبله مستمرا على ذلك ومنهم
من يبدل الحرف كلمة من الكلام اي وضع اختار اسم ذات او
صفة ومنهم من يصطلح بخطه حروف مقطعة على وضع الاقلام
القديمة ومنهم من يبدل اول حرف من الكلمة باخر حرف منها
مثل يعقوب بعقوي ومنهم من يؤخر الحرف حسب يعقوب
عقوبي ومنهم من يقدم الاخر نحو بيعقو مستمرا في الكلام
كله كذلك او يبدل هذه الابدالات ايها شاء كلمتين الى اخرها
نحو محمد ميم حا ميم دال ويكتب ضد المقصود او يكتب معكوسا

وهي

وهي ثلاثة أقسام اما ان يعكس أحرف لفظه للفظة او جميع حروف اللفظة من اخره لا اوله او يعكس اللفظة دون الحرف فيكون اخره أوله بالكلمات لا بالحروف او يكتب الفاظاً متعقدة منها من كل لفظة حرفا اولها او وسطها او اخرها او يجعل لكل حرف ما يوافقه من الاجناس وان شاء تكلم بنوع من ذلك الحرف وكلما تكرر ذلك الحرف اتى بنوع اخر من ذلك الجنس وموضوعه اسما مثاله ٥ تراب ٥ بنات ٥ جلوده جبوب ٥ حشب ٥ دواب ٥ ذهب ٥ رياحين ٥ زهره زجاج ٥ سلاح ٥ شهوره صباغ ٥ طيوره ظلام ٥ عطره غيث فواكه ٥ قصب ٥ كتب ٥ لبن ٥ مدن ٥ نجومه هوام ٥ وحش يواقيت ٥ ومزدوجات كالعض وامثاله ومنهم من يقصد في الوضع ومنهم يضعف بعض الحروف كالالفين او ثلاثة او غيرا او يضع شكلا واحدا على حرفين كالدال وساير المتشابهات والمماثلات والمتلاصقات او على ثلاثة احرف نحو ب ت ث وهو قسمان اما ان تستعمله مطلقا او في البعض دون البعض او تضع بحرف واحد صفتين مختلفتين او ثلاثة وهذا عسر حله او تضع حرفا واحدا على حرفين في الهجاء في بعض الكلام عوضا عن حرف من الادوات مثل هذا وبل وعن وما ومن وفي او يسقط حرفا من الكلام حيث ما وقع مثل الدال في عدى وسعيد وفرح واحمد تكتب على سمهما اهما ويفرق بين حروف اذ لجعلها

صفة على أحرف تنقط ومنهم من يجعل لفظة أو أكثر
عوضا عن حرف وعادتهم ان يفرقوا بين الكلمات بحلل
أو نقط او علامة ويجعل شبه الموضوع ورايت من وضع
قلما من حروف حساب الاعداد والقبطيه ورايت اخرين
وضعوا اشكال الكواكب وستور أو اخرجوا منها قلما وسموها
على حروف ابجد والاوصاف كثيرة والاقلام غزيرة والمدبر
باب في فصل في كيفية حل الاقلام اعلم يا أخي ان من اراد
ان يحل اقلام القوم ورموزهم ينبغي ان يراعي ما اصف
له وذلك بان يلزم معرفة اصطلاح وضع الحروف في كلام
العرب فاكثر الواقع ي ثم ر ثم ت ثم ب ثم د ثم ب ثم ت
ثم ف ثم ع ثم ذ ثم بس ثم ق ثم ج ثم د ثم ض ثم س ثم ش
ثم خ ثم ز ثم ظ ثم غ ويمكن ان يقع القليل في مواطن
كثيرة وبعكسه فاعلم ان الكلام العربي ما فيه كلمة رباعية
فما فوقها الا وفيها حرف من حروف هذه الكلمة بر ملون
والثلاثيات لا تخلوا من هذه الكلمه ربنا يومل وليس فيها
لفظة فيها ج ع الا مركبة مثل الجعله ولا كلمة اولها ح ه
ولا يجتمع ح ه الا في اخرها وفي حروف الهجا ما لازم بعضه
بعضا قبله وبعده وفيها لا يلايم قبله فقط وعكسها
وفي كلام العرب دون غيره مخالفة من اللغات كقولنا سرمر
باصطلاح الاوتاد وهو لغة معرب يوافق لفظا التركي فاما التي
لا يلازم بعضها بعضا ابدا لا قبل ولا بعد س لا تقارب ب ولم تقار

ود

ود لايقارن زاي وض ط لايقارن وعلى هذا فقس واما التى لا يلازم
الحرف حرفا اخر قبله لا بعده وعكسه ث لا يقع قبل ش وعكسه بعد
ع وكذا د يقع بعد س ص ولا يقع بعد ط وكذا ض ش لا يقارن المذكو رة
ص س لا بتقديم ولا بتاخير ولا يقع ص قبل ولا بعد د مهملة ابدا
الا نادرا واما الحروف التى تقع قليلا في التكلم مثل ق بعد ص
وط ولا يقارن خ ولا يقع قبل ح مهملة ق ش وكذا ق لا يقارن ط
ولا قبل ع ولا ج تقارن ص ولا يقع قبل ص وعلى هذا فقس جميع الحروف
واعلم انه لا يتكرر حرف في اول كلمة الا من هذه كلمن تاب والحق
واقلها واقعا في ذلك هذا الحرف ى واذا رايت حرفا بعد الالف
واللام تظن انه احد هذه الحروف ن ب م ر ل و ل ف ولو تجد ما بين
ال الف مكررا فان ذلك تم اوت فاعلم ذلك ونقلت من
كتاب مفتاح الكنوز اكثر الحروف وقعا ا ثم ل ثم م ثم ى ثم
و ثم ر ثم ه ثم ن ثم س ثم ب ثم ك ثم ت ثم ع ثم ق ثم د ثم
ذ ثم ح ثم ص ثم و ثم ث ثم ط ثم ظ ثم غ وليس في كلام العرب
كلمة رباعية الاصل او خماسية ليس فيها حرف من حروف
الذلقية وهو لف والشفويه وهي فمر الاماشذ ونهاية
الاسماء العربية قبل الزيادة خمسة الاماشذ والافعال قبل
الزيادة اربعة وليس في القرآن كلمة خماسية الاصل غير
الاسما الاعجمية وفي الحروف ايضا ما لا يقارن بعضه بعضا
لا بتقديم ولا بتاخير ومنها ما يقارن بتاخير فاما التى يقارن
س ط لا يقارن اثنى ط و ص لا تقارن خ وهي لا تقارن ط ظ

ولاع ولاف قوك الاناد را و أمـا الذى يتقارن فهو ماعدا هذا
مثل زج الاف الكلمة الاصلية لكن ص لاتقارن ض ط و ظ
لايتقارن ش الاناد راو لاط ولايقارن شروق لاتقارن
ع ولاه لاتقارن ا ولا وسا معشو وتاج و ك لاتقارن
فى كلمة اصلية والحروف الحلقية لايتقارن بعضها بعضا
الا الهاء فانها تعقبهم زايدة قاعدة تعرف بها الحروف التى
تقع تارة اصليه وتارة زايدة اما حروف الزيادة فهى عشرة
يجمعها قولك سالتمونيها فاذا علمت ذلك واردت استخراج
شئ من المجسمات تستقا بعدد الحروف واثبت المكرر منها
على مراتبه الاكثر فالاكثر فالذى يتكرر اكثر من الجميع يغلب
على ظنك انه ل لانها كثيرا ما تعقبه الالف ملازمة
لها فى اوايل الكلمات ثم تنظر ما يليه من العدد فتوقعه
على الحروف الستة تتمة الثمانية المذكورة فاذا انظرت
ما يوافق ذلك منها فاحصل توقعه ح جميع حروف
المعجم على الترتيب المذكور اولا فاول حتى يصح معك لفظة
او لفظتان فنظر نظايرهما فتوقع الكلام بعضه مع بعض
مثاله وانما سطر كل سطر منها عدد الاخر وقريبا
منه تظن انه شعر فنون الكلام وتمر به على الابحر
الستة عشر وتنظمه فاذا وافق النظم تجزم انه شعر فيسهل
حله لان المنظوم يظهر بسبب الوزن مكان الادغام وهمزة
القطع وتا التانيس الساكنة والها ايضا واذا اثبت حرفا

فى اول

في اول الكلمة فتكون ه او ت او ل او ب او ف او ك او
ن او ى ولا يكون غير هذا سوى الهمزة ثم يظهر من الوزن
اي الحروف منها هذا الحرف لاختلاف الاوزان ويظهر من ذلك
حروف العلة لان الوزن يقع فيها وهي واي وذلك في اماكن
كثيرة لا يقع غير هذا مكانها ويظهر ضمير المخاطب وساير
المضمرات وما يمكن وقوعها قبلها والاربعة عند اربعة
عشر حرفا وهي ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ل ن ويظهر ايضا عند اربعة عشر حرفا وهي خلاف هذه
الاربعة عشر حرفا الاولى وهي كما ترى ا ب ج ح خ ع غ ف
ق ك م ه و ى وذلك في الجملة ثمانية وعشرين حرفا
والمنظوم اسهلها من كل الخطوط بحر طويل لا ٣ لا ط
٩ ٩ ٩ م ٩ ٨ لا نوكا م بهطا ١ ١ ٧ لا م [illegible]
٩ ٩ ٨ ى ٣ ٣ ٣ ٣ ٣ ٣ ٩ ٩ ٩ ٩ [illegible] بدلنا
٣ ط ٨ ٣ ٨ ٨ م ٣ ٣ ٣ ٣ ٣ ٣ [illegible]
م لا [illegible] ٣ ٣ ٩ ١ ٣ ٣ [illegible]
م ٩ م بد م لا ٩ ٨ ٣ لا ٩ ٣ م ومن
الكامل ٢ ٩ ٢ ٣ م ٣ ٣ ٣ ٢ بلى ٨ [illegible]
٣ ٣ ٣ لا ٢ تحرب تحم ٢ ثم تنظر كم عدد
الصنع الواقعة في الابيات الاربعة تجدها خمسة
وعشرون حرفا فاعلم انها استوعبت جميع الحروف
المعجم خلا اربعة احرف تجعل حرفا قايما بذاته ونهذه

صفة تكررت مرة فبينتها على هذه الصفة بالقلم الهندي وبالله
الإعانة ... س ٣٣ ع ٩ س ... ٩ ... س سـ ٥
ف ه ... ر نه فكان الاكثر وقعا هذه لانه تكرر ٢٢
مرة هذا ٣٣ فانه تكرر ٢٧ مرة ثم هذا به ٢٥ فانه
تكرر ٢٥ مرة فالاكثر هو حرف الالف ثم رايت الذي
يليه في العدد لم يليه في الوضع فعدلت عنه لتاليه في العدد
فوجدته ثلاثة في خمسة مواضع هذا ... يه فهو اللام وهذا
الشكل لم يتبع الا في ثلاث مواضع في موضعين منهما الكلمة
سام فوجب ان يكون نون او وا و واستحق ثالث الالف في
العدد ان يكون ... لما سبق في الترتيب ثم نظرنا بعد هذه
الاربعة ما تلاها فوجدناها هذا ... ثم ... فنقول لا يخلوا
هذين الحرفين من ان يكونا من هذه الحروف ر ه د و
ف ى فنوضع الكلام وننظر الكلمات التي وقعت
ثانيه وثالثه فنجده قد صح معك في اول البيت ل م فنعلم
ان الحروف التي قبلها وهو الاول لا يمكن الا ان يكون الا
واو وفا وقد صح في اول البيت الثاني طرفي الكلمة الثانية
هذا بعينه وبينهما فا فاستحال ان يكون فلوا استحق ان يكون
فتنبه وتحقق ان الشكل الذي كنا بهمناه من الواو
والنون وهو ... انه نون فصح اذا معك خمسة ا ل
ن م ٣٣ و ... فقد صح معنا في كلمة خماسية ال ا و
لا ولد مرة اخرى ومعنا المصطر الوسط فيمكن ان يكون

من

من هذه الحروف ح س ط ع فنطلب نظايرها فنجدها قد تكررت ثمان مرات مرتين في هذه الخماسيه ومثلها ومرة في خماسية صح منها م ق و م ه سه وخماسية نصف البيت اولها ولا يمكن ان يكون اخرهذه الكلمة الا تاء التانيث الساكنة ظهرت منا الوزن وسداسية صح منها و ف ن فنظرنا ايضا ما وقع في بعض هذه الكلمات من هذا الشكل الذي تكرر وهو تكرر في باقي اكثر الحروف فجربناه على ى ر ه فوافق فصح معنى لفظة اول من خماسيه ان و ه وخماسية ايهم فجربناه على حروف المعجم فصح ص فصار المنظوم صانوه صانهم والثلاثة التي وسطها زيادة وقعنا فوجدنا الاول ع ابتنا ذلك عنه فصح الخماسية الاولى والخماسيات جربناه على حروف المعجم صح الحرف ظ فصار من ذلك المنظوم عظموه تعظيما وكذلك تفعل في الثاني فصح جميع تنظروى من مهجتي والم ويهيم س وف س في س من القوس والسهام وزوف منا فتصدت هو والفؤاد هو وقع وح من حدته وك من لكن يكاد ورا من يضطرب ورسه وتا من ثم اثبت ولام الف الف من ويلاه ولاقيت والاخذم ونس منا اعرضت وراء من برغبهم فيكمل الكلام وعليه فقس ويعس كل بيت بجميع حروف المعجم وقد صح ز ح ف وهذا يجمع الحروف الاكثر وتعابا الترتيب كما ترى لم الحرى تب هنك فعدس بح وصض شحت وطفظ فصح عدة الائلام على سبيل الانفراد ؟ اولها القلم الهندي وهو المرموز

به في كل عصر وزمان وحين واوان وبه تقيم الفلكيون
تقاويمهم والحساب اعداد هم وقد اكثرت من الرمز بهذا
القلم جد العلمي بكثرة تداوله بين الناس وتكرار وجوده
وسهولة ماخذه وقد جاء اقوام أخر فاصطلحوا على قلم آخر
وهم طايفة من الهنود وليس على الاصل وها انا اذكر الاول
والثاني ان شا الله تعالى فالاول على هذه كما ترى فافهم ترشد
ايقغ بكر جلش دمت هنث وسخ زعذ حفض
طصظ فالحرف الاول خالي والثاني بواحد والثالث باثنين
وليس معنا حرف مثلث غير الغين فافهمه وهو مرسوما كما ترى

ا	ي	ق	غ	ب	ك	ر	ج	ل	ش	د
١	١٠	١٠٠	١٠٠٠	٢	٢٠	٢٠٠	٣	٣٠	٣٠٠	٤
م	ت	ه	ن	ث	و	س	خ	ز	ع
٤٠	٤٠٠	٥	٥٠	٥٠٠	٦	٦٠	٦٠٠	٧	٧٠
ذ	ح	ف	ض	ط	ص	ظ
٧٠٠	٨	٨٠	٨٠٠	٩	٩٠	٩٠٠

الثاني منه

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
٩	٦	ه	٢	٨	X	ع	٥	٥٧
ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
كه	عه	8	٢٥	[illegible]	٣	٥	٥	[illegible]
ق								
٥								

ق د ش ث ث خ ذ ض ظ غ

قلم سرياني

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س

ش ص ض ط ظ ع غ ف ق

ك ل م ن هـ و لا ي

أخر قديم مثله

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ي

قلم سرياني مستجد

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ي

لا ٤ لم لى فو ها ٢ م س ق

قلم يونانى

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

١١١١ ٩ ٧ ٨ ٨ ١١١ ١١ ١١١١ د د ١١١١ ٦ ١١١ و

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

١ ٨ ٨ ٣ ١ ٩ ٠ دلا لم و م ٠ ٨ ١ لم

قلم يونانى ولاول اقدم منه

ا ب ج د هـ و ز ح ط ى

٩ ع ح م ق بو ما س ٩ ١١

ك ل م ن س ع ف ص ق ر

ح ح ٢ ٢ لا ح ح ص ق م

ش ت ث خ ذ ض ظ غ

س ٣ ٣ غ ٢ ه ه ر ٧

قلم هيكلى

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

٨ ٨ ح ٦ ٥ ٩ ٢ ١٢ إحا ٩.٩

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ا ه ع ٣ ح ٣٦ ظ ٣٦ ٤ ع

ف ق ك ل م ن ه و لا ي

٥ ح ٦ عح ٣٣ ٣٦ ج ٤ ه ه

قلم

قلم ملوكي

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى

قلم افرنجي

ا ب ج د ه و ز ح ط ى

ك ل م ن س ع ف ص ق ر

ش ت ث خ ذ ض ظ غ

قلم فارسي

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ى

قلم طبيعي ويقال ان هذا القلم مركب على طبايع العالم العلوي والسفلي وهو من استخراج ابن سبعين وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

لد لط هره لا ٢ حـ ع ٧ ٦ لا × ٢ ع

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه لا ي

له ٦ ٨ ٩ ٩ ٥٦ م لا ٩ ع لا ٢ ٩ وص

قلم فارسي غريب

ا ب ج د ه و ز ح ط ى ك ل م ن

ح د لح ٢ × × × ٨ ٩ ع ١٧ ٢ ما

س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

ع ٩ ٩ ك ع ٧ ٨ ٩ H ١٥ ١٩ ١٥ ١٤

قلم المخطوطي

ا ب ج د ه و ز ح ط ى

٩ س ٨ ل ع ص ١٨ × ٢٤ ٢

ك ل م ن س ع ف ص ق ر

ـو ١٢ ١٢ ٣ ٩ لا ٣ ص ٨ ٦

ش ت ث خ ذ ض ظ غ

لا ٩ ٢ ٢ ٢ ك × ع

قلم كوفي قديم

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك

ح ذ ذ ٦٧ ٢ ٥ ٥ ص ٥

ل م ن س ع ف ص ق ر ش

١١١ س د ح لا ٥ هطه ٢ ح ص

ث
ها

ق ث خ ذ ض ظ غ قلم حجري قديم

استخرجه ابان بن نعيم من الكتب القديمة وعليه طلسمات كثيرة بارض الصعيد من البرابي وغيرها والحديث يطول وهو هذا

ا ب ج د هـ و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق ر

ش ت ث خ ذ ض ظ غ

قلم حاكمي وهو ايضا من الاقلام الرومية ويقال انه حجري وهو هذا كما ترى فافهم ترشد

ا ب ج د هـ و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

وهذه الاقلام الرومية العتيقة فاولها قلم السند وهو على ثلاثة اقسام وكلها صحيحة ورايت في بعض التواريخ ان على طريق المغرب موضعا يقال له ذات

الحمام فيه هرمان عجيبان ليس على وجه الارض اعجب منهما ولا
ولا اعلا وطول كل هرم من سخ اثنى عشر الف ذراع والذراع اربعة
وعشرون اصبعا والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات
بطون احدهما الى وجه الاخر وعلى اعلاهما مكتوب بقلم
السند كل عجيب من طب وحكمة وفلسفة وسحر وكهانة وغير
ذلك من العلوم وعلى اسفلهما مكتوب انا بنيتهما فمن فيه قوة
يهدمهما والهدم اسهل من البنا وخراج الارض لا يقوم بهدمها
وقد استقري في الكتب السالفة انه لا يخبر احد من الامم
السالفه المجاورة لهما بعلمه من بناهما ولا بما بناهما ولا
لماذا بنيا وهذه صورة الاقلام الثلاثة كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

الثاني منه

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف

الثالث منه

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ى

وهذا القلم قبطي رومي وهذا القلم هو اصل لغة الروم يتلوا النصارى الانجيل في زماننا هذا ولا يوجد الا قبطيا ان منا الروم طايفة يقرونه عربيا وهذا لا يوجد الا نادرا ومن النصارى من يفسره عربيا وكثير يقرونه فقط وقد حضرت جماعة يقرؤنه قبطيا فسالت من بعض كبارهم تكلم بكلام لا يليق بحضرة البارى سبحانه وتعالى وعلى كل حال بدلوا وحرفوا لعنهم الله لعنا كثيرا كما ان اليهود نقلوا من التوراة كلاما عبرانيا وزعموا انه من كتاب الله تعالى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد رايت كثيرا من النصارى يقرؤن المزامير في صلاتهم بالعربيه وهذا صورة القلم المذكور كما ترى

فه د ر ب عمه صامه اى صو زبضه

به ٩ ٩ ٤٠ ٤ لى لا

فيضه يبطه برصه كيه لو له نى الى

١٨ نا لا ود ٥ ٥ ١٦ لنا

او و رو صمه صاو هه فى كى

٥ ٥٤ ٩ ٦٠ ٣ لا هو ×

الى او ساوى فاى حاى هورس ضجه

لا بى سے ٦ لا صے لا

سمه ذى وهذا رسم بعض النصارى ولا يقرأ هـذا

6 I معكوسًا نقول الفه ويبنه عمه صلصلة

اى صوزبده توضه يوضه ميه لوله لى دوسمه صو

هه نى لى عمه بى البين اوما فاى حاوى وهذه الاقلام

القلفطريه المرموز بها كتب الروحانيه وقد استدغم

من اهل زماننا هذا على تحصيل احدهذه الاقلام لان اصحاب

الكتب الروحانية قد ابهموا بها اعمالا كثيرة واشكالا

غريبة وماذاك الا ان اهل الزمان الاول زعموا بان الامر

موقوف على معرفة الطبع والحركة والشكل والساعة وسعد

الوقت ونحسه وما اشبه ذلك فان كان الامر كذلك

وجهل شكل من الاشكال المرموزة فتاخذ من هذه الاشكال

وقد بطل الفعل بكل حال وكثير من الاولين رمزوا به

كلاما ليس على اصله من الصحف المدخرة فى الخزاين السالفة

وقد

وقد وجدت مع بعض الناس طاسة فيها شكلاً منقوشاً
ورأيته مهتماً بأمرها ويرى تعظيمها فسألته عنها وعن ما فيها
فقال ان هذه الطاسة ما شرب منها مسجون الا خرج من
سجنه حالا ولا مطلقة الا وضعت في الوقت فتعجبت من
ذلك وذكر لي انها لم تخطا ابدا فلم ازل اطلبها حتى
اخذتها منه واصرفت همتي اليه وما برحت مهتما بها حتى
حللت الشكل المستدير وفهمت ما فيه وتاملته تاملا
شافيا وهذه صورته [illegible]
[illegible]
[illegible]
وتفسيره كما ترى رب خلصني من ذا السجن كي
واذكر اسمك وهذا الكلام من الزبور وقد وجدت
رجلا مرمودا وكان كثيرا ما يعتريه الرمد فوجدت
معه حرزا معلقا بين عينيه وذكر لي من حين علقه
لم ياتيه الرمد فطلبته منه فوجدت فيه هذه الاشكال
وهذه صورتها كما ترى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وهكذا الى اخره
بتمامه وكماله في الكلام العربي وتفسيره رجزا
محيرا فلما حللت الحروف وجدتها هكذا اكفاك الله

ما تشكوا من مقلتيك وحيا محاسن وجنتيك فانى
من شفاك على يقين وانت يا مرمود دون والنرمودع
فى الحروف لا فى اللفظ ومثل هذا كثير والفايده
فى ذلك ان المتاخرين لما علموا ان عدم الاعتقاد
الجازم الذى لا يصدر من اهل زماننا هذا فى مثل
هذا من الالفاظ ابهموها وستروها وكثيرا ما رايتهم
يسمون بهذه الاقلام الاقلام القلفطريه وهى سبعة
اقلام اختارها سبعة من الحكما وما عدا هذه
السبعة اصطلح عليها بعضهم وبعضهم لم يصطلح عليها
ولم يعتقد بها بل الناس قد وضعوها كثيرا ايضا
فى ذلك المصطلح عليه فاعلم ذلك يقينا فمن العلما
من وضع قلمه على ابجد ومنهم من وضعه على الف
باتاثا ومنهم من وضعه على غير ذلك والله اعلم

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س

[illegible]

ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل

[illegible]

م ن هـ و لا ى

[illegible]

القلم الثاني

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

[illegible]

ز

[illegible]

ز س ش ص ض

ف ق ك ل م ن و ه لا ى

القلم الثالث ا ب ت ث ج ح خ

د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ

ع غ ف ق ك ل م ن و ه لا ى

ا ب ت ث ج ح خ د

القلم الرابع

ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن و ه لا ى

القلم الخامس

ا ب ج د ه و ز ح ط ى

ك ل م ن س ع ف ص

و ز ت ث خ ذ ض ظ غ

القلم السادس

ا ب ت ث ج ح خ د

د ر ز س ش ص ض ط

ظ ع

هو

ن

القلم السابع

ا ب ج د هـ و ز

ح ط ى ك ل م ن

ع ف ص ق ر ش

ت ث خ ذ ض ظ غ

وقد تمت الاقلام السبعة وهذا قلم الهكتدى وقد حل به كتابا فى علم التكوينات وغيرها

وهو

وهو هذا كما ترى فافهم ترشد والله أعلم

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وهذا قلم السرو قد حصل به كتابا يسمى سر السر في علم الروحاني الصحيح وهو هذا كما ترى فافهم

ا ب ت ث ج ح خ د

ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك

ل م ن ه و لا ي

وهذا قلم اخر قد حصل به كتاب القفطريات وهذه صفة وضعه كما ترى افهم وتنبه

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

و د س ش ص ض ط ظ ع غ

طه ذ لحه ٣ صحه لاله لف ظه ٩ ف

ق ق ك ل م ن ه و لا ي

ق ط كه د □ هد ع ٩ ٩ ٩

ف ث وهذا قلم بابلي ٤ ث ث

ا ب ت ث ج ح خ د

٥ مه ٢ ٨ نه ٤ مح صحه

ذ ر ز س ش ص ض

٩ سع عا لجه ٩ ٧ احه

ط ظ ع غ ف ق ك

كه لحر س فه ٨

ل م ن ه و لا ي

مه مه هه ٣ مه مه

قلم آخر وهو من وضع السحرة ويقال انه من وضع اسماعيل ابن همام وهو رئيس السحرة بارض بابل وقد اثبت بهذا القلم سائر حكمته وجميع علومه وهو الذي زعم بعض المتأخرين انه الذي نقش على اسطوانة الف كانت بارض بابل وما جاز بها مصابا الا انصرع لوقته واحترق شيطانه من يومه ولا مر بها مسحور الا بطل عنه السحر ولا طالب حاجة ومضى فيها الا قضيت في الوقت وكانت منقوشة بهذا القلم

القلم المبارك وهذه صورته فافهم ترشد والله اعلم

ا ب ت ث ج ح خ د
٩ عـ د ٣ ٣ ٣ ٣ [illegible]
ذ ر ز س ش ص ض
٤ ٨ ٥ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ط ظ ع غ ف ق ك
٨ ▽ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ل
ل م ن ه و لا ي
ع ٧ هـ ولا [illegible] ≡ [illegible]

القلم الهيكلي اصطلح عليه بن زيتون وهو كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د
٧ ك ٦ ٨ ١٨ ٣ ▭ ٣
ذ ر ز س ش ص ض
٢ ١١ ك [illegible] ع ٥ [illegible]
ط ظ ع غ ف ق ك
[illegible] لا ٨ط ٧د د د ق
ل م ن ه و لا ي
هـ ى ٧ وس هـ هو [illegible]

قلم آخر وهو غريب وعجيب وهذه صورته كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د ذ
مه هـ ٧ سـ م محـ محا ٤ ٢

د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن هـ و لا ي

وهذا قلم المنير وقد حصل به كتاب في علم الصنعة الالهية

ا ب ت ث ج ح خ د

ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك

ل م ن هـ و لا ي

وهذا القلم لان وجدت به خواص الراميز مرموزة وهو قلم داود فاحتفظ به فانه جليل القدر وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن هـ و لا ي

وهذا

وهذا قلم وجد بخط اصف بن برخيا بن شمويل وزير سليمان بن داود عليه السلام

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ى

وهذا قلم شداد الذي كتب به بن عاد على دمه وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ي

قلم اخنوخ قد حل به كتابا في علم الصنعة وهو من الاصول الجليلة فافهم

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و لا ي

قلم بحري ندخلك به بحراً بأرض الهند وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن هـ و لا ي

قلم آخر من أقلام المسند وقد صل به كراساً في علم الخواص وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن هـ و لا ي

وهذا قلم غريب من أقلام اليونانيين ولم يقدر احد على اختلاف الاحرف

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن هـ و لا ي

وهذه

وهذه اقلام جليلة انتخبت من كتب روحانية واعمال غريبة وهي على طبايع الكواكب من كتاب الدهمشة من وضع فارس وهو القلم الاعظم بعد العربية يكتب يوم الجمعة ساعة الزهرة والطالع الثريا بزعفران وماء ورد فانه قبول باذن الله تعالى وهذه صورته كما ترى فافهم

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
[illegible]	[illegible]	ط	ں	٧	٧٧	[illegible]	و ٣
ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
[illegible]	[illegible]	د	قصد	مص	عصم	ماما
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
ك	مه	ماما	ق	٩٩	[illegible]	بيصه
ل	م	ن	لا	و	لا	ي
[illegible]	[illegible]	لعه	[illegible]	فه	لا	مفه

قلم آخر من كتاب الملك يومرج وهو بلسان العرب يكتب بحرف غزال باسم من تريد وهو للقبول والعظمة وهذه صورته فافهم ترشد

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز
س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
ق	ك	ل	م	ن	لا	و	لا	ي

قلم آخر من كتاب الهرامسة وهو من وضع الفرس وهو بلسانهم يكتب يوم السبت او الثلاثا

بدم سنور في جلد تيس ساعة زحل ويوضع في المكان
يقع فيه الفرقة والمقت والتغريب وهو هذا كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

[illegible]

ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ

[illegible]

ف ق ك ل م ن ه و لا ى

[illegible]

قلم آخر من كتاب الغرزدة وهو من وضع
السحرة مرتب على اعمالهم يكتب بابرة على
شمع خام ثم ترسم العلم بمداد في قواره باسم
المطلوب واسم امه فانه عجيب لما تريد والله اعلم

ا ب ت ث ج ح خ د

[illegible]

ذ ر ز س ش ص ض

[illegible]

ط ظ ع غ ف ق ك

[illegible]

ل م ن ه و لا ى

[illegible]

قلم آخر من كتاب الدواير على حروف ابجد
يكتب

يكتب يوم الخميس في كاغد ويحمل لقضاء الحوائج وهو هذا

ا ب ج د هـ و ز

ح ط ي ك ل م ن

س ع ف ص ق ر ش

ت ث خ ذ ض ظ غ

قلم اخر من كتاب الخافية من وضع حمعسق يكتب لكل ما تريد فاحتفظ به فانه غاية وهو هذا كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د

ذ ر س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك

ل م ن لا و لا ى

قلم آخر جليل من وضع العبرانية وهو يتصرف في اعمال شتى وهذه صورته في ظهر الصحيفة فافهم

ا ب ت ث ج ح خ د

عمه لا ... ٥ مله صح محمد لو

ذ ر ز س ش ص ض

نك مله محمد محله فا محمو٢ فها

ط ظ ع غ ف ق ك

صحم كه وه ماهر ٨٨ ٤٣ ماهج

ل م ن هـ و لا ى

صعه مامه ... محمد قف ٨ مامه

قلم من اقلام اليونان حصلت به كراسان من الروحاني منذ عشرين سنه قبل اشتغالي بالاقلام وهذه صورته

ا ب ت ث ج ح خ د

٩ غ ع عهد x x x ٤

ذ ر ز س ش ص ض

ط جه صه ٥ ٥ ١ ط

ط ظ ع غ ف ق ك

و فا فا ٤ ٤ له محمد

ل م ن هـ و لا ى

لم ٨ هـ ٥٥ و ٨ ...

قلم اخر وهو يشابه الذي قبله في الاعين لا في الخارج وفيه منقوط

ا ب ت ث ج ج خ د ذ

٦ ع □ □ ٢ ٤ ٣ ٦ ٦

د

٢

ر ز س ش ص ض ط ظ

ر د ٣ ٣ ٤ ٢ ٧ ٣ ٣ ٣

ف ق ك ل م ن هـ و لا ى

٦ ٦ د ط ٨ × ٥ ملو جو ح

قلم اخر نقلته كما وجدته ولم اعلم له اسم كغيره

ا ب ت ث ج ح خ د

× حر حدد و٢ ع٤ م عو لاع

ذ ر ز س ش ص ض

عمو ر ع ٣ ٢ لعى محد

ط ظ غ ف ق ك

سع مم لمحد عمد ع ع كما

ل م ن ٨ و لا ى

هـ ٨ مه ٦ ٨ ٥ ٤٠

قلم اخر طبيعي ويسمى بقلم الجداول وهو الطبيعي الاصلي فافهمه وهو هذا كما ترى فافهم

ا ب ت ث ج ح خ د

٤٠ ٢ ٦ ٣ ٧ ١ ٨ هـ

ذ ر ز س ش ص ض

ح ٣٠ ٢٠ لع ى هـ هـ

ط ظ ع ع ف ق ك

٥٥ ١٥ ١٥ ٥٥ ٨ ٥٥ ٥٥

قلم اخر وهو اخوان الصفا ويسمى بقلم الرسايل وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د

ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك

ل م ن هـ و لا ى

قلم اخر وهو اعجب من الاول على حروف ابجد وهو هذا

ا ب ج د هـ و ز

ح ط ى ك ل م ن

اقلام الكهان الذين كانوا في الدهر الاول وهم سبعة ذكرهم

ك
عسر
٦

اهل التواريخ وكل واحد منهم عند ملك من الملوك
المتقدمين يدبر له امر مملكته وكانوا يظنون ان بهم
قوام نواميسهم وكان واحد منهم عند الملك كاريون
بارض مصر وقد اظهر عجايبا لا تحصى وغرايبا لا تستقصى
تعرفها اهل التواريخ وهو هذا صفة القلم كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د
[illegible]
ذ ر ز س ش ص ض
[illegible]
ط ظ ع غ ف ق ك
[illegible]
ل م ن ه و لا ي
[illegible]

هذا سماه ون الكاهن وكان عند الملك الافرم ابو مرحبانه
روحاه كاربون المتقدم ذكره وهو الذى كنز له
الذخاير بتلك الارض من شرق اسكندريه وعقد
عليها بيرا واشتهر فى زمان الفتوح وله قصة
طويله وهو السريانى القديم وليس على صفة
السريانى الموجود الآن وهذه صورته فافهم ترشد

ا ب ت ث ج ح خ د ذ
[illegible] الاسعد [illegible]

ر	ز	س	ش	ص	ض	ظ
مر	مر	≡	ااا	٩	عى	وم
ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل
ه	[illegible]	[illegible]	اح	[illegible]	صلم	٧
م	ن	٥	و	لا		ى
ص	و	٩	٢	٦		فمه

قلم يرسين الذى كان عند الملك اسعوك بن مصرايم بعد ابيه واقام بالديار المصرية تسعماية سنة وانشا البوالى والملاعب وهذا قلمه فافهمه ترشد

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
ا	=	رد	ك	صرب	≡	٣	١
ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	
[illegible]	ق	مه	سح	لح	[illegible]	[illegible]	
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	
ه	[illegible]	٢	ح	٢	[illegible]	[illegible]	
ل	م	ن	ه	و	لا	ى	
ط	ع	ع	ك	وف	ع٥	[illegible]	

قلم اوطين الكاهن وكان عند الملك صنف بن يافش بارض مصر وهى مدينة فرعون ودار ملكه وقد جعل لها سبعين بابا من الحديد وكان قصره من النحاس الاصفر وسقفه من الذهب الوهاج وكانت الانهار تجرى من تحت سريره وكان صنف لا يخالف

أمر

اسم هذا الكاهن لقوة فضله وكثرة معرفته وهو هذا كما ترى

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
لا	١٠	مهه	#	لصد	مهج	X	ظمى
ذ	ر	ز	س	ش	ص		ض
مع	هو	٥٥٥	معلا	طلر	علا		خ
ط	ظ	ع	غ	ف	ق		ك
لا	كحو	سى	[illegible]	ى	م		[illegible]
ل	م	ن	ه	و	لا		ى
صد	عجم	[illegible]	مه	م	٦		ضمه

قلم ينبوس الكاهن وهو الذي كان عند الملك قفطريم بن مصرايم وهو الذي سميت به مصر جد الملك المتقدم وكان عظيم كهانته وهياكل المنظرومين بذريته القبطية جميعا وهو هذا

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
ماطى	نر	مه	د	٩	لا	[illegible]	[illegible]
ذ	ر	ز	س	ش	ص		ض
٨	لا	لصعر	مه	ضه	لمد		طا
ط	ظ	ع	غ	ف	ق		ك
٥	لحج	ط	سر	لجم	□		[illegible]
ل	م	ن	ه	و	لا		ى
وع	ده	مه	ع	لحا	[illegible]		[illegible]

وهذه اقلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبها اختم

وهذه اقلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبهم اختم

الكتاب وقد رايت في بعض التواريخ ان ادريس عليه السلام كان قد اخترع قلما سريانيا واثبت به علومه وما انزل عليه من الوحي وهو اول من كتب الخط ونسج الثوب وخاطه وكان الناس قبله يلبسون الجلد المدبوغ والليف وهو اول من استخرج علم النجوم وقدر سير الكواكب ونبه على عجائب الصنع فيها واول من اتخذ السلاح واشترى الرقيق وهذا قلمه كما ترى فافهم ترشد والله اعلم بغيبه

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز
ط	خت	ع	لا	حصه	صا	٧
ح	ط	ى	ك	ل	م	ن
[illegible]	لا	ا	هم	عاا	صع	مه
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
[illegible]	محد	سو	[illegible]	٩	[illegible]	صلع
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
[illegible]	[illegible]	صع	ح	عه	عه	ده

قلم شعيب عليه السلام لم يكونوا يعرفون الحروف الا بالاشارة وهذه صورته فافهم ترشد

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ
ح	٢	ر	لا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ر	٨
ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	
د	ك	[illegible]	[illegible]	٢	٦	نه	كه	
ع								
[illegible]								

ع غ ف ق ك ل

م ن لا و لا ى

قلم لوط عليه السلام ويقال انه المعهود في زمن ابراهيم الخليل وورثه بعده اسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام وعلى قول لخر انما كانوا يكتبون بالعبرانيه وهي لسانهم ايضا وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د

ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك

ل م ن لا و لا ى

قلم صالح عليه السلام وكانت عاد يكتبون به بعده ولا زال حتى صنف جرجيس قلم المستند وكتب به شداد بن عاد وعلى الاهرام بعد بنايها وهذا صفة القلم والله اعلم بغيبه واحكم

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط
٢ ١ ٥. ك […] مد ٥
ظ ع غ ف ق ك ل
٥ لد رد ٩ كه ١ مد
م ن ٥ و لا ى
ع ف ٨ فط ط x

قلم ذا النون عليه السلام ويقال انه كان في زمن ملك
يقال له اخميم وكان اثبت هذا القلم وهو عتيق
وقد صح من نسخ كثيرة ويسمى القلم الاخميمي وهو هذا كما ترى

ا ب ت ث ج ح خ د
٩ ٦ ع ٥ x د ب لا
ذ ر ز س ش ص ض
٨ ح ص ٣ […] دج هـ
ط ظ ع غ ف ق ك
ط لو لو مهد و س ور
ل م ن لا و لا ى
عي ط ك ع ل هر ع!!!

قلم جرجيس وكان من اوصيا عيسى عليه السلام وقد ارسل الى
اهل فلسطين بهذا القلم وكانوا يكتبون به في زمانهم وهو هذا

ا ب ت ث ج ح خ د
٦٩ لج * ٤ لا ٣ ع ٩
ذ
٥

ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
٥	ح	[illegible]	صح	و	[illegible]	هو
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
[illegible]	لا	٦	٧	٦	س	ح
ل	م	ن	ه	و	لا	ى
[illegible]	ك	٩	[illegible]	[illegible]	خ	ما

قلم يوسف عليه السلام وبعضهم يقول لم يكن كتب هذا الاعز الملك الريان وان يوسف كان يكتب بالعبرانيه وقيل غير ذلك وعلى كل حال فاحتفظ به وقد فك به كتابا في علم الصنعة الالهية وهذه صورته كما ترى فافهم ترشد

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
٥	س	X	[illegible]	سم	[illegible]	[illegible]	ط
ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	
[illegible]	٦	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	لك	
[illegible]	٣	[illegible]	[illegible]	لم	س	[illegible]	
ل	م	ن	لا	و	لا	ى	
[illegible]	[illegible]	[illegible]	ه	ع	[illegible]	لا	

قلم اسرافيل عليه السلام وقلم عتيق فاحتفظ به وهو في ظهر هذه الصحيفة فافهم ترشد والله اعلم

ا ٢ خ ط ش ظ غ ل ٧
ب ١ د ع ص ه ع ٥ م ٦
ت ٥ ذ ٦ ض م ف ٤ ن ٥
ث ل ر ع ط ٩ ق ح ه ٥
ج ك ز ه و ٥
ح ٤ س ١ ظ ع ك لا ص ى ٢

واعلم يا اخي ان جملة ما حصروه من الاقلام من لدن آدم الى الآن اي الى زمننا هذا اثنان وسبعون قلماً وكلها تقدمت وما زاد على هذا القدر فهو برواية اخرى مما اصطلح عليه ليكون تكملة للفوايد وملجاء لكل قاصد ومنهلا عذبا لكل وارد وقد انتهى جميع الكلام وانقضى وضع الاقلام المذكورة بالتمام

ويليها اقلام برواية اخرى وعلى الله حسن الختام

عدد

هذا قلم لسوكيا يوس الحكيم استخرجه من هو قلس الملك من نواميسه كان مدفونا بمصر في الهرم الشرقي من الجبل الغربي وترجمها له اخوان من القبط اسم احدهما ايلوا والاخر ارميا كاتامنا ولاد رجل من كهان مصر عالما بهذا العلم وهو هذا

ا ب ج د ه و

ز ح ط ى ك ل

م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث

خ ذ ض ظ غ

قلم لغيلاوس الحكيم استخرجه للاسكندر حين مسيره الى ارض مصر وهذه صفته كما ترى

ا ب ج د ه و

ز ح ط ى ك ل

م ن س ع ف

ص ق ر ش ت

ث خ ذ ض ظ غ

قلم بهيليايوس الحكيم الذي استخرجه
طمبر بن ارمو نشروفا من آخر الجبل الشرقي
من جهة المشرق وهذه صورته فافهم ترشد

ا ب ج د ه و

ز ح ط ي ك ل

م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ

ذ ض ظ غ

قلم هرجس الحكيم الذي استخرجه ازدشير

من حجر كان بناها وهو هذا كما ترى فافهم ترشد

قلم قنطريس استخرجه عاد جموش من ... متدو ديلد مخف أخبرته به ابنته وهو هذا كما ترى

قلم هرمس الحكيم الذى استخرجه الحكيم ارسطاطاليس
وهو هذا كما ترى فافهم ترشد والله اعلم

ا ب ج د هـ و

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
ويلي هذا تسعة وثلاثون
قلما بجداولهم
وضوابطهم
فافهم
ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه التكلان

	قلم رسايل اخوان الصفا وخلان الوفا لاحمد الباطني							
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
غ ٥	قلم محمد الحكيم							
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
غ	قلم السطقاء							
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ

ع سف	قلم الخوارزمي							
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
٩	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٣	[illegible]
ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
[illegible]	[illegible]	[illegible]	٩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٨	[illegible]
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
[illegible]	٨	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٧	[illegible]	[illegible]

لا ع	قلم الملك امنسطالوس الحكيم							
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
ما	[illegible]	٨	٧.	[illegible]	ى	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
[illegible]	[illegible]	٥	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
[illegible]	[illegible]	[illegible]	ع	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

ع كاه	قلم القيناوي							
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
يه	كلاه	نوه	كه	ثاه	تاه	يحى	صى	صبا
ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
حماوق	دالد	خاه	حاه	لم	عه	سيد	راه	طاه
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
ده	كفاه	طا	وه	هه	لام	فا	صنه	سله

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
غ	قلم سرياقوس الحكيم							❀
ا [illegible]	ب [illegible]	ج [illegible]	د [illegible]	ه [illegible]	و [illegible]	ز [illegible]	ح [illegible]	ط [illegible]
ي [illegible]	ك [illegible]	ل [illegible]	م [illegible]	ن [illegible]	س [illegible]	ع [illegible]	ف [illegible]	ص [illegible]
ق [illegible]	ر [illegible]	ش [illegible]	ت [illegible]	ث [illegible]	خ [illegible]	ذ [illegible]	ض [illegible]	ظ [illegible]
غ كاه	قلم من الاسرار							❀
ا بو	ب حمر	ج قا	د د	ه حم	و ط	ز كو	ح ٦	ط حنت
ي لح	ك طو	ل ااا	م ٥	ن كح	س عد	ع طوطو	ف ٮه	ص ﻫ
ق صو	ر س	ش X	ت @	ث كر	خ ر	ذ و	ض لى	ظ لا
غ ظ	قلم الصلباني لغة شيث							❀
ا X	ب لا	ج ن	د ك	ه انت	و وع	ز غ	ح م	ط يا
ي لى	ك ق	ل ي	م جيم	ن لم	س عس	ع او	ف فى	ص طا
ق س	ر ف	ش ط	ت وت	ث كا	خ ل	ذ ثا	ض ص	ظ ذا

غ ص	قلم فيطريوس							
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
غ	قلم عوناى							
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
غ	قلم حميرى							
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ

غ	قيل هو قلم الطير كما تقدم أيضا							
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
غ	قلم هردى							
ا اهثا	ب ثبا	ج صثا	د حفط	هـ بفثا	و طثا	ز بعثا	ح خثا	ط طثعا
ي بغثا	ك فيثا	ل حجيثا	م محيثا	ن عمثا	س سرسا	ع طثا	ف فلثا	ص حظا
ق حسا	ر طحبا	ش حيثا	ت حهثا	ث صعثا	خ وثا	ذ صظط	ض عطثا	ظ عشطا
غ بغثا	قلم العروى							
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ

ع سر	قلم الصصر							❀
١ تار	٢ نا	٣ كحى	٤ د١٥	٥ لے	٦ نر	٧ ت	٨ حال	٩ ا
١٠ نه	٢٠ به	٣٠ عر	٤٠ من	٥٠ س	٦٠ ص	٧٠ ع	٨٠ ف	٩٠ يس
١٠٠ ك	٢٠٠ لاو	٣٠٠ شنه	٤٠٠ طال	٥٠٠ ١	٦٠٠ دا	٧٠٠ ط	٨٠٠ صاه	٩٠٠ ظا

١٠٠٠ في	قلم القمرى							❀
ا [illegible]	ب V	ج د	د ك	هـ ΛΛ	و [illegible]	ز X	ح [illegible]	ط [illegible]
ى Λ	ك V	ل د	م [illegible]	ن [illegible]	س [illegible]	ع [illegible]	ف [illegible]	ص [illegible]
ق [illegible]	ر و	ش طا	ت مما	ث لا	خ ك	ذ [illegible]	ض لا	ظ [illegible]

ع ع	قلم الغمرى							❀
ا لے	ب حج	ج ج	د د	هـ لا	و و	ز ر	ح ح	ط ط
ى سر	ك ك	ل ل	م م	ن مـ	س س	ع ع	ف ف	ص ص
ق ق	ر ر	ش س	ت ت	ث ث	خ خ	ذ ذ	ض هح	ظ ط

قلم نارنجيات الموضع								
ا: ا	ب: ط	ج: [illegible]	د: ٧	هـ: ٣	و: ▽	ز: ٨	ح: ×٣	ط: [illegible]
ي: [illegible]	ك: ڪ	ل: د	م: [illegible]	ن: ب	س: هـ	ع: ٨	ف: [illegible]	ص: [illegible]
ق: [illegible]	ر: ٨	ش: محه	ت: ٣	ث: ٣	خ: ×	ذ: ٧	ض: صى	ظ: [illegible]
قلم آخر								
ا: [illegible]	ب: [illegible]	ج: [illegible]	د: [illegible]	هـ: [illegible]	و: [illegible]	ز: [illegible]	ح: [illegible]	ط: [illegible]
ي: [illegible]	ك: محد	ل: [illegible]	م: [illegible]	ن: قه	س: [illegible]	ع: [illegible]	ف: ف	ص: [illegible]
ق: مه	ر: [illegible]	ش: [illegible]	ت: صر	ث: ته	خ: [illegible]	ذ: محه	ض: [illegible]	ظ: [illegible]
قلم آخر								
ا: ا	ب: [illegible]	ج: ٦	د: ٢	هـ: [illegible]	و: +	ز: ٢	ح: ٦	ط: [illegible]
ي: [illegible]	ك: ل	ل: ٨	م: [illegible]	ن: [illegible]	س: ×	ع: [illegible]	ف: [illegible]	ص: [illegible]
ق: [illegible]	ر: [illegible]	ش: [illegible]	ت: [illegible]	ث: [illegible]	خ: تله	ذ: [illegible]	ض: [illegible]	ظ: [illegible]

[illegible]	قلم اخر							❁
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
[illegible]	قلم آخر							❁ [illegible]
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
[illegible]	قلم القمري ايضا							❁
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ

عدد ٥	قلم حساب							[illegible]
ا ١	ب ٣	ج ١	د ٢	ه ٦	و ٢	ز [illegible]	ح [illegible]	ط د
ي [illegible]	ك ٣	ل [illegible]	م [illegible]	ن [illegible]	س [illegible]	ع [illegible]	ف [illegible]	ص [illegible]
ق [illegible]	ر [illegible]	ش [illegible]	ت [illegible]	ث [illegible]	خ [illegible]	ذ [illegible]	ض [illegible]	ظ [illegible]
عدد ٩	قلم طبيعي							[illegible]
ا ١	ب ٣	ج ١	د ٣	ه ٦	و ٩	ز [illegible]	ح [illegible]	ط ١د
ي ٢	ك [illegible]	ل [illegible]	م [illegible]	ن [illegible]	س [illegible]	ع [illegible]	ف ط	ص [illegible]
ق [illegible]	ر [illegible]	ش [illegible]	ت [illegible]	ث [illegible]	خ [illegible]	ذ [illegible]	ض [illegible]	ظ [illegible]
عكس	قلم الصبي							[illegible]
ا [illegible]	ب [illegible]	ج فو	د عر	ه لو	و =	ز ١١	ح [illegible]	ط ط
ي [illegible]	ك [illegible]	ل لا	م ٥	ن [illegible]	س [illegible]	ع [illegible]	ف [illegible]	ص [illegible]
ق [illegible]	ر [illegible]	ش [illegible]	ت ط	ث عس	خ [illegible]	ذ ع	ض ص	ظ [illegible]

ع	قلم فرنكي ولغته وحروفه							[illegible]
ا آمى [illegible]	ب آبا [illegible]	ج وا [illegible]	د وا [illegible]	ه سا [illegible]	و دار [illegible]	ز اى [illegible]	ح وى [illegible]	ط الس [illegible]
ى	ك [illegible]	ل او [illegible]	م اما [illegible]	ن ناى [illegible]	س اى [illegible]	ع [illegible]	ف او [illegible]	ص اى [illegible]
ق [illegible]	ر [illegible]	ش [illegible]	ت [illegible]	ث [illegible]	خ [illegible]	ذ [illegible]	ض	ظ [illegible]
[illegible]	قلم [illegible]							[illegible]
ا [illegible]	ب [illegible]	ج [illegible]	د [illegible]	ه [illegible]	و [illegible]	ز [illegible]	ح [illegible]	ط [illegible]
ى [illegible]	ك [illegible]	ل [illegible]	م [illegible]	ن [illegible]	س [illegible]	ع [illegible]	ف [illegible]	ص [illegible]
ق [illegible]	ر [illegible]	ش [illegible]	ت [illegible]	ث [illegible]	خ [illegible]	ذ [illegible]	ض [illegible]	ظ [illegible]
ع طه	قلم لطينيه							[illegible]
ا [illegible]	ب [illegible]	ج [illegible]	د [illegible]	ه [illegible]	و [illegible]	ز [illegible]	ح [illegible]	ط [illegible]
ى [illegible]	ك [illegible]	ل [illegible]	م [illegible]	ن [illegible]	س [illegible]	ع [illegible]	ف [illegible]	ص [illegible]
ق [illegible]	ر [illegible]	ش [illegible]	ت [illegible]	ث [illegible]	خ [illegible]	ذ [illegible]	ض [illegible]	ظ [illegible]

[illegible]	قلم ارسطاطاليس							[illegible]
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
[illegible]	قلم بليناس صاحب كتاب الخليفه							[illegible]
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
[illegible]	قلم جالينوس							[illegible]
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ

قلم افلاطون								
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
قلم ارسطاطاليس رمز به كتاب الذخيرة								
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
قلم ارسطاطاليس ايضاً								
ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ

وايضا قلم [illegible]

أ ١	ب ٢	ج ٣	د [illegible]	ه ص	و ٥٥	ز ٦	ح [illegible]	ط م
ي ١٥	ك ٢٥	ل ٣٥	م [illegible]	ن ٦٥	س ٥٥٥	ع ٦٥	ف [illegible]	ص ٥.٥
ق ١٥	ر ٢٥	ش ٣٥	ت [illegible]	ث ٣٥	خ ٥٥٥	ذ ٦٥	ض [illegible]	ظ ٥م

قلم من كتاب الصنعة

ا ٩	ب I	ج ٦	د [illegible]	ه [illegible]	و 6	ز ٨	ح ٨	ط [illegible]
ي [illegible]	ك ٣	ل B	م ٦	ن س	س م	ع ٥	ف ٧	ص [illegible]
ق ٣	ر [illegible]	ش [illegible]	ت [illegible]	ث [illegible]	خ [illegible]	ذ [illegible]	ض [illegible]	ظ [illegible]

قلم رشم ائرساهم

[illegible]	م ٢	ج ٣	د ٤	٦ ٥	ه ر ٦	ور ٧	ك ح ٨	ط ل ٩
٣ ١٠ ك	لىا ٢٠ ك	ل ٣٠ ل	سحى ٤٠ م	بهى ٥٠ ن	صح ٦٠ س	٥ ٧٠ ع	سط ٨٠ ف	[illegible] ٩٠ ص
[illegible]	[illegible] ١٠٠	كروش ٣٠٠	لا ت ٤٠٠	ه ق ٥٠٠	سوخ ٦٠٠	[illegible] ٧٠٠	هد وص ٨٠٠	٣ ط ٩٠٠

تم الكتاب

الله ٦٦	رحمن ٢٩٨	رحيم ٢٥٨	ملك ٩٠	قدوس ١٧٠	سلام ١٣١	مؤمن ١٣٦	مهيمن ١٤٥	عزيز ٩٤	جبار ٢٠٦
متكبر ٦٦٢	خالق ٧٣١	بارىء ٢١٣	مصور ٣٣٦	غفار ١٢٨١	قهار ٣٠٦	وهاب ١٤	رزاق ٣٠٨	فتاح ٤٨٩	عليم ١٥٠
قابض ٩٠٣	باسط ٧٢	خافض ١٤٨١	رافع ٣٥١	معز ١١٧	مذل ٧٧٠	سميع ١٨٠	بصير ٣٠٢	حكم ٦٨	عدل ١٠٤
لطيف ١٢٩	خبير ٨١٢	حليم ٨٨	عظيم ١٠٢٠	غفور ١٢٨٦	شكور ٥٢٦	علي ١١٠	كبير ٢٣٢	حفيظ ٩٩٨	مقيت ٥٥٠
حسيب ٨٠	جليل ٧٣	كريم ٢٧٠	رقيب ٣١٢	مجيب ٥٥	واسع ١٣٧	حكيم ٧٨	ودود ٢٠	مجيد ٥٧	باعث ٥٧٣
شهيد ٣١٩	حق ١٠٨	وكيل ٦٦	قوي ١١٦	متين ٥٠٠	ولي ٤٦	حميد ٦٢	محصي ١٤٨	مبدىء ٥٦	معيد ١٢٤
محيي ٦٨	مميت ٤٩٠	حي ١٨	قيوم ١٥٨	واجد ١٤	ماجد ٤٨	واحد ١٩	صمد ١٣٨	قادر ٣٠٥	مقتدر ٧٤٤
مقدم ١٨٤	مؤخر ٨٤٦	أول ٣٧	آخر ٨٠١	ظاهر ١١٠٦	باطن ٦٢	والي ٤٧	متعالي ٥٤١	بر ٢٠٢	تواب ٤٠٩
منتقم ٦٣٠	عفو ١٥٦	رؤوف ٢٨٦	مالك الملك ٢١٢	ذو الجلال والإكرام ١١٠٠	مقسط ٢٠٩	جامع ١١٤	غني ١٠٦٠	مغني ١١٠٠	مانع ١٦١
ضار ١٠٠١	نافع ٢٠١	نور ٢٥٦	هادي ٢٠	بديع ٨٦	باقي ١١٣	وارث ٧٠٧	رشيد ٥١٤	صبور ٢٩٨	جلّ جلاله

جدول أسماء الله الحسنى

السحر عند البابليين والمصريين والعرب قبل الإسلام

❖ شريف يوسف

تعريف السحر:

عرف العلماء السحر بأنه عمل يهدف إلى التغلب على القوى التي تتصرف في مصير الإنسان، وان السحر قدرة يمارسها بعض الأشخاص باساليب يفترض ان تكون فوق ما يحدث بصورة طبيعية وذلك لغرض التأثير على السُذّج والبسطاء عن طريق القيام بأفعال تبهرهم وتوجب اندهاشهم. وقد عرف السحر ابن خلدون فقال بأنه «علم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر بغير معين» وصنف السحر إلى ثلاثة اصناف: السحر بالمعنى المفهوم عند الفلاسفة وهوالتأثير بالهمة من غير آلة ولا معين، والطلسمات وهي التأثير بمعين من مزاج الافلاك والعناصر او خواص من الاعداد، وأخيراً الشعبذة أو الشعوذة وتكون بالتأثير في القوى المتخيلة والتصرف بقوة نفس الساحر المؤثرة حتى يرى الرائي شيئاً في الخارج وليس هناك شيء. ويقال للرجال الذين يقع عليه السحر (مسحور).

السحر والدين:

كان السحر من اختصاص رجال الدين يقومون به في المعابد قيامهم بالشعائر الدينية الأخرى، واذا كان هناك من يفرق بين الدين والسحر ويجعل السحر شيئاً بعيداً عن الدين بل هو ضده فأن قدماء البشر لم يكونوا ينظرون اليه هذه النظرة، فهم يعتقدون بوجود علاقة كبيرة واساسية بين الدين والسحر، واذا دققنا في اسلوب تفكيرهم الساذج نجد تصوراتهم واضحة تدخل ضمن المعتقدات الدينية والافعال السحرية معاً، فنظرتهم التي تشرك الدين بالسحر تأخذ بالاعتبار تأثيرها المشترك على الإنسان في حالات الموت والمرض ويعتبرون ذلك من عمل السحر وليس لأسباب طبيعية.

وهناك من العلماء من يعتقد بأن السحر لا صلة له بالدين، من هؤلاء العالم (جي، جي، فريزر) الذي يعتبر السحر صناعة بدائية تعتمد على قواعد تخيلية يفترض فيها التأثير حسب قوانين طبيعية ذات مصدر سايكولوجي محض، وان جميع الاعمال

السحرية مبنية على نظرية (التعاطف) Sympathy او الاشتراك بالاحساس، وأن الاشياء تؤثر بعضها على بعض بسبب وجود روابط لا يمكن ادراكها، فهي أما أن تكون متشابهة في الظاهر أو أنها كانت في وقت من لأوقات في اتصال مع بعضها وكان بعضها جزءاً من البعض الآخر. فمن التطبيقات العملية المعروفة لهذه النظرية هو الاعتقاد بامكان ايقاع الضرر والاذى على عدو من الاعداء باتلاف جسم يمثله ومشابه له.

السحر عند البابلين:

كان رجال الدين في العهد البابلي هم الذين يقومون بأعمال السحر في المعابد وتعتبر هذه الاعمال جزءاً من الطقوس الدينية، فمعظم هذه الطقوس يقصد منها التخلص من شر العفاريت والجن، ولهذا كان السحر واسطة أساسية للدفاع ضد قوى النحس والمصائب، وكان من واجب الكاهن التضرع إلى القوى السماوية العليا واستجداء العطف والعون منها للتخلص من الشرور، ولا شك في كون هذه القوى هي الغالبة والمنتصرة على جميع مصادر النحس والاذى.

ان تلك القوى السماوية العليا يمثلها الاله (ايا) اله المعرفة والمحسن إلى المخلوقات، وهو الذي يلجأ إليه الناس في الملمات ويرتجى منها العون والمساعدة، الا أن الاله (ايا) منح سلطته إلى ابنه الاله (مردوخ). وكان يطلق على الكاهن الذي يتلو التعزيم اسم (ماماشو) Mamashu.

ويرتدي هؤلاء الكهنة الملابس الحمراء Ashipu (اشيبو) لاعتقادهم ان اللون الأحمر يطرد الارواح الخبيثة وقد يرتدي أحيانا بعض الملابس المصنوعة من الجلد تشبه في تفصيلها السمكة للتأكيد على العلاقة بين الاله (ايا) اله لجة المياه والسمكة.

وعندما يبدأ الكاهن بالتعزيم يصرخ بأعلى صوته: «انا اشيبو الذي ولد في اريدو أنا هو»، ثم ينطق بالكلمات الخاصة بالطقوس التي تحجب العفاريت والجن. وقد يسبق هذه الطقوس القيام ببعض الافعال الرمزية كأحراق بعض المواد التي يعتقد ان دخانها يشبه الارواح الشريرة، او يقوم بعقد العقد التي يتصور الكاهن بأنها هي التي قيدت الضحية التي يسحر لاجل خلاصها، ثم يخط دائرة على الأرض بعصاه السحرية حول نفسه والشخص المراد إبعاد الشر عنه، وينطق بالكلمات التالية: «بيدي أمسك دائرة (ايا) السحرية، وبيدي أمسك خشب السدر سلاح (ايا) المقدس، وبيدي أمسك فروع نخيل الشريعة»، ثم يتحول الكاهن إلى تماثيل الالهة ويلمس أطرافها بالاشياء الخاصة بالعبادة كعصى خاصة ويتلو ما يشاء من التعاويذ، وهو حين يفعل كل ذلك

يعتقد ان الأشياء التي تخص الاله من آلات موسيقية وطبول مقدسة قد تستجيب لدعوته.

وقد نجد الآلهة نفسها احياناً تستنجد بالكاهن الساحر (اشيبو) لانقاذها مما يصيبها من محن، فقد يحدث ان تهاجم العفاريت الماردة اله القمر (سن) وتسبب الخسوف، فيهب اشيبو بالتعزيم والابتهال إلى الآلهة الاخرى لخلاص ونجاة اله القمر. وقد جرت العادة ان يرافق هذه الطقوس الضرب على الآلات الموسيقية والغناء والرقص، ومعظم كلمات الاغنية للآلهة يتلوها عدد من المشاركين في هذه الحفلات، كما يقوم هؤلاء بتقليد الاشيبو في حركاته السحرية للاسراع في انجاز مهمته. ويعتقد الاشيبو انه اذا ما أتم جميع الطقوس الخاصة بهذا التعزيم يكون قد اخضع الآلهة لتلبية طلباته.

وهناك سحر خاص فيه رجاء واستعطاف للآلهة كصب الماء على الأشجار والنباتات بغية استدرار عطف الآلهة لتبعث الغيث إلى المزروعات اذا انحبس المطر، كما تقام حفلات لزواج تماثيل الآلهة الذكور بالآلهة الإناث، وقد يمثل ذلك زواج الكاهن بالكاهنة، لغرض زيادة الخصب عند المواشي.

وتستعمل حروز وتعاويذ خاصة لها صلة بالسحر، بعضها ترمز للآلهة الغرض منها جعل حامل ذلك الحرز في حفظ الآلهة ورعايتها، وهناك حروز تساعد الإنسان على النجاح في مشاريعه الخاصة، أو تعينه في الاستبسال عند الحروب أو التغلب على بعض الحيوانات المفترسة والمؤذية.

أما في الطب البابلي فإن للسحر دوراً كبيراً في معالجة بعض الامراض المستعصية حسب اعتقادهم، وهنا يحاول الطبيب أن يكتشف انواع الخبائث التي سببت المرض، ويتلمس طريقه بجعل السحر والكهانة ارادة توصله إلى معرفة ذلك، ولهذا نرى مهنة الطب محصورة في الكهنة. وكان باعتقادهم أن الشخص المريض أما أن تكون أحدى الارواح الشريرة قد دخلت في جسمه أو انه مبتلى بتسلط الجن عليه.

وعلى هذا الاساس يعتبر المريض آثم وانه مرتكب ذنب من الذنوب، فاذا ما تم تشخيص ذلك الاثم أمكن التوصل إلى الطريقة التي يمكن بواسطتها التغلب على ذلك الجن أو العفريت. ان الطريقة التي يتبعها (الاشيبو) في هذه الحالة هو تعداد انواع الذنوب التي قد يكون المريض ارتكبها عن قصد أو دون قصد، وفي حالة اعتراف المريض بارتكاب احداها يشرع الاشيبو في تطبيق اساليبه السحرية للقضاء على الجن المتسلط على ذلك المريض.

وقد تقدم الطب بعد هذه المرحلة تقدما كبيراً عند البابليين وصار من واجب الدولة مراقبة الاطباء وانزال عقوبات صارمة بالمشعوذين منهم، فقد وضع حمورابي مواد تلزم الطبيب العناية بمرضاه وتفرض المادة ٢١٨ من هذه الشرائع عقوبات صارمة بحق من يخطأ منهم في معالجة مريضه ولا سيما عند اجراء العمليات الجراحية التي تسبب موت المريض، فاذا عمل طبيب عملية جراحية لعين مريض سبب وفاته أو ادى إلى تقيح العين وتلف البصر تقطع أنامل الطبيب.

السحر عند المصريين القدماء:

اشتهر كهنة مصر بالاعمال السحرية، وكان السحر جزءاً ملازما للطقوس الدينية، اذ نجد كاتب المعبد المعروف باسم (خرحب) يعرف اسرار السحر ويتلو الصيغ القديمة للادعية اثناء الاحتفالات، ويمارس الطب أيضاً. وكانت الادعية وتعاويذ السحر مختلفة الصيغ ابسطها ما يخاطب فيه الساحر الشر المراد طرده وابعاده وقهره، فمن التعاويذ التي وجدت في الاهرامات هذه التعويذة: «يسقط الثعبان الذي يخرج من الأرض، ويسقط اللهيب الذي يخرج من البحر، فلتسقط». وقد يزعم الكاهن الساحر انه قادر على ان يفعل السوء بالموتى الذين تجلب اشباحهم المرض في البيت، وانه قادر على ان يخرب مقابرهم، فإذا لم ينفع التهديد يعمد الساحر إلى اسلوب ارق حاشية فيغري المرض بالقول بأنه من الافضل أن يسكن إلى حريمه من ان يسكن في الطفل المسكين المريض، حيث يقول له: «هلم اذهب لتنام، واذهب إلى حيث نساؤك الجميلات اللائي وضع في شعورهن المر وعلى اكتافهن البخور الندي».

وقد يستنجد الساحر بالآلهة، فهو يدعو (رع) الذي يرعى كل شيء، لرقابة اشباح الشر، أو يشكو الثعبان إلى (رع) لاعماله السيئة. وقد يتكلم السحر احياناً وكأنه هو نفسه الاله فيقول: «اخرج ايها السم، افض على الارض، حورس يعزم عليك، انه يبيدك، انه يتفل عليك، انك لن تقوم.. انك ضعيف الاحوال لك، انك بائس ولا سبيل لك إلى المقاومة، انك اعمى لاترى.. بفضل ما يقول حورس القوي» او قد يقول: «انك لن تتسلط علي، اني انا امون، اني انا نوريس، المحارب الطيب، اني أنا العظيم، رب القوة».

الرقى عند المصريين:

وقد نشأ نوع من الرقى يهدد الساحر بها أهل السماء حتى ينفذوا ارادته، وكثر الكلمات الغريبة التي تزجر بها كانت حقا تعتبر اسماء خفية للالهة. ولكي يكون للرقى اثرها الصحيح كان من مراعاة اشياء كثيرة عند تلاوتها. فكان على من شاء لنفسه ان يتلو وردا يجلب له الحظ ان يتطهر قبل كل شيء تسعة أيام، ثم كان عليه بعد ذلك أن يتضمخ بنوعين من الزيوت، وان يتبخر بحيث تكون المبخرة من وراء الاذنين، وان يطهر الفم بالنظرون، وان يغتسل بماء الفيضان، وان يتخذ نعلين من الجلد الابيض، وكان عليه اخر الأمر أن يرسم على لسانه علامة الحق بمداد أخضر، ثم كان عليه بعد ذلك أن يدخل في دائرة لا يجوز له أن يتركها طوال اداء الطقس السحري.

ولتلاوة ورد آخر تلاوة مجدية كان الكاهن الساحر يرسم على الأرض صورة كاملة تمثل امرأة الهة «على وسطها ثعبان منتصب على ذيله وسماء واشياء اخرى كثيرة، أو ترسم على اليد عين تضم صورة الاله انوريس، وفي رقية اخرى كانت تتلى في الماء ضد الحيوانات الشريرة، ومن الخير أن تتلى الاوراد اربع مرات على نحو ما جرت به العادة مع كثير من الدعوات منذ القدم، ومن الضروري ان تتلى الرقى في صوت مهيب أو ترتل انشاداً».

وتتعدد الاغراض التي يستخدم فيها السحر على نحو ما تتعدد ضروريات الحياة، فهو يصرف العاصفة والزوبعة، ويحمي في الصحراء ضد السباع، وفي الماء ضد التماسيح، وفي كل مكان ضد اشد اخطار مصر ازعاجاً، وهي الثعابين والعقارب. وفضلاً عن ذلك فانه يساعد الولادة ويتلى عند اعداد الادوية، وبه تحارب جميع السموم وجميع الجروح وجميع الامراض، كما يحارب به كذلك الذين يجلبون هذه المكاره وهم الموتى، وذلك لانه من عقائد الشعب المصري ان الموتى الأشرار يتركون مقابرهم ويتربصون بالبشر، ولهذا ينبغي على الآلهة ان «تحبس ظل الميت والموتى الذين يسيئون الينا».

الكتابات السحرية:

هناك كتب كثيرة للسحر تمنح «القوة والبأس» ضد الاعداء فقد كتب أحد السحرة على عدد من القدور والصحاف قائمة بأسماء كل من يخشى خطره على الملك، مزودة ببيانات دقيقة عن كل فرد منهم ومرتبة بعناية وفق بلادهم وذلك

لكي يسهل على الآلهة والارواح ممن عليهم تأدية السحر الاهتداء اليهم، ووضع عليها علامة تعني انهم «يجب ان يموتوا»، ثم كسرت هذه القدور الفخارية، وكان الساحر يعتقد ان هذا المصير سوف يلحق بهم ان هو هشم القدور التي عليها اسماؤهم.

وهناك فن آخر كان باعتقادهم يقي الملك ويختم على أفواه الاعداء الذين يتقولون السوء ضده، فقد يصنع صغير من الطين أو الشمع تلحق به لوحة من البردى عليها اسم الشخص المجدف بحق الملك واسم أبيه وكان يؤخذ به إلى حيث تنفذ الأحكام ويختم على كل أعضائه.

كانت كتب السحر تؤلف على منهاج منظم، وكان لها مكانها في مكتبات الملوك وتعتبر كالكتابات الادبية أو كتب الحكمة، وقد عثر على بعض هذه الكتب منها كتاب (امنحوتب بن حابو) الوزير الحكيم لـ (امنحوتب الثالث) لاستعماله الخاص. وكان السحر بضاعة نافقة تدفع من اجلها الاموال العظيمة وتقتنى قدر المستطاع، وكثيراً ما تتألف ببساطة من أوراد أو اغاني محبوبة قديمة، منها الرقية الخاصة بتيسير الولادة ومنها رقية تتحدث عن حمل (ايزيس) وعن مولد (حورس) الغرض منها مساعدت الامهات عند الولادة.

التمائم:

اختص السحرة في العصر المتأخر من تاريخ مصر القديم في صناعة تماثيل وشواهد صغيرة كانت تقام في البيوت أو تعلق في الرقاب حماية من مختلف انواع الحيوانات والارواح الشريرة، وكانت لبعض الكائنات لمقدسة شهرة بانها تساعد ضد هذا الخطر بنوع خاص، وتقترن هذه الاشكال بالتمائم العديدة التي حاول الإنسان وقاية نفسه بها منذ زمن قديم. وكان يعد حماية جيدة ذلك الحبل الصغير الذي عقد به عدد معلوم من العقد، احداها في المساء، واخرى في الصباح حتى يتم منها سبع عقد، وكان من هذا القبيل كذلك ان تنظم سبع حلقات من الحجر وسبع حلقات من الذهب وسبعة خيوط من الكتان تعقد بها عقد، وقد يضاف إلى هذا أية وسيلة خاصة ككيس صغير فيه عظام فأر أو خاتم نقشت عليه صورة يد وتمساح، أو كلوحة صغيرة عليها طائفة من صور الآلهة، أو أي علامة أخرى مما يجلب الحظ. ان من شأن هذه التمائم والرقى ان تنقل إلى الإنسان نصيبا من القوة التي كان يعتمد عليها فن السحر.

وهناك تعاويذ لصرف العين الشريرة، وقد قرأ على لوحة صغيرة من الخشب كانت معلقة يوماً في رقبة (بتحوستوس) ان كل انسان ينظر إلى الطفل (محيت) هذا نظرة شر فان الآلهة تكبه كما تكب التنين. وكان يستحب تسمية الأطفال بأسماء يظن أنها تقيهم العين الشريرة.

وعند المصريين ايام معلومة من السنة ايام سعيدة واخرى سيئة، ففي احد التقاويم المصرية ثمانية عشر يوما طيبة، وتسعة أيام سيئة، وثلاثة أيام بين بين. فاليوم قد يكون سعدا أو نحسا تبعا لهذا الحادث أو ذاك مما جرى فيه من قصص للآلهة. فاليوم الثاني عشر من الشهر الأول للشتاء انه سيء جداً، وان الإنسان يجب أن يجتنب «رؤية فأر في هذا اليوم»، أما اليوم الأول من الشهر الرابع للشتاء فهو يوم طيب تماما وهو «عيد كبير في السماء والأرض».

هذه بعض الخرافات والعقائد التي كانت مسيطرة على عقول المصريين القدماء وكان الساحر يلعب دوراً كبيرا في حياة الشعب سواء بالطرق السحرية أو بواسطة الطقوس الدينية.

السحر عند العرب قبل الاسلام:

كان كهنة الاصنام وسدنتها عند العرب قبل الإسلام يقومون بأعمال السحر ويطببون الناس ويدفعون عنهم شر الأرواح الخبيثة وما يؤذي البشر.

وكان اكثر السحرة من اليهود، وترجع كتبه إلى (سليمان) وإلى جِنّه، ويسمى السحر في العبرانية (كيشف) Keshef ويسمى الساحر (كيشوف) Kishshuf وقد حاولت الديانة اليهودية مقاومة السحر والسحرة غير أنها لم تتمكن من القضاء عليهما بين العبرانيين فمارسه كثير منهم.

وكان الساحر يقوم بعمل للتأثير في الأرواح كي تقوم بأداء ما يطلب منها، ويقترن السحر ببعض الاعمال والالفاظ بعضها مفهوم واكثرها غير مفهوم، يتبع اشارات يوجهها الساحر إلى الجن والشياطين. ومعظم السحرة لهم شخصية ذات تأثير كبير على الجهلة فيصدق هؤلاء بأقوالهم وآرائهم. وقد تأثر عدد كبير من الأمراء بأفعال السحرة فاستخدموهم في ادارة الملك وأمور كثيرة.

السحر والحب والجنون:

كان للسحر مكانة بارزة في قضايا الحب عند النساء والرجال احياناً. فقد تستنجد المرأة بأحد السحرة وتطلب منه ان يجعل لها المكانة الاولى عند زوجها، فإذا كان للرجل عدة زوجات تحاول الاخريات ابطال عمل السحر بالسحر، وهكذا تكون منفعة الساحر مزدوجة. ويقوم الساحر بإشعال نار الحب في قلب الرجل والمرأة بإحراق البخور وتزويد من يطلب السحر ببعض الأعشاب والنباتات التي تسحق وتذاب في الماء وتقدم إلى من يراد إيقاع الحب في قلبه، وهناك من يستعين بالحجر يقرأ عليه الساحر ثم يرمى في الممرات التي يمر الرجل المراد سحره منها. ومنهم من يستعين بأنواع خاصة من الخرز أو العظام تدفن في المقبرة بعد ان يسحر عليها.

ومن السحر من يداوي عاشق متيم ويحاول اماتة عشقه بمادة ذات سحر يغتسل بها ذلك الإنسان أو يشربها فتطفئ في الحال أو بعد مدة غليان الحب في قلبه، وكان العرب يسمون هذه المادة (السلوان) أو (السلوانة). وقد يقوم السحرة بمعالجة المجانين ويحاولوا اخراج الجن من المريض بطرق مؤلمة كالضرب المبرح بالعصا أو ادخاله في محل مظلم يحرق حوله البخور، أو يسقى بعض الاشربة السحرية أو يدلك جسمه بمادة من المواد.

وقد يداوي الساحر كل الأمراض الأخرى المستعصية لاعتقاد الناس بأن سبب المرض حلول ارواح شريرة في الجسد أو جزء منه، ولن تنال المريض الشفاء إلا إذا طردت وابعدت تلك الارواح عن ذلك المريض.

النفث والعقد:

يستعين السحرة في مداواة المرضى بالنفث عليهم في فمهم فيمسك الساحر رأس المريض أو الجزء المصاب بالمرض ويقرأ ويتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة أو يدلك ذلك الموضع ببعض الدهون المسحورة. وتستعل التمائم للقضاء على المرض. وقد يقوم الساحر بعقد سبع عقد توضع فيها مادة السحر يعلقها المريض في عنقه أو يشدها في يده لتشفيه من المرض.

ومواد السحر مختلفة الانواع منها أوراق بعض النباتات والبخور والدماء والعظام وقرون الحيوانات تحرق أو تذاب في الماء. وقد يعمد الساحر إلى استخدام الرموز والصور لا سيما اولئك الذين لا يعرفون الكتابة والقراءة منهم فيرمزون إلى من يريدون

سحره ويصورونه، وتدفن تلك الصور والرموز في أحدى المقابر باعتبارها انسب مكان للسحر.

التغلب على الأرواح الشريرة

يحاول الساحر التغلب على الأرواح الشريرة التي تؤذي الناس بتقديم الذبائح إلى تلك الارواح أو الجن وتسمى تلك الذبائح (ذبائح) الجن. ويعمد الساحر إلى طرد الأرواح الخبيثة أحيانا باستعمال طريقة (التنفير)، فيتخذ الساحر بعض المواد المنفرة والمقززة لابعاد الجن عن المواضع أو الأماكن التي اختارتها ونزلت بساحتها. من ذلك تعليق الاقذار أو عظام الموتى على الشخص المراد طرد الجن من جسمه، وتسمى هذه الطريقة ايضاً (التنجيس).

الحمائل والنشرات:

تستخدم (الحمائل) وهي كل ما يحمل أو يعلق في موضع أو على جسم الإنسان أو الحيوان لحمايته ودفع الاذى عنه، أو منحه القوة للتوفيق على الأعداء أو البركة والحظ السعيد. وكان اليهود يعلقون (نشرة) لحل عقد الرجل عن مباشرة أهله ويقرؤن الادعية والاوراد على بعض المواد لاكسابها خاصية التأثير بفضل تلك الادعية. والحمائل والنشرات توحي لحمالها بأن فيها قوى سحرية ملازمة لها اكتسبتها بعمل ساحر ادخلها فيها بطرقة المعروفة.

والحمائل على انواع عديدة منها: قطع من المعادن عليها رموز أو كتابات مقدسة، ومنها الأحجار ذات الأشكال الغريبة والألوان النادرة، ومنها أجزاء من عظام إنسان أو حيوان أو الأسنان.

وبعض الحمائل جلود كتب عليها اسماء لبعض الآلهة وفيها بعض الرموز والاشارات روعي فيها الغموض والابهام، وقد تكون الحمائل شعراً لحيوان أو إنسان داخل غلاف خاص. وهناك حمائل خاصة بالحب وحمائل خاصة لاتقاء شر العين، وبعضها خاصة للخصب وانجاب الاولاد. كل هذه مكتوبة على ورق بمداد من الحبر أو الزعفران أو بعض الاصباغ ذات الالوان المختلفة أو بدم إنسان. وقد تكون بعض الحمائل على هيئة قلادة فيها عدد من الخرز أو خرزة واحدة كبيرة يحملها الصبيان اتقاء النفس والعين، وتسمى هذه احيانا (التمائم) هذا الاسم الذي ربما يكون مشتقاً من اليونانيةTelesma (طلسم). وكان العرب في الجاهلية يعتقدون بأصابة (العين)

واثرها في الحياة، ولهذا كثر استعمال الحمائل للوقاية من اثرها ورد الاصابة.ولحماية النفس من العين استعملت التعاويذ والرقى وسن ثعلب او سن هرة لدفع (النظرة) عن الإنسان.

الخلاصة

ان شعور الإنسان بضعفه وبضرورة الاستعانة بالقوى الجبارة الخفية التي دفعته إلى اللجوء إلى السحرة والاعتقاد بأن ما يأتون به من أفعال تخلصهم من الشرور والأمراض التي يتعرض اليها الإنسان طوال حياته. وان مايزوده به الساحر من رقى وتعاويذ ونشرات ومواد مختلفة فيها خواص سحرية مؤثرة قد تكون في نظرنا تافهة ومضحكة ولكنها في رأي حاملها فها الخلاص والإنقاذ لإيمانه بأثرها السحري فيه.

ان اكثر هذه المعتقدات لا تزال باقية لاسيما عند الشرقيين وان تبدلت الاسماء والأشكال وليس من السهل الإقلاع عن عادات موروثة منذ آلاف السنين وان دراستها نافعة للتوصل إلى معرفة هذه النواحي الحياتية المهمة.

المراجع:

- C.W.Ceram:Gods Graves and Scholars.
- Handcock: Mesopotamian Archaeology.
- R.Campbell: Semitic Magic.
- G.Contenau: Everyday Life in Babylon and Assyr.
- Encyclopaedia Britanica.
- د. جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام.
- ادولف ارمان - (ترجمة د. عبد المنعم ابو بكر ود. محمد انور شكري) ديانة مصر القديمة.

بـــدوح

كلمة بدوح اشتهر تداولها بين الناس وخصوصاً عند التجار وارباب الرسائل والأموال فمنهم من كان يكتبها على بضاعته أو ينقشها على فص خاتمه. ويندر الآن من يستعملها من الطبقة المتنورة. أما اصلها فقد اختلف فيه فمنهم من يقول أنها مأخوذة من اسم تاجر أو مقتطعة من اسم الخاتم المسمى بخاتم ابي سعيد وهو هذا:

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

وبعضهم يكتبه حرفياً هكذا

ب	ط	د
ز	هـ	ج
و	ا	ح

وضابط ذلك على اصطلاحهم انك لو جمعت الحروف المنقوشة في كل خانة من الخانات الثلاث من أي جهة بالأعداد الهندية سواء كانت أفقية أو عمودية أو مستطيلة لكان مجموعها واحداً وهو عدد ١٥ وان تكون الارقام المكتوبة في الأركان الأربعة من الخاتم زوجية وتسمى مزدوجات المثلث والأرقام المكتوبة في الخانات الأخرى فردية وتسمى مفردات المثلث. والعامة ينسبون إلى هذا الخاتم سراً عظيماً في بلوغ المآرب من جلب خير ودفع شر فإن كان القصد تحصيل خير كتبوا في الأركان الأربعة من الخاتم الأعداد الزوجية وتركوا باقي الخانات فارغة هكذا:

ب		د
و		ح

وان كانت شراً كتبوا الارقام الفردية هكذا

	ط	
ز	هـ	ج
	ا	

فإذا جمعت الحروف الزوجية كانت لفظ «بدوح» وإذا جمعت الحروف الفردية كانت لفظ «أجهزط» وقد يكتبون هاتين الكلمتين بلا خاتم اختصاراً هكذا (بدوح) و(أجهزط) الأولى في الخير والثانية في الشر.

سر الأسرار في استحضار الجن وصرف العمار

تأليف
الشيخ محمد التونسي المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان من ماء مهين . وفضله على سائر مخلوقاته بالحكمة والعلم المبين . ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فيقول العبد الفقير إلى ربه الغفور الرحيم (محمد التونسى المغربى) هذه فوائد جمعتها وجواهر التقطتها من كتب عديدة وتلقيتها من مشايخ فريدة فى معرفة أصول البروج والكواكب والساعات والدرج والمنازل وغير ذلك مما يسر الله بجمعه بحسب الزمن وشغل البال التمس منى بعض الاخوان المترددين على ليكون ذلك وسيلة له إلى معرفة قواعد علم الروحانية إذ به يعلو الإنسان على أبناء أقرانه فى هذا الزمان لأنه سيف الأولياء وجنة الأتقياء قد ألفت العلماء قديما وحديثا وكان لهم به الفخر فى حياتهم وبعد مماتهم ونحن إن شاء الله تعالى من التابعين لهم على طريقتهم فمنهم وحيد دهره وفريد عصره الإمام الأوحد حجة الإسلام أبو حامد الغزالى والامام شهاب الدين أحمد البونى والإمام الربانى قطب وجود زمانه سيدى محيى الدين العربى ومن أئمتنا شهاب الدين القليوبى وسيدى عبد الوهاب الشعرانى وغيرهم رضى الله عنهم من خلف وسلف وكان العلم مقاصدهم وروى عنهم ولكنهم جعلوا أساسه وعمدته والوقوف على صحته إنما هو بتقوى الله عز وجل واجتناب محارمه ولقد هلك فى هذا العلم ناس لا تحصى لاشتغالهم به من غير ناصح وعدم تقوى الله تعالى وغالب صحته مبنية على معرفة البروج والكواكب (وسميته سر الأسرار . فى استحضار الجن وصرف العمار) ومن الله أرجو أن يعفو عنا من هفوات توجب لعقوباته إنه غفور رحيم وقد آن لنا أن نذكر لك ما وعدناك به على سبيل الاختصار ليكون منها للمبتدى فى هذا كفى وبه يحصل له الانتهاء إن شاء الله تعالى والله ولى المتقين فنقول :

(فصل فى كيفية ما يحدث فى السنين بحسب الأيام السبع)

فان كان أول السنة الاحد فان الشمس تملكها وهذا دليل على ظفر الملك والولاة واتصال الأسباب مع بعض ويكون متوسطا فى طلوعه ويبقى على وجه الأرض ويخرج زرعة جيدا ويكثر القمح فى أول توت ويغلو المصير فى أواخر طوبه ويغلو الضأن والصوف

إلى برمودة وينتقل الناس من أرض إلى أرض مع مقاساة وأمراض صيفها حار يقع فيه فناء بالبواد ويكثر ثمر النخل ويكون الزرع مباركاً والملك منصوراً مؤيداً والله أعلم وإن كان أولها يوم الاثنين فإن القمر يملكها ويدل على صلاح الولاة ونزول الغيث والرحمة وحسن زيادة النيل والزرع ونمو القمح فى بلاد المسلمين وغلوه من كيهك إلى برمودة وغلو الزيت والقماش فى أواخرها ويقع مع بعض الولاة مناظرة شتاؤها لين وتكثر الألبان وتقع بعض أمارات فى أواخرها والله أعلم. وإن كان أولها يوم الثلاث فالمريخ يملكها وهذا يدل على ظفر الملك بجميع أعدائه ونفاذ أمره فى سره وجهره وتكثر الأقاويل وتتوال الأمراض فى غالب الجهات ويبيسح فيها سلطان الدم وربما مات به قليل من الأقطار الحارة ولا يثمر النخل إلا قليلا وتهرق الدماء وتخيب غالب المزروعات وينهزم العدو ويقع بعض منازعات فى ملوك العجم وتعلو الغلة فى أواخرها وربما زلزلت وانهزمت بعض حصون المضاديد والله أعلم. وإن كان يوم الأربع فعطارد يملكها وهذا يدل على العدل من الملوك والقضاة يكون النيل فيها متوسطا سريع النقصان وتظهر البدائع الغرائب من الصناعات والآلات ويتحارب الناس خصوصا أهل الأمصار ويموت كثيرا من الكبار والكهول ويرخص البر فى توت ويغلو فى بابه يظهر بها نجم يدل على الشر وتكثر الثمار والغلال ويعتدل الزمان فى الشتاء والصيف وتعلو فيها مراتب العجم وربما قلت الأنهار والله أعلم. وإن كان يوم الخميس فالمشترى يملكها فذلك يدل على موت الأشقياء وتغلو الماشية والعصير والقماش وتهب الرياح كثيرا ويكثر صيد البر والبحر ويظهر العدل من السلطان وتتيسر الأسباب ويرتفع الظلم وينمو الزرع ويرخص القمح والعصير والقطن ويقل الشر وتتعطف قلوب الناس بعضهم على بعض ويقوى ويسر للمعسر ويكون البرد قليلا ويكسر فى أيام الدبور والله أعلم. وإن كان يوم الجمعة فالزهراء تملكها فهذا يدل على انشراح الصدور وتودد الناس خصوصا أهل الأمصار وتأييد الملوك وتوسط النيل وربح التجار فى الغلال وطغيان أهل الملاهى من النساء والرجال. أولها رخاء وسطها فيه للناس رجاء وآخرها غلاء وربما أعقبها فناء منه ترخص الأقوات وتكثر الحسنات ويوفق الله من يوفق لطاعات يقع فيها بعض محاربات يعقبها السكون والوباء لمناسبة عداوة زحل للزهراء ومعاداة الزهراء لزحل فى بيت شرفه والله أعلم، وإن كان يوم السبت زحل يملكها؛ فهذا يدل على

تولية العبيد للروم وكثرة الوباء والشؤم وفناء المشايخ والصالحين ويقع فيها توقف الأسباب وتموت فيها بعض ملوك الأعاجم وتسقط البعض من الحبالى مع موت الأطفال أولها عسر وآخرها يسر فيها أرياح يابسة وربما تحرك سلطان السوداء من روحانية زحل والله أعلم (تنبيه) قد ذكر العلماء أن معرفة حال السنين إنما تكون بحسب حلول الكواكب زحل في أحد بروج الطبائع الأربعة المعلومة عند بعض الناس بالعناصر حيث إنه لم تخرج شيء من الموجودات عند حدها وذلك أنه إذا كان أول حلوله في برج ناري دل على كثرة الحرارة والغلاء والمحاربة وإذا كان في برج ترابي دل على اليبوسة والقوة والرخاء جدا وإذا كان في برج هوائي دل على المزاحمة من الخلف وظهور الصنائع والتسبب وكثرة الفرح والملاهي والتيسير في كل شيء اتصل به الإنسان واعتدال الزمان حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وإذا كان في برج مائي دل على الخصب العظيم والنمو في الزرع والنيل والحياة الطيبة والمودة بين الناس بعضهم مع بعض والله أعلم (فصل في ذكر ساعات الأيام وسعيدها ونحيسها) (يوم الأحد) الساعة الأولى للشمس سعيدة يعمل فيها أفعال الخير الثانية الزهرة سعيدة يعمل فيها للطلب الساعة الثالثة لعطارد ممتزجة الساعة الرابعة للقمر سعيدة لا يباع فيها الساعة ٥ لزحل نحسة يعمل فيها أفعال الشر الساعة ٦ المشترى سعيدة يسعى فيها لطلب الحوائج من الشرفاء والأكابر والسلاطين الساعة السابعة المريخ نحسة الساعة الثامنة للشمس يعمل فيها للمودة والعطف الساعة ٩ الزهرة سعيدة الساعة ١٠ لعطارد ممتزجة يعمل فيها كل شيء الساعة ١١ للقمر سعيدة الساعة ١٢ لزحل نحسة يعمل فيها أفعال الشر (يوم الاثنين) الساعة ١ للقمر سعيدة الثانية لزحل نحسة الساعة ٣ للمشترى سعيدة الساعة الرابعة للمريخ نحسة الساعة ٥ للشمس سعيدة الساعة ٦ للزهرة سعيدة الساعة السابعة لعطارد ممتزجة الساعة ٨ للقمر سعيـــــدة الساعة التاسعة لزحل نحسة الساعة ١٠ المشترى سعيدة الساعة ١١ للمريخ نحسة الساعة ١٢ للشمس سعيدة (يوم الثلاثاء) الساعة ١ للمريخ نحسة الساعة ٢ للشمس سعيدة الساعة ٣ للزهرة سعيدة ٤ لعطارد ممتزجة ٥ للقمر سعيدة ٦ لزحل نحسة ٧ للمشترى سعيدة ٨ للمريخ نحسة ٩ للشمس سعيدة ١٠ الزهرة سعيدة الساعة ١١ لعطارد ممتزجة الساعة ١٢ للقمر سعيدة (يوم الأربعاء) الساعة ١ لعطارد سعيدة الساعة ٢ للقمر سعيدة الساعة ٣ لزحل نحس الساعة ٤ المشترى سعيدة الساعة ٥ للمريخ

نحس الساعة ٦ للشمس سعيدة الساعة ٧ للزهرة سعيدة الساعة ٨ لعطارد ممتزجة الساعة ٩ للقمر سعيدة الساعة ١٠ لزحل نحس الساعة ١١ للمشترى سعيدة الساعة الثانية عشر المريخ نحس (يوم الخميس) الساعة ١ للمشترى سعيدة الساعة ٢ للمريخ نحس الساعة ٣ للشمس سعيدة الساعة ٤ للزهرة سعيدة الساعة ٥ لعطارد ممتزجة الساعة ٦ للقمر سعيدة الساعة ٧ لزحل نحس الساعة الثامنة المشترى سعيدة الساعة ٩ المريخ نحس الساعة ١٠ الشمس سعيدة الساعة ١١ للزهرة ممتزجة الساعة ١٢ لعطارد ممتزجة (يوم الجمعة) الساعة ١ الزهرة سعيدة ٢ لعطارد ممتزجة ٣ للقمر سعيدة ٤ لزحل تصلح لتغوير الآبار وما أشبه ٥ للمشترى سعيدة ٦ للمريخ نحسة ٧ للشمس سعيدة ٨ للزهرة سعيدة ٩ لعطارد ممتزجة ١٠ للقمر سعيدة ١١ لزحل نحسة ١٢ المشترى سعيدة (يوم السبت) الساعة ١ لزحل نحسة ٢ للمشترى سعيدة ٣ المريخ نحسة ٤ للشمس سعيدة ٥ للزهرة سعيدة لعطارد ٦ ممتزجة ٧ للقمر سعيدة ٨ لزحل نحسة ٩ للمشترى سعيدة ١٠ للمريخ نحسة ١١ للزهرة سعيدة الساعة الثانية عشر لعطارد ممتزجة.

(فصل في ذكر ساعات الليالي وسعيدها ونحيسها)

(ليلة الأحد) الساعة الأولى لعطارد الساعة الثانية للقمر الساعة الثالثة لزحل الساعة الرابعة للمشترى الساعة الخامسة للمريخ الساعة السادسة للشمس الساعة السابعة للزهرة الساعة الثامنة لعطارد الساعة التاسعة للقمر والعاشرة لزحل والساعة الحادية عشر المشترى والساعة الثانية عشر المريخ (ليلة الاثنين) الساعة الأولى للمشترى الساعة الثانية للمريخ الساعة الثالثة للشمس الساعة الرابعة للزهرة الساعة الخامسة لعطارد والساعة السادسة للقمر الساعة السابعة لزحل الساعة الثامنة المشترى الساعة التاسعة المريخ الساعة العاشرة للشمس الساعة الحادية عشر للزهرة الساعة الثانية عشر لعطارد (ليلة الثلاثاء) الساعة الأولى للزهرة الساعة الثانية لعطارد الساعة الثالثة للقمر الساعة الرابعة لزحل الساعة الخامسة للمشترى الساعة السادسة المريخ الساعة السابعة للشمس الساعة الثامنة للزهرة الساعة التاسعة لعطارد الساعة العاشرة للقمر الساعة الحادية عشر لزحل الساعة الثانية عشر للمشترى (ليلة الأربعاء) الساعة الأولى لزحل الساعة الثانية للمشترى الساعة الثالثة المريخ الساعة الرابعة للشمس الساعة الخامسة للزهرة الساعة السادسة لعطارد الساعة السابعة للقمر

الثامنة لزحل الساعة التاسعة للمشترى الساعة العاشرة للمريخ الساعة الحادية عشر للشمس الساعة الثانية عشر للزهرة (ليلة الخميس) الساعة الأولى للشمس الساعة الثانية للزهرة الساعة الثالثة لعطارد الساعة الرابعة للقمر الساعة الخامسة لزحل الساعة السادسة للمشترى الساعة السابعة للمريخ الساعة الثامنة للشمس الساعة التاسعة للزهرة الساعة العاشرة لعطارد الساعة الحادية عشر للقمر الساعة الثانية عشر لزحل (ليلة الجمعة) الساعة الأولى للقمر الساعة الثانية لزحل الساعة الثالثة للمشترى الساعة الرابعة للمريخ الساعة الخامسة للشمس الساعة السادسة للزهرة الساعة السابعة لعطارد الساعة الثامنة للقمر الساعة التاسعة لزحل الساعة العاشرة المشترى الساعة الحادية عشر للمريخ الساعة الثانية عشر للشمس (ليلة السبت) الساعة الأولى المريخ الساعة الثانية للشمس الساعة الثالثة للزهرة الساعة الرابعة لعطارد الساعة الخامسة للقمر الساعة السادسة لزحل الساعة السابعة المشترى الساعة الثامنة المريخ الساعة التاسعة للشمس الساعة العاشرة للزهرة الساعة الحادية عشر لعطارد الساعة الثانية عشر للقمر (فصل فى حساب الغالب والمغلوب) إذا أردت أن تعرف ذلك فاحسب اسم كل واحد منها على حاله واسقطه ٩٩ وينبغى أن لا تسقط الألف الثانية من مثل إبراهيم واسماعيل وتسقطها من مثل الحسن والحسين حتى يكون الاسم قائماً بذاته من غير زيادة ولا نقص فإن كان الرجل اسمان فاحسب له بالاسم المشهور عند الناس واعلم أنك لو حسبت كل غالب ومغلوب من أولاد آدم وبنات حواء من أول الدنيا إلى يوم القيامة لوجدت الغالب غالباً والمغلوب مغلوباً وأوصيك بالحذر من الغلط والنسيان فى حساب الجمل ومن ذلك ما ذكره الله من قضية داود وجالوت فباقى حساب داود ٦ وجالوت ٨ فإذا نظرت فيما سيأتى تجد الستة تغلب الثمانية وكذلك اسم موسى وفرعون فإن باقى موسى ٨ وفرعون ١ واحد فتجد الثمانية تغلب الواحد وقس على هذا تجده صحيحاً والله أعلم ١ و٩ الواحد يغلب التسعة ١ و٨ الثمانية تغلب الواحد ١ و٧ الواحد يغلب السبعه ١ و٦ الستة تغلب الواحد ١ و٥ الواحد يغلب الخمسة ١ و٤ الأربعة تغلب الواحد ١ و٣ الواحد يغلب الثلاثة ١ و٢ الاثنان تغلب الواحد ١ و١ الطالب يغلب المطلوب ٢ و٩ التسعة تغلب الاثنين ٢ و٨ الاثنان تغلب الثمانية ٢ و٧ السبعه تغلب الاثنين ٢ و٦ الاثنين تغلب الستة ٢ و٥ الخمسة تغلب الاثنين ٢ و٤ الاثنان تغلب الأربعة ٢ و٣ الثلاثة تغلب الاثنان ٢ و٢ المطلوب

الطالب ٢ و١ الاثنين تغلب الواحد ٣ و٩ الثلاثة تغلب التسعة ٣ و٨ الثمانية تغلب الثلاثة ٣ و٧ الثلاثة تغلب السبعة ٣ و٦ الستة تغلب الثلاثة ٣ و٥ الثلاثة تغلب الخمسة ٣ و٤ الثلاثة تغلب الأربعة ٣ و٣ الطالب يغلب والله أعلم :

(باب فى معرفة عدد السموات والأرضين والبحار والكواكب والأيام وما لها من الملوك العلوية والسفلية وما لها من الحروف ومن الأسماء الحسنى والكواكب والطوالع من البروج) اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات سبعا والأرضين سبعا والبحار والكواكب سبعا والأيام سبعا ولها من الملوك سبعا العلوية المتصرفين فيها ومن الملوك الأرضين سبعا وكل واحد منهم يخدم كوكبا من الكواكب المذكورة إلى يوم القيامة فإذا أراد الطالب لعالم الروحانية إحضار ما كان من هذه الملوك السبعة فليطلب حضوره فى يوم وساعة كوكبه وبيان ذلك سيأتى فى محله إن شاء الله تعالى فان أردت ما للأيام السبعة من الملوك العلوية والسفلية وما لها من الحروف والأسماء الحسنى والكواكب والطوالع من البروج وغير ذلك يوم فأول ذلك يوم الأحد له من الملوك السفلية عبد الله سعيد المذهب والحاكم عليه من الملوك العلوية روقبا ييل وله من الحروف حرف الفاء ومن الاسماء فرد ومن الكواكب الشمس ومن البروج الأسد ومن المعادن الذهب ومن البخور الصندروس (ويوم الاثنين) له من الملوك السفلية مرة الأبيض من الحادث وكنيته أبى النور الأبيض والحاكم عليه من الملوك العلوية جبرائيل وله من الحروف حرف الجيم ومن كواكب القمر ومن البروج السرطان ومن المعادن الفضة ومن البخور اللبان الذكر (يوم الثلاث وله من الملوك السفلية أبو محرز الأحمر والحاكم عليه من العلوية سمساييل وله من الحروف حرف السين وله من الاسماء الحسنى شكور ومن الكواكب المريخ وطالعه من البروج العقرب ومن المعادن الحديد ومن البخور القسط وقشر المحلب (يوم الأربع) له من الملوك الأرضية برقان ويكنى بأبى العجائب وله من الملوك العلوية ميكائيل وله من الحروف حرف التاء ومن الاسماء الحسنى ثابت ومن الكواكب عطارد وطالعه من البروج الجوزى ومن المعادن الزيبق ومن البخور المقل الأزرق والعنبر (يوم الخميس) له من الملوك السفلية الملك شمهورش وهو قاضى الجن والملوك والحاكم عليه من الملوك العلوية صرفيائيل وله من الحروف حرف الظاء وله من الأسماء الحسنى ظهير ومن الكواكب المشترى وطالعه من البروج القوس وله من المعادن القصدير ومن البخور العود والكافور

(يوم الجمعة) له من الملوك السفلية الأبيض وكنيته أبو الحسن زوبعة الملك الحاكم عليه من الملوك العلوية عنيائيل وله من الحروف حرف الخاء ومن الأسماء الحسنى خبير ومن الكواكب الزهرة وطالعه من البروج الثور وله من المعادن النحاس الاحمر ومن البخور المصطكى (يوم السبت) له من الملوك السفلية الملك ميمون وكنيته أبو نوح والحاكم عليه من العلوية كسفيائيل وله من الحروف حرف الزاي ومن الاسماء الحسنى زكي ومن الكواكب زحل وطالعه من البروج الدلو وله من المعادن الرصاص ومن البخور المعية السائلة والشمع الاصفر واللادن فهذه معروفة الأيام السبعة وما لها من الملوك العلوية والسفلية وبروجها وكواكبها وغير ذلك على سبيل الاختصار وقد جمعتها لك أيضا في جدول مرتبة لتكون لك محصورة وتحيط بها فهما وعلما وهذه صفته كما ترى

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ز	خ	ذ	ث	ش	ج	ف
زكي	خبير	[illegible]	ثابت	شكور	جبار	فرد
السبت	الجمعة	الخميس	الاربع	الثلاث	الاثنين	الأحد
كسفيائيل	عنيائيل	سرفيائيل	ميكائيل	سمسمائيل	جبرائيل	روقائيل
ميمون	زوبعه	شمهورش	برقان	أحمر	أبيض	مذهب
رصاص	نحاس	قصدير	زيبق	حديد	فضه	ذهب
زحل	زهره	مشترى	عطارد	مريخ	قمر	شمس

فاذا أردت إحضار ملك من الملوك السبعة الأرضية فاطلبه في يومه وساعته ولك في طلبه أوجه كثيرة منها أن تقسم عليه باسم الملك العلوي الحاكم عليه ومنها أن تقسم عليه بأسمائه التي خلقه الله بها لأن كل ملك من هذه الملوك السبعة السفلية له أسماء سريانية خلقه الله بها فاذا أقسم عليه الطالب بها فلا يقدر يتخلف لأنها أشد عليه من النار الموقدة وهذه الاسماء المشهورة في كتب هذا الفن لمن طلبه وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ومنها أن تقسم بدعوة من دعوات هذا الفن المشهورة مثل دعوة البرهتية أو دعوة الخلخلة ويقال لها خلخلة

الهوى رفيق الجوى وغير ذلك من دعوات هذا الفن فإنه يجيبك ويقضي حاجتك في يومه الذي تطلبه فيه واعلم أن الأدب في هذا الفن مع هذه الملوك المذكورة وهو أن تدعو كل ملك في ملكه وكوكبه وإن دعوت الملوك السبعة السفلية في مندل فلا تدعو السبعة ملوك العلوية الحاكمين عليهم في ذلك المندل لأنه يشق على الملوك الأرضية حضور العلوية في ذلك المندل فلا يستطيعوا الجلوس في حضرتهم ويحصل لهم في ذلك مشقة ويتأذون من الطالب ما أمكن فافهم (باب انصراف العمار لأجل المندل وخلافه) اقرأ هذا الانصراف مع الفاتحة والبسملة في الآخر أقسمت عليكم يا أيها الجني والعمار الذي في هذا المكان أن تمزلوا وانصرفوا من هذا المكان أنتم وإخوانكم وكباركم وصغاركم وحريمكم ولا فساد لا في عملي ولا في كتابي ولا في قراءتي ولا في دوائري بحق الملك طارش الحاكم عليكم وبحق طنيطه مرتين مزاق مرتين ماكر مرتين حتى تحضروا الملوك وأعوانهم وأنتم تكونوا مساعدين لي على قضاء حاجتي من غير ضرر ولا فساد وبحق طارش مرتين مارش مرتين مريش باريش روش مرتين لطمش بطش وبحق الرحيم الرحمن الجليل صاحب الاسم الكبير الأرض بكم ترجف والأرياح بكم تعصف والأودية بكم تقذف وأسماء الله العظيمة تحيط بكم والسماء تمطر من فوقكم نارا أو شرارا إن تأخرتم عن الانصراف من هذا المكان أنتم وأعوانكم وكباركم وصغاركم وحريمكم حتى أقضي حاجتي وترجعون آمنين انصرفوا بخ بسلام من عز مقداره وله مزار الوحا ٢ العجل ٢ الساعة ثم تقرأ فاتحة الكتاب سبع مرات (باب المندل) إذا أردت أن تفتح المندل أكتب الوفق الشريف على كف بنت أو ولد غير بالوغ في يده اليمنى بعد انصراف العمار وبعد اكتب على قورة البنت أو الولد فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ثم اكتب هذه الآية الآتية في ورقة وتوضع في قورته وهي هذه لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وبعده اتل هذا القسم قليق ٢ أنيق ٢ حريف ٢ مريق ٢ انزلوا حتى يراكم الناظر بعينه ويكلمكم بلسانه ويسألكم عن حوائجي فهو محيط بكم أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير قدوس ترعد الملائكة من خيفته وتزهق أرواح الجن والشياطين من سطوته وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين طائعين لأسماء رب العالمين ائتوني من

مشارق الأرض ومغاربها ويمينها وشمالها وبردها وحرها بجنودكم وكبيركم وصغيركم وعيالكم وحريمكم وأعوانكم لنا عندكم حاجة ولكم عندنا كلمة الوحا الساعة العجل مرتين وهذا الوفق الذي يكتب على يد البنت وهو هذا ثم نأتي في يد الناظر واحد فنجان توضع مقدارا من زيت الطيب ويوضع فوق الزيت مقدار حبر والناظر ينظر عليه دائما وأنت تعزم حتى يقول لك حضر خيال في فنجان وأنت تعزم حتى يقول لك حضر خيال في الفنجال وأنت تقوم قياماً وتقول وعليكم السلام وتقول للناظر إنه يقول للخيال:

د	ط	ب
ج	هـ	ز
ح	و	ا

إنه يكنس ويرش ويضع الكراسي ويحضر الخرفان ويذبح ويحضر الأكل ثم ينظر الناظر فإذا حضروا الذين نبهت عليه ثم يقول إنه يقول ينده على سلطانهم لما يحضر الملك تأمره بالجلوس وكل واشرب ثم اشرب القهوة والدخان ثم بعد ذلك يسأل منهم ما تريد ترى لك جواب أعني إن سألت عن حرامي أو مسجون أو مسحور أو عارض أو غائب يخبروك وما تسأل منهم مهما شئت أما انا تظهر الخيالات في الفنجال على عين ناظر لم تقرأ شيء حتى تقضي حاجتك ثم في الحال تقرأ هذا الانصراف ولا تغفل وهو هذا انصرفوا سلام عليكم بارك فيكم وعليكم بحق بخ مرتين اشمخ شماخ العالي كل براخ قضيتم حاجتي فانصرفوا بسلام آمنين (أبواب حل المعقود)

(الباب الأول لحل المعقود)

يكتب في إناء نظيف ويمحى بالماء النظيف أو ماء المطر ويسقى الرجل فإنه ينحل بإذن الله تعالى ولو كان له أربعين سنة وإن لم ينحل بهذا فليس مربوطا بل يكون عنينا وهذا ما تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه حتى إذا ركبا في السفينة خرقها

(الباب الثانى لحل المعقود)

تكتب فى إناء نظيف وتمحى بالماء ويسقى للرجل وزوجته وهذا ما تكتب بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مرج البحرين يلتقيان يخرج من بين الصلب والترائب فاذا جاء وعد ربى جعله دكا وكان وعد ربى حقا

حم	كهيعص	[illegible]
ه ن	ب م	ف ل
م	ح ل	و ل
ط ن	د ل	ا م
الحق	حمعسق	حم

وهذا الخاتم (الباب الثالث) تكتب فى إناء جديد وإن لم يوجد فإناء نظيف تكتب فيه سورة البقرة بتمامها وتمحى بماء المطر وإن لم يوجد فماء البئر التى لا تراها شمس وإن لم توجد فماء البحر ويغتسل بها المعقود بعد تطهر جسده ينحل باذن الله تعالى

(الباب الرابع) ومن المجرب لحل المربوط على النساء فى أقرب وقت أن تأخذ مصحف ويوضع فى كفة من الميزان ويوضع فى الكفة الأخرى مقــداره ماء ويغتسل المربوط من ذلك الماء فانه ينحل باذن الله تعالى .

(الباب الخامس) تكتب سورة لم يكن الذين كفروا بتمامها من غير طمس وتسقى للمعقود ثلاثة أيام ينحل باذن الله تعالى

(أبواب المحبة والتهييج)

(الباب الأول ما هو مجرب للمحبة) تكتب يوم الخميس أول الشهر عند طلوع الشمس فى ورقة وتبخرها بمستكى وورث الغنم وهذا ما تكتب بعد البسملة ديم ديم ميل ميل ميلا حبا حبا ابطوش مرتين مندوق مرتين اين الملوك الموكلين بهذه الاسماء اقسمت عليكم بالله أن تجعلوا بفلانة بنت فلانة وتجعلوا فرجها جورة من نار لا يطفيها إلا ذكر فلان ابن فلانه بحق من قال لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم الآيه وبعد كتابتها تبخرها بالبخور المتقدم وتعلقها فى مهبة الريح ترى العجب بما صنع الله تعالى

(الباب الثانى فى المحبة) يكتب ويحمل وهو هذا بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تكتب بدوح عشرين مرة اللهم بحق بدوح وبحق ابى الممدوح وبحق القلم واللوح وماقيه من السر الموضوح وبحق ماخطبه القلم فى اللوح وبحق آدم ونوح وابى الممدوح صاحب النصر والعز والفتوح المؤيد بالملائكة والروح بالله عند ذ ٣ إلا ملك على كل

شيء قدير وبحق اسمك الوهاب الملك الحفيظ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله كذلك يأت كذا وكذا إلى كذا وكذا يا فرد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تمت (الباب الثالث المحبة والتهييج) تكتب في سبعة أوراق وتوضع في كل ورقة سبع حبات لبان ذكر ويوضعوا في النار واحدة بعد واحدة وهذا ما تكتب وبه تعزم يا بطوش هلقوش هارش فارش كيكوش كل اسم مرتين أجيبوا يا خدام هذه الأسماء توكلوا بجلب قلب فلانة بنت فلانة إلى محبة فلان ابن فلانه الوحا العجل الساعة مرتين بارك الله فيكم وعليكم تمت (الباب الرابع) تكتب في ورقة وتوضعها تحت عتبة من تريد يحصل المطلوب وهذا ما تكتب فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم عدد ٨٧ القوا محبة فلان ابن فلانة في قلب فلانة بنت فلانة ويكون العمل يوم الخميس بعد طلوع الشمس تمت (الباب الخامس) تأخذ قارورة وتجعل فيها خمرا وسبع حبات قرنفل أبيض وسبع حبات فلفل أسود وسبع عدسات وسبع شعيرات وسبع قمحات وسبع ملحات وسبع حصوات لبان ذكر وسبع ورقات س وتسدفها أثر المطلوب ثم توضعها على الجمر بعد العشاء ويكون العمل ليلة الاثنين من أول الشهر والقمر مسعود ثم تقرأ العزيمة الآتية ٤٩ مرة وهي تقول أشعلت النار وأطلقت بخور العبار وصعقت الصاعق الشد وزلزلت الأرض والبلاد ودكت الجبال دكا وثارت الرمال وهاجت الرياح وأخذت قلب فلان ابن فلانه وفلانة بنت فلانة بالمحبة والقلق والتهييج والكرب الشديد ودارت بها الأرواح بالسلاسل والأغلال والأمور الصعاب ثقال ثم دكت الأرض وتزلزلت وبكت السماء واضطربت وأظلمت النجوم وانكدرت وتصاعقت الجن ونفرت ورفعت السماء السبعة على السماء السادسة والسماء السادسة على السماء الخامسة والسماء الخامسة على السماء الرابعة والسماء الرابعة على السماء الثالثة وسجدت الملائكة على صفحات الوجوه خوفا وتعظيما لله الواحد القهار العزيز الجبار الذي أذل كل كافر غدار وكل متمرد جبار ودكت الأرض وزفرت وتطايرت الجن ونفرت وتضاعفت المردة وتطايرت وصاحت الجن بأصوات الحرب الحرب إلى بلاد الترك والعرب فقال الشيخ الكبير والسيد الأمير ما بالكم يا معشر الجن والشياطين ما الذي دها كم ومن بشره رما كم فقالوا دهانا الشيخ فلان بن فلانة الطالب بسحره وعظيم مكره وهو يشتكي

من قطيمة فلانة بنت فلانة فقال أين أخيكم طايوثا وعمكم باكوثا وابن الفارس طباطب والشيخ طومان صاحب القبة والميدان وابن شمليقا ومهليقا اذهبوا إليه وقبلوا الأرض بين يديه وقولوا له الشيخ الكبير والسيد الأمير يقرأك السلام ويأمرك أن تأخذ عشرة من الأعوان الشداد الأركان يقتلعوا في الهواء كالعقاب ويدخلوا على فلانة بنت فلانة كالغيلان ويعبروا من طوقها كالقيران وتخرجوا من ذيلها كالنيران إن كانت نائمة يقظوها وإن كانت يقظانة فزعوها وإن كانت تأكل غلوها وإن كانت تشرب شرقوها وإن كانت قاعدة قيموها وإلى فلان ابن فلانة اجلبوها وهيموها وقولوا له خذ مطلوبك واكفنا شرك وشر عزيمتك فقد ألهبتنا بالبخور وعظائم الأمور وهاهي جات والبخور ميعة سائلة وسندروس وكندر وهذا زجر العزيمة يقرأ بعد كل سبع مرات مرة واحدة تقول أقسمت عليكم أيها الأرواح الروحانية بحق توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وبحق من قال للسموات والأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وبحق القرآن العظيم أجيبوا وافعلوا ما أمرتكم به ومن يخالف منكم يرسل عليه شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم أجيبوا وافعلوا ما أمرتكم به بارك الله فيكم الوحا ٣ العجل ٣ الساعة ٣ وتم وكمل (الباب السادس) تكتب في ثلاثة أوراق وتضع في كل ورقة ثلاث فلفلات وثلاث ملحات ثم تحرق واحدة في الصبح وواحدة في الظهر وواحدة في المغرب وهكذا ما تكتب يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ع ا ا ا ا ا ع ٩ ٥ ٥ ٤ ٤ ٥ ٩ أ ٥ ٩ ا ا او ه ه ا ا ا ها أجيبوا يا خدام هذه الأسماء والقوة المحبة فلان ابن فلانة في قلب فلانة بنت فلانة بارك الله فيكم وعليكم تمت (الباب السابع) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يا ودود أنت الذي أعلنت المحبة والمودة في قلوب أهل الأسرار وأنت الذي أكملت ذات الطالبين بنور الأنوار تجليت بالعز الدائم والنور القائم وأحييت الأكوان وأظهرت الإنسان وخلقت الأشباح وألفت ما بين الأرواح أسألك اللهم بودك وسريان حبك في قلوب أنبيائك ورسلك وأوليائك وأصفيائك أن تلقي حبك وودك في قلبي وتلقي محبتي

ومودتى فى قلب كذا وكذا كما ألقيت الوحى على قلب نبيك وحبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن تسخر لى روحانية هذا الاسم الشريف وهو اسمك ياودود وتجعل ناصيته بيدى إنك على كل شىء قدير وبالإجابة جدير أجيبوا يا روحانية هذا الاسم الشريف الأعظم الأكرم وتصرفوا فى قضاء حاجتى وبلوغ إرادتى وفيما أمرتكم به ماخ اثنين ماحى اثنين هملو حيم أجبتم يا واحدافى العالمين الوحا ٣ العجل ٣ الساعة ٣ بارك الله فيكم وعليكم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (الباب الثامن) تكتب اسم الطالب المطلوب أحرف مفرقة وحاذر من الطمس وحدد أسماء أمهاتهم وازجهما ثم تقول يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله يا ألقيت عليك محبة منى بحق بدوح سبوح قدوس رب الملائكة والروح خبيبون صورهون توكلوا ياخدام هذه الأسماء بجانب قلب كذا لى كذا بحق هذه الأسماء السريانية والقرآنية الوحا العجل الساعة بارك الله فيكم وعليكم (الباب التاسع) تكتب فى ورقة وتغسلها فكل من شرب جرعة أحبك محبة عظيمة هذا ما تكتب اعموا منه بهيعة هذا هند به قراطيش أناطش أغمطاط اللهم بحق هذه الأسماء التى بها خلقت الملك الذى نصفه من ثلج ونصفه من نار فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار والملك ينادى بلسان الاقتدار اللهم كما ألفت بين قلوب عباد الله الصالحين ألف بين كذا وكذا إنك على كل شىء قدير ونزعنا ما فى صدورهم من غل ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (باب محبة وجلب) تأخذ قنانية وتجعل فيها زيت وتجعلها على نار لينة وتأخذ حب فلفل عدد اثنا عشر وتجعلهم قدامك وكلما تقرأ العزيمة مرة أرمى حبة إلى تمام العدد والبخور كندر وميعة والعزيمة خرجت من باب الدار لقيت الدنيا أنا ولقيت ثلاثة عفاريت واحد نائم والثانى قاعد والثالث طاير خليت القاعد والنائم وأخذت الطائر طيرته خلف فلانة بنت فلانة خرجت تتبق ثم بها تاشرة شعرها لاطمة خدها يدها على فؤادها ترعق وتقول النار النار فلاقاها الشمخ أبو مرة الشيخ زعزع فقال لها مالك يافلانة يابنت فلانة يصفر لونك ويدك على فؤادك وأنت ترعق النار فقالت سحرنى فلان بالزيت المغلى والفلفل ثم شهقت شهقة قالوا ازادك الله نارا على نارك ولهيباً على لهيبك حتى يكون قدامك نار ومن فوقك نار وعن يمينك نار وعن يسارك نار لا يطفيها ماء ولا بحار توكلوا يا أيها الأنهار وأجناد العفاريت الطيارة اجلبوها بحق أبيضكم وأسودكم وبحق شخصكم وبحق كبيركم وصغيركم وبحق أهيا شراهيا أدوناى اصباؤت آل شداى أجلبوها وهيجوها لى

فلان ابن فلانة بحق هذه الأسماء عليكم الوحا اثنين العجل اثنين الساعة اثنين تم وكمل (باب جلب) تأخذ ٣٨ فلفلة سودة وتقرأ على كل واحدة ردوها على قطفق مسحا بالسوق والأعناق عدد جمل الآية على كل فلفلة توكل تقول أقسمت يا خدام هذه الآية الشريفة بحقها عليكم وبطاعتكم لديها أن تجلبوا روحانية كذا إلى الوحا العجل الساعة بارك الله فيكم وعليكم تم وكمل (أبواب لجلب الرزق والزبون) (الباب الأول) من بارت صنعته ولم يجد فيها منفعة مثل النجار أو الحداد أو العطار أو أى إنسان كان فى أى صنعة كانت وأراد أن يسهل عليه الأمر وتتقدم صنعته عن الأصل فليوضع الشكل الآتى بمسك وزعفران وماء ورد فى ورقة والكتابة تكون والخطيب على المنبر تعلق فى المحل ترى من صنع ربك ما أنت قاصد وهذا هو الخاتم :

رزاق إن هذا	فتاح لرزقنا	عليم ماله	غنى من	مغنى نفاد
فتاح لرزقنا	عليم ماله	غنى من	مغنى نفاد	رزاق إن هذا
عليم ماله	غنى من	مغنى نفاد	رزاق إن هذا	فتاح لرزقنا
غنى من	مغنى نفاد	رزاق إن هذا	فتاح لرزقنا	عليم ماله
مغنى نفاد	رزاق إن هذا	فتاح لرزقنا	عليم ماله	غنى من

(الباب الثانى لجلب الرزق) تقرأ عند صلاة الصبح كل يوم سورة الواقعة بتمامها فإن الله يسهل لك كل أمر عسير ببركة هذه السورة (أبواب لقضاء الحوائج والدخول على الحكام) (الباب الأول الدخول على الحكام)

تكتب على ورقة بسم الله الخلاق الأكبر وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق يلجمه بلجام قدرته اللهم ألجم هذا الظالم والحاكم عنى لا يتكلم فى حقى إلا بخير طما طميثا عدد ٢ وكان الله قويا عزيزا اللهم عزنى بعزك يا ذا الجلال والإكرام

كهيعص كفايتنا حمعسق حمايتنا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم ألجم أفواههم وأخرس ألسنتهم وأعمى أعينهم بحق صم بكم عمى فهم لا يعقلون صمت الأعداء وعميت الأعين وخرست الألسن لا يتكلم في حقي إلا بخير بحق من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ثم تحملها في داخل العمامة وتقابل من كانت حاجتك عنده تقضى بإذن الله عن تجربة (الباب الثاني الدخول على الحكام)

تقرأ قبل دخولك على الحكام عدد ٣ مرات ثم تدخل على من كانت حاجتك عنده فإنها تقضى سريعا وإن كان الحاكم فلا يمكنه أن يتكلم في حقك بشيء ما وهذا ما تقرأ

أيها الحاكم القلب منك فرح المولى يتجلى والنبي يشفع
بالعشيرة الكرام ألقيتك أنت النار وأنا الماء طفيتك
إخضع إخضع إخضع

(الباب الثالث للدخول على الحكام وعقد ألسنتهم) من أراد أن يدخل على حاكم وإن لم يناله منه سوء فليبادر إلى ما هو آت أولا يقبض أصابع يده اليمنى بقوله كهيعص واليسرى بحمعسق ثم يقرأ في نفسه سورة الفيل إلى ترميهم ويفتح الأصابع العشرة ويختم السورة فإنه يأمن من شره ويقضي حاجته (الباب الرابع لقضاء الحوائج) تكتب خمسة وستين فاء وثلاث ألفات وتقول ورب اشرح لي صدري الآية ثم تقول رب احلل عقدة لسان فلان حتى ينطق بقضاء حاجتي والله أعلم (حجاب للعين والنظرة) بعد البسملة والصلاة على النبي تكتب بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انفطرت من كل عين نظرت بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين من كل عين تعين بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت من كل عين حقت بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج من كل عين تروج بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق من كل عين بارق بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى من كل عين تبلى بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك حديث الغاشية من كل عين ماشية فطارت فانفطرت عين السوء إسحق الحق كأنها لم تماق فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت وقل هو الله أحد الخ وقل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد وقل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

باب إرسال قل أعوذ برب الناس

تقرأ ألف مرة وكل مائة وكل بما تريد توكل يا وسواس ويا خناس اذهبوا إلى كذا وكذا في صفتي وأخبروه بخبري وحيلتي وأمروه أن يقضي حاجتي وهي كذا وكذا أو إذا كان عنده دين فتأمروه بدفعة سرعة وعجله وإن كان عنده أمانة وناكرها أمره أن يوردها أو أي شيء تطلبه فأمر الخدم وإن كان للتهييج توكل ياوسواس ويا خناس وادخلوا على كذا وكذا وافزعوا عليه بآلة الحرب والسلاح وادخلوا عليه في صفتي وحيلتي وافزعوا عليه بالسيوف والخناجر وهيجوه بمحبتي حتى يأتي إلي خاضعاً ذليلا لحاجتك تقضي من ثلاث ليال يبلغ المراد.

جميع لدينا محضرون الوحا ٢ العجل ٢ الساعة ٢ بارك الله فيكم وعليكم.

(خواص اسمه تعالى الهادي) من داوم على هذا الاسم العدد الواقع عليه مدة من أيام سخرت له المخلوقات ولهذا الاسم سر جليل خادم من الروحانية العلوية وكيفية العمل به أن تقرأ كل يوم سبعة آلاف مرة على طهارة كاملة وتبخر كل يوم جمعة باللبان الذكر وتقرأ هذا القسم المخصوص به مائة مرة كل يوم وتداوم على هذا العمل مدة من الشهر فان الخادم من الروحانية يقف عليك فتراه عيانا فلا تخف منه واطلب أن يعطيك خاتما من فضة كان بيده مكتوب فيه اسم الله الأعظم فإنه يعطيه لك ويشترط عليك حدوده وبعد الساعة اجعل الخاتم في يدك اليمنى ولا تخرجه منها فمهما أردت تسخير خلق حرك الخاتم بأصبعك ودوره فإن الأمر ينفذ لك في أقرب وقت وكذلك إذا أردت جلب طعام أو شراب أو دنانير أو هزم جيش أو قتل عدو أو ظالم وفعلت ما ذكر رأيت الإجابة وهذا هو القسم اللهم إني أسألك بهاء الهداية وبدال الديمومة وبألف الوحدانية أن تسخر لي دمريائيل الملك الروحاني أسألك أيها الملك الروحاني وأقسم عليك بهاء الإحاطة وبالملائكة الذين يدورون حول البيت المعمور وهم واهمون وذكرهم من حيث التجلي هو ومن حيث الترقي ها وبالنهر الدائر دوران الهاء وبعظمة بكور العالم العلوي والسفلي من العرش إلى الفرش مثل الكرة وما فيهما وما بينهما قد التقمهما الملك في فيه وهو منتظر لأمر الملك الهادي وبالاسم المكتوب على جبهته بالحروف المرقومة هناك بالبحور العذبة والملحة التي تجري إلا ما أجبتني أيها الروحاني. وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير افعلوا ما تأمرون

ومن داوم على قراءة هذا القسم دبر كل صلاة بالشروط المقدمة والتقوى مرة واحدة وعند طلوع الشمس يقرأ اسمه تعالى الهادى مائة مرة كل يوم فاتم عليه مدة من أعوام حتى يرى تسخير الخلق وتيسير الرزق وأقله عامان وهذا الاسم مع هذا الذكر وأجل ما يقع به التسخير للمكونات والله أعلم (اسمه تعالى المغنى) خادم هذا الاسم من الروحانية سمطائيل فمن داوم عليه عشرة آلاف كل يوم بياء النداء وهو على طهارة كاملة وخلو معدة ويبخر بما أمكنه من البخور مدة ويكون لباسه على الدوام أبيض لا يلحقه دنس معطر أثيابه بالرائحة الطيبة كالمسك ونحوه ويبخر ببخور اللبان الذكر فى كل يوم جمعة فمن فعل ما وصفناه انكشف له بعد سنة عن سلطان الروحانية وهو راكب على رمكة بيضاء وبيده حربة فيها لواء أبيض فيه رقوم خضر مكتوب فيها هذا الاسم فإنه يسلم عليك أيها الإنسان فرد عليه السلام ثم إنه يفتح لك اللواء فتنظر ببصرك ثم تقرأ هذا الاسم وبعد تلك المدة مهما قرأت هذا الاسم على طعام أو شراب أو دنانير أو دراهم أردت جلبها فإنه يحضر بين يديك وكثرة تصاريفه فى إحضار ما شئت من الذهب والفضة معلوم (فائدة فى جلب الأخبار من الأقطار اسمه تعالى الخبير المبين علام الغيوب) شراهيا برهوتا هذه الأسماء تقرأ عدد عددها كل ليلة إلى تمام سبعة أيام يقف عليك الذى يخبرك بما أضمرت عليه إن اتق الله (فائدة فى خواص اسمه تعالى العليم العلام) شيهوتار طيغوغ وفاغوغ يقرأ هذه الأسماء عدد أعدادها باللبن المكبير كل ليلة إلى تمام عشرة أيام بصوم وطهارة فإن الخادم يقف عليك فى النوم ويخبرك بما تريد (فائدة فى الأخبار فى النوم) اسمه تعالى الخبير عالم الغيب والشهادة شاغول وبرتودو طاغوغ تقرأ هذه الأسماء بصوم وجوع كل ليلة عدد أعدادها إلى تمام أحد وعشرين يوماً فإن الروحانى يقف عليك فى النوم ويخبرك بكل ما تريد (فائدة فى خواص اسمه تعالى علام الغيوب) سيغوب وصغوب تقرأ هذه الأسماء عدد أعدادها كل ليلة إلى تمام عدد المنازل فإن الروحانية يقفون عليك يقظة بعد أن تبخر كل ليلة جمعة باللبان الذكر يخبرونك بأحوال السنة (فائدة فى خواص اسمه تعالى ذى الجلال والإكرام) سيطروب هيبور شاهوه ميسر تقرأ هذه الأسماء عدد أعدادها كل ليلة إلى تمام اثنى عشر يوماً فإن أصحابها يقفون عليك ويخبرونك بما أضمرت (فائدة فى خواص اسمه تعالى الهادى الخبير المبين علام الغيوب) شمروش شاهول بيدرعتشال هذه الأسماء تقرأ عدد أعدادها كل ليلة وعلى رأس كل ألف تقول يا ديموتا اهدنى

يا هادى واخبرنى يا خبير وبين لى يا مبين وعلمنى يا علام الغيوب بما يقع فى هذه الساعة من خير وشر وخبر الدفائن التى تردودم على هذا العمل عشرين ليلة فان الروحانى يقف عليك ويخبرك بذلك كله (فائدة فى خواص اسمه تعالى الخبير المبين) شاهوقا وطيفوق سيدروب آه آه نموشلخ تقرأ هذه الأسماء عدد أعدادها كل ليلة إلى تمام ستة وعشرين ليلة وفى اليوم السابع عشر تخرج إلى خلاء وتطرح كاغد فوق سجادتك وأنت قراءة الأسماء بالعدد المذكور والبخور اللبان صاعدا فاذا كملت تجد الكاغد مكتوبا بالك بكل ما أضمرت

(فائدة لأى مرض كان) قال ﷺ من كان به مرض فليقرأ على ماء طاهر الفاتحة وآية الكرسى سبع مرات والمعوذتين إحدى وسبعين مرة ويشرب على الريق ثلاثة أيام عفاه الله تعالى من كل بلاء .

(باب جلب زعزوع الجان) كيفية العمل أن تأتى إلى قبر وتدخل فيه بظهرك وتأخذ منه قالب طوب وتخرج بظهرك أيضاً وعند أخذ القالب الطوب تقول أخذت زعزوع من حضن أمه واطلع من القبر لا تتكلم مع أحد وخالف السكة إلى أن تدخل منزلك وتلف القالب فى بقية مثل كفن الميت ثم تحضر البخور المذكور وفى طلب الدعوة وتركب على الكانون والقالب أمامك على الأرض وتقول عند ركوبك على الكانون الدعوة الآتية وترمى البخور وأنت تبخر وتقرأ العزيمة إلى أن تجد الكانون رجل منه قصرت والثانية طوالت وإذا رأيت ذلك خذ القالب وضعه فى الصندوق ثم ارجع إلى الكانون ثانية وتركبه كما كنت وتقرأ العزيمة ٢١ مرة والبخور عمال ثم تعود إلى الصندوق ثانيا فتجد مثل أنين العيال فاذا رجعت ذلك فقل له أتتنى بفلان بن فلانة فيقول لك اصرفنى فقل له لا أصرفك حتى تأتنى بفلانة بنت فلانة أوضع فمى على فمها وصدرى على صدرها حتى أصرفك فإنه يأتى المطلوب فى الوقت والساعة فاذا أتى المطلوب وفعلت معه اللازم وتأخذ المنديل الذى مسحت الذكر فيه وتعود إلى الصندوق وتخرج منه القالب وذلك الكفن واكشفه وتوضع المنديل فوق ثم إنك تحفظ لى ما تريده وإن أردت ذلك ثانى مرة تأخذ البخور والقالب من الصندوق وتأتى إلى الكانون وتركبه وتوضع القالب أمامك واطلق البخور واقرأ العزيمة إلى أن تجد الكانون فعل مثل ما فعل الأول تأخذ القالب وضعه فى الصندوق وعد إلى الكانون واركبه بالثانى واقرأ العزيمة حتى ترى الكانون فعل مثل الأول فعد إلى الصندوق واطلب حاجتك وهذه هى الدعوة تقول على الكانون وتطلق الكزبرة والكمون واللبان والجاوى والفلفل

المفرورة والمستكى الحرة والكزبرة الخضرة وكف مريم السخى والعود الهندى المشمرخ وطلبت العود السديد والمارد العنيد من القبر الغضيض فأتى زعزوع الكبير وأبو مرة الشهير ونيكل الأمير وحندس الوزير وأبو الزعازع الكسيح عابد الصليب والمسيح وأبو الرؤس الهمام وكاصون سأل ملك الغمام والمتمرد بالكفر وعامر الكانون والوطن وزوبعة الرياح الراكبين على متن الرياح الجاذبين الأسنة والرماح وأم الشعر الطويل وواقد السراج والعويل ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقولون أيها البارى العود القمارى بالشيخ تستجير من زعيرة العزيمة والزفير فقلت إلى الديار والعفاريت الكبار سكان القبور والأودية والبرارى والقفار ائتونى بأخيكم التاسع والطفل النازع القرم أبو الزعازع ليشرف المكان والوطن ويندرج داخل القماش والكفن ويصيح بالأنين يأتى المطلوب فى الساعة والوقت والحين وإن تأخر احترقت منه الفؤاد باسم من خلق العباد وجند الجند فى المهاد الذى خلقكم من نار السموم وأناجيكم به الحى القيوم شمروخ شمروخ . سلاخ دملوخ انوخ نوخ رب الأرباب ومسهل الصعاب ومنزل الوحى والكتاب منتقم به بالعذاب والعقاب بالأسماء الجهنمية احضروا أيها العفاريت السمية وتظهروا كانوز واشبا واده فيه وتعملوا العلائم للشيخ الكبير الذى نعمه المسير وهو زعزوع الأمير ووزيره القصير ثم شمليخ شمليخ شلاخ وكان ذلك على الله يسيرا الوحا ٢ العجل ٢ الساعة ٢

(فائدة استخارة عظيمة)

إذا أردت معرفة العواقب لكل أمر حاضر أو غائب
خذ قبضة من أى حب تشأت بيدك اليمنى كما علمت
من غير عد ولا شعار واطرحه سبعة يا قارى
فإن وجدت الفرد بعد الطرح فان الفرد يأتى بجميع الفرح
فانه للزهرة البهية وأن حاجة طلبتها مقضية
وإن بقى اثنان للمريخ فالأمر فيه كثرة التوبيخ
وإن بقى ثلاثة فدعه لأنه عطارد يمنعه
وان بقى أربعة فلزحل فالأمر يقضى بشقاء وعلل
وخمسة للمشترى السعيد فالأمر يقضى بلا تنكيد
وستة للقمر المنير بشراك فى الحاجات بالتيسير

وسبعة للشمس فاجتنبه إذ هو صعب لا تقربه
فمن دنيال صح هذا يافتى فاعمل به واحذر تخالف من أتى

(باب محبة قاطعة)

تكتب هذه الأسماء الآتية أحرف مفرقة بمسك وزعفران وماء ورد على مشموم أو مأكول أو مشروب أو على شمعة اسكندراني وتوقدها وتتلو العزيمة ١٧٢ مرة والبخور كندر وكمون وشمه أو طعمه أو اسقيه أو واقده للمطلوب فإنك ترى العجب وهذا ما تكتب وبه تعزم وتقول هرش ٢ هيور ٢ هطش ٣ طنطش ٢ جنش ٢ توكلوا ياخدام هذه الأسماء واجلبوا وهيجوا روحانية فلانة بنت فلانة بمحبة فلان ابن فلانة بحق ميططران الحاكم عليكم الوحا ٣ العجل ٣ الساعة ٣ بارك الله فيكم وعليكم مجرب صحيح .

(باب محبة وتهييج)

يكتب على بيضة دجاجة سوداء يوم السبت بنت يومها والبخور كندر وتفاح الجان وأثر المطلوب ويكون العمل في ساعة المشتري بعد العشاء وتوضع البيضة في نار لينة وتبخر وتعزم بعد اسم المطلوب فإنه تم صرف البيضة وتمام العدد إلا والمطلوب يحضر عند الطالب ولو ليلا وإن تأخر اتلي العزيمة وبخر بالبخور المذكور إلى ثلاثة مرات وهذا ما تكتب على البيضة بمسك وزعفران وماء ورد تقول : شوشة ه اكشكة ه مهولة ه هيلة ه خطوفة ه مخطوفة ه توكلوا ياخدام هذه الأسماء واخطفوا قلب وعقل فلانة بنت فلانة بمحبة فلان ابن فلانة الوحا العجل الساعة العزيمة التي تتلى على البيضة وهي في النار تقول بهرقع ه بلح ه بيوج ه اينك ياعبدالله المذهب اينك يا نصراني اينك يا أبيض اينك يا أباغرازيز الأحمر اينك يازوبعة ياصاحب الرؤس الأربعة اينك ياميمون يا أبانوح اينك ياسمهان يارأس الماكرين بأسرهم اينك ياطهيوش صاحب المنافع الكبار أقسمت عليكم يامعشر الأرواح الروحانيين أن تتوجهوا هذه الليلة وفي هذه الساعة إلى فلانة بنت فلانة حتى تهيجوها وتطيروا منها النوم والنعاس وتحرقوا قلبها بمحبة فلان ابن فلانة أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف بحق هذه الأسماء عليكم وطاعتها لديكم الوحا العجل الساعة بارك الله فيكم وعليكم مجرب صحيح تم وكمل .

(باب بغض وطلاق وفراق مجرب)

يكتب يوم السبت الأخير من الشهر العربي على ورقة حمراء بقطران ومني رجال وتكون في محل خالي من الناس والبخور مرد مبرد وجاوي وزنجبيل وحنتيت وفلفل أبيض ومستكي وتفاح الجان وتعلق الورقة في نخلة شرقية وتكون الورقة ملفوفة في أثر المطلوب وتأخذها يوم الرابع وتمحيها بماء الهارب وترش منه النصف تحت عتبة المطلوب والنصف الآخر توضعه في قبر مهجور لا يزار ولا يعرف صاحبه وهذا ما تكتب وبه تعزم عدد اسم المطلوب تقول البسملة والزلزلة إلى آخرها اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق هذه الأسماء لياخيم ه ليالفوه ليافوره لياروث ه لياروغ ه لياروش ه لياشلش أجيبوا يا خدام هذه الأسماء والبخوات الشريفه وفرقوا والقوا البغضاء والعداوة بين فلانة بنت فلانة وفلان ابن فلانة بحقها عليكم وحرمتها لديكم الوحاه العجل ه الساعة ه بارك الله فيكم وعليكم مجرب صحيح فاتق الله ولا تفعل إلا لمستحقه اهـ .

(باب شريف)

يكتب في ورقة حمراء يوم السبت الأخير من الشهر العربي ويوم الثلاث الأخير من الشهر العربي الساعة اثنين تحضر وتبخر الورقة بحطب كبريت ناشف وأثر المطلوب والبخور عمال وقت التلاوة وتحضر ماسورة نحاس وتوضع الورقة داخلها وتسد عليها وتوضعها بجوار نار دائمة الوقود فإنها مادامت بجوار حرارة النار يجري دم المطلوب حتى أنه يهلك وإن أردت إيقاف الدم أي إبطاله أخرج الماسورة من النار فإنه يبطل فاتق الله ولا تفعله في حرمة فتهلك وهذا ما تكتب وبه تعزم تقول خلجش ٦ غنصوش ٦ كغفاش ٦ باخ ٦ أذل ٧ يا هشطيران يا عابد النار إن عبد المخطوف ابن برقان اليهودي توكلوا يا خدام هذه الأسماء واتلفوا شعر فلانة بنت فلانة وسلوها ودقوا عظمها واقطعوا كبدها واسقطوا بها إلى الأرض حتى لا تقدر تقوم مادام العمل أجب يا ميمون السحابي وأنت يا ميمون الفحامي سلوها سل القمر حتى تنفصل الأعمار وتنفطر القلوب واضربوا رأسها بألم الصداع ووكلت بكي يا فلانة بنت فلانة سبع عفاريت أولهم القرمان والثاني سليمان والثالث كرمديل والرابع الفرديق والخامس السيد مولى السرمديلي والسادس قياش والسابع

الأبيض ابن إبليس لعنه الله وكلنكم بأجمعكم ياخدام هذه الأسماء بفلانة بنت فلانة واهر قوادمها فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق كذلك يلتف وسقط الدم من فرج فلانة بنت فلانة ويجرى من بين عينيها إلى صدرها ومن صدرها إلى بطنها ومن بطنها إلى فرجها ومن فرجها إلى الأرض توكل بها يا أحمر وادفق الدم من فرج فلانة الحق وأخذ بناصيتها أجب يا سمسمائيل وزوج الملك الأحمر حتى يهرق دم فلانة بنت فلانة أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف الوحا ه العجل ه الساعة ه بارك الله فيكم وعليكم فهذا من المجربات الصحيحة اه

(باب استخارة نوم)

وهو أن تقرأ أسمه تعالى لطيف عدد ١٣٩ مرة وقل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر إلى قوله تشركون سبع مرات وترى ما أضمرت عليه ثم تقول ياخدام هذه الآية والاسم الشريف أرنى كذا وكذا فإنك تره اه .

(باب بغضة)

إذا أردت ذلك فخذ فى كرتك شيئاً من الخردل الغشيم وتعزم عليه وهو فى يدك الشمالى وأنت طالق البخور وهو حنتيت وقشر بصل وشعر كلب أسود وهذه العزيمة يا خردل الشرع حرك والق العداوة والبغضاء بين كذا ولا يجتمعان ولا يلتقيان حتى يجتمع إبليس وآدم ويتفق القطامع الفار وفى تشتشق ملاضى ملانى ويجعل الخردل فى ورقة مكتوبة فيها ما يأتى ذكره ويدفن فى محل اجتماعهم وهذا ما تكتب على الورقة إذا زلزلت إلى أشتاتا كلما دخلت أمة إلى جميعا توكل أيها السيد الغضوب اجهزط ووقع الشرط والبغضاء والعداوة والصدة بين كذا سيهزم الجمع إلى أمر كذلك سيهزم الجمع ويولون الدبر إلى أمر كذلك ينهزم كذا يخربون إلى المؤمنين ذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا كأنهم حمر إلى قسورة وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة مجرب صحيح ولا تفعله إلا لمستحقه اه .

(باب فى رياضة سورة الإخلاص)

إذا أردت العمل بها فصوم يوم الأحد ويكون أول يوم أحد فى الشهر وتكون نظيف الثوب والبدن والمكان وتتريض وتقص من الكاغد أربعين درهما على سكة

أميرنا الحالي وتجعلهم في ورقة وتحطها تحت السجادة وتعزم عليها بسورة الإخلاص دبر كل صلاة مفروضة مائة مرة وبعد المائة تعزم عليها بهذه العزيمة سبع مرات وهي هذه أقسمت عليك يا عبدالصمد وأنت يا عبد القدوس بحق شلشلاييل وقلقلاييل الموكلين على سائر الملوك الطائعين وبحق قل هو الله أحد لاإله إلاهو غيره الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أقسمت عليكم أيتها الأرواح الروحانية الطاهرة الزكية أن تقلبوا هذا الكاغد فضة خالصا على سكة أميرنا هذا بحق الأسماء الوحا العجل الساعة بارك الله فيكم مجرب صحيح .

(باب في إخراج العوارض من الجسد)

تقول شلع ٤ لع ٤ عكش ٤ نطق ٤ يظش ٤ أحا حميسا الله حسيس أجب أيها الروح المتوكل بالعذاب على الملائكة والروحانيين من المتمردين بحق ألا إلى الله لا إله إلا هو الكبير المتعال ضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس واحترق من عصا من جميع المتمردين أجب يا عقاب الجبارين وافعل ما أمرتك به يا سام هذا العارض المتمرد بهذه الجثة أين ما كان وأين مايكون في بر وبحر أوسهل أوعر بحق ما تتلونه عليكم الوحا العجل الساعة والبخور لبان ذكر وتفاح الجن مجرب صحيح اه

(باب) إذا عصى عليكم العارض ولم ينطق تتلو عليه هذه العزيمة تقول أقسمت عليك بكهيعص حمعسق برب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وبالله الذي تعزز بالعز وتجبر بالجبروت الحي القيوم الذي لا يموت انطق بحق من أنطق النملة لسليمان ابن داود عليهما السلام وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء صحيح مجرب اه .

(باب عزيمة للمحبة والمودة سريعة الإجابة)

وإذا أردت بها تحضر ٥١ فص لبان ذكر وتكتب اسم الطالب على عشرين واسم المطلوب على ٣١ من اللبان الذكر وتلقي الجميع في مجمرة نار مفردات وتكون في مكان خالي عن الناس وكلما ترمي حصوة تقرأ العزيمة مرة فما تتم العدد إلا وقد وقدت النار في المطلوب وهي هذه نامت الدار بالدار وأم ما في الدار والقفار ولا بقي في الدار ديار إلا أنا والله المتعال وأنتم يا إخواني يا عمار أقسمت عليكم أن تذهبوا من عندي . الى . فلان بن فلانة واقعدوا بين كتفيه واسكبوا في حلقه ماء الخفقان والدقان

الذي يخرج من بين أنا بيب السبه الرقاد واطردوا نومه فى بلاد السند والهند والعراق وعلقوا نومه فى جرس والجرس فى حافر فرس بمحبة ومودة وطاعة فلان ابن فلانة سريع حتى لاينام ولايرقد اهطم فشذ ولايستفيق ولا ان علق عليه آيات الحرص خذوا نومه بالسهر والفكر والقلقان وارموا فى قلبه لهيب الجمر والشرار وعيناه بالهملان وقلبه بالخفقان ورجليه بالرعدان حتى يأتى إلى فلانة بنت فلانة بسر اهطم ف ش ذ هاتما حزينا راضيا غير غضبان صاحيا غير سكران يقول النار النار ماهكذا النار هذا حب فلان ابن فلانة قد تملك قلبه وعقله وروحه وروحانيته بسر اهطم فشدفجش تظخذ ياه إن كانت بتأكل قوموها وإن كانت تشرب شرقوها وإن كانت قاعدة قوموها وإن كانت راقده ايقظوها وإن كانت ماشية جروها وإن كانت بتجرى طيروها ياخدم اهطم ف ش ذ وإلى هنا هاتوها الوحا الوحا العجل العجل الساعة سريعاً بارك الله فيكم وعليكم صحيح اه

(باب محبة عبد النار)

إذا أردت العمل به تكتب على شقفة نية فخار مثل القرعة وتوضعها فى النار وتعزم عليها حتى تصير جمرا فانه يحضر المطلوب والعزيمة سورة البروج إلى الحريق ثم كل مرة توكل والله العظيم إنه صحيح اه

(باب تمشية الكوز)

تكتب على كف صبى دون البلوغ وبه تعزم وهو هذا طربش ٣ طربوش ٣ قلموش ٣ قلموش ٣ ايش ٣ طمش ٣ إنه من سليمان وإنه إلى العالمون أجب ياميمون مشى هذا الكوز الوحا العجل الساعة بارك الله فيكم وعليكم مجرب صحيح ومعمول به مرارا

(باب صفة مرقد نوم)

إذا أردت لك خذ عود كرفس أخضر ادفنه فى الزبل ثلاثة أيام ثم خذ من الحندبة اليابسة وأفيون وبنج وهو بزر السكران واعجنهم ببعض واجعلهم أقراص وبخر بهم فكل من شمهم نام من وقته وساعته وأوصيك يامن وقع فى يدك هذا الباب انك لاتفعله وإذا أردت حله فشممه خل خمر اه.

(فائدة تحصين وهى من المجربات العجيبة)

إذا أردت بذلك تكتب هذه الآية المباركة فكل إنسان كتبها وحملها لايقدر أحد أن يذكره بسوء وهى هذه يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون؟ فوقع

الحق وبطل ما كانوا يعملون فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون حمعسق حميت كهيعص كفيت عقدت ياحامل كتابي هذا ألسنة الخلق والبشر من كل أنثى وذكر بألف لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اهـ

(باب لمقابلة الحكام)

مجرب صحيح وهو لدفع ضررهم وكل غيظهم ونحو ذلك تقرأ الآية بعد الصلاة على النبي ﷺ وهي قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب إلى يرهبون ثم تقول اللهم إني أسألك بهيبة عظمتك وسطوة جلالك أن تجعل محبتي في قلب فلانة بنت فلانة أو فلان ابن فلانة واجعلوا المحبة والمودة في قلبه واعطفه على بفضلك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(باب صفة عمل معجون مفرح)

إذا أردت ذلك تأخذ أفيون ٥ دراهم زعفران ٢ درهم مرصدفي ٣ دراهم حبهان ٣ دراهم بياض كثير ٥٥ عدد صمغ عربي عدد ٥ دراهم قرنفل ٣ دراهم مصطكى ٣ دراهم زنجبيل ٣ دراهم نشادر ١٠ دراهم سنبل هندي ٣ دراهم تراب أرمني ١٠ دراهم اهـ

(باب للسعال القديم والجديد)

يشرب كل يوم أوقية سيرج فإنه ينقطع عنه ولو كان له مدة طويلة وهي من المجربات اهـ .

(باب للغشاوة ومجرب جداً)

قال ابن سينا يؤخذ ماء السدب وماء الكزبرة يغلي ويكتحل به يبرأ ولو أنه من عشرين سنه اهـ

(فائدة مجربة جداً لداء البواسير)

تأخذ على بركة الله تعالى مرارة بقرة بالوزن قدر ذلك ماء كرات بلدي ويؤخذ جانب حمص بجوهر وتسحقه جيداً ناعماً وتعجنه بماء الكرات والمرارة وتعمله بلابيع ويستعطى منه عند النوم وعند الفطور على الريق يسقهم في باب المخرج فتأخذ دقيق الرز الرشيدي وتسحقه ناعماً وتعجنه بلبن بقري مثل المرهم وتأخذ نسالة كتان وتوضع من ذلك عليها وتجعلها في السفرة ثلاثة مرات فإنها تفرتك ولا يلزم قطعها مطلقاً وذلك جرب وصح .

(باب)

إذا أردت أن تسكن بلدة فاحسب اسمك واسم أمك واسم البلدة واسقطهم أربعة أربعة فإن بقي واحد فأنت تعبان وإن بقي اثنين فأنت متوسط وإن بقي ثلاثة فإن الرزق فيه سهل عليك وإن بقي أربعة فسعادتك فيها اه

(دواء نافع لأصحاب الحميات الحادة)

العطش الشديد وحر الكبد والمعدة ويبس اللسان والصفرة ويأخذ على بركة الله تعالى ورق ورد أحمر وطباشير وسكر طب من كل صنف أربعة دراهم وصندل أبيض وصندل أصفر وربسوس وبزر خلة من كل صنف درهمين ولب القثاء ولب الخيار وكافور وكثيره بيضة من كل صنف درهم ويدق الجميع ويعجن بلباب بزر قطونا ويضاف عليه ماء ورد يقرص كل قرص درهمين ويجفف في الظل والشربة منه قرصين على الريق (مسهل للبلغم) يأخذله ربع رطل تمر هندي ونصف أوقية سنامكي ورق مدقوق ناعم واهليلج أسود وكابلي من كل صنف نصف أوقيه يدق الجميع ناعما ويغمر في الماء من المساء إلى الصباح ثم يوضع على النار ويغلي إلى أن ينقص وينزل ويصفى ويوضع عليه ربع رطل سكر ويشرب على الريق فإنه يسهل إسهالا محكما (للسعال الرطب) يأخذ له حبة سوداء وطيبة وتغلي على النار وتنزلها وتأخذ منهم من كل صنف درهمين وتضع عليهم درهمين فلفل أبيض ودرهمين زنجبيل وتدق الجميع ناعما وتأخذ رطلين عسل وتضعهم على النار اللينه وتقشط رغوتهم وتضع فيهم درهمين كندر ودرهمين مستكة وتقلب حتى يغلي ترمي عليهم باقي الأصناف الموضحة أعلاه وتحرك حتى يستوي الجميع ويعجن جيدا في بعضه ثم تنزله وتأكل منه على الريق وعند هياج السعال .

(باب) تكتب للطفل المصروع حروفا مفرقة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وطبر وطت بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد وهو هذا الخاتم ٥ ٥ ٥ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د	ط	ب
ج	ه	ز
ح	و	ا

(باب)

إذا أردت دخول مدينة أو قرية فاحسب اسمك واسم أمك واسم تلك المدينة أو

القرية فإن كان اسمك زايد عن اسمها فهي مباركة وإن كان إسمها زايد عن اسمك فلا تقربها وهذه القواعد المعتمدة والموثوق بها اهـ .

(باب لهلاك العدو) وهو أن تصوم لله تعالى ثلاثة أيام عن الروح وماخرج منها وفي اليوم الثالث تأخذ (ألف) حصوة ملح وتقرأ على كل حصوة سورة تبت يدا مرة واحدة بغير بسملة أن تستكمل مائة مرة (وتقرأ الدعاء مرة واحدة) وهكذا إلى تمام الألف (ثم) تصرهم في خرقة بيضاء وترميه في البحر أونهر أو في أي شيء من الماء فعند انتهاء ذوبان الملح يهلك الشخص (وهذا الدعاء الذي تقرأه) اللهم اهلك فلان ابن فلانة كما أهلكت أعداء الأنبياء والمرسلين واقهر فلان ابن فلانة في هذه الساعة اللهم ياقاهر ياذا البطش الشديد يافعالا لما يريد اللهم اهلك عدوي فلان ابن فلانة بحق سورة تبت يدا وبكلمات تبت يدا اللهم بسر أنبيائك وبسر رسلك وبسر حبيبك محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبسر قهر جلالك وبسر جميع أسمائك إنك قلت وقولك الحق ادعوني أستجب لكم إنك لا تخلف الميعاد ياقاضي الحاجات يامجيب الدعوات ياقادر ياقاهر أنت على كل شيء قدير

(فوائد للسعال)

(السعال اليابس) تأخذ له حلبة ناشفة وتغمر الماء وتغلي على النار أربع مرات وكل مرة بماء جديد وتنزل وتنشف وتسحق جيداً وتضع عليها مثلها من دقيق الحنطة وتعجن بلبن البقر والسكر وتأكل منه درهمين على الريق وعند هيجان السعال (السعال المحدث) يأخذ له مر وكندر ومستكة وسكر جلاب من كل صنف خمسة دراهم ويوضع في ربع رطل سيرج ويوضع على النار حتى يذوب الجميع ثم يشربه دافياً على الريق ويدق أيضا مر وصبر وسكر ويسف على الريق وعند هيجان السعال (للسعال الذي يكبد بالدم) ينقع له كبريت عامود في خل بكر يومين ويصفي ويضع عليه سكر ويشرب على الريق (السعال الذي يقلب البطن) يأخذ له قشر أبو النوم وورق جميز يابس ويوضع في الماء من العشية إلى الصباح ثم يغلي على النار غلياً جيداً وينزل ويصفي ماءهم ويوضع عليه عسل نحل ويشرب منه وهو ساخن فإنه مفيد جداً ومجرب (لوجع القلب) يأخذ له سنامكي وعود حلو وشمر وسكر حموي ويسحقوا ناعماً ويسف منهم على الريق وعند النوم أيضا مجرب تمام والله أعلم (البواسير) يأخذ بذر عقول وهذا البذر أكل الجمال حمص ويأكل في الصباح والمساء أو يغلي ويشرب ماءه فإنه نافع جداً بإذن الله تعالى

(فائدة أخرى للبواسير) يأخذ على بركة الله تعالى زهر كبريت وملح طرطير وسنا مكى وشمر ويفسون قدر الجميع يدقوا ويأخذ منهم ملعقه بن عند النوم وفى الصباح (صفة حشيشه) تسمى عين القط وهى تشبه عين القط تبسط أغصانها على وجه الأرض وورقها فيه زرقه دايرة صغير كعين القط وتكسر اخلاط السوادو تنفع الحكة والجرب دخانها يقتل الفار بزرها إذا بخر به وشموه الجن حضروا بسرعه (فائدة) المرسين شجر ينبت بشاطىء البحر وهو معروف أوراقه إذا دقت فى خل وضمد به الرأس قطع الرعاف حبه يجرى البول أكله نافع للإسهال قاطع السعال نافع لأوجاع المفاصل ضماداً وإذا جلست المرأة فى طبخه نفع من رطوبة الفرج وجففه وإذا غسل به الشعر خضبه وقواه وأما الورق الأخضر يفعل فعل الحب وطبخه يمسك الإسهال وينفع قروح الأمعاء ورماد ورقه يقوم مقام التوتيا تكحلا (فائدة) العين لين قضيانها إذا قطر على اللسعه وقف السم ورماد خشبها يقتل الدود وأكل شمرها ينفع من البرايد وتؤكل على الريق تفتح مجارى الغذا (صفة الرمان) خشبه إذا بخر به طرد الهموم ويقال أن الطيور تحمله لعشاشها لدفع الهوام عنه وقشره دباغ جيد ويشد ويقوى الأسنان (فائدة فى الصنوبر) شجرة عظيمة البخور بخشبها يطرد الهوام السوس ويكلم الجراحات (فائدة قصب الزيرة) قال ابن دامرهندى وإذا بخرتم الأماكن المطلسمه والمواضع المسحورة بقصب الزيرة بطلت حركاتها ورمادها ينفع الاقرع إذا دبرت بالزيت وشمه يضعف البدن فاحذر سمه (فائدة الليمون) يدفع السموم القاتلة ويسكن الريح الغليظه والأخضر منه يدق بقشره ويوضع تحت الأبط بطرد الصنان من الأبط وإذا سويت فى النار ودهنت بها الموضع الذى اعتراه خلط ردى نفعه نفعاً بليغاً ومن أكل الليمون بقشره وورقه فإنه يقتل السموم إذا حرق نواه وذرىء على الأقرع والاجلخ يبرأ ويقتل الدود والحشاش الذى فى البطن (فائدة البصل) قال الحكماء البصل كله منى وإذا طبخ الأبيض منه بالبيض أكثر المنى جداً وكان معيناً على الجماع مداومة أكله ومداويه تفقد العقل وأكله مشويا يحمر الوجه واللون يجذب الدم بظاهر البدن والجسد وينفع عضة الكلب طلاء بمائه وعصارته تنفع جلاء العين (فائدة) الترمس زيته يرق الشعر يسوده ويغزره ويزيل النمش وإذا طبخ بماء ورش فى المحل طرد الذباب وإذا أخذ من دقيقه وخلط مع الجير ويبيض به الموضع لا يقربه بق طول الدهر (فائدة) الكسبرة تقوى الكبد وتحمر الخد وتنظف المعدة ، اذا

أكل الجزر بالخل يزيل صفرة الوجه ويسكن العطش وإذا أكلت الكسبرة مع الملح فإنه يزيل سيلان الماء من الفم ويقوي المعدة وإذا كان بالإنسان ورم فليدق الكسبرة الخضراء ويدهن بمائه ذلك الورم فإنه يزيل ذلك الورم وإذا أخذت كبدة دجاجة وحشيتها كسبرة وشويتها وتأكلها فإنها تزيل الدم والنقل والخشونة ومن كان به في رأسه أو غيرها أو يسيل منه الدم فليدق الكسبرة اليابسة مع السكر ويعجن بماء الورد ويلفه بخرقة على الجرح فإنه يمنع الدم ويطيب الجرح (فائدة) السعد إذا سحق وذرى جرح المريض أبرأها ويشرب سموم العقارب (خواص الشعر) إذا بخر به من عين أو نظرة اخرجها ومن سقي منه كل يوم ثلاث دراهم عند النوم طرد الرياح الغليظه أخرجها ونور العين نورا عظيما (شجرة مريم) من خواصها أن من بخر بها من به عين أو نظرة زالت عنه ويقال أنها تسقط الأجنة (فائدة) لوجع الظهر يأخذ مرسين ناشف وزر ورد ويدق الجميع ويضيف عليهم دهن ورد وبياض بيض ويدخل الحمام ويجعلهم على ظهره على محل للوجع ويمكث إلى أن يعرق عرقا جيدا ثم يدخل المغطس ويغتسل فإنه يبرأ من وجع الظهر وإذا أخذ زر ورد أوقية وزيت طيب أوقيه يدق ما ذكر ويجمعه في الزيت ويعلقه على الظهر فإنه نافع لوجع الظهر «فايدة» لادرار اللبن تكتب لها الاسم الثامن من التهاطيل والمقنجل على سدي المرأة يكثر لبنها (فايدة) لوجع الخاصرة ولنقصان اللبن ولمن ذهب حيضها تكتب لها أم القرآن وأن ربكم الآية لئن أنجيتنا من هذه لنكون من الآية والبسملة والله يعلم ما تحمل كل أنثى الآية ذلكم الله ربكم خالق كل شيء إلى قوله العالمين والبسملة والصمدية والبسملة والمعوذتين وتقول بسم الله اشفي فلانة مما تجده من وجع الخاصرة ووجع ثديها من قتح أو نسد حيض أو ما بها من وجع ومن شر كل ذي شر انسي وجني آمين يارب العالمين إبراهيم خليل الرحمن وموسى وهارون ومحمد خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام اشفي أنت الشافي والشفا منك ولا شافي غيرك يكتب ذلك في جلد ظبي ويعلق عليها بخيط من ثلاث ألوان أحمر وأبيض وأسود «فايدة» لوجع الاسنان تأخذ قرص السنط وتدقه ناعما يصير مثل الغبار ويدلك الاسنان الموجوعة يزيل الوجع ويزيل الورم ويثبت السن المتخلخ في الوقت والساعة «فايدة» لوجع الضرس تأخذ فص ثوم وثلاث حبات فلفل وتحرق وتعجنهم بعسل نحل وتجعل ذلك على الضرس يذهب وجعه وإن كان فيه دود يموت والله أعلم * خواص الغراب *

هو حيوان معروف وهو ثلاثة أنواع أحدهما الزراع وهو المسمى بالنوحي وهو أسود غطيس ماكول اتفاقاً وثانيهما الجبلي وهو نوعان الغداف الصغير ولونه أسود غطيس (الغشاوة التي في العين) تأخذ ورق الفجل الصغير الذي في وسطه واعصره واقطر منه في العين تقطع الغشاوة من وقتها مجرب صحيح «باب للرمد عظيم» تأخذ الصبر وتسحقه وتعجنه بزلال البيض والصقه بخرقة وحطها على العينين عند النوم فإنهم يصبحوا طيبين وهذا مجرب (باب القوة على الباه) تأخذ جوز الطيب أوقية فلفل أسود أوقية فلفل أبيض أوقية زنجبيل أوقية لسان عصفور أوقية اهليلج أوقية عود قرح أوقية عود صليب أوقيه سنبل أوقية كرفس أوقية بزر رشاد أوقية بزر جزر أوقية ويسحق الجميع ويضمهم على عسل نحل .

(باب تمشيه الكوز) إذا أردت أن تمشي الكوز وتبين به أي شيء تخذ كوز أحمر جديد واملاه ماء وا كتب هذه الأسماء في كف مراهق وضع الكوز على كفه وعزم بهذه العزيمة وهي - ترش يتوش طيوش ضريوش قيوش قلوش ايش هيش إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم توكل يا ميمون يا أبا نوح وجر هذا الكوز إلى المحل والدفين والبخور لبان ذكر وتفاح الجان تم وكمل (باب إرسال هاتف) وهو من المجربات تقرأ سورة الكافرون كل ليلة ألف مرة مدة عشرة أيام وعلى رأس كل مائة تقول توكل أيها السيد مهد يا نيل واذهب إلى كذا وكذا في صورتي ومثالي وعرفه باسمي ومحلي حتى إذا أصبح يقضي حاجتي الوحا العجل الساعه اضر به بالحراب واطعنه بالدبابيس حتى يذوق العذاب الأليم والبخور لبان وجاجم الحنا (باب تسليط الضارب) قوله تعالى (أو كصيب من السماء الآية) اذا كتبت في خرقة من الميت وألق فيها شيء من تراب المقابر وشيء من أثر المعمول له إن وجدوا اكتب معها اسم أمه واجعله تحت سندال حداد او مكمدد قصار فان المعمول يتصدع رأسه ولا يكاد يبصر من شدة الوجع فيتق الله فاعله ولا يعمله إلا لمستحقه تم وكمل (باب صفة بخور الكنايس) وهو الموصوف قديماً والمشهور أخين وأختين ومقل أزرق ولادن زنجار وسندروس وكلخ ومستكي وورق زيتون وشجرة مريم يجعلهم حبوب بالميعة السايلة ويجفف في الظل ويبخر به وقت العمل انتهى (شربه نافعة لكل مرض) سنامكي ٢٥ درهم بزر حرمل ٥ دراهم شمر ٥ دراهم جنزبيله

٥ دراهم قرفة ٥ دراهم قرنفل ٣ دراهم مستكى ٣ دراهم لبان ذكر ٣ دراهم لوز مقشر ٣ دراهم تأخذ قدر الجميع ثلاث مرات عسل أبيض فانها نافعة للدمامل والبواسير والحمى وغيرها ويستعمل صباحا ومساء قدر خمسة دراهم والله أعلم .

(باب فى الاستخارة)

من أراد أن يرى فى منامه أحد حياً أو ميتاً فليصل العشاء والشفع والوتر ويصلى أربعة ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب والهاكم التكاثر ثم يأخذ مضجعه ويقول اللهم أرنى فلانا فى الحالة التى عليها فإنه يراه بإذن الله تعالى وقال العلامة السنوسى فى مجرباته واعلم أن من الفوائد الذخيرة أن من أراد أن يرى فى منامه حبيبه أو صديقه سواء كان حيا أو ميتاً أو كانت له حاجة إلى الله تعالى فليبت طاهر الثوب والبدن على فراش طاهر نقى أبيض معزولا عن أهله بعد صلاة ركعتين يقرأ بعد الفاتحة والشمس وضحاها سبع مرات وفى الثانية بعد الفاتحة والليل إذا يغشى سبع مرات ثم يصلى على النبى ما استطاع ثم يضطجع فإنه يرى ماقد نواه بإذن الله تعالى .

(غــــيره)

من أراد أن يريه الله تعالى فى منامه ما يريد فليصل ست ركعات يقرأ فى الركعة الأولى الفاتحة والشمس وضحاها سبعا وفى الثانية الفاتحة والليل وفى الثالثة الفاتحة والضحى سبعاً والرابعة الفاتحة وألم نشرح لك سبعاً والخامسة الفاتحة وسورة القدر سبعاً فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله تعالى وعلى نبيه ﷺ ثم يقول اللهم رب إبراهيم ورب موسى ورب اسحق ورب يعقوب ورب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل منزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم أرنى فى منامى الليلة ما أنت أعلم به منى فإنه يرى باذن الله تعالى (باب لمعرفة المرأة المعوقة) هذا الاسم إذا كتب وعلق على المرأة المعوقة أو شجرة حملت باذن الله تعالى ويقال إنها كانت مكتوبة على عصى موسى عليه السلام وهو هذا اله اله اله اله اله . = هى آ آ آ آ

(باب لمعرفة السارق) ومن ضاع له شيء أو سرق فليقل ياحفيظ مائة وتسعة عشر مرة من غير زيادة ولا نقصان ثم تقول يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل الآية مائة مرة رد الله عليه حاجته بإذن الله تعالى . (تم)

٥ دراهم قرفة ٥ دراهم قرنفل ٣ دراهم مستكى ٣ دراهم لبان ذكر ٣ دراهم لوز مقشر ٣ دراهم تأخذ قدر الجميع ثلاث مرات عسل أبيض فانها نافعة للدمامل والبواسير والحمى وغيرها ويستعمل صباحا ومساء قدر خمسة دراهم والله أعلم .

(باب فى الاستخارة)

من أراد أن يرى فى منامه أحد حياً أو ميتاً فليصل العشاء والشفع والوتر ويصلى أربعة ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب والهاكم التكاثر ثم يأخذ مضجعه ويقول اللهم أرنى فلانا فى الحالة التى عليها فإنه يراه بإذن الله تعالى وقال العلامة السنوسى فى مجرباته واعلم أن من الفوائد الذخيرة أن من أراد أن يرى فى منامه حبيبه أو صديقه سواء كان حيا أو ميتاً أو كانت له حاجة إلى الله تعالى فليبت طاهر الثوب والبدن على فراش طاهر نقى أبيض معزولا عن أهله بعد صلاة ركعتين يقرأ بعد الفاتحة والشمس وضحاها سبع مرات وفى الثانية بعد الفاتحة والليل إذا يغشى سبع مرات ثم يصلى على النبى ما استطاع ثم يضطجع فإنه يرى ما قد نواه بإذن الله تعالى .

(غـــيره)

من أراد أن يريه الله تعالى فى منامه ما يريد فليصل ست ركعات يقرأ فى الركعة الأولى الفاتحة والشمس وضحاها سبعا وفى الثانية الفاتحة والليل وفى الثالثة الفاتحة والضحى سبعاً والرابعة الفاتحة وألم نشرح لك سبعاً والخامسة الفاتحة وسورة القدر سبعاً فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله تعالى وعلى نبيه ﷺ ثم يقول اللهم رب إبراهيم ورب موسى ورب اسحق ورب يعقوب ورب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل منزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم أرنى فى منامى الليلة ما أنت أعلم به منى فإنه يرى بإذن الله تعالى (باب لمعرفة المرأة المعوقة) هذا الاسم إذا كتب وعلق على المرأة المعوقة أو شجرة حملت بإذن الله تعالى ويقال إنها كانت مكتوبة على عصى موسى عليه السلام وهو هذا اله اله اله اله اله اله . = هى آ آ آ آ

(باب لمعرفة السارق) ومن ضاع له شىء أو سرق فليقل يا حفيظ مائة وتسعة عشر مرة من غير زيادة ولا نقصان ثم تقول يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل الآية مائة مرة رد الله عليه حاجته بإذن الله تعالى . (تم)

السحر المصري

تأليف: إي. أيْ. واليس بودج مؤلف «كتاب الموتى»
ترجمة: حسن هيثم الطريحي
مراجعة: محمد سعيد الطريحي

المقدمة:

أدت دراسة بقايا نصوص الأدب المصري القديم إلى الكشف عن اعتقاد المصريين بالسحر، وبمعنى آخر قوة الأسماء السحرية والتعاويذ والعرافة والصور والحُجب والقيام بطقوس مصحوبة بكلمات مشحونة بمعاني القوة، للتوصل إلى نتائج خارقة. وقد مثّل كل ذلك جزءاً مهماً من الديانة المصرية. ورغم اعترافنا بفضل المصريين المستمر على تقدم الحضارة الإنسانية وبتطورهم الفكري الذي بلغوه، فإن المعتقدات السحرية أثرت على عقولهم منذ أقدم عصورهم وإلى الحقبة الأخيرة منها، وشكلت نظرتهم للحياة الدنيوية والروحية، على نحو يجعل من الصعب جداً، في هذه المرحلة من التاريخ، فهمه. إن العناية الفائقة التي صاحبت طقوسهم الدينية التي لا تحصى، والقواعد التي وضعوها لعبادة القوة أو القوى المقدسة، وتكريس جهودهم للسحر الديني قد منحتهم سمعة بين الأمم التي كانت على احتكاك بهم بأنهم أكثر الأمم تديناً واعتقاداً بالخرافات وأن هذه السمعة التي يستحقها المصريون القدامى بجدارة هي موضوع كتابي هذا.

يعود السحر المصري إلى عهد السلالات الأولى، بل إلى قبل تلك الحقبة، إذ كان سكان مصر يعتقدون بأن الأرض والعالم السفلي والهواء والسماء تسكنها مخلوقات لا تُعد ولا تُحصى. وهذه المخلوقات مرئية وغير مرئية، وأن بعضها صديقة والأخرى عدوة للبشر وهي توجه الطبيعة. وكانت هذه المخلوقات، بالنسبة للإنسان البدائي، تشبهه، فهي تمتلك كل عواطف الإنسان وضعفه ونقصه. وكان هدف السحر الرئيس إعطاء الإنسان قوة السيطرة على هذه المخلوقات. ويمكن الحصول على رضا هذه المخلوقات الصديقة بواسطة الهدايا والنذور، وإيقاف شرور المخلوقات العديدة بالمداهنة والتزلف والمدح، أو باستخدام تعويذة أو اسم سري أو وصفة سحرية أو باستخدام صورة أو نموذج يعطي للإنسان الفاني قوة ودرعاً ضد القوة الشريرة.

كان السحر لدى أغلب الشعوب القديمة يهدف إلى تحويل القوة من قوى ماوراء الطبيعة إلى الإنسان حيث تمكنه من أن يصبح خارقاً ويمتلك في بعض الأحيان قدرات قوى ماوراء الطبيعة نفسها، ولكن هدف السحر المصري هو منح الإنسان وسائل لإجبار القوى الصديقة والمعادية، وفي العصور المتأخرة حتى الإله نفسه، أن يقوموا بالأعمال التي يرغب فيها، رغماً عنهم. وكان الاعتقاد بالسحر، في مصر القديمة، أقدم من الاعتقاد بالإله. ومن المؤكد أن العديد من الطقوس المصرية الدينية، التي تم أداؤها في حقب متأخرة، والتي كانت جزءاً لا يتجزأ من العبادة الروحية، لها جذورها في عادات خرافية، تعود إلى عهود لم يكن فيها المصريون يمتلكون القدرة على تصور الخالق تحت أي اسم أو بأي هيئة. ومن الممكن أن يكون استخدام علامة الفأس في الكتابة الهيروغليفية رمزاً إلى (الله) أو الإله. وهذا يدل على أن هذا السلاح قد استخدم لأداء بعض الطقوس المتعلقة بالسحر الديني في فجر السلالات الأولى وبطريقة غامضة. وتدل هذه الإشارة، أي الفأس، على وجود قوة عليا، وعلى أي حال فقد نما السحر والدين جنباً إلى جنب وترعرع في مصر في كل حقبها التاريخية وإن أي تحقيق في أي موضوع يحتاج إلى تحقيق في الموضوع الآخر. ومن كُتب مصر القديمة نجد أن القوى التي يمتلكها الساحر أو الرجل الذي كانت لديه معرفة بالسحر وعمله هي قوى غير ذات حدود، فُباستخدام كلمات أو أسماء القوة، بطريقة صحيحة وصوت معين، يمكن للساحر أن يشفي المرضى، ويطرد الأرواح الشريرة، التي تسبب الألم للمرضى، ويعيد الحياة للموتى، وأن يعطي الميت القدرة على تحويل جسده من جسد فانٍ إلى جسد لا يفنى، إذ يمكن للروح أن تعيش فيه إلى الأبد. وكانت كلمات الساحر تساعد الإنسان على أن يأخذ أي هيئة بإرادته إذ يمكن أن تحل أرواحهم في أجساد الحيوانات وأن تتخذ أشكالاً أخرى، واستجابة لأوامره يمكن أن تصبح التماثيل والصور كائنات حية خاضعة لأوامره، وأن تعترف قوى الطبيعة بقوته الخارقة، فتحطم الرياح والأمطار والعواصف والأنهار والبحار والأمراض أعداءه، وكل أعداء الأشخاص الذين يمتلكون معرفة هذه الكلمات السحرية، التي انتزعوها من الآلهة والسماء والأرض والعالم السفلي. وكذلك يخضع الجماد لأوامرهم وإلى كلماتهم السحرية، بل إن العالم خُلق بقيام الإله (ثوث Thoth) بنطق هذه الكلمة السحرية. وباستخدام هذه الكلمات يمكن قلب الأرض رأساً على عقب، وتنبذ المياه طبيعتها، إذ يمكن جعلها على هيئة كومات. بل يمكن حتى إيقاف سير الشمس في السماء بفعل هذه الكلمات

- إذ لا يمكن لإله أو روح أو شيطان أو جِنّي مقاومة هذه الكلمات السحرية - وقد لجأ المصريون لاستخدامها للحصول على أتفه الأشياء أو أهمها في حياتهم. وبالنسبة للشخص المُطّلع بعمق على كتب «بيت الحياة القرينة»، فإن المستقبل مكشوف له، وكذلك الماضي والحجاب مرفوع عنه، إذ لا يمكن للزمان والمكان أن يحدّا من تأثير قوته، وحتى أن أسرار الحياة والموت الخفية مكشوفة له، ويمكن له رفع الحجاب عن أسرار المصير والقَدَر، هذه الأسرار المحجوبة عن عامة الناس الفانين.

وإذا كانت مثل هذه المعتقدات عن قوة الساحر على هذا النحو من الانتشار بين جمهور المثقفين في مصر القديمة فلا عجب أن نجد مثل هذه المعتقدات والخرافات الوضيعة تشيع وتتفشى بين عمال وفلاحي هذا القطر الذين كانوا عاجزين عن فهم معاني ورموز الطقوس المعقدة التي كانت تؤدى في المعابد وكانوا أكثر جهلاً بالمفهوم الروحي الذي يكمن في جذور هذه الطقوس. ولمواجهة احتياجات تلك الطبقات، لجأ السحرة المصريون وفيما تلا من عهود الكهنة أيضاً، أن يزودوا هذه الطبقات بطقوس تُحرك حواسهم. وحذا حذوهم أشخاص بلا قيم غير أنهم أذكياء فاستغلوا جهل هؤلاء مدعين أنهم يملكون أسرار ماوراء الطبيعة، وأن لديهم القوة للسيطرة على الآلهة والأرواح والشياطين، وهكذا باعوا هذه المعرفة والقوة بالمال وللحصول على فوائد. وما يسمى بالساحر كان مستعداً للشعوذة والقيام بخطط شريرة يطلب ضحيته منه القيام بها. وانحط السحر إلى شعوذة وسحر أسود بحيث صار يُنظر إلى من يقوم بمثل هذه الأعمال على أن لديه صفقة مع الشيطان وأنه يخدم قوى الظلام ويعمل خادماً للسحر الأسود. وما بين السحر الأبيض والسحر الأسود المصري نجد أن أكثر السحر المعروف في أكثر البلدان يعود إلى مصر، ومن المستحيل الحكم كم من المعتقدات والتقاليد الدينية لأمم أخرى قد تأثرت بالسحر المصري ولكن يمكن القول بلا شك إن العديد من الأفكار الدينية لبعض الفرق الوثنية والمسيحية يمكن أن تعود مباشرة للمصريين. وهناك العديد من الأدلة الممتعة يمكن أن تساق لدعم ذلك، ولكن الكتاب لا يسمح باستعراضها.

وإذا ما تأملنا الطبيعة الروحية للجانب الكبير من الديانة المصرية وتذكرنا قِدَمها، فسيكون من الصعب أن نفهم لماذا دوّن المصريون كل شيء عن طقوسهم، وبضمنها الطقوس البدائية والطفولية. ولعل ذلك يعود إلى أن السبب هو أنهم دوّنوا كل ما يتعلق بمعتقدات أسلافهم البدائيين أيضاً حتى في عهود نهضتهم الحضارية.

وتبقى هناك حقيقة وهي اعتقادهم بإله واحد جبار أزلي وغير مرئي، وهو الذي خلق السموات والأرض وكل المخلوقات، وهو الذي يبعث الإنسان بشكل آخر أكثر رقياً ليعيش في عالم أزلي بصحبة الأرواح وفي عالم مثالي يحكمه كائن من أصل قدسي كان يعيش على الأرض، وقاسى من موت قاسٍ على أيدي أعدائه، وبُعثَ من الموت فصار الإله وملك العالم السفلي. ورغم اعتقادهم بكل هذه الأشياء وافتخارهم بها لم يتخلوا عن تعلقهم بالتعاويذ والطلاسم والأسماء السحرية وكلمات القوة ويظهر أنهم اعتقدوا بها لإنقاذ أرواحهم وأجسادهم كأحياء وأموات وبالثقة نفسها التي آمنوا بها بموت وبعث (أوزيريس Osiris). ومن المثير للاستغراب أنهم لم يجدوا تناقضاً في إيمانهم بالسحر والدين ويمكن للحقائق التالية أن تظهر ما يدور بعقل المصريين. إذ كان في خدمة رع إله الشمس في طيبة العديد من الكهنة، وكانت وظائفهم هي القيام باستنساخ الكتب الدينية، وإبقاء التقليد المقدس على مر العصور وكذلك خدمة الإله في كل الفصول. وكان واجب هذه الفرق كتابة نسخ من كتاب الموتى الذي كان يدفن مع الملوك والملكات والطبقة الأرستقراطية، وكانوا يبشرون بقوة إلههم وسيادته على السماء والأرض بصوت غير مسموع، وأن شعاره المرئي للبشر هو الشمس. وكان من المفترض أن يؤمنوا بما يشعرون به، ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يقومون بطقوس أخرى، إذ كانوا يفضلون نصوص كتب يجب أن تقرأ في أوقات محددة من الليل والنهار، وكانوا يعطون إرشاداتهم عن الطقوس السحرية، وكان هدفهم من ذلك هو منع الوحش الخرافي (آبيب) من قهر إله الشمس. وتقول الكتب إذا تم رسم صورة الوحش على أي ورقة بردي فيجب صنع تمثال من الشمع للوحش، وحرق التمثال بعشب من نوع خاص، وأن تقرأ كلمات معينة عند حرق التمثال. وسوف يخرج إله الشمس من الوحش آبيب منتصراً ولا يمكن للمطر أو الغيوم أو الضباب منع ضيائه عن الأرض. ويصف الكتاب هذا الاستعراض لتلك الطقوس بأنه يستحق المكافأة.

٢٨ آب ١٨٩٩ واليس بودج

الفصل الأول
قِدم الممارسات السحرية في مصر

في الجزء الأول من هذه السلسلة، قدمت محاولة لعرض جملة الأفكار والمعتقدات، التي كان يؤمن بها المصريون القدماء، بشأن الآلهة، والحكم، والبعث، والخلود. وباختصار لرسم الخطوط العامة لكل ما هو جميل وسام ورائع في ديانتهم. وقد تم استنباط هذه الحقاق من الأعمال الدينية البدائية، التي يرجع تاريخ آخرها إلى بضعة آلاف من السنين في حين يرجع تاريخ أقدمها إلى حوالي ستة آلاف إلى سبعة آلاف سنة. والمقتطفات المدونة لدعم الاستنتاجات المسطرة، قد تساعد القارئ للبت في دقة الاستنتاجات التي تم التوصل إليها. ولقد أهمل العديد من الكُتّاب الذين درسوا الديانة المصرية حقيقة أنها كانت ذات وجهين. فهي من ناحية تشبه في العديد من الأوجه الديانة المسيحية كما هي عليها اليوم، في حين تشبه من النواحي الأخرى ديانات العديد من الطوائف التي ازدهرت في القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى من عصرنا، والتي يمكن أن يقال عنها إنها قد حملت أفكاراً كان بعضها مسيحياً والآخر غير مسيحي. وتمثل في جانبها غير المسيحي مجموعة أفكار وخرافات تعود إلى مجتمع وحشي أو شبه وحشي، والتي حافظت على بقائها لدرجة ما في عقول المصريين لفترة طويلة بعد أن بلغوا درجة عالية من الحضارة. ولنا أن نعتقد بأن مثل هذه الأفكار والمعتقدات طفولية وغير عقلانية، ولكنه ليس هناك من سبب محتمل يدعونا للشك في أنها كانت أشياء ذات صفة حقيقية بالنسبة للأشخاص الذين كانوا يؤمنون بها. وسواء أكانت تلك الأفكار طفولية أم غير عقلانية أم ذات الصفتين معاً، فإنها بالتأكيد انتقلت إلى ديانة سكان مصر، حيث نمت وازدهرت وحيث تم في الأقل تبني العديد منها من قبل المصريين الذين حولوا ديانتهم إلى المسيحية أو القبطية. وهناك إشارة إلى هؤلاء في أفضل الأعمال الكلاسيكية التي دونت عن قدماء المصريين. وهناك احتمال كبير أنها انتقلت إلى أدبيات الشعوب العظيمة الأخرى التي لها تاريخ قديم، وتحدرت من خلال اليونانيين والرومان والعرب إلى أقطار أوروبا. وفي الصفحات القادمة ثمت محاولة لتزويد القارئ بالدليل على الجانب السحري من الديانة المصرية، التي لم تكن في مكانها في العمل السابق الذي خصص موضوعه لوصف المعتقدات ذات الطبيعة الروحية الواضحة. وأما في الكتاب المصري حول أفكار مستقبل الحياة فقد استمدت

الحقائق التي ذكرت فيه من أوراق البردي والوثائق المحلية الأخرى. وقد اقتبست المقتطفات من مؤلفات استخدمها المصريون لإنتاج تأثيرات سحرية.

كان السحر المصري على نوعين، الأول لأهداف مشروعة، مع فكرة إيصال الفوائد إلى الأحياء أو الأموات، أما النوع الثاني فكان يستخدم للتآمر وتنفيذ الخطط الدنيئة بهدف إحلال المصائب بمن يوجه ضدهم هذا السحر الأسود. ونلاحظ في الكتب والنصوص الدينية كيف استخدم السحر كأداة للدين، ونجده في بعض الأحيان جنباً إلى جنب مع أكثر المفاهيم روحية، ومن المؤكد أن هدف الكتب والطقوس السحرية كان لفائدة البعض الذين كانوا على اطلاع على تلك الكتب لكي يتمكنوا من استخدامها. ولكن المصريين لم يكونوا محظوظين بما فيه الكفاية لكي يتفهمهم العديد من الأغراب الذين كانوا يزورون بلادهم. ونتيجة لذلك فقد انتشرت بين الأمم المحيطة بهم أفكار خاطئة ومُبالغ فيها عن ديانتهم. أما طقوسهم السحرية التي كانت تجرى لدفن الموتى من قبل الجهلة فاعتبرها الأغراب إما خرافات سخيفة أو أعمال سحر أسود، وبينما كان السحر بين كل أمم الشرق القديم موجهاً تماماً ضد قوى الظلام، واختُرِع لإحباط خطط تلك القوى بالتضرع إلى الكائنات الخيّرة لمساعدتهم، فقد هدف المصريون إلى العمل على امتلاك القدرة، بغية توجيه آلهتهم للعمل من أجلهم، وإجبارهم على الظهور بناءً على رغبتهم. وتوصلوا إلى هذه النتائج العظيمة باستخدام كلمات معينة ولجعلها مؤثرة تنطق بصوت موزون من قبل رجل متمرس وكانت هذه الكلمات تكتب إما على الأحجار الكريمة أو ورق البردي ويعلقها الشخص على شكل تعويذة ويمكن أن يصل تأثيرها إلى أي مكان ونجد أن كل رجل وامرأة وطفل في مصر، من الذين كانوا قادرين على اقتنائها، كان يعلق تعويذة أو طلسماً. ومن ثم فليس من العجب أن يُعد المصريون وبإعجاب ومنذ القدم على أنهم شعب سحرة. وقد أشار إليهم اليهود والإغريق والرومان على أنهم كانوا خبراء في علوم السحر وأنهم يملكون قوى يمكن توجيهها للخير أو الشر.

ونعرف من اليهود الكثير عن قوة السحر المصري، ويفتخر القديس ستيفان بأن المشرع العظيم النبي موسى كان على معرفة بكل الحكمة المصرية، وأنه كان جباراً باستخدام الكلمات‼ والقيام بأعمال خارقة. وهناك ملامح عديدة عن هذا الرجل العظيم تظهر بأنه كان على معرفة بممارسات السحر المصري. وكلمة «جبار بالكلمات» يمكن أن تعني بأنه مثل الآلهة إيزيس «قوي اللسان» وينطق كلمات مفعمة بالقوة يعرفها بتهجٍ صحيح بحيث أنه لم يكن يتلعثم في كلامه، وكان مثالياً في

إعطاء الأوامر ونطْق الكلمة. مثلاً تحويل الأفعى إلى عصا خشبية وإعادة العصا إلى أفعى زاحفة. إن هذه الممارسات كانت سائدة في الشرق منذ أقدم العصور، وإن قوة السيطرة وتوجيه مثل هذه الزواحف السامة كانت أحد المواضيع التي يفخر بها المصريون وكان متمرساً فيها، وحتى عند بناء الإهرامات كان المصريون يمارسون هذا السحر. ولم يكن هذا هو الدليل الوحيد، إذ كان متمرساً بالسحر المصري مثل الحكيم أبا أنير والملك نكتانيبوس وكل سحرة مصر منذ أقدم العصور وكان لديه ولدى أخيه هارون عصا سحرية وكانا يستخدام العصا للقيام بعجائبهما. فبكلمة من موسى يرفع هارون عصاه، ويحول المياه إلى دماء، وينشرها فوق المياه، فتظهر أعداد من الضفادع. وعندما يضرب التراب بالعصا يتحول التراب إلى قراد وغيره. وعندما ينثر موسى الرماد إلى أعلى تظهر الدمامل والقروح على أجساد الرجال والقروح. وعندما يمد عصاه تمطر بوابل من نيران، ويختلط البرَد الثقيل بالنيران، وتُصاب أشجار الكتان والشعير بالآفات. وعندما يمد عصاه تأتي أسراب الجراد، ويحل بعدها الظلام. قام موسى بكل هذه الأعمال التي أدت إلى موت ملكهم، بإعطاء أوامر إلى إلهه باستخدام الكلمات التي نطقها. ورغم أن الكُتّاب اليهود يقولون بأن السحرة المصريين لم يكونوا قادرين على تقليد معجزات موسى فمن المؤكد حقاً أن أي ساحر مصري كان يعتقد بأنه قادر على القيام بمثل هذه الأعمال بمجرد ذكر اسم أحد آلهته أو بنطق الكلمات التي تلقى تلاوتها أمام إلهه. وهناك عدة أدلة تشير إلى قدرة السحرة المصريين على دحر أعدائهم بمجرد نطق بعض الكلمات التي لها قوة سحرية، والقيام بطقوس بسيطة. ولكن يجب التفريق تماماً بين سحر موسى وسحر المصريين الذين عاش بينهم، إذ كان موسى موجهاً من إله اليهود بينما كانت آلهة المصريين تقوم بالأعمال بأمرة الإنسان الذي يوجهها لنطق الكلمات.

ونجد في أعمال موسى «أنه مد يده فوق البحر وقام الرب بحسر مياه البحر بريح شرقية في الليل، وجعل البحر أرضاً يابسة، وانشقت المياه وتمكن أبناء إسرائيل من عبور البحر من اليابسة، وأصبحت المياه حائطاً على جهتي اليمين والشمال» و«عندما تبعهم المصريون مد موسى يده بأمر من الرب فعادت المياه إلى مجراها وغطت العربات والخيالة وموكب فرعون». ولكن السيطرة على المياه والبحار والأنهار كانت ادعاءات مصرية قبل ظهور موسى، كما نجد ذلك في ورقة بردي محفوظة في ويست كار. كتبت هذه المقطوعة إبان الفترة الأولى من السلالة الثامنة عشرة قبل حوالي ٠٥٥١ قبل الميلاد. ومن الواضح أن ما كتب فيها يعود إلى

عصور الإمبراطورية القديمة، وهي بقدم الهرم الكبير. والقصة متعلقة بالملك خوفو «جيوبعس» ومن قبل بايو فراع في عهد أبي الملك وتعطي دليلاً على قوة سحر الكاهن جهاتجا أيم عنخ Thatcha - em - ankh.

والظاهر أنه في أحد الأيام كان الملك (سينيفرو Senefru) ضجراً، وطلب من رجال حاشيته إيجاد وسيلة لرفع معنوياته، وجعله سعيداً، ولم يقدر أحد على ذلك، فطلب قدوم رئيس الكهنة جهاتجا أيم عنخ ورئيس الكتّاب فجاء بناء على أوامر الملك وقال له سينيفرو «أخي لقد طلبت من حاشيتي رفع معنوياتي ولم يجدوا شيئاً» فقام الكاهن بنصح الملك بالذهاب إلى بحيرة قرب القصر والإبحار فيها بقارب مجهز من القصر الملكي. وقال له «ستكون سعيداً يا سيدي الملك عندما يتماوج بك القارب يساراً ويميناً، وتشاهد الغرائب في البحيرة، وتشاهد ضفاف البحيرة الجميلة والحقول البديعة. عندها سيجد قلبك السعادة» وتوسل إلى الملك ليسمح له بتنظيم الرحلة، وموافقته على أن يجلب عشرين مجدافاً مطعمة بالذهب مزخرفة ومنقوشة، وعشرين عذراء ذوات شعر طويل، ممشوقات القوام، وعشرين شبكة ليلبسنها كملابس بدلاً من الملابس العادية. وكان على هؤلاء العذارى العشرين أن يجدفن في القارب ويغنين للملك. وقبل الملك بهذه المقترحات، وعند تجهيز القارب أخذ الملك مكانه، وعند قيام العذارى بالتجديف في القارب، وهو يتمايل راقبهن الملك وانتهى حزنه. وعندما كانت إحداهن تجدف تعلق شعرها بالمجداف وسقطت منها حلية من التركواز الجديد «الشذر» في البحيرة وتوقفت عن التجديف وكذلك فعلت العذارى الباقيات، وعندما شاهد ذلك سألهن «هل توقفتن» فقلن «لقد توقف قائدنا عن التجديف»، فاستفسر الملك عن سبب ذلك فأخبرته العذارى بأنه سقوط الحلية من العذراء، فوعدها الملك بإعادة الحلية إليها، وأمر الملك بجلب الكاهن تجلهاتجا أيام عنخ فقال الملك «أواه تجلهاتجا أيم عنخ أخي لقد قمت بنصحك وكنت سعيداً بالرحلة وشاهدت كيف قمن العذاري بالتجديف ولكن حلية من توركواز جديد سقطت من إحداهن في الماء فتوقفن كلهن عن التجديف وعندما سألتها لِمَ توقفت قالت سقطت حليتي في «الماء» فقلت لها سأعيدها إليكِ».

وعند سماع القصة قام الكاهن رئيس الكتبة بنطق كلمات معينة كلمات القوة (حقو) "Hekau"س. وعندها قامت مياه البحيرة بالاتفاف ووجد التركواز على كسرة قُلة وأعطاها للعذراء وكان الماء على عمق اثني عشر متراً، وعندما نطق الكاهن أصبح الماء على علو عشرين متراً متجمعاً عمودياً، وبعدها نطق بكلمات أخرى فعادت المياه إلى ما كانت عليه. وأعد الملك مأدبة لحاشيته وكرّم الكاهن بمختلف الهدايا. هذه هي قصة

الكاهن والملك وهي قصة القوة التي كان يملكها الكاهن في عهد الملك خوفو الذي حكم في بداية السلالة الرابعة أي ٣٨٠٠ قبل الميلاد. والقصة التي بحوزتنا أقدم من عهد موسى، لذا لا يمكن أن يكون قد حدث تغيير في قصة موسى، وجعله المياه كحائط. ولعل هناك ترابطاً بين قصته مع قصة (تجلهاثجا أيم عنخ).

وكان الإغريق والرومان يكنّون كل التبجيل لحكمة المصريين وقوة سحرهم الذي كان من المفترض أن يكون بحوزتهم. وقد عاد الرحالة الإغريق إلى بلادهم بالعديد من القصص والمعلومات عن الديانة والحضارة المصريتين. ورغم سوء إدراكهم للعديد من المفاهيم التي شاهدوها وسمعوا عنها إلا أن كبار المفكرين الإغريق لم يعدوا ذلك البلد بيت المعرفة ومنبع الحضارة والفنون فحسب، بل مصدر لما سمي في ذلك الحين بالسحر الأبيض والفن الأسود. ولقد بالغوا في قوة تأثير المصريين. ولكن الكتاب الكلاسيكيين عزوا للمصريين معرفة فنون السحر التي ادعى المصريون بمعرفتهم وإلمامهم بها. والمثال الصارخ على ذلك موجود في الكتاب الثاني المسمى تحول أبوليوس Apuleiuo الذي يضم الرواية التالية: وصل التلميذ (تلفرون Tlephron) المفلس إلى لارسا وشاهد رجلاً عجوزاً واقفاً بجانب صخرة كبيرة وكان ينادي ويقول «بأنني سأمنع كل من يحرس جثة شخص ميت»، فسأله (تلفرون) إن كان للرجل الميت عادة الهرب؟ فأجابه الرجل العجوز بأن للساحرات في (ثيسالي Thessly) عادة تمزيق قطع من وجوه الأموات بأسنانهن لكي يعملن منها تعاويذ سحرية، لذا ولأجل منع وقوع مثل هذه الحوادث تلزم حراسة جثث الأموات في أثناء الليل. وهنا بادر (تلفرون) بالاستفسار من الرجل العجوز عن واجباته، فقال له: يجب أن تظل يقظاً طوال الليل، وأن تحدق في الجثة، وأن لا تنظر يميناً أو شمالاً، وأن لا يغمض لك جفن أبداً، وهذا الأمر مهم جداً، لأن الساحرات قادرات على تغيير هيئتهن ليظهرن على شكل طير أو كلب أو فأر. وأن فنهن تطوّر إلى درجة يمكنهن من الظهور على شكل ذبابة وينومنّ الحارس، فإذا فشل الحارس في الحراسة، وتم تشويه الجثة من قبل الساحرات، فإنهنّ يأخذنّ تلك القطع العفنة من جثث الموتى ويجعلنها جيدة باستخدام جسد الحارس.

وبعد أن سمع الرواية وافق (تلفرون) على القيام بتلك المهمة على أن يكافأ بألف قطعة (نومي Nummi)، واقتاده الرجل العجوز إلى بيت الموتى، فوجد رجلاً يسجل على الألواح بأن الأنف والعين والأذن والشفاه والخدود وغيرها كانت كاملة. وقد أعطي الحارس مصباحاً وزيتاً وظل (تلفرون) في حراسة الجثة خائفاً حتى دخل عليه ابن عرس

إلى الغرفة ونظر بثقة إلى (تلفرون) الذي بادر إلى طرده لإيمانه بأن ابن العرس كان ساحرة ظهرت على هيئة ابن عرس. ثم غط في النوم.

وفي الصباح الباكر أفاق على صوت الأبواق والجنود، وجاءت أرملة الرجل الميت إلى الغرفة مع سبعة شهود، وبدأوا بفحص الجثة للتأكد من عدم مسها. فأمرت خادمها بدفع الأجور إلى (تلفرون) وكانت ممتنة له ووعدته بأن يكون من ضمن حاشيتها. وفي محاولة منه للإعراب عن شكره استخدم بعض الكلمات غير المبشرة بفأل حسن فانهال عليه الخدم بالضرب المبرح وشدوا شعره ومزقوا ثيابه ورموه خارج البيت. وبينما كان يتجول في المدينة شاهد المسيرة الجنائزية تتوجه إلى المنصة، وفي تلك اللحظة صعد رجل عجوز إلى المنصة باكياً واتهم الأرملة بدسها السم إلى ابن شقيقه لكي تورثه وتتزوج من عشيقها، فاجتمع الغوغاء ليحرقوا بيتها وبدأ البعض برمي الحجارة عليها وكان من بين جمهور الغوغاء أطفال، وقد نفت تلك الاتهامات ونادت على الآلهة للشهادة على براءتها فصرخ الرجل: لتبت العناية الإلهية في الحقيقة. وأردف قائلاً سأستدعي العراف المشهور (زوكلاس Zaclas) المصري الذي وعدني بأنه إذا ما أعطيتهُ مبلغاً من المال فإنه سيستدعي روح الميت من عالم الموتى في العالم السفلي ويعيد الميت إلى الحياة لفترة قصيرة. وبعد انتهائه من ترديد تلك الكلمات أتى برجل يرتدي ثياباً من الكتان وصندلاً مصنوعاً من أوراق النخيل، شأنه شأن بقية الكهنة المصريين الحليقي الرأس. وبعد أن قبّل يديه وقدميه توسل إليه باسم النجوم وآلهة العالم السفلي وجزيرة النيل والطوفان وغيرها لإعادة الحياة للميت لفترة وجيزة لمعرفة الحقيقة. فبادر الكاهن (زكلاس) بلمس فم وصدر الميت ثلاث مرات بنبتة بعد أن استدار بوجهه ناحية الشرق وتلا الصلاة فبدأت رئتا جثة الميت تمتلئان بالهواء وقلبه بالنبض ورفع رأسه. وبعد أن رفع رأسه بادر إلى الاستفسار من الحضور لماذا تم استدعاؤه من عالم الموتى؟، ولماذا لم يتركوه في راحة؟ في تلك اللحظة خاطبه (زكلاس) قائلاً بأن لديه القوة بجعل الجن يعذبونه إذا لم يخبرهم الطريقة التي توفي بها. فأجاب بأن زوجته التي تزوجها حديثاً قد دست له سماً في الشراب ومات من جراء لك.

وهنا بادرت الأرملة بالرد عليه، وبعد مرور فترة قصيرة على الحوار الذي دار بين الأرملة وزوجها المتوفى، قال الرجل المتوفى إنه سيحاول تبيان الحقيقة، وأشار إلى (تلفرون) موجهاً حديثه إلى الحضور بأن الساحرات قمن بعدة محاولات لكي ينوّموا الحارس، وأخيراً خاطبوا جثة رجل ميت يدعى هو الآخر (تلفرون)، وعندما كان الميت يحاول الاستجابة لسحرهن، نام الحارس (تلفرون) فبادرن إلى قطع أنفه وأذنيه ووضعنّ

بدائل عنها. وعند سماع تلك القصة نظر الحضور إلى التلميذ تلفرون الذي ما أن بادر إلى وضع يديه على أنفه وأذنيه حتى سقطت تلك الأعضاء.

ولا تهمنا نهاية تلك الرواية، بقدر اهتمامنا بلمس الفم تلك العملية التي قام بها (زكلاس) وهي جزء من طقوس فتح الفم التي يشار إليها مراراً في الكتب الدينية والتي كان يُنظر إليها باهتمام لراحة الموتى. وإن قوة إعادة الأموات إلى الحياة التي أشار إليها أبوليوس والتي يقوم بها الكهنة المصريون كانت تجرى آلاف السنين قبل المسيح من قبل حكماء مصر. كما نجد ذلك في الرواية الآتية المسطرة على أوراق البردي في (ويست كار West Car):

كان ابن الملك خوفو الذي حكم في ٣٥٠٠ قبل الميلاد واسمه (هيرو تاتاف Herutataf) واسمهُ مدون في كتاب الموتى كان يُحدث والديه عن موضوع قوة السحر التي كان يمتلكها القدامى. وفي رده على ملاحظات خوفو أجاب قائلاً: إنك للآن لم تسمع سوى تقارير حول القضايا التي كان الناس سابقاً يعرفونها ولا نعرف إن كانت حقيقة أم كذباً. ولكني يا جلالة الملك سأجعلك تشاهد أحد الحكماء وهو يعيش في عهدك ولا يعرفك، فسأله الملك: من هو هذا الحكيم؟ فأجابه ابنه: يدعى هذا الرجل (تيتا Teta) ويعيش في (تيت سنفرو Tet Seneferu) ويبلغ من العمر مائة وعشر سنوات. ويتناول يومياً خمسمائة رغيف خبز، وكتف ثور، ويشرب مائة قدح من الجعة. وهو يعرف طريقة إعادة رأس مقطوعة إلى جسدها. ويجعل الأسد الذي يزأر يتبعه، ويعرف عدد (Aptet) لمذبح الإله (توث Thoth). وكان خوفو يرغب في معرفة عدد الـ Aptet في مذبح توث لأنه كان متلهفاً لتشييد مذبح مشابه له.

وفي الوقت الحاضر يبدو من المستحيل معرفة ما هو الـ(Aptet) ولكن من الواضح أنه أداة تستخدم من أجل السحر، وأن الملك كان مهتماً بالسحر شأنه شأن رعيته. وبناء على ما حدثه به ابنه طلب الملك خوفو منه أن يأتيه بالحكيم، وأرسل له قارباً ملكياً بصحبة ابنه هيرو تاتاف، ووصلوا إلى تيت سنيفرو وتوقف القارب في الميناء، بينما واصل الأمير رحلته في محفة مصنوعة من الأبنوس يحملها رجال على أعمدة من خشب من نوع آخر مطعم بالذهب. وعندما وصل إلى تيتا نزل الأمير للسلام على الحكيم الذي رآه نائماً على حصير في فناء داره بينما كان أحد الخدم يغسل رأسه والآخر قدميه. وبعد تقديم التحايا أخبره هيرو تاتاف أنه جاء بناءً على رغبة أبيه خوفو، ورحب به الحكيم وتنبأ للملك بأنه سيصل إلى منزلة عالية وساعد الأمير الحكيم على النهوض وسار الحكيم إلى الميناء متكئاً على كتف الأمير، وطلب من الأمير قارباً آخر لنقل أولاده وكتبه وتم إعداد قاربين

وسافر تيتا مع الأمير ولحقه الركب. وبعد أن وصلوا إلى بلاط قصر الملك قابل الأمير أباه، وأخبره بأنه عاد مع الحكيم، وطلب خوفو أن يقابله فوراً وتم إحضار تيتو، وسأله خوفو: كيف لم أقابلك قبل الآن، فأجاب الحكيم تيتا: أيها الملك إن من يُستدعى يحضر وها أنا قد أتيت. وسأله الملك: هل صحيح أنك يمكن أن تعيد الرأس المقطوعة إلى جسدها؟ فأجاب الحكيم: نعم يا سيدي العظيم، أنا أستطيع ذلك. فطلب الملك إحضار أحد الأسرى من السجن ليقطع رأسه، فأجابه الحكيم: لا يا سيدي الملك لا تقم بهذا العمل على إنسان بل على مخلوق آخر من الحيوانات المقدسة، فأتى أحدهم إليه بإوزة، وتم قطع رأسها، فوضع جسد الإوزة في الجهة الغربية من الأعمدة والرأس في الجهة الشرقية، فقام تيتا وتلا بعض التعاويذ السحرية، فإذا بالجسد يتحرك وكذلك الرأس وبدأ كل منهما يتجه نحو الآخر فعاد الرأس مكانه وبدأت الإوزة بالقوقوة، ثم طلب الحكيم (تيتا) إحضار طير (خيتا Khetaa) وقام بذات (المعجزة) التي حدثت للإوزة كما قطع رأس ثور وبعد أن تفوّه بكلمات القوة السحرية عاد الرأس إلى جسد الثور فنهض. وتقدم هذه الروايات المُسطّرة على ورقة بردي (ويست كار) دليلاً على أن أعمال السحر كانت تمارس إبان فترة السلالة الرابعة. وتدل الوثائق الأخرى على أن تلك الممارسات السحرية استمرت في مصر خلال جميع السلالات. ولكن حكمة المصريين كانت على نوعين، مكنّت المصريين من التعامل مع العالم المادي والعالم الروحاني غير أن الأمم المجاورة لمصر خلطت بين النوعين فأساءت فهم القضايا ونتائجها.

إن إحدى أقدم أسماء مصر هي (كامت Kamt) أو (كيمت Qemt) التي تعني أسود أو داكن. وقد أطلق هذا الاسم على ذلك القطر بسبب لون التربة الداكنة التي تتكون منها الأرض الممتدة على جانبي نهر النيل. وقد نقل المسيحيون المصريون أو الأقباط تلك الكلمة بلفظة كيم Kheme إلى اليونانيين والرومان والسريان والعرب. وفي الحقب الأولى من التاريخ اشتهر المصريون بمهارتهم بأعمال المعادن، وذلك في محاولة منهم لتحويلها. وحسب ما ورد في الكتابات الإغريقية أنهم استخدموا معدن الفضة في أعمال التعدين، حيث فصلوا معدني الفضة والذهب عن المعادن الخام. ومن عمليات التعدين تلك نجمت مادة سوداء تشبه (البودرة) يفترض أنها تمتلك خصائص ذات قوى خارقة، وتحتوي على خصوصيات مختلف المعادن الممتزجة مع بعضها في تلك المادة السوداء. وبطريقة خفية باطنية عرفت تلك المادة السوداء بجسد الإله (أوزيريس Osiris) الذي يُقال بأنه كان يمتلكها في العالم السفلي، والذي نسبت إليه وإليها معاً الصفات السحرية التي يعتقد بسببها بأنهما يمثلان كلاهما مصدري الحياة والقوة. وبذلك نما

جنباً إلى جنب مع نمو مهارة عملية التعدين في مصر، الاعتقاد بأن القوى السحرية موجودة في صهر المعادن ومزجها. ووصف فن استخدام المعادن ومعرفة كيمياء المعادن وقواها السحرية بكلمة (كيمياء Khemeia)، أو ما يطلق على تحضير المعدن الأسود أو (البودرة) السوداء، التي اعتبرت العامل الفعّال في تحويل المعادن. وأضاف العرب حرفي (الـ al) (أل التعريف) إلى تلك الكلمة فأصبحت الكلمة تعرف بالكيمياء التي خلّدت سمعة المصريين لكونهم طلاباً ناجحين في «السحر الأبيض» والفن «الأسود».

ولكن إضافة إلى مهارتهم في الأعمال الحرفية، اشتهر المصريون بمهارتهم في الأدبيات المدونة وإصدار الكتب وخاصة من قبيل تلك الطبعة التي كانت مرتبطة بالطقوس التي كانت تمارس لتعود بالنفع على الموتى. وليس لدينا، مع الأسف، أية وسيلة لمعرفة اعتقاد الشعوب التي عاصرتهم في الحقب القديمة بالطقوس الجنائزية المصرية، ولكن يبدو من المؤكد أنه عن طريق تلك الشعوب التي عاصرتهم اشتهر المصريون بأعمال السحر. وإذا سمح بطريق الصدفة لأحد أفراد قبائل الصحراء بمشاهدة الطقوس التي كانت تمارس عندما كانت تسجى أجساد الملوك الذين شيدت من أجلهم الإهرامات، فإن الروايات التي كانوا ينقلونها إلى بقية أفراد عشيرتهم كان يؤمن بها كبرهان على أن المصريين كانوا يتمتعون بقوى منح أجساد الموتى الحياة، وبث الحياة في التماثيل، وإجبار آلهتهم على تقديم الخدمات إليهم بنطق أسمائهم كأسماء قوة السحر. أما أعمدة الكتابة الهيروغليفية التي تغطي جدران المقابر، وكذلك الصور والتماثيل والنواويس (التوابيت)، فغالباً ما كانت تصيب الشعوب البربرية بالذعر والخوف ويروي المسعودي القصة التالية التي تظهر نظرة العرب إلى الكتابات وتماثيل الآلهة في معابد مصر. فبعد غرق جنود فرعون في البحر خافت النساء والعبيد من أن يقوم ملك سوريا والغرب بالهجوم عليهم لذا فقد انتخبوا في هذه الفترة ملكة لتحكمهم اسمها دالوكا (Dalukah)، لأنها كانت عاقلة وحذرة وماهرة في فنون السحر. وكان أول عمل قامت به هو بناء سور حول مصر يحرسه رجال على مسافات قصيرة، وكان هدفها حماية ابنها الذي كان مولعاً بالصيد من الوحوش البرية وكذلك من هجوم البدو الرُحَّل، ووضعت في فتحات السور تماثيل لتماسيح وحيوانات مخيفة أخرى. وخلال فترة حكمها ملأت مصر بالمعابد وتماثيل الحيوانات. وكذلك صنعت تماثيل لرجال من سكان المناطق المجاورة لمصر ومن سوريا والغرب، وكذلك الحيوانات التي كانوا يستخدمونها ويمتطونها. أما في المعابد فجمعت كل أسرار الطبيعة وكل القوى الخيرة والشريرة، التي تحتوي على المعادن والنباتات

والحيوانات. وكانت تقوم بسحرها في لحظة ثورة الأجسام السماوية إذ تكون سهلة الانقياد لقوى أعظم. وقيل إنه في حالة تحرك جيش ضد مصر من الجزيرة العربية أو سوريا للقيام بهجوم عليها فإن الملكة تصنع تماثيل لجنودهم وخيولهم وبسحرها تجعلهم يختفون تحت الأرض. ويحدث مثل ذلك للجنود الأحياء أينما كانوا في ترحالهم، فإن تحطيم تماثيلهم كان يعني تحطيم الجيش. وبصورة مختصرة فإن تماثيل الآلهة الكبيرة الحجم والصور المرسومة على الجدران والكتابات الهيروغليفية كان ينظر إليها من قبل الذي لا يفهمها على أنها تماثيل سحرية ووصفات سحرية لاستخدامها كطلاسم.

ويذكر المسعودي عن قوة السحر لدى أحد اليهود ما يبرهن على أن الممارسات السحرية سافرت إلى الشرق ووجدت مكاناً لها بين اليهود الذين كانوا يعيشون في بابل وحولها. والرجل اليهودي من قرية اسمها زرارة قرب الكوفة في العراق (Zorara) وكان يقضي وقته بممارسة الأعمال السحرية وقد قام بعدة أعمال سحرية بإظهار الأشباح وغيرها في مسجد الكوفة أمام «الوليد بن عقبة Waleed ibn Ukbah» فقد وضع تمثالاً لملك يمتطي جواداً، وقد سار التمثال وحصانه في ساحة مسجد الكوفة، ثم حول نفسه إلى جمل وسار على حبل وعمل ظِلاً لحمار جعله يعبر من جسده، وأخيراً قطع رأس رجل ثم مر عليه بسيفه فعاد الرأس المقطوع إلى الجسد، وعاد الرجل إلى الحياة. والقصة الأخيرة إعادة رأس بطة إلى جسدها والحياة إليها كما تم وصفه سابقاً.

والآن سنصف بصورة مختصرة الوسائل الرئيسة التي استخدمها المصريون في سحرهم كالأحجار السحرية والتعاويذ والتماثيل السحرية والصور السحرية ووصفات الأسماء السحرية والطقوس وغيرها وجزء من كتاب الموتى المتعلق بهذا الموضوع.

الفصل الثاني
الأحجار السحرية أو التعاويذ

التعاويذ هي نوع من المواد أو أدوات الزينة والملابس، وتعمل من مختلف المواد التي استخدمها المصريون وبعدهم من قبل أمم أخرى لحماية جسم الإنسان الحي أو الميت من التأثيرات المؤذية ومن هجوم الأعداء المرئيين وغير المرئيين وكلمة (Amulate) التعويذة أو الحجاب مشتقة من جذر عربي يعني أن يحمل فمعناه أن يحمل أو يلبس. ويطلق الاسم على أي نوع من الطلاسم أو أدوات الزينة التي فيها قوى خفية، وليس من الواضح فيما إذا كانت التعويذة توضع لحماية الأحياء أو الأموات في البدء. ولكن الظاهر أنها كانت تُحمل لحماية الشخص من الحيوانات المتوحشة والأفاعي والثعابين.

وبمرور الوقت وتطور الدين والأفكار والمعتقدات ظهرت تعاويذ جديدة تمثل وجهات النظر الجديدة. وكان التحول سهلاً بالنسبة لعقول من يحملونها، وإقناع الأحياء بارتدائها أيضاً بعد أن كانت تدفن مع الأموات. ونظراً إلى أن هدف التعاويذ في البدء كان لحفظ جسد الميت من التفسخ وحفظ أعضائه كاملة فقد أصبح وبمرور الوقت لكل عضو من جسد الإنسان الميت تعويذة لحفظه وبذا أصبحت المقابر مخازن للتعاويذ لحفظها من الثعابين والديدان والتفسخ، وبدأ المصريون بدرجها داخل الكفن وحول جسد الميت لحفظه من التعفن والفساد. ولا يمكن التكهن بتاريخ بدء المصريين باستخدام التعاويذ لموتاهم، ومن المستحيل معرفة تاريخ بدء معتقداتهم بقوة هذه التعويذة أو تلك وتأثيرها. ولكن الظاهر أن بعض هذه المعتقدات قديم حتى أن المصريين أنفسهم لا يعرفون أصله ومعناه.

والتعاويذ على نوعين، الأول ويشمل تلك التي دونت عليها وصفات سحرية والثاني بلا تدوين. في الأيام القديمة كانت الأدعية والوصفات تتلى على التعويذة التي يعلقها الحي أو توضع مع جسد الميت. ويقوم بهذه الطقوس كاهن إذ لم يكن بمقدور أي إنسان أن يقوم بهذا العمل المتخصص. وبعد فترة يتم البدء بتدوين كلمات القوة والأدعية على التعويذة، التي أصبحت ذات بعدين من القوة وهما قوة المادة المصنوعة منها التعويذة والبعد الثاني قوة الأدعية والكلمات المدونة عليها. وأقدم اسم لتلك التعاويذ المنقوش عليها والمدونة هو حقو (Hekau). وكان من المهم جداً، إبان فترة القرن

السادس عشر قبل الميلاد، أن تدفن مع الميت وحتى منذ بدء القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وقد تم تدوين فصل خاص في كتاب الموتى حول كلمات القوة أو كلمات السحر المدونة بأنها ستعود إليه أينما كانت وبقوة أسرع من كلاب الصيد أو الضياء.

إن أقدم تعاويذ مصرية كانت مصنوعة من قطع من الصخر الأخضر المتبلور السهل الكسر وعلى أشكال مختلفة: حيوانات أو غيرها، وكانت توضع على صدر الميت، وقد وجدت مثل هذه القطع في مقابر فجر السلالات في مصر أو ما قبله. ومن المستبعد أن سكان مصر قاموا بصنعها، إذ كما يقول ام. جي دي مورغان إنها وجدت في العصر (النيوليثي) الحجري، لأغراض العبادة والطقوس، وكانت تصنع على هيئة حيوانات ومع ظهور الشعب المسمى المصري أصبح ذلك النوع نادراً. واختفت الأشكال الحيوانية لتحل محلها قطع من الحجر الرباعي الشكل منقوشاً عليه صور الحيوانات وغيرها. وإن نظرية كونها أدوات شحذ لمسح الألوان وغيرها لا يمكن أن تصمد، للأسباب التي أعطاها دي مورغان إذ أن الجعران (الخنفساء) المصنوعة من حجر أخضر التي كانت توضع على صدر الميت لها جذورها في عصر ما قبل فجر السلالات، وتعود للعصور الحجرية من ناحية المضمون والمادة المصنوعة منها. ولكن تقليد كتابة كلمات القوة «حقو» على أوراق البردي هو بقدم كتابتها على الأحجار. ونرى من الكتابات على جدران المقابر والمعابد ودهاليز وغرف هرم أوناس (Unas) ملك مصر في حوالي ٣٣٠٠ قبل الميلاد أن كتاب كلمات القوة السحرية قد دفن مع الملك.

وفي مكان ثان نرى أن كتاباً آخر دفن مع الملك تيتا. وقد كتب على جدران القبر حوالي ٣٢٦٦ قبل الميلاد «دفن هذا الكتاب الذي له تأثيره على قلوب الآلهة». ونرى أن هدف كل المدونات الدينية المكتوبة في المقابر أو على التعاويذ أو الأكفان أو ورق البردي كان لجعل الآلهة تحت سيطرة المتوفى لإجبارها على تنفيذ إرادته.

١- تعويذة القلب:

لم يكن القلب مصدر قوة الحياة فحسب بل مصدر الأفكار الخيرة والشريرة، وأحياناً يعكس الضمير والروح. وكان يُهتم بالقلب بصورة خاصة ويتم تحنيطه بشكل منفصل عن الجسد. وكان يُحفظ مع الرئة في جرّة تحت حراسة الإله تواموتيف (Tuamutef). وكان الحفاظ عليه مهماً حتى أن ذلك دوّن في كتاب الموتى في عهد قديم لكي يعطى المتوفى قلباً جديداً بدلاً من الذي تمت إزالته(١). ويتضمن النص ما يأتي:

«- ليكن قلبي معي في بيت القلوب!

- ليكن صدري معي في بيت القلوب.
- ليكن قلبي معي وليبقَ معي وإلا فإنني لن آكل من كعك أوزيريس (Osiris) في الجزء الشرقي من بحيرة الزهور، ولن أركب القارب الذي يحملني في النيل أو أن أنحدر فيه.
- ليكن فمي معي وأن يمنح لي لكي أتكلم، وأن تتحرك ساقاي ويداي لأدحر أعدائي.
- لتفتح لي أبواب السماء وليقيم سب (Seb) أمير الآلهة بفتح فمه وفتح عيني المربوطتين.
- ليقيم سب بفتح ساقي الموثقتين.
- ليقم أنبو (أنوبيس) (Anubis) بتقوية فخذيّ ليعيناني على الوقوف.
- لتقم الآلهة سيخ هيت (Sek het) بإعانتي على الوقوف لكي أصعد إلى السماء.
- ليكن من آمرهم في دار (كا بن بتا) (Ka of Ptah) أن يكون.
- سأفهم بقلبي، وسوف أتمكن من السيطرة عليه، وسوف أتمكن من السيطرة على يديّ وساقيّ، وسوف أقوم بكل الأعمال التي تأمرني بها روحي (Ka).
- إن روحي لن تكون مقيدة بجسدي في أبواب العالم السفلي، ولكنني سأدخل بسلام».

عند قراءة هذا الدعاء اعتقد المصريون أن الميت سيحصل على القوة التي يبغيها في العالم الآخر، وأنه سيطر على قلبه، إذ أن القلب والروح وهي توأمه (قرينه) يقدران أن يذهبا إلى أي مكان. أما ذكر اسم الإله بتاح وزوجته سيخ هيت فيدل على أن هذا الدعاء من كتابة كهنة ممفيس، وأن الأفكار التي يحتويها هي بالغة القِدم. وحسبما ذكر في ورقة بردي (نيختو آمن) (Nekhtu Amen) فإن تعويذة القلب التي ذكرت في أعلاه كان من المفروض فيها أن تصنع من حجر اللابيز لازولي (Lapis lazullai) ومن المؤكد أنهم اعتقدوا بأن الحجر يحمل صفات معينة مفيدة لمن يرتديه ويحمله. وحسبما تقول إحدى التقاليد فإن أحد فصول كتاب الموتى في عهد الملك حسبتي (Hesepti) كتب بأحرف من اللابيز لازولي حوالي ٠٠٣٤ قبل الميلاد، مما يدل على الأهمية البالغة المرتبطة بتعويذة القلب واللابيز.

ورغم طرق المحافظة على القلب كما ذكر سابقاً، فكان من المهم للمتوفى أن يحافظ على قلبه خوفاً من أن يأخذه وحش نصفه إنسان ونصفه حيوان كان يتجول

لسلب القلوب. ولمنع هذه الكارثة كتبت سبعة فصول من كتاب الموتى وهي الفصول ٧٢، ٨٢، ٩٢، ٩٢آ، ٠٣، ٣٠آ، ٣٠ب، أما الفصل ٧٢ فكتب لعمل تعويذة على شكل قلب صنع من حجر شبه شفاف أبيض اللون. ونص التعويذة على هذا النحو:

- «تحية لك يا من تخطف القلوب، تحية لك يا من تسرق القلوب ويا من تجعل قلب الإنسان يمر بالتحول بموجب أعماله.
- لا تجعل ما قام به المتوفى يؤذيه.
- أقدّم فروض الطاعة لك، يا ملك الأبدية، يا من تملك الملكوت، لا تأخذ قلب أوزيريس في أحضانك، ولا تقل كلمات سوء بحقه، لأنه قلب أوزيريس، وهو يعود إليه بمختلف الأسماء... هذا الشخص الجبار الذي كلماته هي ساقاه، والذي يرسل القلب ليحل في الجسد.
- إن قلب أوزيريس منتصر، وقد تجدد أمام الآلهة، وقد سيطر عليه صاحبه ولم يحاكم بما عمل، إذ أنه سيطر على أعضاء جسده وقلبه، ليطيعه.
- إنه السيد، لذا حل في جسده ولن يسقط ثانية.
- لذا يا أوزيريس المنتصر في السلام والمنتصر في أمينتا الجميلة وفي جبل الأبدية أرجو منك يا قلبي أن تطيعني في العالم السفلي».

أما الفصل ٩٢ب فيتعلق بتعويذة على شكل قلب مصنوع من حجر (الكورنيليان) ونجد نماذج منها في المتاحف ويضم النص ما يأتي:

«- إنني بنو (Benuo) روح رع (Ra)(1) ومرشد الآلهة في العالم السفلي، وقد حلت أرواحهم السماوية على الأرض لتنفيذ إرادة أرواحهم في العوالم الأخرى. ولتحل روح أوزيريس لتنفيذ إرادة روحه في العالم الآخر. بنو هو الآخر كان روح أوزيريس، وبهذا حملت التعويذة معها حماية لأوزيريس وراع».

غير أنه من بين جميع الفصول ذات العلاقة بالقلب بدا أكثرها شعبية لدى المصريين الفصل المعروف ٣٠ب، وتأتي أهميته، من الناحية الدينية، من أنه لا تمكن صياغته بسهولة. فحسب أوراق البردي (ببيرس) لنو (Nu)، وهي وثيقة ترجع للحقبة الأولى من السلالة الثامنة عشرة ويرجع تاريخها إلى ملك مصر هسيبتي Hesepti في الفترة ٤٣٠٠ قبل الميلاد، يبدو أنها شكلت تتمة للفصل (LXIV) الذي تنبأ بأن يعطي المادة (لكل الفصول بالأيام) في فصل واحد من الكتاب. وفي عنوان لنص أطول للفصل مدون على ورق البردي نفسه الفصل ٣٠ب والمرتبط بهيرو تاتاف Heru Tataf ابن خوفو

(جيبوبس) الرجل المشهور بحكمته، وهناك تم إصدار الأوامر لنقش الكلمات على حجر أخضر صلب، يوضع في صدر جثة المتوفى مكان القلب، وأن هذه التعويذة تقوم بفتح فم الميت حيث أن كلمات الفصل ستكون بالفعل كلمات القوة. ومن ترديد كلمات الفصل على جدران جعران خنفساء وحتى نقشها على الجعران تمثل خطوة، وقد اتخذت هذه الخطوة في السلالة الرابعة IV ويقرأ الفصل على هذا النحو:

«- قلبي، أمي، قلبي، أمي!

- قلبي الذي جئت به إلى الحياة وعلى ألا يقف العدم في وجهي لمعارضتي في يوم الدينونة.
- أرجو ألا تتم معارضتي في حضور الأمراء الحاكمين.
- آمل ألا تفارقني في حضوره الذي يحافظ على التوازن!
- إنك توأمي (قريني) (كا) (Ka) الذي تقطن في جسدي.
- الإله كنيمو (Khnemu) الذي يحيك ويقوي فخذيّ، آمل أن تأتي إلى مكان السعادة أينما نهب.
- ليقم (Shenith) شينث الذي يرسم مصير الإنسان بألا يجعل اسمي سيئ الصيت وليجعله لائقاً بي ولتجعل سماعي جيداً ولتعطنا السعادة ولتفرح قلوبنا عند وزن الكلمات.
- لا تجعل أحداً يقول كلمات سوء عني أمام الإله العظيم وإله آمنتيتAmentet)).
- حقاً كم ستكون عظيماً عند قيامك من بين الأموات!».

وكان من المفترض أن يقرأ المتوفى هذا الفصل في قاعة حكم أوزيريس عند وزن القلب في ميزان الحقيقة حيث توضع ريشة لوزن العدل والحقيقة. ونجد من أوراق البردي أن المتوفى يجب أن يلفظ هذه الكلمات بصورة صحيحة عند وزن جسده وقلبه كل في كفة من الميزان. وهو مفهوم يختلف عن محاكمة القلب أمام الآلهة.

٢- تعويذة الجعران:

مما تقدم نرى أن تعويذة القلب كانت أكثر الفصول أهمية وشعبية في الكتب الدينية لحماية القلب، وقد أوعز بنقشها على شكل جعران «خنفساء» منذ العصور الأولى. ويمكن أن نتتبع الأفكار حول الأهمية التي أولاها المصريون لهذه الحشرة منذ أيام بناء الإهرامات، وحتى أن هذا الاعتقاد كان سائداً قبل تلك الفترة. والظاهر أن المصريين فلسفوا هذه القضية، فنظراً إلى أن قلب الميت كان ينتزع من جسده كانت لذلك الجسد حاجة لمصدر آخر للحياة، لوضعه مكانه. ولكن قلباً، من حجر اللابيز

لازولي أو حجر الكورنيليان، جامد ومن ثم فهو لا يقوى حتى على تلاوة الأدعية ليمنع من يخطفون القلوب من اختطافه. ولكن لدى الجعران قوى خارقة، فإذا صنع نموذج للجعران، وكتبت عليه كلمات القوة المناسبة فإنه لا يحمي القلب الأصلي فحسب بل يستطيع أن يمنح المتوفى حياة جديدة. أضف إلى ذلك أن الجعران هو رمز الإله خبيرا (Khepera) قوة الخلق غير المرئية التي تدير الشمس في الفضاء. وهذه الفصيلة من الجعران تعيش في المناطق الإستوائية ولونها أسود، ولكن لون بعضها برونزي. وتستمد أهميتها من كون ساقيها في نهاية جسدها، وأن إحداهما بعيدة عن الأخرى مما يعطي الحشرة مظهراً عجيباً عند دبيبها. ورغم ذلك فإن هذه التشكيلة الغريبة للجعران تخدم أصحابها في التحكم بالبويضات التي تكون في بدء الأمر غير منتظمة ولينة. ولكن بالتدريج وخلال عملية دحرجتها تصبح مدورة وصلبة، بتحريكها بواسطة الأرجل الخلفية. ويبلغ قطر إحدى تلك البويضات ما بين انش ونصف وانشين، وعند دحرجتها تقف الخنافس (الجعران) على رؤوسها مديرة اياها عن البويضات والهدف من هذه المناورات هو دفن البويضات في الحفر التي كانت تلك الحشرات قد حفرتها في وقت سابق، وتوضع البويضات على الروث حتى تفقس عليه وتتغذى منه. ولا يبدو أن لتلك الخنافس القدرة على تمييز بويضاتها عن سواها، لذا تحاول التمسك ببويضات خنافس أخرى في حالة فقدانها بويضاتها. ويذكر أن العديد منها غالباً ما تتعاون على دحرجة بويضة واحدة بذاتها، ويقوم الذكور والإناث في دحرجة البويضات. والخنافس تطير خلال الأوقات الحارة من اليوم.

حمل القدامى أفكاراً غريبة عن الجعران من نوع الخنافس أو الجعران المصري (Scara boevs sacer of alevchus Agyptioum). وتقول تنبؤات ايليان (Aelian) وهيدا بولو بعدم وجود جعران أنثوي. ويقول أحد الكُتّاب إن الجعران متميز لأنه مخلوق خنثى يكاثر نفسه بنفسه ولا تبيضه الأنثى، ويقول عندما يعمل الجعران كرة من الروث يقوم بدحرجتها من الشرق إلى الغرب. وبعد حفر حفرة يدفنها فيها لمدة تتراوح بين ثمانية وعشرين يوماً، وفي اليوم التاسع والعشرين يفتح الكرة ويرميها في الماء، ومنها يخرج الجعران. ونتيجة طيران الجعران في أكثر الأوقات حرارة، ربطه المصريون بالشمس وكرات البويضات بقرص الشمس، وهي قوة الإله غير المرئية والتي تجسدت بالإله خبيرا (Khepera) الذي جعل الشمس تدور في الفضاء وأن (دحرجة) الشمس في السماء هي التي أعطت الجعران اسم خبير (Kheper) أو الذي يدحرج. وتحتوي الشمس على

كل بذور الحياة، وكذلك بويضتا الجعران الصغير. وعرف الجعران بالشمس لأنه يعطي الحياة بشكل متميز عن الآخرين، وكذلك يمثل الإله خبيرا مادة جامدة ولكنها حية، وهي التي تبدأ في الوجود، وقد اعتبر في الأزمنة القديمة إله البعث. ونظراً لتعريف الجعران به فقد أصبح الجعران رمزاً للإله والبعث. لكن جسد الإنسان الميت يمثل، في واحد من مظاهره، وجود بذرة الحياة أي وجود بذرة الجسد الروحي «الأثيري» الذي استدعي للوجود، أو أصبح حياً بواسطة الصلوات والأدعية التي تتلى والطقوس التي تؤدى في المراسيم الجنائزية. ومن وجهة النظر هذه تتشابه بويضة حشرة الجعران مع الجسد الميت. وهكذا فكما تقوم الحشرة بمنح إمكانية الحياة إلى بيوضها وهي في كرتها فكذلك تمثل نموذجاً للإله خبيرا الذي يبث إمكانية الحياة في جسد الميت. لذا يوضع الجعران على جسد الميت كرمز للإله على أن تقرأ على الجسد القراءات الصحيحة لكلمات القوة إما بقراءتها أو تدوينها. ويظهر أن لقضية ارتباط الحياة بالجعران جذورها في مصر وشرق السودان منذ أقدم العصور ولحد اليوم إذ تجفف الحشرة وتطحن ويمزج طحينها في الماء وتشربه النساء لكي يكثر إنجابهن وتصبح لهن أسر كبيرة. وفي الأزمنة القديمة عندما كان الرجل يريد أن يبعد تأثيرات السحر الأسود يقوم بقطع رأس جعران كبير وأجنحته ويقوم بغليه وقليه ثم يوضع المزيج في دهن أفعى الأبنيت (Apneut) وبعد أن تُقلى مرة أخرى يأكل الرجل المزيج.

تم العثور على تمثال الجعران في مصر بكميات لا تُعد ولا تُحصى، وعلى آلاف الأنواع. وتعمل من حجر البازلت الأخضر والغرانيت الأخضر ومن حجر الحلان والمرمر الأخضر، ومن مزيج أزرق، ومن الزجاج الأزرق والبنفسجي، ومن البورسلين المزجج الأخضر والأزرق ومن غير ذلك. وتكتب كلمات القوة على القاعدة، وفي مرات قليلة يكون للجعران وجه إنسان أو رأسه. وتنقش على الظهر صور قارب رع وطير العنقاء روح رع وعينا الإله حورس (Horus). وغالباً ما يؤطر الحجر الأخضر بالذهب، بحيث يربط بين الأجنحة. وأحياناً يُطلى كل ظهر الجعران بالذهب، وأحياناً تعمل قاعدته من الذهب مع كلمات القوة منقوشة ومحفورة عليه. وأحياناً تصنع القاعدة على شكل قلب، مما يدل على ارتباط تعويذة الجعران بتعويذة القلب.

وفي العصور المتأخرة، أي قبل ٠٠٢١ قبل الميلاد، رسم الجعران على بوابات المعابد الفرعونية، ووضعت له تماثيل من البورسلين، بألوان مختلفة. ويرسم قارب الشمس أو يصنع على شكل مجسم على البوابات. ويرسم الجعران وكأن قارب

الشمس يحمله بشكل مجسم على الجدران في المعابد. وعلى اليسار تنقش صورة إيزيس (Isis) وعلى اليمين نفثيس (Nephthys). وإن أقدم حجر أخضر للجعران، بحسب معرفتي، موجود في المتحف البريطاني تحت رقم (No 29.224)، وقد وجد في القرنة قرب طيبة، ويعود إلى فترة السلالة الحادية عشرة XI أي قبل ٢٠٦٠ قبل الميلاد ومنقوش عليه اسم صاحبه. والظاهر أنه أحد الموظفين في معبد آمين، ولم تكتب على الجعران أية كلمات قوة، مما يجعله غريباً نوعاً ما. عندما سادت عادة دفن الجعران مع الموتى، انتشرت عادة لبس الجعران من قبل الأحياء أيضاً، وأصبح ذلك شائعاً بحيث تجد الآلاف منها في مجاميع مختلفة، كأي إنتاج للزينة. وانتقل استخدام تعويذة الجعران إلى غرب آسيا وإلى بلدان أخرى حول البحر الأبيض المتوسط. وقد ربط الذين ارتدوه بين الجعران ونفس الارتباط لقدماء المصريين الذين ابتدعوه، ففي ورقة بردي إغريقية سحرية ترجمها كودوين نلاحظ أن بعض الطقوس تجرى قبل لبس الجعران حتى إبان حكم الإغريق والرومان لمصر.

ويقول البردي حول طقوس الجعران وخاتم حوروس: نأخذ الجعران ونضعه على مائدة (ورقية) نقية، وتحت المائدة نضع قطعة كتان نظيفة، ونضع تحتها قطعة من خشب الزيتون، وتوضع في وسط المائدة مبخرة فيها مُر وكيفي (Kyphi) ونحمل قدحاً من حجر أخضر فاتح أو أصفر (Chrysolite)، ونضع فيه مرهماً من الزنابق أو المُر أو الدارسين ونأخذ خاتم حورس ونضعه في المرهم، لنجعله نقياً، ونضعه على المبخرة مع الكيفي والمر ونترك الخاتم لمدة ثلاثة أيام. ونأخذ الخاتم ونضعه في مكان أمين. وعند إجراء الاحتفال يجب أن يكون هناك خبز نظيف وفاكهة الموسم. وبعد تقديم ضحية على جذوع العنب، خذ الخاتم من المرهم وادهن نفسك بالمرهم على أن تدهن نفسك صباحاً وتتجه إلى الشرق، وتردد الكلمات التالية. ويجب نحت الجعران من الزمرد وأن تلبسه، بعد ثقبه، منظوماً بسلسلة ذهبية، وأن تنقش على قاعدته إيزيس المقدسة وكما كتبنا استخدمه.

أما أيام الاحتفال فهي يوم ٧ و٩ و١٠ و٢١ و١٤ و١٦ و٢١ و٢٤ و٢٥ من بدء الشهر. وتوقف في الأيام الأخرى. أما الرُقية فتقرأ كما يأتي: إنني (ثوث Thuth) مخترع وموجد الدواء والأحرف، تعال إليّ أنت أيها الراقد تحت الأرض وانهضي أيتها الروح العظمى.

٣- تعويذة الابزيم:

تمثل هذه التعويذة ابزيم حزام إيزيس. وتصنع عادة من حجر العقيق الأحمر، أو حجر اليشب الأحمر (Jasper)، أو الزجاج الأحمر ومن أحجار أخرى حمراء اللون، وتُصنع

بعض الأحيان من الذهب، ومن مواد مطلية بالذهب. وغالباً ما ترتبط هذه التعويذة بالفصل CLVth من كتاب الموتى الذي غالباً ما تنقش عليه وتقرأ على النحو الآتي:

«ستكون دماء إيزيس وقوة إيزيس وكلمات إيزيس عظيمة، لتمثل القوى التي تحرس هذا المخلوق السماوي العظيم، وتحميه من نفسه خشية قيامه بفعل نتيجة مشاعر مقت وبغض».

ولكن قبل أن يربط الابزيم على رقبة الميت بموجب القاعدة يتعين غمره في ماء تفتحت فيه ورود (الانكاهام Ankham) وعند تلاوة كلمات فصل الابزيم عليه تجلب التعويذة على الميت حماية دماء إيزيس وكلماتها حول القوة. وستبقى في الذاكرة بأنها تمكنت من إنهاض جسد أوزيريس الميت بفعل كلمات القوة التي تمتلكها. وهناك أسطورة حول الموضوع بأنها تمكنت من إصابة إله الشمس (رع Ra) بمرض خطير بفعل القوة السحرية التي تمتلكها. والخاصية الثانية للابزيم Buckle هي منح الميت منفذاً إلى جميع الأماكن في العالم السفلي وتمكينه من أن تكون لديه يد واحدة متجهة نحو الجنة. أما اليد الأخرى فنحو الأرض».

٤- تعويذة الرأس Tet:

قد تمثل هذه التعويذة جذع الشجرة حيث تغطي الآلهة (إيزيس Isis) جسد زوجها الميت، وتمثل الأعمدة المتقاطعة الأربعة النقاط الرئيسة الأربع، لذا أصبحت رمزاً لأعلى درجة دينية من الأهمية بالنسبة للمصريين، وإن وضع الرأس على (بوزيريس Busiris)، الذي يمثل إعادة تشكيل جسد (أوزيريس) كان أكثر الطقوس التي تمارس في عبادة (أوزيريس) قدسية. ولا يمثل الرأس مائدة الماسوني (البناء) أو (النيلوميتير Nilometer) كما اعتقد البعض. ويرتبط عادة بالفصل CLVth من كتاب الموتى، الذي يُقرأ على النحو الآتي:

«انهض يا أوزيريس! إنك تمتلك العمود الفقري، آه يا أيها القلب الساكن! إنك تمتلك قوة ربط الرقبة بالعمود الفقري، آه أيها القلب الساكن! ضع نفسك على قاعدتك، إني أضع الماء تحتك وإني لأمنحك رأساً من الذهب قد تفرح به».

ويتعين غمر (الرأس Tet) مثل (الابزيم Buckle) في المياه التي تفتحت فيها أوراد (الانكهام Ankham) ومن ثم توضع على رقبة الميت حيث تمنحه قوة لإعادة تشكيل الجسد إذ يصبح روحاً مثالية (كو Khu) في العالم السفلي.

وفي التابوت تمسك اليد اليمنى لجسد الميت بالابزيم واليد اليسرى بالرأس Tet، وكلاهما مصنوع من الخشب، غير مدركين حقيقة بأن القاعدة للفصل الخاص بـ(تي Te) تأمر بصناعة الرأس Tet من الذهب.

٥- **تعويذة الوسادة:**

هذه التعويذة هي نموذج لوسادة وجدت تحت رقبة المومياء في التابوت، ومهمتها رفع وحماية رأس الميت، وتصنع عادة من الهاميتايت Haematite منقوشاً عليها نص الفصل CLXVth من كتاب الموتى، الذي يُقرأ على النحو الآتي:

«إنك تُرفع، آه أيها الجسد المريض المسجى. لقد رفعوا رأسك إلى الأفق، لقد نهضت وحققت نصراً بسبب ما أُلحق بك. لقد دحر (بتّه Ptah) أعداءك حسب الأوامر التي أصدرت لأجلك. إنك (حورس Horus) ابن (هاثور Hathor) الذي أعطاك الرأس لذبحها. سوف لن يُحمل رأسك بعيداً عنك بعد (الذبح)، سوف لن يرفع رأسك عنك أبداً أبداً».

٦- **تعويذة النسر:**

صنعت هذه التعويذة لأجل أن تكون (إيزيس) الأم السماوية حامية للميت، وكانت تصنع من الذهب على هيئة نسر محلق في السماء بجناحين منبسطين، وهو يحمل في كل مخلب رمز الحياة.... وتوضع هذه التعويذة على رقبة الميت يوم الجنازة. وبهذه التعويذة ارتبط الفصل CLVIIth من كتاب الموتى، وبموجب القاعدة فإن هناك أمراً بترديد التعويذة عليه والتي تُقرأ كما يأتي:

«تعالي يا إيزيس وحلقي فوق المدينة، وتحلق فوق المدينة باحثة عن المساكن السرية (لحورس Horus) وينهض من مستنقع البردي Papyrus فتبادر إلى رفع كتفيه المريضتين. ولقد أصبح أحد أفراد الجماعة الموجودة في الزورق السماوي وأن سيادة العالم برمته صارت بقرار منه. لقد حارب بشجاعة، وقام بأعمال لا يمكن نسيانها. لقد تمكن من إثارة الرعب في نفوس الناس. إن أمه العظيمة تحميه، وقد نقلت قوتها إليه. وأول إشارة هي للعناية التي أظهرتها (إيزيس) إلى (حورس)، عندما كانت ترعاه في مستنقعات البردي، والإشارة الثانية إلى قتاله مع (سيت Set) الذي انتصر عليه بمساعدة عظمة (إيزيس) وقوتها».

٧- تعويذة قلادة الذهب:

كان الهدف من هذه التعويذة مساعدة المتوفى للتخلص من لفافاته (كفن المومياء). وقد دونت في كتاب الموتى في فصل من كتاب الموتى كُتب بالحبر الأحمر CLVIII وينبغي أن توضع التعويذة حول رقبته يوم التشييع، وأن تصنع من الذهب، وأن يكتب على التعويذة ما يأتي:

«أواه، أبي، أخي، أمي إيزيس لقد فُكت اللفافات من جسمي، وأنا أرى إذ أنني أحد الذين فُكت عنهم اللفافات وأرى الإله سيب (Seb)».

وكانت هذه التعويذة نادرة، والظاهر أنها مرتبطة بمعتقدات نمت في عهد السلالة السادسة عشرة أي قبل ٠٥٥ قبل الميلاد.

٨- تعويذة صولجان البردي (الببيرس):

كان الهدف من هذه التعويذة منح الميت الحيوية وإعادة الشباب. وكانت تعمل من أم الزمرد أو البورسلين الأخضر أو الأزرق. وعند تلاوة كلمات الفصل CLIX من كتاب الموتى توضع على رقبة المتوفى يوم التشيع، وفي عهد السلالة السادسة عشرة XXVI. وبعدها يظهر أن التعويذة كانت تمثل قوة إيزيس التي أخذتها من أبيها زوج (رينبيت Renenet)، وهي آلهة الخصب والطعام. ومن نصوص الفصل من كتاب الموتى فإن التعويذة يعطيها الإله ثوث (Thoth) ويضعها في يد المتوفى. وينص الفصل على أنه يجب كتابة هذه الكلمات على التعويذة:

«إنني في كامل قواي ولم يؤذ أحد، ولم يصبني الأذى، ولا يمكن أن تتلف، ولا يمكن أن يصيبني التلف».

٩- تعويذة الروح:

كانت هذه التعويذة تصنع من الذهب، وهي مرصعة بالأحجار الكريمة على هيئة إنسان، برأس صقر. ويجب أن يُتلى الفصل LXXXIX من كتاب الموتى على التعويذة مع إرشادات كُتبت بالخط الأحمر في الفصل حين توضع مع تلك التعويذة على صدر الميت.

والغرض من هذه التعويذة قد استنبط من النص الذي يردده الميت ويُقرأ على هذا النحو:

«تحية إلى الإله (أنيو Anniu)! تحية إلى الإله (بهرار Pehrer) الذي يقطع في القاعة! اسمح بأن تعود روحي إلى جسدي من العالم العلوي ـ وإذا اتكأت فساعدني، على أن تحل روحي بجسد أينما كانت ـ دعني أمتلك روحي ونفسي وأن أكون صادقاً معها أينما كانت... تحية أيها الإلهان الموجودان في زورق إله ملايين السنين، الذي يأتي بالروح من العالم السفلي، والذي يساعدها على السفر على (نوت Nut) الذي يعين الأنفس على الدخول في أجسادها الروحية. لتجعل روح أوزيريس(١) تمتثل أمام الآلهة، وأن تكون صادقة معك في شرق السماء واتبعها إلى المكان الذي كانت فيه أمس وتمتع بسلام ذي وجهين (أمنتيت 2)(Amentet). لتنظر إلى الجسد الطبيعي وترتاح في جسدها الروحي لعل جسدها لا يفنى ولا يتعرض للتعفن إلى الأبد».

وبهذا فإن تعويذة الروح قد صنعت لتساعد الروح على أن تتحد مع الجسد المحنط وأن تكون مع روحها (الكا Ka) وجسدها الروحي بإرادتها كقرين.

١٠- تعويذة السلم:

تم العثور في مقابر الإمبراطوريات القديمة والوسيطة على نماذج مصغرة مصنوعة من الخشب ومواد أخرى على هيئة سلالم. إلا أن أهمية تلك المواد لم تكن دائماً واضحة ومن النصوص المنقوشة على جدران دهاليز وغرف إهرامات (أوناس Unas) و(تيتا Teta) و(بيبي Pepi) وإهرامات الملوك الآخرين. ويبدو واضحاً أن المصريين في قديم الزمان اعتقدوا بأن سقف السماء الذي يشكل سماء هذا العالم كان مصنوعاً من صفيحة حديد كبيرة على شكل مربع. وترتكز أركان تلك الصفيحة على أربعة أعمدة تساعد على تأشير النقاط الرئيسية. ويقطن على صفيحة الحديد الآلهة والأموات الخيرون. وكان تطلع كل مصري خيّر هو التوجه إلى تلك الصفيحة بعد الموت. وفي أماكن مقدسة معينة كانت حافة تلك الصفيحة قريبة من قمم الجبال بحيث تمكن الأموات التسلق إليها والحصول على موافقة للدخول إلى الجنة. ولكن في أماكن أخرى كانت المسافات بينها وبين الأرض شاسعة بحيث يحتاج الميت إلى مساعدة للوصول إليها. وهناك اعتقاد بأن أوزيريس نفسه قد واجه صعوبة للوصول إلى صفيحة الحديد تلك، وأنه تمكن من الصعود إلى الجنة بواسطة السلم الذي وضعه له والده (راع Ra). ويقف رع على أحد جانبي السلم بينما يقف حورس ابن إيزيس على الجانب الآخر وقد ساعد الإلهان (أوزيريس) في الصعود إلى الجنة.

وفي الأصل فإن حارسي السلم كانا (حورس) الأكبر و(سيت Set). وهناك إشارات إليهما في النصوص القديمة بأنهما يساعدان الميت المعرف بالإله أوزيريس على الصعود. ولكن من أجل تذكير تلك الآلهة بواجباتها، أو إجبارها على القيام بذلك فقد وضع المصريون القدامى سلالم قرب جثث الموتى في المقابر. وصنعوها على هيئة بحيث يساعد الميت على الصعود إلى السماء. ففي نص كُتب إلى (بيبي Pepi) كان على الميت أن يتلو تلك الكلمات أمام السلم:

«أبايعك أيها السلم المقدس! أبايعك يا سُلم (سيت Set)! قف عمودياً أيها السُلم المقدس! قف عمودياً يا سلم (سيت)! قف عمودياً يا سُلم (حورس)، حيث تمكن (أوزيريس) من الصعود إلى السماء عندما استخدم قواه السحرية على الإله (رع)... لأن بيبي ابنك.

إن (بيبي) هو (حورس) وقد أنجبته كما أنجبت الإله الذي هو سيد السلم (حورس) وسوف تُعطي (بيبي) سلم الإله (حورس).

سوف تعطي سلم الإله سيت حيث سيصعد (بيبي) إلى السماء عندما يشاء باستخدام قواه السحرية على (رع). أيها الإله الذي يُعبر شخصه المزدوج الـ (كاو Kau) إلى الداخل. حيث تُحلق عين (حورس) بأجنحة (ثوث Thoth) في الجانب الشرقي من السلم المقدس أو سلم الإله، أيها الرجال الذين ستُحلق أجسامهم إلى السماء إن (بيبي) هو عين حورس. وأينما تذهب تلك العين فإن (بيبي) سيُحلق معها، آه يأخ الآلهة أبشر لأن (بيبي) يُسافر معكم. يا أشقاء (بيبي) من الآلهة سوف تفرحون عند اللقاء لأن (بيبي) سيكون سعيداً مثلما سيكون (حورس) عندما يواجه عينه لقد وضع (حورس) عينه أمام أبيه (سيب Seb)، وإن جميع الآلهة والأرواح تمد أيديها إلى (بيبي) الذي جاء إلى السماء متسلقاً السلم. وسوف لن يكون (بيبي) بحاجة لحراثة الأرض أو جمع النذور؛ كما سوف لن يكون بحاجة للتوجه إلى القاعة الموجودة في (آنو Annu) التي تعني (هيليوبوليس مدينة الشمس) أو قاعة الصباح في (آنو)، إذ سيتم إطعامه عند ظهوره في السماء، متسلقاً السلم من قبل الأشخاص الذين يراهم ويسمعهم. ويرتاح (بيبي) مثل نقطة دم البول Uraeus الموجود على جبين (سيت Set)، وتمد الآلهة والأرواح أيديها إلى (بيبي) وهو على السلم. وقد جمع (بيبي) عظامه وجمع لحمه، وذهب مسرعاً إلى السماء بواسطة إصبعين إلهة السلم وأعني هنا حورس».

وفي أماكن أخرى جُنِّدت الآلهة (كونسو Khonso) (وسيت Set) وغيرهما لجلب السلم إلى بيبي وتمت مناشدة السلم نفسه أن يأتي مع اسمه. ونقرأ في مكان آخر النص الآتي:

«مبارك أيها السلم الذي تسند القارورة الذهبية لأرواح (بي Pe) وأرواح (نيكن Nekhen). مد ذراعيك إلى بيبي ودعه يحتل مقعده بين الإلهين العظيمين الموجودين في مكان بيبي وخذ بيده وقُده نحو سيكيث هيتيب Sekhet - Hetep واقصد هناك حقول (إليسيان Elysian) ودعه يأخذ مكانه بين النجوم في السماء».

ونلاحظ أهمية السلم في كتاب الموتى تنقيح طيبة حيث يقول الميت في الفصل CXLIX:

«لقد ثبّت السلم بين آلهة وإنني مخلوق مقدس بينهم». ويقول في الفصل CLIII: «سيأتي قارب أوزيريس نحو سلمك الذي صنعه الإله رع له ويمسك الإلهان حورس وسيت بيد الميت بقوة». وأخيراً عندما لم يعد السلم يستخدم في المقابر وأسيئ استخدامه قام الكهان للضرورة برسم سلم على ورق البردي، وكتبت عليه النصوص من كتاب الموتى ويتم دفن الرقة مع الأموات.

١١- تعويذة الإصبعين:

صنعت هذه التعويذة لتمثل الإصبعين السبّابة والوسطى اللتين استخدمهما حورس لمساعدة أبيه أوزيريس على التسلق إلى السماء كما وصف سابقاً. ويعثر على هذه التعويذة عادة في أحشاء المومياءات وتصنع عادة من حجر الأوبسديان والهماتيت.

١٢- تعويذة عين حورس:

إن تعويذة عين حورس أو الأوتشاد (Utchat) هي من أكثر التعاويذ شيوعاً. والظاهر أنها كانت شائعة الاستعمال في كل العهود المصرية، وكانت تصنع من الذهب والفضة والغرانيت والهماتيت والكورنيليان واللابيز لازولي والبورسلين والخشب وغيرها. ورغم أن الفصل المكتوب بالحبر الأحمر من كتاب الموتى يوجه بصنعها من اللابيز لازولي أو حجر (ماك Mak)(1).

والأوتشاد من نوعين أحدهما يواجه اليسار والثاني اليمين. وكلاهما يمثلان عيني حورس، وأحدهما حسب ما ورد في نص قديم كان أبيض والآخر أسود. ومن وجهة نظر أخرى يمثل أحد النوعين من الأوتشاد الشمس والآخر القمر أو رع وأوزيريس على التوالي. وبصورة عامة يمكن أن يقال إنه عندما ارتدى المصريون الأوتشاد

كتعويذة كانوا يقصدون أن تعود عليهم التعويذة بالبركة والقوة والشجاعة والحماية والأمان والصحة الجيدة الخ... وكان في ذهنهم عين حورس ربما العين البيضاء أو الشمس. وفي النصوص الدينية فإن تعبير (مية أوتشاد Meh Utchat) والتي تعني حفظ الأوتشاد غالباً ما يستخدم. ويبدو واضحاً من عدة اعتبارات أننا يجب أن نفهمه على أنه يشير إلى انقلاب الشمس الصيفي، لذا فإن التعويذة كما يبدو تجلب إلى حاملها القوة والحيوية الشبيهتين بقوة الشمس وحيويتها في ذلك الفصل من السنة عندما تكون أشعة الشمس قوية. وفي الفصل CLXVII من كتاب الموتى نشاهد الميت وهو يردد الكلمات الآتية:

«إن الإله (ثوث Thoth) قد جلب إلينا الأوتشاد ثم إنه جعلها ترتاح بعد ما غادر، آه يا راع». ويبدو أنها قد تأثرت بالعاصفة ولكن ثوث ساعدها بعد خروجها من العاصفة «إنني بهيئة سليمة وآمنة وهي كذلك، إنني سليمة وهي الأخرى سليمة، (ونبسيني Nebseni) إله الطهارة هو الآخر سليم». وللحصول على الفائدة التامة من تعويذة الأوتشاد بالنسبة للميت يجبر على صنعها من حجر اللابيز لازويلا وتطلى بالذهب ومن ثم تقدم القرابين لها عند انقلاب الشمس الصيفي، وتصنع تعويذة أخرى من حجر (الجاسبر) اليعشب بعد أن يتلى نص من الفصل CXL وتوضع التعويذة في أي مكان من جسد الميت، وبهذا يصبح إلهاً ويحتل مكانه في زورق راع. وعند الانقلاب الشمسي تشعل اثنتا عشرة شمعة(Altars) أربع منها (لراع تيمو Ra-Temu) وأربع للأوتشاد وأربع إلى بقية الآلهة. ويرد ذكر تعويذة الأوتشاد في رُقيّة إغريقية للعثور على لص كتبت في القرن الرابع الميلادي وقد ورد فيها ما يأتي:

«خذ عشب كلكبي Khelkbei والبوغلوص Bugloss، وخذ عصيرهما، واحرق الأوراق المطحونة، وامزج الرماد مع العصير، وادهن واكتب على حائط كو Khoo من هذه المواد. وخذ قطعة خشب عادية واقطع مطرقة منها واضرب بها الأذن وردد هذه الرُقيّة:

«إن اللص الذي سرق كذا وكذا. كالكاك، كالكوم، كاييم، كار، كدون، زبار، بيري، زبركوم، كري، كرويب، فاريب، وبأسماء المخيفة.........
Khalkak, Khalkum, Khiam, Khar, Khroun, Zbar, Beri, Zbrkoum, Kre, Kariob, Phariou, and by the following..........(2). وبعد هذه الكلمات انقش الأوتشاد مع كتابة أحرف العلة كما يلي:

وتستمر الرُقيَة: «سلمني اللص الذي سرق كذا وكذا من المواد، وطالما أضرب الأذن بالمطرقة فلتفقأ عين اللص وتتورم حتى تخونه وأنت تقول هذا اضرب بالمطرقة».

١٣- تعويذة الحياة (عنخ Ankh):

إن الموضوع الذي تعبر عنه هذه التعويذة غير معروف أصله وأغرب ما يمكن أن يقال عنها إنها تمثل أداة الذكورة، ومهما يكن ما يمثله هذا الزمن فإنه يرمز «للحياة»، وقد ظهر في مصر منذ أقدم العصور. ويحمل هذا الرمز كل الآلهة. ولعله في العصور البالغة في القدم استخدم كتعويذة، ويذكر في ورقة بردي (أني Ani) في اللوحة أن رع انبثق من (تيت Tet) وأن الأيدي المنبثقة منه تدعم قرص الشمس كما نرى وصنعت التعويذة من مختلف المواد، واستخدمت كقلادة أو عقد.

١٤- تعويذة نِفِر Nefer:

تعني هذه التعويذة السعادة والحظ السعيد وغيرهما، وهي تمثل آلة موسيقية وكانت تعمل من الكورنيليان وهو حجر أحمر اللون، أو من البورسلين الأحمر وغيرهما. وكانت تستخدم كقلادة للعقد وتعلق مع الخرز.

١٥- تعويذة رأس الأفعى:

استخدمت هذه التعويذة على جسد الميت لمنع لدغة الأفاعي في القيد أو العالم السفلي. وتصنع من حجر الأحمر والجاسبر الأحمر، ومن معجون أحمر والكورنيليان أو كارنيليان، ونظراً لتمثيل الآلهة إيزيس بالأفعى وأن الأحمر هو من ألوانها المفضلة فالظاهر أن الهدف من استخدامها هو لطرد الأفاعي والثعابين من المقابر بقوة ملكة الأفاعي إيزيس. وتحولت القوة إلى هذه التعويذة بفعل الكلمات التالية من كتاب الموتى الفصل XXXIV والنص كما يأتي:

«أيتها الأفعى، إنني الشعلة التي تضيء على مفتاح مئات آلاف السنين، وأنا مستوى الإله (تنبو Tenbu) أو كما يقول آخرون مستوى النباتات الصغيرة والزهور، ابعدي عني، لأنني السِّنور المقدس».

وظن البعض أن رأس الأفعى يمثل الحيّة الملتفة على رأس الكبش في آلة (أورهيكاو Urhekau) المستخدمة لفتح فم المتوفى.

١٦- تعويذة الميناة (Menat) المُرضِعة:

استخدمت هذه التعويذة منذ السلالة الرابعة. وكانت تستخدم كمرادفة للآلهة، واستخدمها الملوك والملكات والكهان والكاهنات. وهي تحمل في اليد عادة، أو تعلق في الرقبة. والغاية من ذلك منح السعادة والصحة لمن يرتديها. وأعتقد بأنها تحتوي على خواص سحرية وتمثل الغذاء والقوة وقوة الذكورة والأنوثة والتكاثر. وأعتقد بأن الذكر والأنثى يتحدان فيها وهي تصنع من البرونز والصخر والبورسلين وغيرها، وعند وضعها على جسد الميت تعيد له قوة الحياة والتكاثر.

١٧- تعويذة سام Sam:

تمثل هذه التعويذة أحد أعضاء الجسد واستخدامها بالغ في القدم، وتصنع من اللابيز لازولي وغيره من الأحجار الصلبة. وكانت توضع في لفافات المومياءات في العصور المتأخرة ومعناها (الاتحاد) وتشير إلى ملذات الحيوانات.

١٨- تعويذة شين (Shen) مدار الشمس:

تمثل هذه التعويذة مدار الشمس، وأصبحت رمزاً منذ عهود موغلة في القدم ومنذ الأزل! وكانت توضع على جسد الميت لتمنحه حياة أبدية خالدة كالشمس في مدارها في السماء. وفي غرفة (الناووس) المومياءات نشاهد الآلهة إيزيس و(نفثيس Nephthys) متكأين عليها. ووجدت نقوش الشين على البلاطات التذكارية وعلى التوابيت (النواويس) وغيرها وتصنع التعويذة من اللابيز لازولي أو الكارنيليان. وهناك تعويذة أخرى تسمى (كارتوش Cartouche) وهي تعويذة شين نفسها لكنها مستطيلة، ولعلها تعني الاسم O.

١٩- تعويذة المدرج:

ويمكن أن يكون للتعويذة معنيان أولهما لرفع الميت للسماء، والآخر عرش أوزيريس Osiris. وبحسب إحدى الأساطير أنه عندما حاول الإله (شو Shu) تخليص الآلهة (نوت Nut) من عناق الإله (سيب Seb) لكي يكوّن جسدها المسنود بذراعيها وساقيها الممتدتين إلى السماء وجد نفسه أقصر من أن يقوم بهذا العمل، وللتغلب على الصعوبة بنى درجاً وتسلق إلى القمة وتمكن من القيام بالعمل. أما في القسم الرابع من الحقول الإليسية (Elysian Fields) فقد تم وصف ثلاث من درجات الصعود هذه.

أما في الفصل XXII من كتاب الموتى فإن الميت يتلو الدعاء الآتي «أريد أن أشارك من في أعلى الدرجات في قسم مما هو فيه». ففي وصف جنائزي قصير يرى نقش أوزيريس وهو في أعلى المدرج حاملاً شعاراته المعروفة في الحكم والسيطرة. وتصنع تعويذة المدرج من البورسلين المزجج الأخضر أو الأزرق وتعني العرش أيضاً.

٢٠- تعويذة الضفدعة:

إن التعويذة هي مثل صارخ على ولادة الحياة بعد البعث. إن الإلهة هيكت (Hekt) ذات رأس الضفدع وزوجة (خنيمو Khnemu) كانت مرتبطة بالبعث. وعند وضع هذه التعويذة على جسد الميت، كان الهدف تحويل القوة إلى جسد المتوفى. وتصور الضفدعة على المصابيح الإغريقية ـ الرومانية الحجرية من التيراكوتا الموجودة في مصر. وقد كتب على إحداها الأسطورة الإغريقية الآتية:

«إنني البعث».

وأكثر هذه التعاويذ موجودة في المقابر مع المومياءات. وقد شوهدت أنواع أخرى مثل..... تاج الجنوب الأبيض......... تاج الشمال الأحمر....... الأفق أو مكان شروق الشمس...... الزاوية..... القرون، القرص، والريشة....

وبجانب هذه التعويذة خاتم أو قلادة أو أداة زينة مكتوب عليها اسم إله أو كلمة قوة ويظهر أنهم اعتقدوا بأن قوة التعويذة تبقى مؤثرة مادامت المادة موجودة. وكذلك الأسماء أو الشعار أو الصورة غير ممسوحة. وقد استخدمت هذه التعويذة منذ القدم ولغاية الفترة الرومانية. وعندما اعتنق المصريون المسيحية قامت بعض الفرق مثل الغنوصيين وبعض الطوائف الأخرى بتبني وجهات نظر أسلافهم الكفار واستخدموا نفس الأسماء القديمة للآلهة المصرية والشياطين، وكذلك الوصفات وقد استخدموا تلك الوصفات كما استخدمها القدامى من أسلافهم.

الفصل الثالث
الصورة والتماثيل السحرية

يقال إن اسم أو شعار أو صورة أحد الآلهة أو الشياطين يمكن أن يُحمل كتعويذة ذات قوى خارقة لحماية الشخص إذا لبس تلك التعويذة، وإن هذه القوى تستمر مادامت المادة المصنوعة منها لا تتلف، وإذا لم تمح الصورة أو الشعار أو الاسم من التعويذة، ولكن المصريين خطوا خطوة ثانية، إذ آعتقدوا بأنه من الممكن نقل روح ما تمثله التعويذة من قوى إلى أي رجل أو امرأة أو حيوان، وكذلك مزاياها وصفاتها. إن تمثال الإله في المعبد يحتوي على روح الإله الذي يمثله. ومنذ أقدم الأزمان اعتقد شعب مصر بأن كل تمثال وكل صورة تسكنهما روح. وعندما قام المصريون، بعد اعتناقهم المسيحية، بالهجوم على معبودات «الكفار» فقد برهنوا على أنهم يعتقدون بذلك، لأنهم حاولوا دوماً رمي وتحطيم تماثيل الآلهة الإغريقية والرومانية، لاعتقادهم بأنه إذا تم تحطيمها فإن الأرواح الساكنة فيها سوف لن تجد مكاناً تأوي إليه، وبذا تصبح بلا مأوى وبلا قوى خارقة. ويمكن أن نتذكر أن الأسفار الأربعة عشر الإنجيلية الملحقة بالعهد القديم ذكرت أن مريم العذراء وابنها وصلا إلى مصر، وحدث زلزال «في كل أرض مصر، وسقطت جميع تماثيل الآلهة من قواعدها وتكسرت إلى قطع صغيرة، وعندها ذهب الكهنة والنبلاء إلى أحد الكهنة الذي كان يتكلم مع الشيطان من خلال أحد تماثيل الآلهة، وسألوه عن معنى هذه الأشياء. وعندها حدثهم عن وقع أقدام ابن «الإله السري والخفي» التي بدأت تخطو على أرض مصر، وقبلوا بتفسيره، وعملوا تمثالاً لهذا الإله. واعترف المصريون بأن الإله الجديد كان أعظم من كل آلهتهم مجتمعة، وكانوا مستعدين لنصب تمثال له، لاعتقادهم بأنهم، بقيامهم بهذا العمل، سيجبرون «الإله الخفي والسري» على أن يأتي ويحل في التمثال. وسنحاول في الصفحات الآتية أن نفسر الاستخدامات الرئيسية لآلهة المصريين وتماثيلهم، إذ كانوا يحولون إليها قوى سحرية بواسطة أداء بعض الطقوس الرمزية وترديد بعض كلمات القوة، وعن كيفية استخدامها من أجل الخير والشر.

إن أقدم أيام استخدام النماذج السحرية يعود إلى بردي ويستكار حيث نقرأ بأن الأمير خفرع أخبر خوفو (جيوبس) عن حادثة حدثت في عهد نيبكا أو نيب ـ كاو ـ راع، وهو ملك من السلالة الثالثة، وقد حكم في حوالي ٠٣٨٢ قبل الميلاد. والظاهر أن هذا الملك قام بزيارة إلى أحد موظفيه الكبار ويدعى أبانير، حيث وقعت زوجته في غرام عنيف مع أحد الجنود ـ في القافلة الملكية، وقامت هذه السيدة بإرسال صندوق من الملابس إليه مع خادمتها. والظاهر أن الخادمة باحت له برغبة سيدتها، إذ عاد الجندي معها إلى بيت أبانير وشاهد الزوجة وتواعدا على اللقاء في بيت صغير في مقاطعة زوجها. وقد أوعزت الزوجة إلى أحد حجّاب أبانير لإعداد البيت لها ولعشيقها. وعندما تم إعداد كل شيء ذهبت إلى البيت وبقيت هناك طوال النهار تتطارح الغرام وتحتسي الخمر مع عشيقها حتى موعد الغروب. وعند قدوم المساء هب ليغتسل في النهر وقامت الوصيفة بغسل جسده ولكن الحاجب الذي أعد البيت عزم على إخبار سيده بما حدث. وفي اليوم التالي وعند بزوغ الشمس ذهب إلى أبانير وروى له كل شيء. ولم يجب الموظف الكبير بشيء ولكنه أوعز إليه بأن يجلب له مواد بعينها وكذلك صندوقه المصنوع من الابنوس ومن المعدن الثمين، وأخرج من الصندوق كمية من الشمع ومن المؤكد أن هذا الشمع وضع هناك لأهداف خاصة حيث قام بصنع نموذج لتمساح طوله سبعة باعات وقام بترديد بعض الكلمات السحرية، وخاطبه قائلاً «عندما يأتي الرجل للاستحمام فعلى مياهي أن تقبض عليه» وقام بإعطاء الحاجب التمساح المصنوع من الشمع وقال له مخاطباً: عندما يقوم العشيق بقضاء حاجته اليومية ويغتسل في النهر أرسل التمساح خلفه. وذهب الحاجب مع التمساح. وطلبت زوجة أبانير مرة أخرى من الحاجب إعداد البيت الذي كان في الحديقة وقالت له سأقضي وقتاً هناك. وقام الحاجب بإعداد المنزل ووضع فيه أشياءً جميلة، وجاءت مع عشيقها وأمضت بعض الوقت هناك. وعند قدوم المساء ذهب العشيق إلى النهر لقضاء حاجته، وذهب الحاجب خلفه ورمى التمساح في النهر وتحول التمساح المصنوع من الشمع إلى تمساح حقيقي بطول اثني عشر قدماً، وهجم على العشيق وسحبه إلى الأعماق. وفي تلك الأثناء مكث أبانير مع الملك نيب ـ كاو ـ راع، لمدة سبعة أيام وبقي العشيق في الأعماق بلا هواء أو تنفس وفي اليوم السابع خرج أبانير الكاهن أو «خير هيب» مع الملك في نزهة على الأقدام ودعا الملك لرؤية شيء رائع. وعندما وصلا إلى الماء ناشد

التمساح بأن يأتي له بالرجل وخاطبه «آتني بالرجل» وعاد التمساح بالرجل وعندما رأى الملك أن التمساح هو وحش مخيف قام أبانير بالنزول إلى الماء وحمله بين ذراعيه فعاد لتوه إلى تمساح من شمع كما كان. وبعد ذلك حدّث أبانير الملك بما جرى بين زوجته وعشيقها. فقال الملك مخاطباً التمساح «خذ ما يعود لك وامضِ». فقام التمساح فوراً بالهجوم على الرجل وأخذه إلى الأعماق وبأمر ملكي ألقي القبض على الزوجة الخائنة وأخذت إلى الجهة الشمالية من القصر وأحرقت حية وألقي رمادها في الجدول. وهنا ترى أن الاعتقاد كان سائداً منذ السلالة الثالثة بأن تمساحاً من شمع يمكن أن يتحول إلى تمساح حي بتلاوة بعض التعاويذ. ويمكن أن يتحول إلى حيوان زاحف بقراءة، وأن رجلاً يمكن أن يعيش في الأعماق حياً لمدة أسبوع بلا هواء. ونلاحظ أن الكاهن «خير هيب» كان يقوم بمثل تلك الأعمال حيث احتفظ بصندوق في غرفة وضع فيها المواد والأدوات التي يحتاجها، وهي معدة للقيام بأعماله السحرية. والظاهر أنه والملك وخادمه لم يعتقدوا بأن الأعمال السحرية تتنافى مع منصبه الديني.

ولكن في الوقت الذي كان أبانير يمارس السحر فيه بواسطة تماثيل الشمع وذلك لإيذاء أعدائه فإن بقية الكهنة كانوا يعدون المؤن للموتى وسعادتهم في الحياة الأخرى وذلك بصنع مختلف التماثيل من مواد متعددة. وبموجب اعتقاد قديم كان الموتى يذهبون إلى منطقة تسمى سيخت ـ آرو (Sekhet - Aaru) حيث يعيشون حياة لا تختلف عن الحياة التي يحيونها على الأرض. ومن صور هذا المكان والمرسوم على توابيت الموتى من السلالة الحادية عشرة نجد أنهم محاطون بجداول من الماء، تقطعها القنوات. ويظهر المكان كأي مقاطعة معتنى بها في الدلتا، والأشخاص الذين يعيشون في ذلك المكان لهم نفس احتياجات الإنسان. إذ يحتاجون إلى الطعام والشراب وبضمنه كعك الخبز والجعة. وإن وجود الخبز والجعة لدليل على وجود زراعة للقمح والشعير، وإن إنتاج هذه المحاصيل يدل على وجود عمال زراعيين وحراثة، ولكن المصريين لم يرغبوا بالاستمرار في العمل من حراثة وحصاد وإعداد الأرض للمحاصيل الجديدة في أعمالهم لما بعد القبر أي العالم الآخر، لذا عملوا على أن يعهد بهذا العمل بالنيابة، فإن كلمات القوة التي تردد على التمثال تجعله يقوم بأعمال الشر والخير على حد سواء. لذا نظموا وصفة(١) كقصيدة وبترديدها فإن المتوفى كان يعفى من القيام بأي عمل، وعندما كان المتوفى، قبل وفاته، يردد ما

يأتي: «ارفع يد الرجل غير الفعال لقد أتيت من مدينة أونو «هيرمو بوليس Hermo Police»، إنني الروح المقدسة التي عاشت وقادت معها قلوب القردة» وعند ترديده هذه الترنيمة كان يعتقد بأنه سيعيش في العالم الآخر بلا عناء أو تعب ولكن لأن سكان سيخت ـ آرو يحتاجون إلى الطعام والشراب، فيجب أن يزودوا بالمؤونة لإعداد هذه الأطعمة وإنتاجها وكذلك أعمال الحقل. ولمواجهة هذه الصعوبة يدفن تمثال صغير للمتوفى معه بعد أن يردد الكهنة عليه كلمات القوة وكان من المفروض أن يقوم التمثال بالأعمال التي يأمره المتوفى القيام بها في مملكة أوزيريس (Osiris) ثم تنقش الكلمات على التمثال باللغة الهيروغليفية، وبعدها يزود التمثال بما يرمز إلى سلة الحبال وكذلك المحراث.... ومدرس يدوي للحنطة، تلك الأدوات التي يستعملها العامل المصري في حرث الحقول وطحن الحبوب. إن الوصفة أو كلمات القوة التي تنقش على التماثيل اختلفت باختلاف العهود، ولكن أقدمها، هي التي كانت تستخدم في السلالة الثامنة عشرة، وكان على الميت أن يقولها للتمثال الذي سمي في حينه (Shabti) شبتي:

«أوه يا شبتي يا كاتب نبسيني Nebseni إذا دعيت أو إذا عهد إلي بعمل من أي نوع من الأعمال في العالم السفلي أو من قبل أي رجل آخر فلا تقوم بأي معارضة أو تضع العراقيل، ودع الحكم يصدر بحقك بدلاً مني دوماً في قضايا الزرع ونثر البذور وملء المياه وجلب الرمل من الشرق إلى الغرب». وبعدها يجيء الجواب من التمثال: «حقيقة أنا هنا وسأقوم بكل ما تأمرني به». وكان المصريون حريصين على عدم القيام بأعمال إكساء الأرض وهذا ما يعنيه جلب الرمال من الشرق إلى الغرب، وكذلك زرع البذور، إذ كان على الرجل أن يقوم بالشتل ورجلاه في الماء تحت الشمس الحارة وكذلك جلب المياه من النهر بواسطة الشادوف (الناعور) (Shaduf) أي رفع مياه النيل وسكبها على التربة. ونجد في المقابر عدة تماثيل وقد وجد في قبر سيتي الأول Seti I ملك مصر ٠٧٣١ قبل الميلاد حوالي ٠٠٧ تمثال خشبي أوشابتيو (Ushabtiu) وقد نقش عليها الفصل السادس من كتاب الموتى وطليت بالقار. وقد استمر استخدام الشبتي إلى العهد الروماني حيث وجدت صناديق مملوءة بتماثيل، غير مصنوعة بدقة وغير منقوشة، من البورسلين مدفونة في المقابر مع الموتى.

ويمكن أن نذكر حادثة أخرى عن استخدام التماثيل المسحورة، وذلك من سرد رسمي عن مؤامرة ضد رمسيس الثالث ملك مصر حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد. والظاهر أن بعض الموظفين الكبار، وبضمنهم ناظر الخزانة وبعض الكتاب أو النسّاخ، تآمروا ضد الملك، وذلك لخلعه من العرش، وقد ورطوا بعض نساء البلاط «يعتقد البعض بأنهن من الحريم»، وأصبح مقر النساء الحرم مركزاً للتآمر. وكلف أحد الموظفين «بأن ينقل أقوالهن إلى أمهاتهن وأخواتهن لكي يقمن بإثارة الشغب بين الرجال وأن يؤلبن الرجال ضد سيدهم» وكلف الآخر بالاتصال بحلقات المجرمين وكلف آخر بأن يعرف بكل خيوط المؤامرة وإخفاء المعلومات. والآخر بأن يستمع ويصغي للمتآمرين مع النساء ولا ينقل أنباء المؤامرة التي كان يحوكها الرجال مع نساء الحريم (Per - Khent). وامتدت المؤامرة من مصر إلى إثيوبيا وتم زج أحد قادة الجيش فيها، بعد أن حرضته أخته على القيام بالجرائم والثورة ضد سيده. وكانت أخت القائد من حريم الملك، لذا تمكنت من تزويد أخيها بآخر أنباء المؤامرة. ولكن هوي (Hui) وهو موظف كبير مسؤول عن ماشية الملك لم يرضَ عن المؤامرة التي اشترك فيها الضباط والمدنيون وفكروا في استخدام السحر لمساعدتهم في مؤامرتهم. وعندما علم هوي بذلك ذهب إلى مكتبة الملك وحصل من مسؤول المكتبة على كتاب فيه وصفة سحرية وتعليمات عن ممارسة السحر. وبمساعدة الكتاب حصل على قوة خارقة وتمكن من صنع الرُقى السحرية للسيطرة على الشعب، وعندها فتش عن مكان ناءٍ لتطبيق الكتاب، بلا مقاطعة لعمله. وبعد مدة بدأ بعمل تماثيل من شمع، وكذلك تعاويذ كتب عليها كلمات القوة لإثارة المحبة، ونجح في إدخالها إلى القصر الملكي بواسطة الموظفين. والظاهر أن الذين حملوها والذين استلموها أصبحوا تحت تأثير هوي السحري والظاهر أن نماذج الحب كانت مصنوعة للسيدات اللائي شاركن في المؤامرة. أما تماثيل الشمع فكان هدفها أن تصيب الملك. واستمر هوي على التعمق في دراسة السحر وتمكن من القيام بأعمال شنيعة وشريرة مما أثار فزع الآلهة وكان عقاب هذه الجرائم الموت. وفي موضع آخر كتب عن هوي بأنه اتهم بكتابة الكتب السحرية ووصفات يمكن أن تقود الرجال والنساء إلى الجنون وأن ترعبهم وكذلك صنع تماثيل للآلهة والبشر وكان تأثيرها على الإنسان أنها تشله ولكن كل هذه الجهود فشلت. وتم اكتشاف المؤامرة وتم التحقيق في الأمر بواسطة محكمتي تحقيق. وكان قضاة التحقيق من أصدقاء الملك

وقال لهم الملك إن المتهمين يجب أن يموتوا بأيديهم، ولا أريد أن أسمع التفصيلات. وكانت المحكمة الأولى تضم ستة أشخاص، وحققت مع أزواج وأقارب حريم القصر الملكي. ولكن قبل بدء المحاكمة تم إلقاء القبض على ثلاثة منهم لأنهم كانوا تحت تأثير بعض سيدات القصر، وأنهم تناولوا الطعام معهن، مما جعلهم غير موضوعيين. وتم إقصاؤهم بأمر الملك، وتم قطع أنوفهم آذانهم كعقاب وتحذير للآخرين لكي لا يقيموا علاقات مع أشخاص ضد الملك أو من أعدائه. أما المحكمة الثانية المكونة من خمسة أعضاء فقد حققت مع المشتركين في المؤامرة واتهموا بأنهم أثاروا الرجال وحرضوهم ضد الملك وقد تم الحكم على ستة منهم بالموت إذ تم الحكم على بيتواران وذلك لاشتراكه مع أمه ثي (Thi) التي كانت تتآمر مع حريم القصر الملكي (Per-Khent)، وكان يهدف لإيذاء ملكه، وحكموا عليه بالموت أن يقوم بشنق نفسه. أما الشرير هوي الذي كان يصنع الرُقى الشمعية والتعاويذ السحرية فقد أجبر على الانتحار.

إن هذه القصة حول المؤامرة الشهيرة ضد رمسيس الثالث مفيدة، لأنها تدل على أن كتب السحر وجدت في المكتبة الملكية ولم تكن أطروحات حول السحر، ولكنها تضمنت تفصيلات وأعمالاً محددة مع تعليمات تفصيلية للقارئ لتعليمه كيفية القيام بالطقوس لجعل الوصفة أو كلمات القوة فعالة. ونرى أن تماثيل الشمع كانت تستخدم لأغراض الخير أو الشر، وذلك منذ السلالة الثالثة ولغاية السلالة العشرين، وأن الأفكار التي حملها المصريون كانت نفسها منذ ٠٠٢١ سنة قبل الميلاد وحتى ٠٠٧٣ قبل الميلاد، ونرى أن استخدام نماذج أوشابتو (Ushabtiu) قد تم لتمكين المتوفى من التخلص من أعباء العمل في عالم ما بعد الموت. وإن هذه النماذج استخدمت في فجر السلالات عندما كان المصريون مازالوا في أول الطريق نحو الحضارة من حالة شبه البربرية. ولا عجب إذ أن هذه الاعتقادات والمعتقدات سادت لفترة قبل أن تعرف البشرية أن قوى الطبيعة الجبارة لا يمكن أن يسيطر عليها الإنسان بأفعاله وكلماته الثانوية وغير ذات الأهمية ـ ولكن من الملاحظ أن استخدام النماذج الشمعية لعب دوراً أساسياً في الطقوس اليومية التي كانت تؤدى في معبد الإله آمن رع Amen - Ra في طيبة، وكذلك يلاحظ أن هذه الخدمات كانت تستخدم عندما كان المصريون مشهورين بين الأمم المتحضرة بثقافتهم وحكمتهم. ونجد في المعبد أن مجموعة من الكهنة الملحقين في المعبد استخدموا

تنظيم الترانيم والقصائد الدينية حيث توجه لتحقيق الاتحاد والقوة وجبروت الإله في كلمات لا غبار عليها، ومجموعة أخرى استخدمت للقيام بالطقوس وذلك لتحرير الشمس التي كانت تعبد على شكل الإله رع وهي رمز الإله على الأرض وذلك لتخليص الشمس من وحش سمي بأبيب (Apep).

ونلاحظ أن الفصل التاسع والثلاثين من كتاب الموتى هو عبارة عن قصائد وترانيم وأن هدفه القضاء على أفعى معينة سميت بعدة أسماء، وذلك لتخليص المتوفى من لدغاتها. ونرى في هذا الفصل كيفية التغلب على هذا الوحش، ويقول المتوفى لرع «رع حاول أن تعيد هذا الوحش إلى مكانه» ويخاطب الوحش قائلاً: «إنه يكرهك، إنه ينظر إليك، حاول العودة، إنه يحاول أن يلدغ رأسك، إنه يحاول تقطيع وجهك ويشطر رأسك إلى شطرين، وسحقهما بيديه، ويحاول سحق عظامك وتقطيع أوصالك، وإن الإله أكر (Aker) قد أدانك يا أبيبي يا عدو رع عد أيها القزم قبل أن تصيبك سهام أشعته... إن رع قد هزم كلماتك، إن الآلهة قد حولت وجهك إلى الخلق، وإن السنور يمزق صدرك. وإن العقرب ستلقي بسمها في جسدك. وإن معات (Maat) قرر إهلاكك. لقد وضع آلهة الجنوب والشمال والغرب والشرق السلاسل وقيدوه بالأغلال وقد أطاح الإله ريكس (Rekes) به، وقيده الإله هيرتت (Hertit) بالسلاسل».

إن تاريخ نظم هذه الترانيم غير معروف، ولكن النص يوجد بعدة أشكال في كتاب الموتى الذي كُتب إبان عهد السلالة الثامنة عشرة وفيما بعد تم تطوير الأفكار وتوسيع النص. وفي عهد البطالمة سمي الكتاب «كتاب الإطاحة بأبيب» (Apep) واحتوى على ٢١ فصلاً، وفي الوقت نفسه كان هناك نص آخر بالعنوان نفسه، ولم يكن مقسماً إلى فصول ولكنه احتوى على نصين لتاريخ الخليقة، وقائمة بأسماء الشر لأبيب (Apep) وترنيمة لرعRa، ومن ضمن النصوص فصل حول كيفية حرق أبيب. ويتضمن النص «تحرق بالنار يا أبيب عدو رع، إن عين حورس (Horus) تسيطر على هذا الملعون وروحه الملعونة وظله. إن شعلة عين حورس سوف تخترق عدو رع وكل أعداء الإله الجبار. إن الحياة والقوة والصحة في الحياة والممات سوف تعطى للشعلة عند حرق أبيب». ويقول النص ردد هذه الترنيمة «ذق طعم الموت يا أبيب عد إلى الخلف تراجع يا عدو رع اسقط، لقد أعدتك إلى الوراء وقطعتك إلى قطع».

ويردد النص:

رع انتصر على أبيب ذق طعم موتك يا أبيب

رع انتصر على أبيب ذق طعم موتك يا أبيب

أربع مرات، أي مرة لكل إله من آلهة الجهات الأربع. ويستمر النص «عد أيها الشرير، ستواجه النهاية. لذا وجهت الشعلة نحوك، لذا حطمتك، لذا سلمتك للشر. إنها نهايتك، ذق طعم موتك، إنها نهايتك، إنك سوف لن تبعث مرة أخرى».

وبعد ترديد كلمات القوة والترانيم تعطى التعليمات للقيام بالطقوس، وهي كما يلي: «إذا أردت تحطيم أبيب عليك ترديد هذا الفصل على تمثال له أو صورة تمثله باللون الأخضر وعلى ورقة بردي جديدة أو على تمثال له من الشمع وقد كتب عليه اسمه ثم يوضع على النار لتلتهم عدو رع وعليك أن تضع التمثال على النار في الفجر وآخر عند الظهر وآخر مع مد البحر المسائي عندما يرتاح رع في أرض الحياة وآخر عند منتصف الليل والآخر الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ثم في المساء أو خلال كل ساعات الليل والنهار وأيام الأعياد، إذ بذلك سيغرق أبيب ويشع رع، وعند حرق ورقة البردي مع صورته في نار من عشب الخيسو (Khesau) عليك مزج البقايا مع البراز ويرمى في النار وعليك أن تقوم بذلك في الساعة السادسة مساءً وعند بزوغ الفجر في اليوم الخامس عشر من الشهر وعند وضع التمثال على النار تبصق عليه عدة مرات في كل ساعة من النهار حتى يتحول الظل إلى شكل دائري ـ وعليك أن تقوم بذلك إبان عواصف الشرق في السماء حيث يرقد رع وذلك لمنع العواصف ـ عليك القيام بذلك لوقف المطر وزخات المطر وبذا تشرق الشمس».

وفي جزء آخر من الكتاب يقال لمن يلقي الترنيمة أن يقول وبوجه صارم:

«لتسقط على وجهك يا أبيب عدو رع إن الشعلة التي تنبثق من عين حورس سوف تسقطك في النيران الملتهبة وستلتهمك النيران. إن شعلته ستقضي على روحك ونفسك وكذلك تقضي على كلمات قوتك. إن سيدة النيران ستسيطر عليك، وستثقب الشعلة روحك وتقضي على شخصك. إن عين حورس القوية ضد أعدائها سوف تسقطك وتلتهمك وإن النار العظمى ستمتحنك. إن عين رع ستسيطر عليك وما يهرب منها سوف يكون بلا وجود، عد لأنك ستقطع إرباً، وروحك ستذوي، واسمك الملعون سيدفن في طي النسيان والسكون، وسيسقط من الذكرى...» الخ.

ولجعل هذه الكلمات ذات تأثير يجب أن يكتب الشخص اسم أبيب على ورقة بردي جديدة، وأن يحرقها إما عند بزوغ رع أو ظهراً أو في الغروب.

وفي مكان آخر، وبعد سلسلة من اللعنات التي يجب أن تقال شتماً لأبيب فإن التعليمات تقول إنها يجب أن تلقى من قبل شخص قد اغتسل طقسياً، وأن عليه أن يكتب على ورقة بردي جديدة كل الشياطين في عربة أبيب وبركاته، وكذلك أسماء آبائهم وأمهاتهم وأخواتهم، وأن عليه أن يصنع تماثيل من شمع لكل هؤلاء وبعد نقش أسمائهم يجب عليه ربطهم بشعر أسود ورميهم على الأرض وركلهم بالقدم اليسرى وطعنهم برمح صخري وبعدها ترمى في النار. وتعاد على القارئ جملة وأن عليه ترديد هذه النصوص أمام الإله العظيم بصورة منتظمة، إذ بهذا يحصل على قوت في هذه الحياة أو العالم السفلي. وأخيراً بعد ترديد أسماء أبيب فإن على الشخص المنتفع أن يصنع شكل أفعى وذيلها في فمها أي ملتفة وبعد أن تطعن في ظهرها ترمى على الأرض، وأن يقول أبيب، شيطان، بيتت (Fiend - Betet، Apep).

ولتدمير بقية الشياطين في ركاب أبيب على الشخص صنع تماثيل لهم، وأيديهم مربوطة إلى الخلف. ويسمون أولاد اللافاعلية. وتستمر التعليمات، اعمل أفعى أخرى بوجه قطة، على أن تطعن بسكين من الخلف وسمها حم حم (Hem Hem) أي المدوي، واعمل تمثالاً آخر بوجه تمساح على أن يطعن في ظهره وسمه هونا - آرو - هير - هرا Hauna - aru - her - hra، واعمل تمثالاً آخر بوجه بطة مطعونة في الظهر وسمها آلوتي (Aluti) واعمل آخر بوجه قطعة بيضاء مطعونة في الظهر، واربطها بشدة وسمها أبيب العدو، وقد تبنى المصريون هذه الوسائل لإيقاف المطر والعواصف والرعد والبرق والضباب والغيوم. وللتأكد من وجود سماء صافية لكي تقوم الشمس بأخذ مجراها.

وتحت عنوان التماثيل السحرية يجب أن نضمنها ما يسمى بتمثال بتاح - سيكير - أنسار Ptah - Seker - Ansar على أن يعمل من الخشب، وهو صلب عادة، وأحياناً يعمل مجوفاً ويوضع على قطعة خشبية مربعة إما مجوفة أو صلبة. إن هؤلاء الآلهة الثلاث بتاح - سيكير - أنسار، وأنسار يعني أوزيريس مصممة لتمثل إله بزوغ الشمس «بتاح»، أما إله شمس الليل فهو سيكير أما إله البعث فهو أوزيريس. واسم بتاح يعني الذي يفتح الأشياء وتطبق على الشمس لأنها تفتتح النهار. أما سيكير فيعني المغلق عليه. واعتقدوا أن الشمس تدفن مؤقتاً، وحياة الإنسان على الأرض

عرفت بالشمس إذ أنه يبدأ حياته مثل بتاح وبعد الموت يحبس أو يكفن، ولكن الشمس تبزغ مرة أخرى.

وتمنى المصريون أن يبعثوا بعد الموت في عالم ما بعد الموت ولكن الصعوبة تكمن في كيفية الحصول على حماية مجمع الآلهة الثلاثي، لذا صمموا التمثال ليضم صفات الآلهة الثلاث ويوضع على مربع يمثل التابوت أو الصندوق الذي تنبثق منه، ويكتب على التمثال وقاعدته الرباعية صلوات من أجل الرجل الذي تصنع له التماثيل. واعتقدوا أن قوة الآلهة الثلاث تحل في التمثال. ولجعل القاعدة كالتابوت يؤخذ جزء من جسد الميت ويحنط ويوضع في القاعدة. واعتقدوا أن الآلهة إذا حمت هذه القطعة وإذا أعيد تحنيطها في الموسم المناسب فمعنى ذلك أن كل الجسد سيحمى وينبعث. وفي الفترة الأخيرة كانوا يعملون ثقباً وتدس فيه ورقة بردي فيها نصوص عن كتاب الموتى. وبذا يضمن الميت أماناً إضافياً لانبعاث جسده الأثيري في العالم الآخر وتملأ الورقة بنصوص قصيرة وبالنسبة للكاهنة Anhai أنها فقد زودت بورقة كبيرة وقد مثل الإله على شكل أوزيريس فقط مع ورقة عنب وضعت داخل التمثال، وتوجد نصوص أخرى غير مفهومة دليلاً على أن كاتب تلك الرقى لم يفهم معناها والظاهر أنها للفقراء.

وفي عودة إلى تماثيل الشمع، فهناك تساؤل لماذا صنعت وعلقت في رقاب الموتى من كل أنواع المواد كرُقى ما عدا الشمع وهذا طبيعي لأن الشمع يتغير لونه وشكله نتيجة الحرارة.

ويحتفظ المتحف البريطاني بتعويذة من شمع تمثل أولاد حورس الأربعة أو آلهة الجهات الأربع سميت ميستا، هابي، تواموتيف، وخيب حسيوف Mestha, Hapi, Tuamutef, Qebhswuf. وترتبط بهم الآلهة إيزيس Isis، ونيفثيس، ونيث وسيركيت Nephthys, Neith, Serqet.

وكان ميستى برأس رجل ويمثل الجنوب ويحمي المعدة والأمعاء الغليظة. أما هابي فكان برأس كلب ويمثل الشمال ويحمي الأمعاء الدقيقة. أما تواموتيف فكان برأس ثعلب ويمثل الشرق ويحمي الرئتين والقلب. أما خيب حسيوف فكان برأس صقر ويمثل الغرب ويحمي الكبد والمثانة وكانت الأحشاء الداخلية للميت تزال قبل التحنيط وبعد تقويتها بمواد مقوية وبالقار تلف بلفائف وتوضع في أربع جرار من الحجر أو المرمر أو البورسلين أو جرار خشبية وكل جرة توضع تحت

حماية أحد أبناء حورس الأربعة أما غطاء الجرة فيصنع على شكل رأس أحد الآلهة وبعد الكتابة على الجرّة تصبح مقراً للإله. ومعنى وضع الأحشاء في الجرة وضعها في جسد الإله.

إن عادة تحنيط الأمعاء هي عادة قديمة جداً ووجدت أمثلة عديدة على ذلك في السلالة الحادية عشرة. وحتى في هذه الفترة القديمة وجدت أربع جرار فيها الأحشاء محنطة ووضعت في صندوق الدفن وكان الصندوق يوضع على مزلجة زحافة تسحب في الموكب الجنائزي بعد التابوت وفي الحقبات الأخرى فإنهم سعوا للحصول على حماية الآلهة بدون مصاريف الجرار، إذ تدفن معه أربع جرار مزيفة أو تماثل من البورسلين للألهة الأربعة (أنظر ص٠٩)، أو أربع من الشمع، والصورة في (ص٠٩) مصنوعة من الشمع، وإن أجزاءً كبيرة من الأعمال الجنائزية في السلالات المبكرة كانوا يمثلون دعائم السماء الأربع وبعدها اعتبر كل منهم إلهاً لأحد أركان الأرض الأربعة، وكذلك منطقة السماء فوقها، لأن الصلوات على الميت تستدعي أن يتمكن من التجول في أي مكان في الأرض أو السماء. لذا كان من المهم الحصول على رضا هؤلاء الآلهة وحمايتهم، وذلك بترديد بعض كلمات القوة فوق تماثيلهم أو فوق الجرار التي تمثلهم.

ولكن من دون كل ملوك مصر المعروفين بأعمالهم السحرية، فإن نيكتانيبوس Nectanebus، وهو آخر ملوك مصر من المصريين وذلك في عام ٨٥٣ ق.م. كان الرئيس كما يقول الإغريق وذلك بموجب بوسيدو كاليستينس Pseudo-Callislenes وأعماله التي ترجمت إلى اللغة الفهلوية والعربية والسريانية ولغات ولهجات أخرى فإن الملك كان شهيراً بأنه ساحر وحكيم، وكان مثقفاً ثقافة عميقة بكل علوم مصر، إذ كان يعرف ما في أعماق النيل وفي السماء وكان يتقن التنجيم وتفسير النذير، وكذلك وضع التعاويذ وفي قراءة الطالع، والتنبؤ بالمستقبل لطفل لم يولد بعد وعمل مختلف الأعمال السحرية وكما نرى فإنه سمي بسيد الأرض، ويمكن أن يحكم كل الملوك بقواه السحرية، وعندما كان يهدد بالغزو البري أو البحري فإنه كان ينجح في تحطيم أعدائه وطردهم من سواحله وحدوده، وكان يقوم بذلك بالطريقة الآتية:

فإذا جاء العدو من البحر فإنه لا يرسل بحارته، بل كان يعتزل في غرفة خاصة، ويأتي بإناء لهذا الغرض ويملأه بالماء ويعمل تماثيل من شمع لسفن العدو،

وكذلك لسفنه ورجاله ويضعهم في الإناء على الجانبين كمعركة مزيفة، ويدخل واضعاً عباءة النبي المصري، وفي يده عصا من الأبنوس. وبعدها يردد كلمات القوة، ويدعو الشياطين من العالم السفلي، وتبدأ التماثيل بالتحرك لأنه يبعث فيها الحياة، وتنتصر جيوشه من التماثيل على جيوش العدو من التماثيل، ويغرق الأسطول المعادي في قعر الإناء، وكذلك يحصل في الواقع. وبهذه الطريقة حافظ على موقعه وقوته وبقيت مملكته في سلام لمدة طويلة، ولكن مصر سقطت يوماً إذ جاءت مجموعة من فرقه العسكرية المتقدمة وأخبرته أي نيكتاينبوس بأن مجموعة من الأمم في الشرق عقدت عصبة متحدة ضد مصر وأن قواتهم المتحالفة تسير نحو مصر. وعندما سمع الملك الأنباء ضحك وقال كلمات نابية عن أعدائه، وذهب إلى غرفته الخاصة وملأ الإناء ماءً وبدأ طقوسه السحرية، وبعد قراءة كلمات القوة شاهد تماثيل الآلهة الشمعية المصرية وبخيبة تتجه نحو العدو وبدأت تدير دفة سفنهم، وقادت جنودهم ضده وعندما رأى نيكتانيبوس ما رأى عرف أنها نهاية مصر ودولته فترك الغرفة مسرعاً، وحلق شعره ولحيته، وتنكر بلباس العامة وأخذ سفينة وهرب إلى بيلا في مقدونيا حيث نصب نفسه طبيباً وطبيباً مصرياً روحانياً.

وإن حذفنا أي إشارة إلى ما يحتويه الفصل الرابع لبوسايد ـ كاليانيس، حيث نجد وصفاً للأولمبياس كما عملها نيكتانيبوس ونصل إلى فقرة تقص علينا الطريقة التي أرسل بها حلماً إلى الملكة بأن الإله المصري آمين آمون (Amen) سيزورها ليلاً، وتركها وذهب إلى الصحراء، وجمع أنواعاً من الأعشاب وكان يعرف كيفية استخدامها ليجعل الناس يحلمون أحلاماً.

وبعد أن عاد بالأعشاب عصرها، وأخرج عصيرها وعمل تمثالاً لامرأة من شمع، وكتب عليه اسم أوليمبياس، وكما قام كاهن طيبة بعمل تمثال لابيب من شمع ونقش اسمه عليه، وبعدها أشعل نيكتانيبوس الفانوس وبعد أن صب العصير على تمثال الملكة وأوعز للشياطين بأن يوحوا إلى أوليمبيا بأن تحلم حلماً بأن الإله آمين زارها في الليل وقبّلها وقال لها يجب أن تلد ولداً، وسوف ينتقم ابنها من أبيه فيليب. وهذه الوسائل الموصوفة ليست الوحيدة التي مارسها نيكتانيبوس للحصول على الأحلام. فإنه عندما أراد أن يرى فيليب ملك مقدونيا بعض الأحلام، ولأخذ موقف مما يراه فإن الحكيم كان يرسل صقراً مسحوراً إلى فيليب وهو نائم، وفي ليلة واحدة يطير الصقر من مقدونيا إلى مقر فيليب، ويخبره ما يجب أن يراه في

أحلامه. والظاهر أنه كان يحلم بذلك. وفي الصباح يطلب فيليب من أحد العرافين تفسير الحلم، وكان سعيداً عندما علم أن زوجته أوليمبيا ستضع طفلاً، وأن أباه هو الإله آمن أمو Amon من ليبيا ويعتبر والد كل الفراعنة الذين حكموا مصر والذين لم يكونوا من السلالة الملكية.

وهنا بالنسبة لاستخدام المصريين للتماثيل الشمعية توجد قصتان لابد من ذكر إحداهما حول الاسكندر المقدوني. ومن الواضح أن هذه الممارسات جاءت إلى الإغريق من المصادر المصرية. وكان الكاتب العربي ابن شاكر في القرن الثالث عشر أشار إلى تقليد لدى أرسطو إذ أعطى الإسكندر عدداً من التماثيل الشمعية وقد ثبتت في الصندوق بسلاسل، وأمره بألا تغيب عن ناظره حتى مع أكثر خدمه ثقة. وكان الاسكندر يصطحب معه التماثيل أينما ذهب وعلمه أرسطو أن يقرأ عليها بعض التعاويذ الخاصة. أما التماثيل فضمت مختلف الأنواع لقوات الأعداء الذين من المحتمل أن يواجههم، فبعضها بسيوف مشرعة إلى الخلف والسهام موجهة إلى أسفل، وبعضها فيها أقواس بها أوتار مقطعة؛، وكلها تركت في الصندوق وهي مطأطئة، وبمعرفتنا أفكار المصريين والإغريق فمن الواضح أن تزويد الاسكندر بهذه النماذج وكلمات القوة فقد اعتقد أرسطو أنه يعطيه وسائل لجعل أعدائه على صورة التماثيل في الصندوق ويكونون بلا حول ولا قوة لمهاجمته.

وفي الفترة الغريكو - رومانية فإن تماثيل الشمع استخدمت للطقوس السحرية من كل نوع، وهناك مثلان على ذلك، إذ أن الأفكار المحيطة بهذه الأعمال لم تتغير كثيراً فإن أراد محب أن يرى معشوقته تبادله الحب فإنه يعطى تعليمات بصنع تمثال لكلب من الشمع ممزوج بالعلكة وورقة ابريقية Pitch وتصنع له ثمانية مخالب وعلى أن تكتب عليه كلمات القوة. وذلك على جزء من دفته. وكان من المهم الكتابة على رقيم لوضعه على حامل ثلاثي القوائم وعند تحضير ذلك يقرأ المحب الكلمات على دفة الكلب وعلى الاسطوانة ويحدث أحد شيئين. مثلاً فإما أن يزمجر الكلب على المحب، أو يعوي، فإن زمجر فسوف لن يحصل على ما يريد. ولكن إذا عوى فسوف تأتي السيدة. وفي موضع آخر ينصح المحب بعمل شكلين أحدهما على شكل Aras آرس إله الحرب عند اليونان والثاني على هيئة امرأة وأن يكون تمثال المرأة وهي راكعة، ويداها مربوطتان إلى الخلف، والرجل يقف فوقها وسيفه مسلط إلى رقبتها. وعلى الشخص كتابة العديد من أسماء الشياطين على

فخذ المرأة، وبعدها على المحب أخذ ٣١ ابرة نحاسية، وأن يخزها في فخذيها ويقول «هنا ثقب الأفخاذ» وعليه أن يكتب على الأرداف أسماء الشياطين وبعدها يكتب بعض كلمات القوة على صحن من الرصاص وأن يربط هذا بالتماثيل الشمعية، وأن تدفن هذه المواد في قبر شاب أو شابة قُتل بصورة عنيفة وعليه أن يترنم بترنيمة طويلة عن إله الجحيم وعند عمل ذلك سيحصل على رضا السيدة، على أن تربط التماثيل بخيط فيه ثلثمائة وخمس وستون عقدة وتدفن بعدئذ كما بيّنا سابقاً.

وبعد القيام بهذه الطقوس واستحضار آلهة الجحيم فإنه سيحصل على عطف محبوبته.

ومن مصر وعن طريق اليونان وروما، دخل استخدام الشخوص من الشمع إلى أوروبا وانكلترا في القرون الوسطى. إذ كان العديدون مهتمين بالسحر الأسود على أعدائهم أو جيرانهم. وهناك العديد من القصص تروى في ايطاليا وانكلترا بأن الناس العوام والأشخاص الأشرار عملوا نماذج لأعدائهم وعلقوها في المدخنة قريباً من النار لكي يذوبوا تدريجياً وأن مثل هؤلاء الأشخاص الذين يوجه إليهم السحر فقدوا السيطرة على سيقانهم ولم يتمكنوا من النوم ويمرضون ويموتون تدريجياً وببطء. أما إذا وخزت بالإبر فإن الموجهة ضدهم يتألمون كثيراً وسيكون موتهم محزناً.

ويقول شارب إنه في القرن السابع لم يكن الملك دوفوس Duffus له شعبية، وإن مجموعة من العرافات والسحرة وضعوا تمثالاً له من الشمع على قاعدة وكرروا عدة قراءات وتعاويذ، ورموا سائلاً ساماً على التمثال وذاب الشمع، لذا كان من الواجب أن يتفسخ جسد الملك، لأن الكلمات تمنع عنه النوم.

وهنا مقتطفان من توماس مولتون وكتاب «السحرة» ويظهر فيهما وجهة نظره حول التماثيل السحرية في انكلترا في وقت كتابة الكتاب.

مقتطفات من كتاب الساحرة:

هيكات: هل قلب الشمع مغروس فيه الإبر السحرية؟

ستادلين Stadlin: نعم هيقات

هيقات Heccat: وهل وضعت صورة الفلاح وزوجته وأولاده في النار؟

ستادلين: نعم وهم يشؤون لاو وثلاثة أشهر مرض ستمتص الحياة منهم.

هيكات: حسناً، نخاع عظامها يذوب غزيراً، وشهور مرض ثلاثة تمتص منها (Act I Scene 2 الفصل ١ المنظر ٢).

هيقات: أي نوع تتمنى إلى الماجايلدس Almachilds.

الدوقة: سكته وبطريقة ناعمة.

هيقات: هنا هدايا الموت الفجائي وبطريقة ناعمة. إن صدرته مصنوعة من الشمع وقد أذيبت برقة وبنفخ النار في عين الميت فإنه سيذهب إلى العدم بدرجات.

الفصل ٤ المنظر ٢

أما السيد ايلوورثي Elworthy في كتابه «العين الحسودة أو الشريرة» فيتحدث عن حرق القلوب المزخرفة والمملوءة بالدبابيس لأهداف سحرية. ففي السنوات الماضية كانت توجد امرأة في مندب، وتمرّض خنزيرها، وقررت أن الخنزير محسود، لذا استشارت ساحراً بالسحر الأبيض أو رجلاً حكيماً، وتصرفت بموجب أوامره، إذ أخذت قلب خروف وبعد أن ملأته بالدبابيس بدأت تشويه أمام النار، والأصدقاء والجيران يغنون:

ليس هذا القلب الذي أريد حرقه ولكن قلب الرجل الذي أتمنى أن أوذيه وأتمنى لهم أن يعيشوا بلا راحة أو سلام حتى يموتوا ويذهبوا.

وفي فترات الاستراحة كان ابنها جورج يرش الملح على النار، مما يضيف إلى المنظر غرابة، وحتى الليل، وعندها قفزت قطة سوداء. وبطبيعة الحال اتهمت بأنها الشيطان الذي تم إخراجه وفي أكتوبر ٢٨٨١ وجد قلباً مملوءاً بالدبابيس في مدخنة في بيت قديم في قرية آش برتل وفي ٠٩٨١ وجد آخر معلقاً في المدخنة في بيت في ستابل غروف.

وان في عمل مثل هذه التماثيل يعزوها جيمس الأول إلى الشيطان ويصف الأشياء التي يمكن أن تحدث تأثيراً بأنها تحدث بتأثير قوة سيدهم أي الشيطان إذ يعلمهم كيفية صنع صدر من شمع أو طين فإن الشخص الذي يحمل اسم التمثال يذوب أو يجف مرضاً.

إنهم يقدرون أن يسحروا النساء والرجال بشي صورته ولو أن الشمع غير مؤثر ولكن بإجراء الطقوس فإنهم يضعفون روح المريض ونتيجة عدم عمل جهازه الهضمي فإن الشخص يذوي.

لذا نرى تأثير تماثيل الشمع لمدة ستة آلاف عام ومن كتابه لكتاب المحدثين فإن هذه الممارسات مازالت تمارس في بلادنا في الوقت الحاضر.

ويمكن أن ننهي هذا الفصل بقصة عن تاجر مسيحي محمل في الشرق الأوسط حول استخدام التماثيل الشمعية، فبموجب مخطوطة اثيوبية في المتحف البريطاني، وكان الرجل صاحب سفينة ويريد إرسال بضائعه بسفنه ولكن في أيامه كان البحر مليئاً بالقراصنة. وقد خسر كثيراً نتيجة هجومهم على سفنه، وقرر أخيراً السفر على إحدى سفنه مع رجال مسلحين، وذلك لمقاومة أي هجوم وأن يعاقب القراصنة على سرقاتهم وبعد إبحاره فاجأته سفينة قراصنة، وبدأت معركة وقد ضربوه في سهم في عينه فقرر الوقوف في ميناء يقع قرب دير. ويقال إن العذراء تصنع معجزات فيه بواسطة إحدى صورها وعند وصول التاجر مرض نتيجة إصابته، ووجدوا أن قطعة من السهر مازالت في عينه وشعر بأنه إن لم يطلب مساعدة العذرا فسيموت ليلاً وجاء مسيحي على السفينة وعمل تمثالاً للتاجر من شمع وفي عينه السهم وحمل التمثال إلى الدير وسمح له الرهبان بإدخاله ليلاً على العذراء. وبعد أداء الصلاة بدأت يد العذراء تتحرك من اللوحة وسحبت نموذج السهم من عين التمثال للتاجر، وبعد أن تمثال الشمع للسفينة فقد رأوا أن جزءاً من السهم في عين التاجر قد انتزع وتم شفاء التاجر وعينه واستعاد النظر.

يبدو واضحاً مما ذكرناه في أعلاه بأن المصريين اعتقدوا وآمنوا بإمكانية بعث الحياة بواسطة الصيغ والكلمات السحرية لأي نموذج مصنوع على هيئة إنسان أو حيوان وأنه يعمل ذلك النموذج إما نيابة في صالح الشخص أو ضد عدوه. وبجانب ذلك آمن المصريون بفعالية نماذج أو صور الآلهة والكائنات المقدسة، شريطة ترديد الكلمات السحرية بشكل صحيح من قبل أناس يُختارون لهذا الغرض، بعد أن تُتلى عليهم تلك الصيغ والكلمات السحرية. وإذا تم الإيمان بهذه الحقيقة فإنه ستتلاشى العديد من الصعوبات التي نواجهها لفهم النصوص الدينية، وتظهر العديد من الحقائق، التي قد تبدو صبيانية، ذات معنى وأهمية. فإذا نا نظرنا إلى قبور العصور الأولى، نشاهد عدداً من المشاهد مرسومة على الجدران، يبدو فيها الميت وهو يقدم قرابين إلى الآلهة ويقوم بالطقوس الدينية فيها وكأنه يدير أعمال مقاطعته وشؤون بيته. ولم تكن تلك الرسوم والمشاهد المرسومة على الجدران نتيجة كبريائهم، إذ آمن المصريون بها وكانوا في الحقيقة يأملون بأن يكونوا صوراً تمثل ما سيفعله

الميت في العالم الآخر، ويعتقدون بأن ابتهالات تلك الصور وصلواتها ستتحول إلى واقع وحقيقة. لقد كان الثري المصري (يوصي) أو يترك خلفه وسائل تقديم القرابين التي يحتاجها بديلهُ (كا Ka) الذي كان قادراً على تقديم القرابين والابتهالات للحفاظ على قبره وعلى غرفة بديله (كا Ka) وعلى الكاهن أو الكاهنة اللذين يرعيان قبره.

لقد آمنت جميع الطبقات في مصر القديمة بأنه ما لم يتم إطعام البديل (كا Ka) بشكل جيد فإن روح الميت ستهيم وتلتقط الأوساخ أو أي شيء آخر تجده في طريقها، كما سنرى في الفصل IIInd من كتاب الموتى حيث تردد روح الشخص الميت:

«أيها الشيء البغيض القاطن في جسدي لا تدعني أتناول طعاماً.

أيها الشيء البغيض القاطن في جسدي، أيها الشيء البغيض في جسدي إنك قذارة، لا تدعني أتناول منه شيئاً بدلاً من الكعك [الذي يُقدم الى] البديل (كاو Kau). لا تدعه يشع على جسدي، لا تدعني أضطر إلى تناوله بيدي ولا تدعني مضطراً إلى السعي بصندلي».

وفي الفصل CLXXXIX يبتهل إلى الآلهة بأن لا تدعه يضطر إلى أن يتناول شراباً قذراً أو مدنساً وبأي شكل من الأشكال. والرجل الثري لم يكن متأكداً من أن قرابين الطعام والشراب في قبره يمكن لها أن تبقى إلى الأبد:

ماذا سيفعل الرجل الفقير لإنقاذ بديله (كا Ka) من معاناته بتناول طعام رديء وماء قذر؟

لأجل الخروج من هذا المأزق، يتم صنع مَذبح من الصخر، كما يتم صنع نماذج من الكعك وأقداح مملوءة بالماء والفواكه واللحم الخ... وعند استحالة صنع هذه النماذج من القرابين يتم نحتها على الصخر نفسه. وعند استحالة تحمل أقارب الميت نفقات صنع مذبح الميت، يتم وضع صورة للمذبح والقرابين توضع في القبر، وطالما تم الحفاظ على تلك الصور والنماذج، عن طريق الابتهال والتضرع، فإن البديل (كا Ka) لا يكون بحاجة إلى طعام.

وفي بعض الأحيان لا يتم وضع مذبح أو نموذج أو صورة للمذبح في القبر والتضرعات لأنه تمنح الآلهة الطعام المحفوظ في القبر إلى الميت والمنقوشة على بعض الأثاث الجنائزي، كانت هي وحدها المؤونة المحفوظة لاحتياجات البديل (كا Ka).

ولكن إذا ما مرّ شخص بجانب القبر يردد ذلك الابتهال مشفوعاً بذكر اسم الشخص المدفون في ذلك القبر، فإن بديله (كا Ka) سيزود بمؤونة طازجة من قرابين اللحم والشراب، إذ سرعان ما تصبح نماذج أو صور تلك القرابين المثبتة في النقوشات مواد حقيقية. وكانت توجد داخل التوابيت الخشبية التي تعود للسلالة الثانية عشرة XII أي حوالي ٠٠٥٢ ق. م، صور لمجموعة من الأشياء التي كانت في الأزمنة التي سبقت تلك السلالة توضع في القبور مع المومياءات، ولكن تدريجياً توقف الناس عن تقديم مختلف القرابين ذات العلاقة بقبر الميت التي تصفها الابتهالات القديمة والتجأوا إلى النصوص والصيغ التي رسموها على التابوت لتتحول الصور إلى مواد كما بادروا إلى وضع أشياء أخرى صغيرة إلى جانب وسادة الميت في القبر.

وبعد مرور ألف سنة، عندما كتبت النصوص الدينية والتي مثلت كتاب الموتى والتي كانت تكتب على متن البردي بدلاً من كتابتها على التوابيت ظهر عدد كبير من الرسوم التوضيحية التي أضيفت إليها، وقد علقت أهمية كبيرة على تلك الرسوم والكتابات. والنص التالي جدير بالملاحظة:

سيتم التذكر بأن الفصل CXXV من كتاب الموتى يحتوي على ما يُطلق عليه «الاعتراف السلبي» الذي يُردد في قاعة (ماتي Maati) مع ذكر عدد من أسماء الآلهة والكائنات التي كانت معرفتها مهمة لرفاهية الميت. وفي نهاية الفصل نجد البيان التالي: «يُردد هذا الفصل من قبل الميت بعد أن يُطهّر وعندما يرتدي الملابس الجميلة ويرتدي صندلاً من الجلد الأبيض، ويتم تكحيل عينيه بمادة الأثمد (الكحل) Antimony، ويتم دهن جسده بمادة تمنع التفسخ، وعندما تُقدّم القرابين المؤلفة من الثيران والطيور والكعك والمزر (شراب وهو نوع من الجعة) وأعشاب الحدائق. وعندما تقوم برسم ما سيحدث في قاعة (ماتي Maati) على الآجر المفخور من تراب لم يدنسه خنزير أو أي حيوان آخر. وإذا ما سطر عليه هذا الفصل فإن جسد الميت سيزدهر، كما أن أبناء الميت هم الآخرون سيزدهرون، وسيظل اسمه محفوظاً إلى أبد الآبدين. وسيقدم له رغيف الخبز والكعك واللحوم اللذيذة والنبيذ وستقدم له اللحوم في مذبح الإله العظيم. وسوف لن يتم إرجاعه عند أية بوابة في العالم السفلي، وسوف يتم استقدامه مع ملوك الشمال والجنوب وسيكون من أتباع (أوزيريس Osiris) دائماً والى الأبد». وهنا أيضاً يظهر لنا مثال واضح على التأثيرات

البعيدة المدى في الصورة التي تصاحبها كلمات القوة المناسبة، وكل صورة في كتاب الموتى كان لها تأثيرها في تقديم نتيجة معينة وكانت تلك النتيجة مرتبطة دائماً برفاهية الميت.

وحسب ما ورد في العديد من الفقرات والفصول كان الميت في رعب دائم خشية عدم حصوله على الهواء والماء والطعام في العالم السفلي ولأجل تفادي وقوع مثل تلك الكوارث، كانت (رمز الهواء والرياح والتنفس) بيديه وهو واقف حتى كامله في الماء.

كانت تلك الصور مرسومة على متن البردي الخاص به، ونصوص مشابهة للمدرج في أدناه مسطرة تحتها. «إن فمي ومنخريّ مفتوحة إلى تاتو Tattu (بوسيريس Busiris)، ولديّ مكان للسلام في (آنو Annu) (هيليوبوليس) الذي هو بيتي لقد شيد لي من قبل الآلهة (سيشتا Sesheta) وقام إله (كنيمو Khnemu) بتشييده وأقامه على جدرانه من أجلي...» «تحية لك أيتها الآلهة (تيم Tem) امنحيني النسمة الطيبة الموجودة في منخريك! إني أقبّل تاجك العظيم الموجود في (كيمينو Khemenu) (هيرموبوليس Hermopolis). وسأظل أرقب بيضة الدجاجة الكبيرة، وسأفرخ عندما تُفرخ وسأعيش كما تعيش وستكون أنفاسي هي أنفاسها».

ولكن مايزال هناك سر عظيم آخر يجب إنجازه إذا ما أراد الميت التمكن من دخول الجنة من أبوابها الأربعة بإرادته، والتمتع بالهواء الذي يهب من كل بوابة، فريح الشمال تعود إلى (أوزيريس Osiris)، والريح الجنوبية إلى (رع Ra) والريح الغربية إلى (ايزيس Isis) والريح الشرقية إلى (نيفثيس Nephthys) وعلى الميت أن يحظى بالسلطة على كل بوابة وجميعها ضرورية له ليصبح سيد البوابات التي تهب منها الرياح.

ويمكن الحصول على تلك السلطة برسم صور للبوابات الأربع على تابوت الميت وصورة (توث Thoth) وهو يفتح كل بوابة. وترتبط بهذه الأعمال أهمية خاصة فالسنة الدينية المتبعة تنص على أنه «لا تدع شخصاً من الخارج يعرف هذا الفصل لأنه سر كبير، فلا تدع أولئك الذين يقطنون المستنقعات (أي الجهلة) يعرفون ماهيته، ولا ينبغي لك أن تقوم بهذا في حضور أي شخص باستثناء أبيك أو ابنك أو تقوم به بنفسك ولوحدك، لأنه حقاً سر غامض للغاية لا يعرفه أي شخص مهما يكن».

إن أحد الأمور المبهجة التي يشتهيها الميت هو الإبحار بزورق شراعي في الجنة (في زورق رع Ra) بصحبة آلهة دورة أوزيريس الجنائزية، ويمكن ضمان تحقيق هذه الرغبة للميت برسم صور بعينها وتلاوة كلمات قوة معينة عليها. ويُرسم بالحبر على متن بردي نظيفة وورق مصنوع من مادة (الآبوت Abut) الخضراء اللون ممزوجة بمادة تقيها من الماء وتظهر في الصورة (ايزيس، توث Thoth، شو Shu، وكيبيرا Khepera وصورة الميت). وعندما يتم إنجاز ذلك يجب ربط متن البردي على صدر الميت مع الحذر من أن تلامس قطعاً جسده، وعندئذ تبتهج روحه بدخول زورق (رع Ra) كل يوم ويلتفت إليه الإله (توث Thoth) ويهتم به، ويقوم بالابحار مع (رع Ra) إلى أي مكان يرغب فيه.

وفي مكان آخر تصدر الأوامر برسم زورق (رع Ra) في مكان طاهر وتُرسم في الأقواس صورة الميت، ولكن (رع Ra) كان من المفروض أن يسافر في زورق يدعى (آتيت Atet) وذلك حتى الظهيرة، وفي زورق آخر يدعى (سيكتيت Sektet) حتى الغروب. ويجب توفير المؤونة للميت في الزورقين. كيف يتم ذلك؟: يُرسم نموذج لزورق رع الصباحي على أحد جانبي صورة الزورق، وعلى الجانب الآخر صورة للزورق المسائي، وبهذا تصبح الصورة الواحدة مؤهلة لأن تكون زورقين. ويتم تقديم القرابين المناسبة للميت في يوم ولادة (أوزيريس) إذ تعيش روحه إلى الأبد، فلن يموت مرة ثانية.

وبحسب التعاليم الدينية المتبعة في الفصل الذي وردت فيه التوجيهات التالية، فإن النص فيه قديم بقدم (هسبتي Hesepti) الملك الخامس للسلالة الاولى الذي حكم حوالي ٥٣٤٠ ق.م. وان تقليد او عادة رسم الزورق على متن البردي ربما كان معاصراً. والعنوانان التاليان من الفصلين (CXXXIII & CXXXIV) على التوالي يفسران أهمية مثل هذه الصور.

١ ـ «يتلى هذا الفصل على زورق طوله أربعة أذرعü على أن يكون الزورق مصنوعاً من البورسلين الأخضر منقوشاً عليه رسوم آلهة المدن المقدسة وهيئة السماء بنجومها. وعندما تقوم بالطقوس، يجب أن تكون نقياً بعد أن تتطهر بالبخور والنطورون وعليك أن ترسم صورة (رع Ra) باللون الأصفر على صفيحة معدنية وتثبتها على أحد جانبي الزورق. ثم ترسم صورة الروح داخل الزورق على أن تكون صورة الروح على هيئة زورق الإله (رع Ra) لكي تسافر. وسيرى الميت هيئته في صورة

(رع Ra) ولا تسمح لعين أي رجل أن تقع عليها سوى عينك أو عين أبيك أو ابنك. وحافظ عليها وبذا ستصبح الروح نقية في روح (رع Ra) وستمنح الميت قوة في صحبة الآلهة. وسينظر إليه الآلهة ككائن مقدس كما ينظرون إلى أنفسهم. وسيسجد له البشر والأموات إذ سينظر إليه في العالم السفلي على هيئة نور (رع Ra)».

٢ ـ «يجب أن يتلى هذا الفصل على صقر واقف ومتوج بتاج أبيض وأن تُرسم صورة الآلهة (تيم Tem، شو Shu، تفنوت Tfnut، سب Seb، نت Nut، أوزيريس، وإيزيس، وسوتي Suti، ونفثيس Nphthys) باللون الأصفر على صفيحة معدنية رقيقة على نموذج زورق (رع Ra) إلى جانب صورة الروح التي ترغب في أن تجعلها نقية وأن تطهر هذا النموذج بدهن الأرز وأن توقد البخور وتقدم ضحية من الطيور المشوية وذلك تعبيراً عن الشكر إلى (رع Ra) الذي يسافر ويسمح للإنسان بأن يحمل هيئته مع (رع Ra) يوماً بعد يوم وحيثما يسافر الإله (رع Ra). وإن هذه اللوحة ستحطم أعداء (رع Ra) دائماً. وكثيراً ما تحمل الصور والنقوش الصغيرة التفسيرات معها. فمثلاً صورة الروح التي تحوم حول جسد الميت الراقد تحتها على النعش تشير إلى إعادة توحيد الروح مع الجسد، وصورة الميت تخرج سائرة من «غرفة الذابح» وصورة السكين التي يقطر منها الدم تشيران إلى الهرب من الموت القاسي، وصورة الروح والنفس وهما واقفتان أمام باب مفتوحة تشير إلى تحرر الروح واستطاعتها التحول كلما رغبت، وصورة الروح والظل في حالة المرور خارجاً من بوابة القبر تشير بوضوح إلى أن تلك الأجزاء من ممتلكات الرجل لم تُحفظ في القبر إلى الأبد.

ولكن الأمطار التي دعت إلى رسم نقوش ورسوم أخرى لا تبدو واضحة على سبيل المثال، تلك التي تصاحب الفصول (CLXII - CLXV) في الجزء المنقح من كتاب الموتى، رغم أن عناوين تلك الفصول تجعل مواضيعها واضحة. وبذلك تصبح الصورة المثبتة في أعلى الفصل CLXII، هي صورة بقرة بقرنين وتحمل على رأسها قرص الشمس وثمرتي خوخ. ونستخلص من التعاليم الدينية أن نموذجها ينبغي أن يُصنع من مادة الذهب ويُثبت في رقبة الميت، ومن صورة أخرى مرسومة على متن بردي جديد نعرف أن نموذجاً آخر يوضع تحت رأسه أيضاً.

وإذا ما تم ذلك، فإن دفئاً كبيراً سيدب في كل أنحاء جسد الميت حتى أنه كالدفء الذي كان يدب في جسده حين كان حياً على الأرض. وانه سيصبح مثل الآلهة في العالم السفلي وانه لن تتم إعادته عند أي بوابة».

وكلمات الفصل تتمتع بقوى واقية (وأعني هنا تعويذة ذات أهمية كبيرة) كما قيل لنا «حيث أنها صُنعت من البقرة لابنها (رع Ra) عندما كان يجلس وعندما كان رعاياه محاطين بمجموع من الكائنات المصنوعة من النار». والبقرة الآن بطبيعة الحال هي (إيزيس ـ هاثور Isis-Hathor) وان كلاً من الكلمات والصورة تشير إلى بعض الأحداث في حياة (رع Ra) أو (حورس Horus). إنه من الواضح جداً أن كلمات القوة، أو التعويذات السحرية التي نطقت بها (إيزيس هاثور) قد أنقذت الإله من بعض المتاعب. إن الفكرة هي أنه مثل ما أنقذت الكلمات الإله وكانت ذات نفع له، فإنها ستنقذ الميت وتكون ذات نفع وفائدة له أيضاً. وتُقرأ كلمات القوة على النحو الآتي: «أواه يا آمين Amen، أواه يا آمين Amen الموجود في السماء، استدر بوجهك نحو جسد ابنك الميت واجعله سليماً وقوياً في العالم السفلي». ثم يتم تحذيرنا بأن الكلمات «ذات سر عظيم» ويجب ألا تقع عليها عين إنسان واللعنة على كل رجل يعرفها، لذا عليك إخفاؤها. واسم التعويذة «كتاب سيدة المعبد الخفي».

ويظهر من دراسة مومياءات الحقبة المتأخرة أن المصريين رسموا صورة بقرة على ورق البردي وكانوا يضعونها تحت رأس المتوفّى ورسم البقرة هي إحدى الصور التي رسمت على ورقات بردي ساما وكانت النصوص السحرية تنقش مع الصور. وبمرور الزمن وعندما بدأ لصق ورق البردي على الكتان بدأوا بصنع بقرة من ذهب كانت تربط على رقبة المتوفى، وأصبحت تعويذة وقد أسماها الآثاريون "Hypocephalus" هايبوسيفالوس وتمثل الصورة المقابلة لهذه التعويذة الدائرية.

ويلاحظ أنها دائرية وذلك لأنها تمثل حدقة عين حورس، تلك العين التي اعتقد المصريون منذ غابر الأزمان بأنها منبع الحياة وهي التي تولد الحياة. وفي أول مجموعة آلهة على هذه التعويذة نشاهد الإله نهيبكا Nehebka وهو يمنح عينه إلى حورس مع آلهة لها عين حورس، ثم بقرة ايزيس ـ هاثور الموصوفة سابقاً، وأولاد حورس الأربعة، وأسدين، وجزءاً من جسم إنسان وكلية الإله خنمو (Khenmu) إله الخصب وحورس راع. أما الجزء الثاني من التعويذة الدائرية ففيه قارب الشمس يجدفه حورس وقارب القمر مع هاربوكراس Harpocrates على قوس القارب. أما المناظر الأخرى فيشاهد فيها الإله خيبرا في قاربه وحورس في قاربه وحورس سيبت (Horus-Sept) في قاربه والإله ذو الوجهين يمثل أوجه الشمس في شروقها وغروبها مع

إله برأس كبش، ويقولون إن القردة يعبدونه كإحدى هيئات الإله خينمو أحد أكبر آلهة الخصب، وفي الأوقات المتأخرة أخذ اسم (Khnumis) أو (Khnoubis) خنوبيس مكانه بين تلك الأسماء السحرية عند الطائفة الغنوصية.

وفي أدناه صلاتان أخذتا من تعويذة الهيبوسيفالوس توضحان كلمات القوة الموجهة لآمين أي القوة الخفية.

١- «أنا الخفي في المكان الخفي. إنني النفس الكاملة بين رفاق راع، لقد ذهبت وعدت بين الأرواح الكاملة. إنني الروح القادرة التي على هيئة لون الزعفران. لقد جئت من العالم السفلي بناء على رغبتي. لقد جئت ـ لقد جئت من عين حورس لقد جئت من العالم السفلي مع راع، من بيت الشيخ العظيم في هليوبولس. إنني إحدى الأرواح التي جاءت من العالم السفلي. امنحني ما يحتاجه جسدي من أشياء، وامنح روحي السماء، ومكاناً خفياً لجثتي المحنطة «مومياً ئي».

٢- هلا منح الإله الخفي نفسه ذو الوجه المخفي، والذي يشع على العالم بشتى أشكال الحياة، ثم في العالم السفلي، هلا منح روحي الحياة إلى الأبد. هلا منح الإله العظيم وهو في قرص نوره أشعته لعالم هليوبوليس السفلي. امنحني دخولاً وخروجاً إلى العالم السفلي بلا أي تأخير أو معيقات».

وقد تمت كتابة الفصل CLXIII من كتاب الموتى، لمنع جسد الرجل من أن يجبس في العالم السفلي، لإنقاذه من الأرواح غير المحظوظة الحبيسة هناك. ثم لجعل الصلاة مؤثرة كان من المفروض قراءتها على ثلاث صور: على أفعى ذات سيقان وقرنين وعلى رأسها قرص شمس. على عين حورس الأوتشاد (Utchat) وفي الحدقة التي تكون على هيئة الإله وفي اليد المرفوعة والوجه ذي الروح المقدسة ذات الريش والظهر كالصقر. عين حورس (Utchat) الذي في حدقته ستكون صورة الإله المرفوع إليه مع وجه الإلهة (نيث Neith) وبريش وظهر صقر. فإذا تم القيام بهذه الأعمال للمتوفى فإنه سوف لن يطرد من أي باب من العالم السفلي، سيأكل ويشرب ويقوم بالأعمال الاعتيادية كما كان يقوم بها في عالمنا ـ وسوف لن يصرخ أحد في وجهه، وسيمحى من أيدي أعدائه إلى الأبد.

ولأجل أن تكون كلمات القوة الموجودة في الفصل CLXIV ذات تأثير يجب ترديدها على نموذج الآلهة (موت Mut) ذات الثلاث رؤوس. الرأس الأول يشبه الآلهة (بيكات Pekhat) ويوجد فيها ثمار الخوخ، والرأس الثاني يشبه رأس رجل، ويوجد

فوقه تيجان الجنوب والشمال، والرأس الثالث يشبه رأس نسر، ويوجد فوقه ثمار الخوخ، ويوجد في النموذج جناحان، ومخالب أسد. ويتم صبغ هذا النموذج باللون الأسود والأخضر والأصفر على قطعة كتان، وأمامها وخلفها يرسم قزم يضع ثمار الخوخ فوق رأسه. وتكون كف وذراع كل قزم مرفوعة، ويوجد في كف كل قزم وجهان أحدها لصورة صقر والآخر لصورة رجل، وجسم كل قزم يكون ممتلئاً (سميناً). وبعد صنع هذه النماذج، يقال لنا بأن الميت سيكون شبيهاً بإله مع بقية الآلهة في العالم السفلي، وأنه سوف لن تتم إعادته أبداً، وأن لحمه وعظامه ستكون شبيهة بعظام الأشخاص الذين لم يموتوا أبداً، وسيشرب الماء من منبع الجدول، وسيُمنح له مسكن في (سيكت - أورو Sekhet-Auru) وسيصبح نجماً في السماء، وسيُرسل للقتال مع شيطان الأفعى (نيكو Nekau) ومع (تار Tar) الموجودين في العالم الأسفل، وسوف لن يغلق مع الأرواح المقيدة وسيتمتع بالقوة لبعث نفسه، أينما يكون وسوف لن تلتهمه الديدان.

ومرة ثانية، ولأجل أن تكون كلمات القوة الموجودة في الفصل CLXV فعالة، يملي العنوان ضرورة ترديدها على نموذج إله رافع يده، وفوق رأسه ثمار، وتكون ساقاه متباعدتين، والجزء الوسط منه يكون على هيئة خنفساء باللون الأزرق، مع صبغ مصنوع من حجر اللازورد الممزوج بماء كامي Qamai. وستردد على نموذج لرأس يشبه رأس الرجل، وتكون الأيدي والأذرع ممتدة وبعيدة عن جسده، وعلى كتفه الأيمن سيكون رأس كبش، وعلى كتفه الأيسر سيكون رأس كبش ثان. ويرسم نموذج الإله الذي يرفع يده على قطعة قماش من القطن موجودة مباشرة على قلب الميت، ويرسم الإله الآخر على صدره، ولكن لا تدع الإله (سوكاتي Sukati) الموجود في العالم الأسفل يعرف ذلك» وإذا تم فعل جميع تلك الأمور «فإن الميت سيشرب الماء من منبع الجدول، وسيتلألأ مثل النجوم في السماء التي فوقه» وهناك إمكانية بأن يكون الفصلان CLXII - CLXV قد تمت كتابتهما في تاريخ متأخر نوعاً ما.

ومع ذلك، فيتعين هنا إعطاء مثال آخر حول الصور السحرية من كتاب الموتى. إذ أن محتوى الفصل CXLVIII يتضمن صور سبع بقرات و«ثورها» وأربع دفات، وتشير الأبقار السبع إلى الآلهة هاثور Hathor السبع، ويشير الثور إلى شكل من أشكال (رع Ra) أما الدفات الأربع فتشير إلى الأركان الأربعة من الأرض والى

النقاط الرئيسية. ويحتوي نص الفصل على أسماء الأبقار والثور والدفات وأدعية إلى القرابين المقدسة. والآن ستوفر للميت كميات كبيرة من الأطعمة باستمرار وبشكل منتظم والى الأبد إذا ما أنجزت الأمور التالية له. نماذج من الأبقار وثورها والدفات ويتم تلوينها على لوحة (؟) وعندما يتسامى فوقها (رع) إله الشمس فإن أصدقاء الميت يضعون القرابين أمامها، وتُستلم تلك القرابين بشكل رمزي من قبل الآلهة التي تمثلها تلك النماذج، ومقابل ذلك سيقدمون إلى الميت جميع القرابين والهدايا من اللحوم والشراب التي يرغب فيها. والأكثر من ذلك، «وإذا ما تم إنجاز ذلك» يُقال لنا بأن رع سيكون بمثابة الدفة إلى الميت، وسيكون القوة التي تحميه، وسيضع نهاية وحداً لجميع أعدائه في العالم الأسفل، وفي السماء وعلى الأرض وفي كل مكان قد يدخل إليه».

كتاب الموتى:

لقد شاهدنا في أعلاه وصف التعاويذ التي استخدمها المصريون القدامى وكيف أن مادة التعويذة والكلمات المنقوشة عليها تمتلك قوى سحرية، ولكن قد نتعلم من الأمثلة العدة المدونة على متن البردي أن الكلمات المسطرة وحدها كانت كافية في بعض الحالات لإعطاء تأثيرات كبيرة وفعالة. وهذا بطبيعة الحال يمثل تطوراً طبيعياً جداً، وان التعاويذ وكلمات القوة التي لا تحتاج إلا لتسطيرها على متن البردي أو الكتان لمنح التأثير السحري كانت مألوفة لدى جميع طبقات الرجال والنساء وخاصة بين الفقراء والجهلة. واعتبرت الكلمة المسطرة في الشرق محترمة وذات مكانة، وذلك منذ الأزمنة القديمة. وماتزال تُحمل أو تُرتدى قصاصة مسطراً عليها كتابة مقدسة أو نص حتى يومنا هذا. للاعتقاد بقوتها على حماية الفرد على نحو ما كان يعتقد في الأزمنة القديمة. وفي مصر القديمة يحتوي كتاب الموتى في مختلف الفصول الموجودة فيه، والمسطرة عادة على متن البردي، على سلسلة من كلمات القوة. وينظر المصريون اليوم إلى القرآن نظرة التبجيل نفسها التي كان ينظرها سلفه إلى النصوص القديمة. وتنص فقرة في النص المنقوش داخل هرم (أوناس Unas) رقم (١,٥٨٣) على «أن العظم واللحم الذي لا يحمل نقوشاً مصيره التفسخ والفناء، ولكنه لاحظ أن الكتابات المنقوشة على (أوناس) موجودة تحت الختم الكبير، وانتبه إلى عدم وضعها تحت الختم الصغير» ويبدو من الصعب شرح الفقرة بشكل منفصل، ولكن ليس هناك أدنى شك في أنه يوجد لدينا إشارة

ضمنية إلى عادة دفن الكتابات، التي كان يعتقد بامتلاكها قوى سحرية، مع جسد الميت. واعتقد دائماً بأهمية الفقرات أو الفصول المقتطفة من الكتب الدينية للحضارات القديمة، وقد كانت بعض تلك الفقرات طويلة، ومثل هذا الأمر كان مألوفاً. ومن بين الكتابات المصرية هناك صيغتان للفصل LXIV من كتاب الموتى كانت مستخدمتين، ولم يكن هناك أدنى شك في الصيغة الأقصر التي ترجع إلى عهد السلالة الأولى أي حوالي ٠٠٣٤ ق.م، كتبت لتكون خلاصة للعمل الشامل، وان ترديدها كان ذا تأثير فعال مثل ترديد بقية الصيغ.

وإنها لحقيقة مدهشة أن تكون تلك الصيغة التي يُطلق عليها «فصل معرفة فصول المستقبل بدأ لأيام، في فصل واحد. وقد أُعلن بأن تاريخه يعود إلى عهد (حسبتي Hesepti) تلك السلالة الأولى حوالي ٠٠٣٤ ق.م بينما نسبة الصيغة الأطول إلى عهد الملك (مين ــ كو ــ رع Men-Kau-Ra) (ميسيرينوس Mycerinus) ملك السلالة الرابعة، التي يعود تاريخها إلى ٠٠٦٣ ق.م. ومن المفيد الإشارة هنا إلى تكرار بعض الفصول والصيغ في متن أوراق البردي الجنائزية لمختلف العصور. والتفسير لذلك هو أن بعض المقتطفات المشهورة قد كتبت في تاريخ متقدم، وإن تلك الفقرات تم نقلها بإضافات أو شطب حسب ما يرتئيه أصدقاء وأقارب الميت. إلا أن شيئاً واحداً يبدو أكيداً: هو موت كل إنسان في مصر معتقداً بأنه في طريق رحلته إلى العالم الآخر سيتم تزويده بكلمات القوة التي ستمكنه من شق طريقه هناك بدون عراقيل، ويتم تزويده بكميات وفيرة من الطعام والشراب. ويمكن أن نلاحظ وجهة النظر هذه التي كان يحملها المصريون القدامى بخصوص كلمات القوة وذلك من الفقرات الآتية: «ليقم إله (توث Thoth) المملوء بكلمات القوة بحل اللفافات من جسدي، وبضمنها لفافات (سيت Set) الموضوعة على فمي... أما بخصوص كلمات القوة وجميع الكلمات التي يُنطق بها ضدي لتقاومها آلهة، وليتم كل من بصبحة الآلهة الوقوف في وجهها». «انتبه إنني أجمع كلمات القوة من كل مكان ومن أي شخص، شخص تكون معه تلك الكلمات التي هي أسرع من كلاب الصيد ومن الضوء».

أما بخصوص التمساح الذي يأتي لحمل كلمات القوة من الميت فيقول له: «عُد إلى الوراء، عُد إلى الوراء أيها التمساح الشيطان سوف لن تتقرب مني لأنني أعيش بكلمات القوة التي أحملها معي... إذ أن السماء تسيطر على الفصول

وكلمات القوة تُسيطر على حاملها، لذا فإن فمي سيمنع بالقوة بالسيطرة على كلمات القوة (السحر)».

«إنني مرتدٍ ملابسي ومزود بكلمات القوة (يا رع) الذي في السماء فوقي والأرض من تحتي».

أما للأختين الآلهة (نرت Nert) فيقول الميت: «إن رسالتي لكنّ هي كلمات القوة، إني أشع من زورق (سيكتيت Sektet) إنني حورس ابن ايزيس، لقد أتيت لمشاهدة أبي (أوزيريس)». «لقد أصبحت روحاً في هيئاتي، لقد كسبت الغموض علي كلمات القوة الخاصة بي، ولقد أعلن بالنسبة إلي لأنه أصبح روحاً». «الى الجحيم يا أيها الذي يقطع الرؤوس ويشق الحاجبين، يا أيها الذي يمسح ذكريات الأشياء الشريرة من فم الأرواح بواسطة كلمات القوة (السحر) التي تمتلكها...، لا تدع فمي يغلق بسرية بسبب كلمات القوة التي تمتلكها... عُد إلى الوراء، وتراجع أمام الكلمات التي نطقت بها الآلهة إيزيس عندما عدت لتنشر الكلمات الشريرة في فم (أوزيريس). وقد نقشنا على تعويذة الأبزيم الكلمات الآتية: «ليكن دم ايزيس وقوى (؟) ايزيس وكلمات القوى لدى (ايزيس) أن تكون جبارة لحماية هذه القوة الجبارة» الخ. وخلال مخاطبة (توث Thoth) إلى (أوزيريس) فإنه يقول له: «إنني (توث Thoth) المفضل لدى (رع Ra) سيد القوة الذي يعود بالرفاهية هذا ما يقوم به وجبروت كلمات القوة، والموجود في زورق آلاف السنين سيد القوانين، قاهر الأرضين»الخ.

ومن الفقرات أعلاه لا ندرك مدى الثقة التي كان يضعها الميت في كلمات القوة الخاصة به فحسب، ولكن المصادر التي انبثقت منها أيضاً والتي تمثلت بالآلهتين (توث Thoth) و(ايزيس Isis). وسنتذكر أيضاً بأن إله (توث Thoth) الذي لا يُدعى (سيد الكتابة) و(كاتب الآلهة) و(سيد متن البردي) و(صانع الألواح وقناني الحبر) وأعني هنا الكتابات المقدسة أو المخطوطات. وبما أنه كان سيد الكتب وسيد الخطابة فكان يُعتبر مالك المعرفة البشرية السماوية.

وعند خلق العالم كان (توث Thoth) الذي وجد كلمات لإرادة القوى الخالقة غير المرئية وغير المعروفة والتي نطق بها بكل حكمة بحيث جاء الكون إلى الوجود، وأن إله (توث Thoth) هو الذي يرهن نفسه بمساعدة المعرفة التي كان يملكها لأن يصبح صديق (أوزيريس) و(ايزيس) وحاميهما وابنهما (حورس). ومن

البراهين الموجودة في النصوص ندرك أنه لم تكن الواسطة هي القوى الجسمانية التي ساعدت (توت Thoth) أو بمساعدة الآلهة الثلاث. ولكن عن طريق منح كلمات القوة والإرشاد إلى طريقة استخدامها. إننا نعرف أن أوزيريس تغلب على أعدائه وأنه أعاد تشكيل جسمه بحيث أصبح ملك، العالم السفلي وإله الموت، ولكنه كان قادراً على القيام بتلك الأشياء بواسطة كلمات القوة التي منحها إياه (توت Thoth) وعلمه طريقة النطق بها بشكل صحيح وبصوت ولهجة واضحة. إن الاعتقاد هذا هو الذي يجعل الميت يصرخ: «يا توت Thoth يا من جعلت أوزيريس منتصراً على أعدائه، اجعل (آني Ani) هو الآخر منتصراً على أعدائه في حضور الأمراء العظام الموجودين في (تاتو Tattu) أو أي مكان آخر». ودون كلمات القوة الممنوحة له من قبل (توت Thoth) فإن أوزيريس كان سيبدو عاجزاً أمام هجمات أعدائه، والشيء نفسه بالنسبة إلى الميت الذي يتم تعريفه دائماً بأوزيريس، إذ أنه كان سيمحى من الوجود عند موته لولا كلمات القوة التي منحته الكتابات المدفونة معه.

وفي مشهد الحساب، فإن (توت Thoth) هو الذي يبلغ الآلهة عن نتائج وزن القلب في الميزان وعن الشخص الذي زود صاحب القلب بالكلمات التي نطق بها خلال توقعاته، وأي شيء يمكن أن يقال في صالح الميت يقوله إلى الآلهة، وأي شيء يمكن أن يُفعل لأجله يقوم به. وبجانب كونه صديق (أوزيريس) وحاميه، فإن إله (توت Thoth) كان ملجأ إلى إيزيس عندما تواجهها المشكلات. وكلمات الترنيمة تعلن عن أن (إيزيس) كانت تعرف كيف تبعد الأحداث الشريرة عنها «وأنها كانت سليطة اللسان ونطقت بكلمات القوة التي كانت تعرفها بنطق صحيح، ولم تتعثر عند نطق الكلمات وكانت ممتازة في إصدارها الأوامر وفي نطق الكلمة».

ولكن هذا الوصف يبرهن فقط على أنها تلقت إرشادات من (توت Thoth) عن طريقة نطق كلمات القوة، بحيث تكون فعالة، وأنها مدينة له بأكثر من ذلك. فعندما عثرت على جثة زوجها (أوزيريس) حلقت فوقها على هيئة طير، مكونة هواء برفرفة جناحيها، ومصدرةً ضياء من بريق ريشها ولمعانه إلى أن تمكنت في آخر الأمر من بعث الحياة في جسد الميت، عن طريق كلمات القوة التي نطقت بها، وبعد أن بُعث جسد (أوزيريس) الميت إلى الحياة بادر إلى احتضان زوجته (إيزيس) وولد لهما ابنهما (حورس) نتيجة هذا اللقاء فحملته أمه إلى مخبئها في مستنقعات البردي. وبعد فترة اضطهدها (سيت Set)، ويبدو أن مقتل زوجها جعلها تنعزل مع ابنها

حورس في بيتها أشبه بالسجينة. وبمساعدة (توث Thoth) استطاعت أن تخرج من دارها ليلاً، وصاحبتها في رحلتها سبع عقارب يطلق عليهن أسماء تيفن Tefen، بيفن Befen، ميستيت Mestet، ميستيتيف Mestetef، بيتيت Petet، ثيتيت Thetet، وماتيت Matet. وبادرت العقارب الثلاث الأخيرة إلى إرشاد (إيزيس) إلى الطريق. وانتهى بها المطار إلى مستنقعات بير - سوي Per-Sui(2) والى مدينة آلهتي الصنادل حيث تبدأ حدود بلد المستنقعات (آثو Athu).

وبعد أن واصلت (إيزيس) رحلتها وصلت إلى مدينة طيبة Teb حيث كان رئيس المنطقة (المحافظ) يملك بيتاً لعشيقاته، ولم تسمح سيدة البيت وعشيقة رئيس المنطقة لإيزيس بالدخول إلى البيت بحجة العقارب التي كانت تصاحب إيزيس. فقد شاهدت عشيقة رئيس المنطقة (المحافظ) من باب الدار إيزيس وهي متجهة نحو الدار. وفي تلك اللحظة قررت العقارب السبع لدغ العشيقة بواسطة العقرب (تيفن Tefen) وفي تلك الأثناء فتحت امرأة فقيرة تقطن المستنقعات باب دارها وسمحت إلى (ايزيس) بالدخول، وهكذا التجأت الإلهة (إيزيس) عند تلك المرأة الفقيرة. وفي تلك الأثناء زحفت العقرب ودخلت بيت المحافظ من تحت الباب ولدغت ابن سيدة القصر كما أضرمت النار في الدار، ولما لم يكن هناك ماء لإطفاء النار ولا مطر لأن الموسم لم يكن موسم أمطار، فقد التهمت النار الدار. لقد حدثت هذه الأمور لامرأة لم تلحق أذى بإيزيس وراحت المخلوقة المسكينة تتجول في شوارع المدينة وهي تصرخ بصوت عالٍ حزناً ويأساً لأنها لم تكن تعلم فيما إذا كان ابنها على قيد الحياة أو ميتاً.

وعندما شاهدت الإلهة إيزيس شعرت بأسف وحزن على الطفل الذي لدغته العقرب، وبما أنه لم يكن مسؤولاً عندما أغلقت والدته الباب في وجه إيزيس، فقررت إنقاذه. وعند ذاك صرخت على الأم الثكلى قائلة: «تعالي إليّ، تعالي إلي. لأن كلماتي هي بمثابة الطلسم الذي سيمنح الحياة. إنني الابنة المعروفة في المدينة، وسأدحر الشر بواسطة الكلمات التي سينطقها فمي، والتي علمني إياها أبي، إنني ابنة جسد أبي». ثم وضعت (إيزيس) يديها على جسد الطفل، ولأجل إعادة الروح إلى جسده، نطقت بالكلمات الآتية:

«تعالي يا (تيفن Tefen) اظهر على وجه الأرج، اخرج حالاً، تعال بشكل غير مباشر! تعال باسم (بيفن Befen)، اظهر على وجه الأرض إنني إيزيس، الإلهة، سيدة كلمات القوة التي تفعل المعجزات والسحر، الكلمات التي صوتها بمثابة التعويذة.

«أطيعيني، أيتها الزواحف التي تلدغ، وتلحق الأذى بالأشجار بتهور!

«آه باسم (ميستيت Mestet) و(ميستيتيت Mestetet) لا تدب في جسد الطفل إلى الأعلى!

آه باسم (بيتيت Petet) و(ثيتيت Thetet) لا تنسحب بتهور!

آه يا (ماتيت Matet) اسقط إلى الأرض ورأسك إلى الأسفل!».

ثم نطقت الإلهة إيزيس بكلمات التعويذة التي منحها إياها إله (سيب Seb) لأجل إبعاد السم عنها وقالت: «تراجع، اذهب بعيداً أيها السم». ثم أضافت كلمات (مير - رع Mer-Ra) عند الصباح بعدها ظهرت بيضة الإوزة من شجر الجميز، عند المساء اتجهت نحو العقارب. والجملتان المذكورتان في أعلاه هما بمثابة طلسم. وبعد ذلك بدأت (إيزيس) بالنواح والعويل وقالت بأنها أكثر عزلة وبؤساً من جميع الناس في مصر، وأنها أصبحت أشبه برجل طاعن في السن توقف عن النظر إلى النساء وزيارتهن في بيوتهن، وأمرت العقارب بتحويل أنظارها عنها وإرشادها إلى طريق المستنقعات والى المكان السري الموجود في مدينة (كيبت Khebet). ومن ثم رددت بصوت عال الكلمات الآتية: «الطفل سيعيش والسم سيموت! كما تعيش الشمس فإن السم سيموت» وما أن نطقت بالكلمات السحرية هذه حتى انطفأت النيران في بيت المرأة، وابتهجت السماء بكلمات (إيزيس). وعندما قالت (إيزيس) بأن «ابن الامرأة قد لدغته عقرب لأن والدته أغلقت باب دارها في وجه إيزيس ولم تحاول مساعدتها» بادرت إيزيس إلى نطق الكلمات الآتية: «الطفل سيعيش والسم سيموت» وبهذا شفي ابن الامرأة.

ومضت (إيزيس) في حديثها قائلة: «إني (إيزيس) حبلت بطفل، ولقد كنت عظيمة مع الطفل حورس، إني الإلهة لقد ولدت بالطفل حورس ابن إيزيس في جزيرة (أو عش) في (آثو Athu) منطقة المستنقعات ولقد ابتهجت كثيراً لهذا الحدث لأني اعتبرت (حورس) هدية ستعوضني لفقد أبيه. سأحميه بكل حذر وأخفي عنه تعبي. ولقد تم ذلك بالفعل، ومن ثم توجهت إلى مدينة (آم Am). وعندما بادرت السكان بالتحية، عدت لأفتش عن الطفل، وذلك من أجل إرضاعه وحمله في ذراعي مرة ثانية. ولكني وجدت طفلي الرضيع حورس ذا الشعر الذهبي على شفا حفرة الموت! لقد جعل الأرض ندية بدموع عينيه وزبد شفتيه، وكان جسمه متصلباً وقلبه متوقفاً وليس ثمة من عضلة في فخذيه تتحرك.

ثم صرخت بحزن، فخرج سكان مستنقعات البردي من بيوتهم، وتراكضوا متجهين نحوي، وناحوا على مصيبتي، ولكن لم يفتح أي منهم فمه ليتفوه بكلمة، لأن الجميع كانوا حزينين على مصيبتي، ولم يدر أي منهم الطريقة التي يستطيع بها إعادة الحياة إلى (حورس Horus). ثم اتجهت نحوي امرأة كانت معروفة في المدينة، لانتمائها إلى عائلة نبيلة، وحاولت إعادة الحياة إلى حورس. ورغم أن قلبها كان مملوءاً بالمعرفة التي تملكها ظل رضيعي حورس بدون حراك. وفي الوقت نفسه أشار الجمهور إلى أن ابن الأم السماوية (إيزيس) كان محمياً من شقيقه (سيت Set) وأن النباتات التي كان مختبئاً بينها لا يمكن أن يتسلل فيها أي كائن معادٍ، وأن كلمات القوة التي يملكها (تيمو Temu) أي جميع الآلهة «والموجود في السماء» كان ينبغي لها أن تحافظ على حياة (حورس)، وأن شقيقه (سيت Set) لا يمكن أن يكون قد عثر على منفذ إلى المكان الموجود فيه الطفل الذي كان محمياً مِن شروره، واكتشف في آخر الأمر أن (حورس) قد لسعته عقرب تحطم القلب وربما قتلته.

وفي تلك الأثناء وصلت (نيفثيس Nephthys) وتجولت في مستنقعات البردي، منتحبة بمرارة، بسبب المصيبة التي حلت بشقيقتها (إيزيس)، وكانت بصحبتها (سركت Serqet) إلهة العقارب التي ظلت تتساءل: «ماذا حدث للطفل حورس»؟ ثم قالت (نيفثيس Nepthys) إلى (ايزيس): «انحبي وابتهلي إلى السماء وليوقف ربان زورق (رع) التجديف، ولا تدعي زورق (رع) يتحرك إلى أبعد من ذلك من أجل الطفل حورس». وعند ذاك أطلقت (إيزيس) صرختها، وابتهلت إلى السماء بأن يتوقف «زورق ملايين السنين»، وأن تتوقف الشمس، وأن لا يتحرك زورق الشمس من مكانه، استجابة لابتهال الآلهة. وخرج من الزورق الإله (توث Thoth)، مزوداً بالقوى السحرية، وحاملاً معه القوى العظيمة، لإصدار التعليمات بشكل حكيم، بأن تنفذ أوامره على الفور، وتحدث مع ايزيس قائلاً: «آه أيتها الإلهة إيزيس التي يحسن فمها نطق الكلمات العذبة (والطلاسم)، لن يلحق بطفلك حورس أي أذى، لأن صحته وسلامته تعتمدان على زورق (رع). لقد جئتُ هذا اليوم في الزورق السماوي للقرص Disk (آتين Aten) إلى المكان الذي كان فيه الأمس، وعندما يحل الظلام أو (الليل) فسيختفي الضياء لأن صحة أو سلامة حوس هي من أجل أمه إيزيس وسيحدث الشيء نفسه لكل شخص يمتلك ما هو مسطر هنا (؟)».

والشيء الذي حدث بعد ذلك كان واضحاً بطبيعة الحال، فلقد دبت الحياة مرة أخرى في جسد الطفل (حورس) مما أشاع البهجة في نفس أمه (إيزيس)، التي كانت ممتنة، أكثر من أي وقت مضى، إلى الإله (توث Thoth) لإسراعه في مساعدتها في محنتها عند موت طفلها الرضيع، كما فعل عند موت زوجها. ولأن (إيزيس) تمكنت من استعادة زوجها وطفلها الرضيع بواسطة الكلمات السحرية والطلاسم التي كانت تملكها، فقد اعتقد الإنسان الفاني بأنه من الضروري بالنسبة إليه كسب ودها وحمايتها بأي ثمن، وذلك من أجل كسب الحياة الأبدية فإن الموت في يديها. وبعد فترة من الزمن بدأ المصريون يقدسونها كثيراً جداً، باعتبارها سيدة آلهة السماء، ولكونها تملك السلطة المكافئة للسلطة والقوة التي كان يملكها (رع) نفسه: وحسب الأسطورة التي وردت إلينا والمدونة على متين البردي أو قماش القطن والتي كانت بمثابة صيغة سحرية أو طلسم يحمي الإنسان من سم الزواحف بجميع أشكالها وأصنافها، يُقال بأن الإلهة إيزيس قامت بمحاولة جريئة للاستحواذ على القوة من (رع) وذلك من أجل أن تكون سيدة الكون. والطريقة التي قامت بها للحصول على تلك القوة مدونة على ملفوفة بردي محفوظة في تورين Turin(1) الذي اقتبست منه الترجمة التالية، ويرجع الفضل في اكتشاف المعنى الصحيح للنص إلى المسيو لوفوبير Lefefure.

(إيزيس) تستحوذ على سلطة وقوة (رع)

أسطورة (رع) و(إيزيس)

«إن فصل الإله السماوي، الكائن الذي خلق نفسه، والذي صنع السماء، والأرض، والرياح [التي تمنح] الحياة، والنار والآلهة، والإنسان، والحيوانات، والمواشي، والزواحف، والطيور والكائنات المائية، إنه ملك الناس والآلهة، إنه يملك فترة واحدة من الحياة (؟) ومعه فترات كل منها تمثل ٠٢١ سنة، وأن أسماءه عديدة وغير معروفة بل حتى الآلهة لا تعرفها.

«والآن (إيزيس) أصبحت المرأة التي تملك كلمات القوة والسلطة وقلبها سئم ملايين الرجال، لذلك اختارت ملايين الآلهة ولكنها تبجل أكثر ملايين الأرواح (كو Khu) وتبتهل في قلبها مرددة: «ألا أستطيع بواسطة الاسم المقدس للإله، أن أجعل من شخصي سيدة الأرض وأن أصبح إلهة مثل (رع) في السماء وعلى الأرض؟».

والآن انظر، ففي كل يوم يدخل فيه (رع) على رأس ربان زورقه، ويجلس على عرش الأفقين. والآن الإله السماوي (أعني رع) قد طعن في السن، وبدأ لعابه يسيل من فمه، ويتساقط على الأرض. وبدأت (إيزيس) بعجن لعابه بتراب الأرض بيديها، وصنعت من العجينة أفعى مقدسة على هيئة سهم، ولم توجهها إلى الأعلى أمام وجهها، ولكنها جعلتها ممتدة على الأرض في الطريق الذي يمر به الإله العظيم، وذلك حسب رغبات قلبه، في مملكته المزدوجة. والآن نهض الإله المقدس، وتبعته الآلهة التي كانت تسير خلفه، وكأنه فرعون، وجاء إلى المكان الذي اعتاد أن يسير فيه يومياً، فلدغته الأفعى المقدسة. فغادرت الحياة جسده، وهكذا تم التغلب على الإله الذي كان يقطن بين أشجار الصنوبر (؟). وفتح الإله المقدس فمه فوصلت صرخة جلالته إلى السماء. وتساءلت الآلهة التي كانت بصحبته: «ماذا حدث؟» وصاح الآلهة بتعجب: «ماذا هناك؟» ولكن (رع) لم يكن يستطيع الإجابة، إذ كان فكاهُ يرتجفان، وكذلك بقية أعضاء جسده فقد انتشر السم بسرعة في جسده، مثلما يندفع النيل على أراضيه. وعندما تمكن الإله العظيم من استعادة التوازن لقلبه صاح في أولئك الذين كانوا في صحبته قائلاً: تعالوا إلي يا أيها الذين جئتم إلى الحياة من جسدي، آه يا أيتها الآلهة التي جاءت لمساعدتي، لتعلو أصواتكم في (كيبيرا Khepera) بأن كارثة كبيرة قد حلت بي. يشعر بها قلبي ولا تراها عيناي ولم يكن ليديّ دخلٌ بها، كما أني لا أعرف من الذي فعل ذلك بين قبل بمثل هذا الألم، كما لا يمكن لأي مرض أن يلحق الأذى بي أكثر مما ألحقه هذا بي. إني أمير ابن أمير، الروح المقدسة المنبثقة من الإله. إنني الكائن العظيم، ابن الكائن العظيم، ولقد منحني أبي اسمي، إن لي عدة أسماء وعدة هيئات. وإن وجودي هو في كل إله. لقد تم إعلان وجودي من قبل الرسولين (تيمو Temu) و(حورس Horus) ونطق باسمي أبي وأمي، ولكن تم إخفاؤه معي من قبل الكائن الذي أنجبني والذي لا يريد أن تكون كلمات القوة التي يملكها أي شخص ذات سلطة علي. لقد أتيت لأنظر إلى الشيء الذي صنعته، ولقد كنت ماراً من العالم الذي خلقته، عندما لدغني شيء ما لا أعرف ما هو، هل هو نار؟ هل هو ماء؟ إن قلبي يحترق، وجسدي يرتعش وساقيّ ترتجفان. دع أولادي يأتون إليّ، الآلهة التي تملك كلمات القوة والحديث السحري والأفواه التي تعرف طريقة النطق بها وكذلك القوى التي تصل السماء. عندذاك قدمت نحوه أبناء جميع الآلهة منتحبة. كما جاءت (إيزيس) هي

الأخرى، حاملة معها كلمات القوة السحرية وكان فمها مملوءاً بأنفاس الحياة، إذ تمكنت طلاسمها من إزالة الألم والمرض، وهكذا أصبحت كلماتها تبعث الحياة في أعناق الأموات. وتحدثت قائلة: «ماذا حدث يا أيها الأب المقدس؟ ماذا حدث؟ هل لدغتك أفعى؟ أو تجاسر كائن من صنعك على أن يرفع رأسه نحوك؟ لا ريب سيتم القضاء عليها بواسطة كلماتي السحرية ذات التأثير، وسأدحرها أمام نظر أشعة شمسك». وفتح الإله المقدس فمه وقال: «لقد كنتُ سائراً في طريقي، وكنت متوجهاً نحو المنطقتين من أرضي وذلك حسب رغبة قلبي لأشاهد الكائنات التي صنعتها، عندها أواه، لدغتني أفعى لم أستطع مشاهدتها. هل هي نار؟ هل هي ماء؟ إنني أشعر ببرودة أشد من برودة الماء، وبحرارة أشد من حرارة النار. لقد تعرق جسدي وارتعش بدني، ووهنت عيناي ولم أتمكن من مشاهدة السماء، وغطى وجهي العرق، كما يحدث لي في أوقات الصيف».

ثم قالت (إيزيس) إلى (رع): «أخبرني عن اسمك يا أيها الأب المقدس، إذ أن كل من سيتم إنقاذه باسمك سيعيش». فأجاب (رع): «لقد خلقت السموات والأرض ولقد ربطت الجبال ببعضها ولقد خلقت كل ما هو موجود فوقها ولقد خلقت الماء، ولقد خلقت الآلهة (ميهت أورت Meht-Urt) وخلقت ثور أمه الذي تنبعث منه مباهج الحب. لقد خلقت السموات وجعلت الأفقين يمتدان مثل الستائر. ولقد نفثت الروح في الآلهة. إنني ذلك الكائن الذي إذا فتح عينيه انبعث الضياء وإذا أغلقها عمّ الظلام. وبناء على أوامره يُرتفع النيل ولا تعرف الآلهة اسمه. لقد خلقت الساعات وخلقت الأيام وجئت بالاحتفالات السنوية، لقد خلقت فيضان النيل. وخلقت نار الحياة ووفرت الطعام للبيوت. إنني (كيبيرا Khepera) في الصبح و(رع) عند الظهيرة و(تيمو Temu) في المساء».

وفي الوقت نفسه لم يستخرج السم من جسده، وتسرب السم في جميع أجزاء جسمه ولم يعد الإله العظيم قادراً على السير.

وعندذاك قالت (إيزيس) إلى (رع): «ما نطقت به ليس اسمك. أطلعني على اسمك وسيغادر السم جسدك، إذ سيعيش ذلك الشخص الذي يكشف عن اسمه».

والآن بدأ السم يحرقه مثل النار وكان أقوى من اللهيب والفرن. وعندها قال الإله العظيم «إنني أرضخ لأن تفتشني إيزيس وسيتحول اسمي إلى اسمها» وأخفى نفسه عن الآلهة وأصبح قاربه لملايين السنين فارغاً وعندما حان وقت مجيء قلب رع

قالت إيزيس لابنها حورس «لقد ربط الإله نفسه بقسم أن يعطي عينيه مثلاً الشمس والقمر»، وبذا تم أخذ اسم الإله العظيم وعندها قالت إيزيس سيدة كلمات القوة السحرية: «اخرج أيها السم من رع. آه يا عين حورس اخرجي من الإله واشرقي خارج فمه. لأنني أنا التي جعلتها تبزغ على الأرض، لقد تم دحر السم، لقد تم أخذ الاسم من الإله العظيم، لتدع رع يعيش ويموت السم. ليمت السم ويعشْ رع». وكانت هذه كلمات إيزيس السيدة العظيمة سيدة الآلهة التي عرفت رع باسمه».

ومن النص الذي يلي هذه القصة نعرف بأن النص لم يكن لدراسة القارئ أكثر من كونه وصفة سحرية، ويقولون إنه يجب أن يقرأ على تماثيل (تيمو Temu) وحورس وإيزيس وحورس. أي بمعنى آخر فوق تيمو شمس الغروب وفوق حورس الابن الأكبر حورس ابن إيزيس وكذلك إيزيس. والظاهر أن تيمو يأخذ مكان رع، لأنه يمثل الشمس كرجل مسن مثلاً رع في نهاية حياته اليومية بعد أن يخسر قوته فإن النص هو تعويذة أو وصفة سحرية ضد لدغات الأفاعي. وكان يعتقد بأن الكلمات المكتوبة والتي تمثل كلمات إيزيس يمكن لها إنقاذ حياة شخص ملدوغ بلدغة الأفعى كما أنقذت حياة رع. ولو كنا على معرفة بالتعليمات بالنسبة إلى استخدام تماثيل تيمو وإيزيس والحورسين الإلهين كان يمكن لنا أن نعرف بأنها كانت تعمل في مشاهد مسرحية صامتة عن المعركة التي دارت بين رع وإيزيس عندما نجحت إيزيس في انتزاع الكلمات منه. لذا فلدينا دليل قاطع بأن إيزيس كانت لديها قدرات سحرية فائقة. لذا فإن قضايا الحياة والموت بالنسبة إلى المتوفى، وكما نعرف من النصوص، كانت بيدها. وإن كلمات القوة العائدة لها هي ممتلكات قيّمة لأنها حصلت عليها من (ثوت Thuth) الذي يمثل فكر وذكاء الخالق، لذا فإن أصل هذه الكلمات كانت مقدسة، ولهذا تم استخدامها.

ومن إحدى أوراق البردي من عصر البطالمة نحصل على حقائق مفيدة حول المهارة في استخدام السحر وعن معرفة الوصفات السحرية التي كانت بحوزة أمير اسمه (سيتنو خاييم ـ أوست Setnau Uhaem-Uast) وكيفية تأليف الوصفات السحرية، لأنه كان أستاذاً في الأدب الديني وكذلك في «بيت الحياة المزدوج» أو مكتبة الكتب السحرية. وعندما كان في أحد الأيام يتحدث عن السحر ضحك أحد حكماء الملك وأجابه سيتنو «تعال واقرأ أحد كتبي الذي يحتوي على القوى السحرية، وهذا الكتاب كتبه ثوت وفيه وصفتي. وعند ترديد النص الأول ستسحر

السماء والأرض والجحيم والبحر والجبال وسترى عندها كل الطيور والزاحف والأسماك، لأن قوتها ستجعل الأسماء تصعد إلى سطح الماء. أما ترديد النص الثاني فسيمكن الرجل في القبر من أن يأخذ شكله على الأرض وغيره». وعند سئل سيتنو عن موقع الكتاب قال إنه في مقبرة (بتاح نفر كا Ptah-Nefer-Ka) في ممفيس. وبعد فترة ذهب سيتنو وأخوه إلى المقبرة وقضى ثلاثة أيام وليال في مقبرة بتاح ـ نفر ـ كا. ووجد الكتاب في اليوم الثالث وقرأ سيتنو بعض الكلمات فوقه فانفتحت الأرض ودخلت القبر إلى مكان الكتاب. وعندما دخلا القبر وجداه مضاءً من الأشعة التي تشع من الكتاب ووجدا بتاح ـ نفر ـ كا وزوجته (أهورا Ahura) وابنهم (ميرهو Merhu) علماً بأن أهورا وميرهو مدفونان في قبطوس ولكن أرواحهم المزدوجة جاءت لتعيش مع بتاح ـ نفر ـ كا بوساطة قوى ثوت السحرية. وقال لهم سيتنو إنه جاء لأخذ الكتاب فتوسلت إليه أهورا ألا يقوم بذلك ورددت عليه المصائب التي حلت بمن يمتلكه، والظاهر أنها كانت أخت بتاح ـ نفر ـ كا وتزوجته وبعد ولادة ميرهو خصص زوجها وقته لقراءة الكتب السحرية وفي أحد الأيام قال له أحد كهنة (بتاح Ptah) بأنه سيقول له أين كتاب ثوث إذا أعطاه مئة قطعة فضية، ويزوده بتابوتين جميلين وعندما أعطاه النقود والتابوتين قال له «بأن الكتاب في صندوق حديدي في وسط النهر في قبطوس وقال «إن داخل الصندوق الحديدي صندوقاً برونزياً وداخله صندوق من خشب النخيل وان داخل صندوق النخيل صندوقاً من الأبنوس والعاج وداخله صندوق من الفضة وان داخل صندوق الفضة صندوقاً من الذهب حيث حفظ الكتاب وتحرسه الأفاعي والعقارب والزواحف من كل نوع، وملتفة حوله أفعى لا تموت». وعندما سمع بتاح ـ نفر ـ كا القصة أخبر الملك وزوجته وذهب إلى قبطوس مع أهورا وميهرو في قارب ملكي وعند وصوله إلى قبطوس زار معبد إيزيس في (هاربوكراتس Harpocrates) وقدم القرابين وسكب الخمرة لتلك الآلهة.

بعد خمسة أيام زاره رئيس الكهنة قبطوس وعمل له نماذج من عمال مع أدواتهم وقرأ عليهم كلمات القوة فدبت فيها الروح وبدأ البحث عن الصندوق وبعد ثلاثة أيام وليال وصلوا إلى مكان الصندوق وتمكن (بتاح ـ نفر ـ كا) من طرد الأفاعي والعقارب بكلمات القوة وتمكن مرتين من قتل الأفعى الملتفة على الصندوق ولكن الحياة عادت إليها. وفي المرة الثالثة قلى جزئين ووضع الرمل بينهما فلم تعد لها الحياة ففتح الصناديق الواحد بعد الآخر وأخذ الصندوق الذهبي إلى

الزورق الملكي وقرأ أحد النصين فسحر السماء والأرض وعرف كل الأسرار وقرأ النص الثاني فرأى الشمس بصحبة الآلهة وقرأ أهورا النصوص ورأت ما رآه زوجها وعندها نقل (بتاح - نفر - كا) النصوص على متن بردي جديد وبعد أن ضمخ الورقة بالبخور وذوبها في الماء وشرب الماء فحصل على المعرفة المدونة في الكتاب السحري، فأغضبت هذه الأعمال الإله (ثوث) وأخبر (رع) بما قام (بتاح - نفر - كا) بفعله فقرر (رع) ألا يعود (بتاح - نفر - كا) وزوجته وابنه إلى ممفيس في طريق العودة إلى (قبطوس) وسقطت (أهورا) و(ميهرو) في النهر وغرقتا. وعند العودة إلى ممفيس غرق بتاح - نفر - كا أيضاً. ولكن (سيتنو أصر على أخذ الكتاب من بتاح - نفر - كا فاقترح بتاح على سيتنو أن يلعبا لعبة الداما وأن يأخذ الرابح الكتاب وكانت اللعبة من ٢٥ نقطة وحاول بتاح أن يغش في اللعب. في هذه المرحلة أرسل سيتنو أخاه (أنهاهيريرو Anuhuererau) إلى الأرض للعودة بطلسم بتاح وكتاباته السحرية وعاد بها ووضعها على صدر سيتنو فطار سيتنو مع الكتاب السحري، وعند طيرانه من القبر تبعه نور وحل الظلام في القبر، ولكن بتاح - نفر - كا قال لزوجته «سأجعله يعود بالكتاب» وأخذ سكيناً وعصا من نار حول رأسه ثم حاولت (تابوبو Tabubu) إغواء سيتنو وتبعتها عدة أحداث، وعندها أمر الملك سيتنو بإعادة الكتاب وتحققت نبوءة بتاح - نفر - كا.

وبالنسبة إلى القوى السحرية سنذكر موضوع مسلة حجرية صغيرة منقوشة مع رؤوس دائرية وقد نقشت عليها صور الإله حورس واقفاً على تماسيح وتسمى مثل هذه المسلات (الأعمدة) (سبي حورس Cipi Horus). وأجمل ما هو موجود (مسلّة) (ميترنرحستل Metternichstele) التي عُثر عليها في عام ٨٢٨١ عند بناء صهريج في أحد أديرة الفرانسيسكان في الإسكندرية وقدمها محمد علي باشا هدية إلى مترنيخ. ويمكن لنا معرفة تاريخ «المسلة» إذ كتب عليها اسم الملك (نيكتانيبوس الأول Niectanebus) أحد ملوك مصر الذي حكم من ٨٧٣ إلى ٠٦٣ قبل الميلاد. ونعرف من العديد من المصادر أن مثل هذه الصروح عملت في تلك الفترة. ومن صورتين نرى بأنها منحوتة ومنقوشة في آن واحد وعليها نقوش آلهة مصر القدامى الذين نعرف عنهم من السلالات السابقة. وكذلك نقوش شياطين ووحوش وحيوانات لها قوة أسطورية وأهمية سحرية. والعديد منها يحمل نصوص وصفات سحرية وأسماء سحرية، والكثير من التلميحات الأسطورية أيضاً. ففي المشهد الرئيس

نشاهد حورس أو (هاربوكراتس Harpocrates) يقف فوق تمساحين وعلى حاجبه (الفلك Vraeus) وعلى الجانب الأيمن لشعره خصلة من الشعر شعار الشباب، وهو يقبض بيده على أفاعٍ وأسد وغزال، ويظهر على وجهه أنه لا يخاف منهم، وعلى رأسه رأس رجل ملتحٍ، يقولون إنه يمثل (بيس Bes)، وعن يمينه أوتشاد (1)(Utchat) بيد وذراع إنسان وحورس - رع برأس صقر، ويلبس قرص الشمس وأورايوس Uraeus الفلك، ويقف على أفعى ملتفة أوزيريس على هيئة صقر يقف على صولجان ويلبس تاج (عاطف 4) (Atef)، والإلهة إيزيس تقف على أفعى ملتفة، الإلهة (نيخبيت Nekhebet) على هيئة نسر تقف على صولجان من البردي وعلى يساره نجد ما يلي أوتشاد Utchat بيد وذراع بشري (٢) صفحة بردي بريش و(مينات 3) (Meinates) الإله ثوت واقفاً على أفعى ملتفة، (٤) الإله أوتشات على هيئة أفعى واقفة على صولجان من البردي. ويمثل حورس الشباب والقوة وشروق الشمس أما الرأس فوق رأسه فيمثل الإله رع أو (بيس)، كرجل مسن، والنقوش تمثل الإله «المسن مثل الشمس الغائبة والتي تشرق من جديد» أما الأوتشات والتماثيل الأخرى فترمز للقوى الشمسية والآلهة، التي تمتلك كلمات القوة في الشمال والجنوب، والتي يتمكن بواسطتها الإله حورس الصغير من دحر كل الحيوانات المعادية، والزواحف المائية والأرضية، وتوجد فوق المنظر وحواليه صفوف من تماثيل الآلهة وتخطيطات ومناظر أسطورية والكثير منها مأخوذ من نقوش صغيرة من كتاب الموتى. والهدف من كل هذا هو إثبات أن النور ينتصر على الظلمة، وأن الخير يدحض الشر، وأن الحياة تتجدد بعد الموت. أما النصوص المنقوشة في الأماكن الخالية فتصف المعركة الأبدية بين حورس ضد أخيه سيت وتتحدث عن تجوال إيزيس مع ابنها حورس وعن آلامها في بلاد مستنقعات البردي وقد أعطينا تخطيطاً لذلك في الصفحات (٠٣١- ٦٣١) وكذلك توجد صلوات لبعض الآلهة. والصرح بأكمله عبارة عن طلسم أو تعويذة جبارة منقوش عليها منحوتات سحرية وكلمات القوة، وقد نصبت بلا شك في إحدى باحات القصور للحفاظ على ساكنيه من هجوم الحيوانات أو أي شيء معاد، إن كانت مرئياً أو غير مرئي. وكانت قوى الطلسم غير مرئية. ولا يوجد أي إله مهم لم تنقش صورته على المسلة، وكذلك كل الشياطين والحيوانات الشريرة والزواحف، وقد نقشت وهي مدحورة. ويمكن القول إن الشخص الذي عملها له معرفة تامة بأساطير مصر القديمة وكذلك كان ماهراً في صنعته. أما لوحة حورس

(سبي حورس Cippi) فهي نموذج مصغر لمناظر وكتابات مسلة (مترنجستيل Metternichstel).

وبدون شك، فإن الكثير من النقوش التي وضعها الغنوصيون على الأحجار الكريمة مستقاة من هذه المسلة. وقد تم صنع بعض التماثيل من هذه اللوحة (Cippi) من البرونز في عصر (البطالمة Ptolemic)، وكذلك العهد الروماني، أو نحتت من الصخر وقد دفنت في المقابر أو تحت أسس البيوت، لطرد العفاريت التي تزعج الأحياء والموتى.

ويروي المؤرخ العربي المسعودي(١) أسطورة غريبة عن الطلاسم التي استخدمها الإسكندر الكبير لحماية مدينة الاسكندرية عند تشييدها، وبما أن الأسطورة من أصل مصري، وأن تواريخها من الفترة لم تُمح تماماً من المادة التي صنعت منها مسلة (مترنيخ Metternich) فإن من الجدير الإشارة إليها. عندما كانت أسس المدينة يتم شقها وبدأت الجدران بالارتفاع كانت تظهر حيوانات وحشية من البحر كل ليلة، وتأخذ بتهديم كل ما تمي تشييده، خلال ذلك اليوم، وقد تم استخدام الحراس لطرد تلك الحيوانات الوحشية، ولكن رغم ذلك كان يُهدم ما يبنى في النهار. وبعد تفكير طويل وضع الإسكندر الكبير خطة يستطيع بواسطتها التغلب على وحوش البحر وصمم على تنفيذ الخطة. فصنع صندوقاً طوله عشرة أذرع وعرضه خمسة أذرع، وجوانبه مصنوعة من صفائح زجاجية مثبتة بأطر بواسطة الزفت والصمخ الخ. واختبأ الإسكندر داخل الصندوق مع شخصين ماهرين بلعبة الداما وبعد أن أغلق الصندوق تم سحبه إلى داخل البحر بواسطة باخرتين وبعد أن ثبت في قاعدة الصندوق كميات من الحديد والرصاص والصخر، بدأ الصندوق بالغرق. وبعد أن تم توجيه الصندوق إلى المكان الذي يرغب الاسكندر في الوصول إليه، وذلك بواسطة حبال مربوطة في الباخرتين، واستقر الصندوق في قعر البحر، بفضل شفافية الزجاج المثبت على جوانب الصندوق وصفاء مياه البحر، تمكن الاسكندر ومرافقوه من مراقبة مختلف الوحوش البحرية التي كانت تمر بالقرب من الصندوق، وشاهد الاسكندر أنه رغم أن الحيوانات كانت على هيئة إنسان، ولكنها كانت برؤوس وحوش وكان بعضها يحمل الفؤوس والآخر مناشير، والبعض الآخر مطارق وبدوا أشبه بالعمال. وما أن مروا من أمام الصندوق رسم الإسكندر ورفيقاه هيئات تلك المخلوقات على الورق بكل دقة. وبعد أن تم نقل

صور تلك المخلوقات على الورق أرسل الاسكندر إشارة إلى الباخرة فتم سحب الصندوق إلى سطح البحر. وما أن وصل الإسكندر الساحل حتى أصدر الأوامر بصنع تماثيل من صخر ومعادن للوحوش البحرية التي رسم صورها عندما كان مختبئاً في الصندوق مع رفيقيه. وبعد أن تم صنع تلك التماثيل أمر بتثبيتها على منصات على طول ساحل البحر واستمر بتشييد المدينة (الإسكندرية). وعندما حل الليل، ظهرت الوحوش البحرية كالعادة. ولكن سرعان ما شاهدت التماثيل الشبيهة بها مثبتة على طول الساحل، وعادت على الفور إلى البحر ولم تظهر ثانية.

وبعد أن تم تشييد المدينة وسكن فيها الناس، ظهرت الوحوش البحرية مرة ثانية. وكان يكتشف في كل صباح على أن عدداً من الأشخاص كانوا من المفقودين. ولأجل منع حدوث ذلك أمر الإسكندر بتثبيت طلاسم على الأعمدة التي كانت، حسب ما جاء في رواية المسعودي، موجودة في أيامه.

وكان كل عمود على هيئة سهم بارتفاع ثمانين ذراعاً ومثبتاً على قاعدة من النحاس. وكانت الطلاسم توضع في الأسس، وكانت على هيئة تماثيل لكائنات معينة بنقوش مناسبة، يتم تثبيتها في مواضعها بعد حسابات فلكية دقيقة يتم القيام بها للغرض الذي نترض بأن يعطي التأثير الذي يرغب فيه الملك.

النبوءات البابلية

لمجموعة من الباحثين الغربيين

ترجمة

جسن هيثم الطريحي

مراجعة

محمد سعيد الطريحي



الكوفة

Kufa Academy

هولنده

النبوءات في عهدي الملكين أسرحدون وآشور بانيبال

بقلم: جوسي آرو (هلسنكي)

نشرت العديد من المخطوطات المدونة على الألواح التي تدور حول النبوءات الملكية في الفترة الآشورية وخاصة في عهدي الملكين أسرحدون وآشور بانيبال من قبل عالم الآثار (هـي. أي. كنودستون) وذلك عام ١٨٩٣ والعالم (أي. جي كلوبر) وذلك عام ١٩١٣، وبالإضافة إلى تلك الألواح، عُثر على عشرين شذرة (قطع صغيرة من الألواح) لايزال العديد منها غير منشور إلا أنه يمكن ربط قسم كبير منها بالنصوص المنشورة كما عثر العالم (آل كينج) عام ١٩٠٤ على عدد آخر من الشذرات تدور حول النبوءات الملكية، وأدناه بعض الحقائق المعروفة التي وجدت أنه من المفيد الإشارة إلها هنا:

إن المادة مقسمة إلى مجموعتين، إستفسارات من عهد الملك أسرحدون والسنوات الأولى من حكم الملك آشور بانيبال المتدة من ٦٧٦ ق.م وحتى عام ٦٥٧ ق.م وتقارير تعود للفترة ٦٥٢ – ٦٥٠ ق.م ذات علاقة بالحرب التي شنها آشور بانيبال على شمش (سوم أوكين Samas – Sum – Ukin) تتصف المجموعة الأولى بإستهلالها بالجملة:

(شمش بيلو رابو سا أسالوك أنا كينا أبولاني Samas belu rabu sa asalluk anna kina apulanni)، والتي تعني:

(شمش إيها الآله العظيم أطلب منك جواباً بكلمة (نعم) أو (كلا) على إستفساري).

وغالباً ما يطرح المستفسر عن طالعهُ على شكل سؤال تبدأ بكلمة (أزب سا Ezib Sa).

وهناك فقرات محددة ترد في معظم الإستفسارات تؤكد على نظافة المكان الذي تجري فيه الطقوس وكذلك نظافة الكاهن الذي يقوم بالطقوس والمبالغة في التضرعات إلى الآلهة.

وبعد التأكيد على تلك الملاحظات يتم إعادة السؤال مرة أخرى ويكون هذه المرة على شكل فقرة متممة (أسألك شمش بيلو رابو Asalka samas belu rabu)، والتي تعني:

أسألك شمش أيها الآله العظيم فيما إذا كان بمستطاعك أن.......) ويتم إضافة سطور من الصلوات التالية في النهاية.

أينا ليبي سا آني أيزازاما أنا كينا اوساراتي سالاماتي سيرا تاميت دامكاتي سلاماتي سا ديتم سا بي أيلوتيكا رابيتي سوكناما لومور

Ina lbbi sa anni Izizamma anna kina usurati[1]Salamati sera tamit damqati salamati sa ditim sa pi elutika rabiti suknamma lumur. التي تعني:

قف وسط هذه الكلمات وضع كلمة (نعم) وخطوط ذات طالع حسن ونبوءات حسنة للإستفسار وذلك بنطق كلمة (كيبتيم Qibtim) أو (سليتيم Silitim)[٢] التي تمثل كلاهما طالع حسن، وذلك عن طريق فم الآلهة العظيمة لأتمكن من مشاهدتها أو ما شابه ذلك.

ويتم عادة تهيئة اللوح ووضعه أمام الآلهة قبل إجراء الطقوس، وشكل اللوح غريب فهو مستطيل وغليظ وتشبه الكتابة المدونة عليه الكتابات المدونة على أختام البراميل حيث بدت كبيرة وخشنة.

ويترك فراغ عادة قبل الجملة الختامية أو بعدها لتسجيل النبوءة التي يحصل عليها الكاهن بعد إجراء الطقوس.

وتضاف للنبوءات عادة فقرات تمهيدية أو إستهلالية كما هو عليه الحال في تقارير (أو بي OB) أو (أم بي MB) مع فارق وجود (بي B) قبل كل مدخل مستقل، التي عادة ما تكون مقتطفات شفوية من النبوءات القانونية.

وقد وردت بعض الرموز في بعض النبوءات أحتاجت إلى جهد لتفسيرها مثل ما ورد في النبوءة التالية:

جيس ما با؟ لا؟ سيك كان نا أم أوس كو لا با سيما اوتو او مار اوتو اينا مكال كالي؟ كا ايس لا ني او سو اينا سليم تيم او نا سليم تيم سلمات Gis ma ba? La? Sik – kan - n aim us – qu – la – pa simma utu u kmar utu ina makal kale? qa is – le ni us – su ius silim – tim u nu silim tim silimat – التي تعني:

---

(١) Asalka: لاحظ الموروث الذي أرثناه من سكان هذه المنطقة حيث لا تزال تستعمل كلمة أسألك حتى يومنا هذا. (المترجم)

(٢) سلاماتي وسليمتيم (Qibtim - Silitim) تعني طالع حسن يرجى ربطها بكلمة سليمة باللغة العربية أو طالع سليم الذي يعني حسن. (المترجم)

أن قارب بدون شراع سيجعلها تنحرف وأن الآلهان شمش ومردوخ الجالسان في حفل عشاء سيستمران في البحث عنه؟؟ وتدل مثل هذه النبوءة على طالع حسن.

أما المجموعة الثانية فقد وردت على شكل تقارير تشمل توقعات وتمثل النبوءات الشيء الأساس فيها.

وهناك عدد آخر من النبوءات التي تبشر بطالع نحس التي غالباً ما تصاحبها نبوءات قانونية يتم تكرارها في أعقاب الجملة الأولى للنبوءات مع تذييلها بالجملة التالية: (ستاك ميس كار ميس Stag mes car mes).

التي تعني هناك خمس نبوءات تبشر بطالع نحس، وتُذيل الإستفسارات عادة بإسم الكاهن المشرف على الطقوس ويُطلق على كاتب التقرير إسم (بارو بيل تيم Baru bel teme) والكلمات في نصوص هذه التقارير لها شكل محدد، وتختلف عن المجموعة الأولى كبر حجم الكلمة وحجم اللوح المدون عليه التقرير، وتشبه نصوص هذه التقارير نصوص (تاميتو)[1] وقد أشار إلى ذلك عالم الآثار (كلوبر) وتم نشر قليل من تلك التقارير، من بينها تقرير يدور حول الحروب، ويتعين التأكيد هنا بأنه لم يتم إستخدام أي نص من نصوص تاميتو في هذه التقارير حيث تستهل نصوص تاميتو بمخاطبة الآلهان شمش وأدد.

(شمش بيل وأدد بيل بيري Samas bel denim adad bel biri)

التي تعني: شمش آله القرار وأدد آله التوقعات، ويتم وصف الشخص الذي يبحث عن طالعه بالجملة التالية:

En Sig Gi (ate) u tug sit (ulinni) anni

ان سيغ جي (أيت) او توغ سيغ (اولاني) اني، التي تعني:

مالك هذا اللباس الصوفي الغامق.

ومن الجدير بالإشارة إليه إلى أنه هناك تشابه كبير في صياغة الجمل، على سبيل المثال تعني الجملة.

ايلو – اوت – كا – كو – نو – كال – تيزو – او

Ilu – ut – ka – ku – nu – gal – tizu – u

أعلم من آلهتك العظيمة، أما الجملة:

Ina ka (atu a iskur) dingir – ti – ku – nu

---

(١) نصوص تاميتو: لها علاقة بالنبوءات في بلاد ما بين النهرين قديماً. (المترجم)

Dingir – ti – ka – gal – ti – ga – bi – I – ku – un – ma

أينا – كا (اوتو او ايزكور دينجر تي كو نو

دينجر – تي – كا – كال – تي – كا – بي – اي – كو – اون – ما

فتعني: هل نطقت بها أيتها الآلهة العظيمة

كما يظهر تشابه في الأخطاء الإملائية وإختيار العناوين لتلك الإبتهالات والتعاويز، وتساعد نصوص تاميتو بعض الأحيان في إعادة صياغة الأسطر التي تحطمت في التساؤلات، على سبيل المثال: ربط السطر

Ezib sa mes gab sa a ti as bam as su – u? in dag ؟

أزب سا ميس كاب سا – آ – تي آس - با – ما – سو – أو؟ اينا – دانج

مع الفقرة التالية المنقولة من نص تاميتو:

Ezib sa – inim – kur – se – u – ki – bi – is – gir – kur – igib – ru – kur – is – su – u – 150 – su – ina – dag – mes – lahl – sa – a – ti – as – bu – ma – su – u – ina – bi – rit – dag – mes – sa – kur – eimes .

أزب – سا – اينيم – كو – س – او – كي – بي – از – جير – كور – اجي – رو – كور – سو – او – ١٥٠ – سو – اينا – دانج – ميس – لال – سا – آ – تي – آز – بو – ما – سو – او – اينا – بي – رت – دانج – ميس – سا – كور – اي – ميس.

التي تعني:

بصرف النظر عن إمكانية سماع صوت وكلمات الأعداء ومشاهدة آثار أقدامهم، أن العديد يجلس على يمينه ويساره على هيئة تاهاساتي ولذلك يتعين عليه التجوال بين مواقع العديد، وتبدو الكلمات:

كاب – اور – سا – آ – تي Kab – or – sa – a – ti

أصلية حيث تبدو واضحة في مواقعها.

فكلمة _كابو qabbu) معروفة في لهجة (نا Na) وهي لهجة آشورية لكلمة (كابالتو qabaltu)[1].

أما كلمة (تاهاساتي Tahsati)، فغير معروفة حيث يمكن ربطها بالفعل (هيوسو هاسو Hesu hasu) التي تعني (لتعطية) ويعتقد البروغو (لامبرت) أن كلمة:

---

(١) كابالتو: لاحظ التقارب بين هذه الكلمة وحكمة (كابالا qaballa) التي تستخدم اليوم لطقوس السحر (المترجم).

سوبات تاهاستي Sunalt Tahsati) تعني كمين وهي هنا تناسب النص.

وتشير عدة مصادر إلى أنهُ كانت تجري في الأزمنة القديمة في بلاد ما بين النهرين طقوس مكثفة للنبوءات تدور حول نجاح أو فشل الحملات العسكرية، وإخلاص أتباع الملك وصحة أعضاء العائلة المالكة.

وورد في رسائل الملك أسر حدون بأن إهتمامهُ كان موجها حول مختلف أشكال النبوءات والطقوس الخرافية.

صحيح أنهُ كان هناك كهنة عرافين الذين يطلق عليهم أسم (بارو Baru) في آشور حتى قبل فترة توليه الحكم، حيث إحتوت المكتبات الآشورية على نبوءات مستقاة من أشكال أكباد الحيوانات التي كانت تقدم كقرابين للآلهة.

أما بالنسبة لسلفهُ من الملوك فيذكر بأن الملك سرجون كان لهُ هو الآخر إهتمامات بالنبوءات، إلا أنهُ لم يعثر على مثل تلك النصوص قبل عهد أسر حدون وبدا تطور في النصوص الطقسية للنبوءات في عهد (أسر حدون)، فقد دونت معظم النصوص باللغة البابلية بإستثناء النصوص التي دونت في السنوات الأخيرة من حكمه عندما كان آشور بانيبال ولياً للعهد حيث دونت باللغة الآشورية رغم علاقتها باللغة البابلية.

ومن ذلك يستخلص الفرد إنطباعاً بأن الملك أسر حدون قد إستعان بخبراء من بابل لتعليم الخطاطين الآشوريين طريقة تدوين النصوص الطقسية للنبوءات، ومعظم النصوص الطقسية للنبوءات غير مؤرخة، والمؤرخ منها إقتصر على ذكر اليوم والشهر دون الإشارة إلى السنة، والنصوص القديمة كما ذكرنا غير مؤرخة بإستثناء نص (أدانو Adannu) الذي ظهر فيه اليوم والشهر الذي دون فيه.

وبعد ذلك أصبح من المألوف الإشارة إلى الشهر واليوم وأخيراً الإشارة إلى (ليمو Limmu) أيضاً وأقدم (ليمو) تم الحفاظ عليها هي:

(نابو – بل – آشور Nabu – bel – usur)، والتي تدور حول مرض أسرحدون، وهناك ألواح (ليمو) آخرى مكسورة تضمنت (أتار أيلو Atar – ilu) المدونة عام ٦٧٣ ق. م و(أيتو - أب – آ – آ – Itu – ab – a – a ؟) المدونة عام ٦٦٨ ق. م.

ونستنتج من هذا بأنه لو كان هناك نص كسر من الجزء الذي يحتوي على كلمة (ليمو) فإن تاريخ ذلك النص يرجع إلى ما بعد عام ٦٧٢ ق.م وليس قبل ذلك التاريخ.

ويمكننا جمع إشارات ومعلومات أخرى مثل أسماء الموظفين وكتاب التقارير والنصوص، وهناك إمكانية أن تكون النصوص التي لا تحمل أية إشارة للموظفين هي

الأقدم وعليه فأن أسماء الموظفين تبدأ لتظهر مدونة على الحاشية، أو في نهاية النص بجانب التاريخ.

وفي معظم النصوص تظهر في بداية النص إشارة لإسمين فقط، وفي وقت لاحق أي في الفترة التي تم تنصيب آشور بانيبال فيها ولياً للعهد عُثر على أسماء مجموعة بكاملها، والكلمتان المدونتان في النصوص هي:

كلمة (نادينو Nadinu) وكلمة (تابني Tabni)

فعندما ترد هاتين الكلمتين بشكل منفرد فإنهما تشيران إلى فترة سابقة، وقد برهن علماء الآثار بأن النصوص التي تتضمن الجملة:

(سوما ونابو أو ساليم Suma And Nabu – Usallim) والجملة:

(سوما وبيل أوساليم Suma And Bel – Usallim) دونت قبل عام ٦٧٢ ق. م.

كما تم العثور على نصوص تحمل الكلمات (مردوخ سوم اوسور Marduk – sum – usur)، وغالباً ما ظهرت مرتبطة بأسم (ناصرو Nasiru)، وغالباً ما ظهرت مرتبطة بأسماء أشخاص آخرين مثل (أكارا Aqara) ويبدو أنه تم تدوين تلك الألواح في أماكن مختلفة قسم منها في (تاربيزي Tarbisi) و(أديا Adia) وأنه كان معظمها كما يبدو قد تم تدوينها في (كلح Calah) ويرهن علماء الآثار على أن النصوص التي تحمل الجملة (مردوخ سوم أوسور) تعود إلى نهاية فترة حكم أسر حدون خاصة إذا وردت مع إسم جماعة أكبر، وكان الملك أسر حدون يدون التقارير بنفسه خاصة في الفترة ٦٥٠ – ٦٥٢ ق. م.

وتظهر كلمات أخرى في النصوص مثل:

(داناجا Danaja) و(آشور داتين سارا sara Assur dannin) و(ايلو ازباتاتي ilu isbatanni) و(زيزي zizi)

وتبقى إمكانيات تحديد تواريخ تلك النصوص محدودة.

الـــولادات المســخ والنبـــوءات

بقلـم: إيـرل لايتـي Erle Leighty

لعبت النبوءات في الأزمنة القديمة دوراً كبيراً في بلاد مابين النهرين، وإهتم الكهنة بتلك التنبوءات وقد إعتمد الكهنة العرافين في نبوءاتهم على الزيت والدخان وأكباد الحيوانات وتقلبات الطبيعة، وبطبيعة الحال، أن أي حدث غريب في الطبيعة كان يُعد أما نذير شؤم أو فأل حسن، ولأجل تسهيل عملية تفسير معاني تلك المعجزات في الطبيعة صنفوا الأحداث الغريبة في الطبيعة في قوائم، وقد ضمت إحدى تلك القوائم التي يطلق عليها إسم (سوما أزبو Summa Isbu) والتي كانت محفوظة في مكتبة (آشور بانيبال) الفين نبوءة خطت على أربعة وعشرين لوحاً.

كما استنبطت بعض النبوءات في الولادات الشاذة للكائنات سواء كانت على هيئة بشر أو حيوان.

وتعود قوائم (سوما أزبو) التي تدل على نذير نحس إلى الحقبة البابلية القديمة وبالتحديد في عهد (بوغازكوي)، وقد سطرت باللغات الأكدية والحيثية والحورية والأوغارثية[١].

ولايمكن بدقة تحديد المدة التي بدأ بها البابليون بالتنبوء بواسطة الولادات المسخ للكائنات إلا أنه يمكن التكهن بأن اللجوء إلى مثل هذا النوع من النبوءة قد بدأ في حقبة مبكرة، حيث أنه من غير المعقول أنه لايتأثر سكان بلاد ما بين النهرين القدامى بتأثير الآلهة وتقلبات الطبيعة على حياة البشر والولادات المسخ للكائنات، ولدينا شواهد عديدة غير مباشرة حول إعتماد سكان بلاد ما بين النهرين على النبوءات في الولادات، وقد ظهرت أولى تلك النبوءات في الحقبة البابلية الأولى، ويبدو إنها كانت مبنية على المراقبة للأحداث غير الطبيعية.

وبدت تلك النبوءات وكأنها تحمل صفات التقاليد المنقولة شفاهاً حيث تنتقل من موضوع إلى آخر، ويعود تاريخ العديد من تلك النبوءات إلى حقب قديمة، ربما أقدم من الحقب التي دونت فيها تلك النبوءات مما يدل على وجود التقاليد الموروثة شفاهاً، وتمثل تلك

---

(١) الأوغارثية: ظهرت اللغة الأوغارثية في أكد وكويسنجق وآشور ونمرود وسلطان تبب وسوسة وبابل وبئر سبع والوركاء.

النبوءات المدونة نسبة ضئيلة من النبوءات التي كانت موجودة في الحقبة البابلية القديمة، بما أن ألواح (بوغاص كوي) كانت قد نقلت من تلك الحقبة، وتضم تلك النبوءات مقاطع بابلية قديمة مثل لقطة (أستي آت Is-Ti-AT) ولفظة بي هات (Pi – HA – A – AT) ولفظة (بي – Bi) وحدث تغير جذري في أعقاب الحقبة البابلية القديمة حيث لوحظ:

أولاً: ظهور ظاهرة ترتيب تلك الألفاظ بشكل منسق، مما يدل على أن تلك النبوءات – كان قد تم ترتيبها بناء على أوامر صادرة من ملوك تلك الحقبة وقد ضمت تلك النبوءات على دلالات ومعاني التشوهات – الخلقية في الولادات.

فعلى سبيل المثال: تتناول الفقرات (١ – ٢٣) المسطرة في اللوح الثالث شرحاً لمعاني ودلالات التشويهات الخلقية في الأذن.

وتتناول الفقرات (٢٤ – ٤٣) شرحاً لدلالات ومعاني التشويهات في تقاطيع الوجه.

وتتناول الفقرات (٢٤ – ٦٣) شرحاً في معاني التشويهات في اليد وأصابع اليد والقدمين.

وتتناول الفقرات (٦٤ – ٧٩) شرحاً لمعاني التشويهات الخلقية في الأمعاء والأعضاء التناسلية والفخذين.

وتتناول الفقرات (٨٠ – ١٠٠) شرحاً في دلالات ومعاني القدمين.

وتعذر على علماء الآثار قراءة النبوءة الختامية والتعرف على دلالاتها.

ثانياً: إضافة نبوءات جديدة في محاولة لجعل القوائم تبدو متكاملة، وتضم القوائم المضافة نبوءات حول دلالات التشويهات الخلقية في الجانب الأيسر من الجسم، تتبعها نبوءة مشابهة تضم دلالات ومعاني التشويهات الخلقية التي تظهر في جانبي الكائن.

ويؤكد هذا التشابه في تسطير المعاني والدلالات والشمولية العامة للقوائم على أن أغلبية النبوءات أضيفت بشكل مدروس ومنظم وليس عن طريقة الملاحظة والمراقبة للتشويهات الخلقية.

وقد تم إطالة القوائم عن طريق إضافة نبوءات جديدة بعدة طرق، وقد أستخدمت أبسط الطرق مع النبوءات التي تعالج الأجزاء الثنائية من الجسم مثل: العينين والأذنين واليدين والذراعين.... ألخ.

على سبيل المثال: إذا كانت إحدى النبوءات تتمثل بولادة الكائن بدون أذن يمنى عندئذٍ يمكن إضافة نبوءة ثانية حول ولادة كائن بدون أذن يسرى ونبوءة ثالثة تنذر بولادة كائن بدون اذنين.

وإستخدمت طريقة ثانية بزيادة عدد النبوءات (بالنسبة للنبوءات التي تضم الصفة العددية) مثل تعدد الولادات.

مثال على ذلك: إذا كانت هناك نبوءة تدور حول الولادات الثلاثية، عندئذٍ يمكن إضافة نبوءات جديدة مشابهة تخص الولادات الرباعية والخماسية والسداسية.... إلخ.

وفي بعض الأحيان تم إضافة مجاميع من النبوءات عن طريق التشابه.

مثال على ذلك: تم إختيار النبوءات التي تعالج ولادات البشر، ومن ثم تمّ إعادة صياغتها لتعالج الولادات الملكية أو الولادات الحيوانية.

وهناك إمكانية بأن يكون قد أستخدم طراز آخر من الإضافات بشكل واعٍ، إلا أنه لا يمكن الجزم هنا، فإذا كان الخطاط يحتفظ بنبوءة حول الطفل المسخ حديث الولادة الشبيه بالحيوان فبإستطاعته إضافة نبوءات أخرى حول الحيوان ذو العلاقة بالوليد المسخ، وهناك عدة قوائم بالنبوءات الخاصة بالحيوانات المسخ إلا أنه أي منها لا يتبع أي تسلسل ثابت.

كما يمكن في بعض الحالات إضافة نبوءات تدور حول الكائنات المسخ عن طريق التشابه مع النبوءات السابقة.

مثال على ذلك: إذا كان لدى الخطاط نبوءة تدور حول الجانب الأيسر من الجسم والذي يدل على حكم طويل للملك، فإن بأستطاعته إضافة نبوءآت أخرى تعالج الجانب الأيمن للجسم مضيفاً بذلك إلى القوائم مخلوقات مسخ (تتكهن بحكم قصير للملك).

وتتكرر لفظة المخلوقات المسخ في أدبيات النبوءات، وفي إعتقادي بأن معاني تلك النبوءات لم تكن تؤخذ بشكل حرفي، وإنما كانت تُعبر عن طالع سيء أو طالع جيد.

وبما أن جميع المخلوقات المسخ كانت تعتبر مخلوقات غير محببة أو مرغوباً بها، لهذا كان من الحكمة أن يجعلوها مقترنة بنبوءات ذات طالع سيء.

وفي إعتقادي أن هناك حكمة من كثرة عدد النبوءات ذات الطالع السيء، حيث يؤخذ على الكاهن نقطة ضعف في حالة فشله في التكهن بطالع مبشر، أما إذا تنبأ بوقوع طالع سيء ولم تتحقق نبوئته فإن الشخص المعني بتلك النبوءة قد يصفح عن الكاهن من شدة سروره ويحاول أن ينسى الموضوع برمته.

وتبدو النبوءات وكأنها عملية مستمرة أمتدت لمدة طويلة ومن أماكن مختلفة وفي المرحلة البابلية الوسطى سطرت النبوءات على ألواح في تسلسل واضح، ورتبت الألواح نفسها بعد أن تم ترقيمها.

ويبدو أنه تم ترتيب النبوءات على الشكل التالي:

وضعت تحت تصرف الخطاطين العديد من الألواح يحتوي كل منها على قسم من النبوءات.

ويبدو أنه تم إضافة تلك النبوءات في وقت لاحق بموجب تسلسلها معتمدة على الجزء التمهيدي بحيث تتدرج من الأعلى إلى الأسفل، ويُعتقد أنه تم إضافة النبوءات الفردية والمقاطع الصغيرة من النبوءات في نهاية المقاطع الكبيرة وإذا وضعت السلسلة على الجدول موضحين موضوع الجزء التمهيدي، نرى بأن النبوءات تقع في مجاميع الصغيرة مع المجاميع الكبيرة.

ونجمت عن هذا التنظيم سلسلتان منفصلتان هما:

- (سوما سينستو أرتما Summa Sinnistu Aratma) التي تحتوي على نبوءات مستنبطة من الولادات البشرية.
- و(سوما أزبو Summa Iabu) وتحتوي على نبوءات مستنبطة من ولادات كائنات غير محددة.

وتم تسمية كل سلسلة من السطر الأول من اللوح الأول، وهناك دلالة على وجود سلسلة مستقلة من حقيقة حمل السلاسل النظامية الأخيرة الإسمان، ويبدو أن التمييز بين السلاسل قد دام فترة وجيزة حيث لم تسترجع الألواح في سلسلة (سوما أزبو) ترقيمها الأصلي، وبدلاً عن ذلك تم دمج السلسلتين وإحتفاظ السلسلة الأطول الإسمان، وتم ترقيمها بشكل متعاقب من اللوح الأول من السلسلة الأقدم وهي سلسلة (سوما سينستو آرالما Summa Sinnista Aralma) وربما تم دمج السلسلتين في سلسلة واحدة بنفس الطريقة كما تم دمج المجاميع الأصغر من النبوءات في لوح منفرد، ودمج المجموعتان الكبيرتان اللتان تمثلان سلسلتان مختلفتان في لوح منعزل (اللوح رقم ٥) والسبب المباشر في إدراج اللوح الخامس هنا بدلاً من إدراجه في أعقاب اللوح السابع عشر كما يتوقع غير واضح.

وأقدم السلاسل يتمثل باللوح الخامس ويبدو ذلك واضحاً من أرقام تنبوءات العهد البابلي القديم ومن النسبة الكبيزة للنبوءات التاريخية التي تتضمنها.

ويحتوي اللوح الخامس مالايقل عن إثنى عشر نبوءة مقابل سبعة عشر نبوءة في الألواح الثلاث والعشرين في السلاسل النظامية.

وهناك إمكانية بأن يكون قد تم إضافة الجزء الأخير من السلاسل النظامية للألواح (١٨ - ٢٤) التي ربما أضيفت إلى الألواح السبعة عشر بناء على أوامر صادرة من كبير الكهنة وتم ترتيبها فيما بعد، ويحتوي هذا الفصل على سبعة ألواح تضم نبوءات مستنبطة من حيوانات معينة، وتحتوي هذه الألواح على مجموعة كبيرة من النبوءات الحيوانية، وتبدو قسم من الألواح التي يُطلق عليها إسم (سوما آلو Summa Alu) وكأنها مؤلفة من نفس مجموعة نبوءات الحيوان.

لاتبدو القاعدة التي تُدرج بموجبها النبوءات في سلسلة (سوما آلو) أو سلسلة (سوما آزبو) واضحة إلا أنه بشكل عام تُدرج النبوءات التي تعالج الولادات والتشويهات الخلقية في سلسلة (سوما آزبو) والنبوءات التي تتناول سلوك الحيوان في سلسلة (سوما آلو) ولكن تبقى هناك إستثناءات مما يعني أنه لايمكن وضع خط فاصل بين السلسلتين، ففي بعض الأحيان تُدرج نفس النبوءة في القائمتين.

ويتعين التأكيد هنا، كما هو عليه الحال في موضوع إضافة النبوءات، على موضوع ترتيب النبوءات في نسخة نظامية التي قد لا تكون نتاج شخص واحد في فترة محددة من الزمن بقدر ما تكون نتاج عدة أشخاص على مدى فترة زمنية طويلة وفي مختلف الأمكنة.

ويبدو أن المحصلة النهائية لهذا الترتيب ورد في نسخة نظامية للسلاسل التي تم إستنساخها مرة بعد أخرى بدون إجراء تغيير جذري على فحواها.

ولقد تم إستنساخ السلاسل وحفظها للتأكد من صحة النبوءات، ويبدو ذلك واضحاً من الرسائل والتقارير وطقوس الفترة الآشورية الجديدة.

والمادة التي بين إيدينا الآن من صنفين:

- تقارير تتعلق بإكتشاف مخلوقات مسخ ووثائق ذات علاقة بطرد الشرور الناجمة عن ذلك المخلوق المسخ، ويتضمن الصنف الأول من تقارير ورسائل أما الصنف الثاني فيتضمن طقوس وأدعية، ومن دراسة هذه المصادر يمكننا إعادة بناء تسلسل الأحداث التي:

١. تم إكتشاف الكائنات المسخ.

٢. تم نقل إكتشاف تلك الكائنات المسخ إلى الكاهن أو العراف الذي يُطلق عليه أسم (بارو Baru).

٣. تم الرجوع إلى سلسلة (سوما آزبو) لإستشارتها حول الموضوع.

٤. تم تأليف تقرير مخطوط حول أهمية الولادة.

٥. تم إختيار طقوس مناسبة لمارستها من قبل طارد الشرور الذي يُطلق عليه أسم (ماسماسو Masmassu) لأجل طرد الشرور الناجمة من تلك المخلوقات المسخ.

وأول من إكتشف الولادات المسخ للكائنات هم المزارعين، ففي حالات الولادات الحيوانية يكون المزارع الذي يرعى القطيع أقرب الناس إلى إكتشاف الولادات المسخ في القطيع.

أما بالنسبة للولادات البشرية المسخ فإن أي شخص يكون مؤهلاً لإكتشاف تلك الولادات المسخ، كأن تكون الأم أو الأب أو أحد الأقارب أو القابلة التي أشرفت على الولادة.

ولا يمكننا تحديد نسبة الولادات المسخ التي أبلغ بها العراف، وقد عُثر في الأدبيات سجل لثمان ولادات مسخ وهناك إمكانية بأن يمثل هذا الرقم نسبة واطئة للولادات المسخ التي حدثت في تلك الفترة ومع أنه ليس هناك إحصائيات دقيقة للولادات المسخ في فصيلة الحيوان، إلا أن هناك إمكانية تدعونا للإفتراض بأن الولادات المسخ بين الحيوانات ليس بأقل من الولادات المسخ بين البشر.

وفيما يخص الولادات البشرية في القرن العشرين في الولايات المتحدة علمنا بأن من بين كل مئتان ولادة يولد طفل واحد بتشويهات خلقية رهيبة تؤدي به إلى الوفاة، كما أنه من بين كل مئة ولادة يولد طفل واحد أما أن يكون منغولياً أو يعاني من أمراض القلب أو تشوه الشفاه ويكتب له الحياة، كما أن هناك ولادات بتشويهات خلقية لايمكن إكتشافها بشكل مبكر مثل التخلف العقلي.

وبصورة عامة فأن ثلاث ولادات من بين كل ولادة تولد بتشويهات خلقية، وإذا أضيفت التشويهات الصغيرة مثل ظهور علامة على جسد الوليد أو ما يطلق عليه (الوحام) أو تشوه في إحدى القدمين أو زيادة في عدد أصابع اليد أو القدم فإن النسبة تزداد لتشكل عشرة بالمئة.

إضافة إلى حالات الإجهاض التي تمثل بحد ذاتها نقص في الوليد وإذا كتب له العيش فأنه بدون شك سيولد مشوهاً ولايمكن تحديد نسبة الإجهاضات بين النساء الحوامل، وتحدث هذه الإجهاضات في بعض الأحيان لعدم إدراك المرأة بأنها حامل وبصورة عامة تسجل الإحصائيات نسبة الإجهاضات بين عشرة بالمئة إلى ثلاثة وثلاثون بالمئة.

وعندما نأخذ بنظر الإعتبار العوامل التي لم تكن متوفرة قديماً في الشرق الأدنى مثل الرعاية الطبية الحديثة ومعرفة تأثير فصيلة الدم Rh والحصبة الألمانية، نرى بأن التشويهات الولادية كانت مألوفة في منطقة الشرق الأوسط قديماً.

ويمكننا الجزم هنا بأن الكاهن العراف كان يُبلغ بمعظم الولادات المسخ الذي يرجع بدوره إلى سلسلة (سوما آزبو) لدراسة الدلالات التي ترمز إليها النبوءة بعدها يبادر إلى كتابة الأدعية والأدعية في بلاد ما بين النهرين كانت بسيطة بمظهرها العام، ويتم إختيار الأدعية التي لها صلة بالولادة بعدها تسطر على لوح بمثابة دعاء، ويتم في بعض الأحيان توقيع الدعاء أو إضافة معلومات عليه، وعند نقل الأدعية من أكثر من لوح من السلسلة يرسم خط أفقي لفصل النبوءات والأدعية المنقولة من مصادر مختلفة..... وفي حالات معينة يضيف الكاهن العراف ملاحظاته في نهاية التقرير وتعتبر تلك الملاحظة أشبه بتبليغ للشخص ذي العلاقة ❖ بضرورة الكتابة مرة ثانية إلى العراف للإستفسار عن الموضوع في حالة تعذرهُ فهم التقرير ومن التقارير المعقدة التي أثارت إهتمامنا هو ولادة خنزير بثمان أرجل وذيلان وينبئنا العراف في ملاحظته التي دونها في نهاية التقرير بأنه تم الإحتفاظ بذلك الحيوان المسخ في المنزل بعد إضافة الملح عليه.

وليس هناك أي دلالة تشير إلى الإحتفاظ بالولادات المسخ في أماكن أخرى بجانب بلاد ما بين النهرين والمعروف أن الإحتفاظ بالولادة المسخ كانت تعتبر جزءً متمماً من طقوس طرد الشرور من الجسد ومع أن التقارير تبدو وكأنها توضح نفسها بنفسها، فإن لدينا دلالات تشير إلى أن شيئاً من سوء الفهم قد برز بعض الأحيان في بعض التقارير.

ففي رسالة موجهة إلى (أسر حدون) يؤنب الكاهن العراف أحد الخطاطين التابعين لبلاط الملك (أسر حدون) لعدم قدرته فهم التقارير حول ولادة مسخ كان العراف قد تنبأ بها في وقت سابق، فقد ورد في السطر الخامس من رسالة التأنيب التي بعث بها العراف إلى الملك (أسر حدون): "سأحاول في هذا اللوح الذي بعثت به إلى مولاي الملك أن أبين بأن هذا السطر قد تم خطه هناك! وأنني لأتسائل من هو ذلك الخطاط الذي فشل في إظهار السطر لجعله عاجزاً على فهم الموضوع؟"

وعادة تتخذ الخطوات المناسبة لطرد الروح الشريرة إذا كان الفأل نحساً، وهناك طقوس معينة لهذا الغرض يطلق عليها إسم (نامبوربو Namburbu) ويقوم بتلك

الطقوس شخصان، الشخص الذي تقتمصتهُ الروح الشريرة وطارد الأرواح الشريرة وهذه الطقوس تقع في ثمان فقرات مفصولة كل منها عن الأخرى بخط أفقي.

تتضمن الفقرة الأولى الغرض من وراء ممارسة تلك الطقوس طرد الأرواح الشريرة من جسد الولادة المسخ، يتبعه فصل يتضمن التهيؤات الموجب إتخاذها لممارسة ذلك الطقس والتي تتلخص بما يلي:

- يتعين على طارد الأرواح الشريرة بناء منصة من القصب على حافة النهر يغطى بحشائش ويزين الكوخ بعدة قرابين، ثم يقوم طارد الأرواح بتزيين الولادة المسخ بأوسمة ذهبية ويضعها على تلك المنصة المشيدة من القصب. ويتضمن الفصل الثالث تلاوة صلاة قصيرة إلى الإلة شمش تردد من قبل الشخص الذي تتقمصه روح شريرة ثم يقوم طارد الأرواح بإصطحاب الشخص المصاب إلى حافة النهر وترديد الدعاء الوارد في الفصل الخامس ويتضمن الفصل الخامس دعاء إلى النهر العظيم الكريم يُردد عادة من قبل طارد الأرواح الشريرة.

ويتضمن الفصل السادس على توجيهات طقسية إلى طارد الأرواح، حيث يُطلب من طارد الأرواح ترديد الدعاء الوارد ذكرهُ في الفصل الخامس ثلاث مرات والمبادرة إلى غسل الشخص المصاب ومن ثم رميه مع أشياء أخرى في النهر[1].

ويتضمن الفصل السادس على تعليمات موجهة إلى طارد الأرواح تحثه على تنظيف المائدة الطقسية والإرتماء على وجهه على الأرض وإرسال الشخص المصاب إلى بيته.

أما الفصل السابع فيتضمن تعاليم إلى طارد الأرواح لصنع عقد من تسع حصاة ووضعها حول رقبة المصاب لمدة سبعة أيام.

أما الفصل الختامي للطقس فيتضمن كلمات مسطرة في نهاية المخطوطة تشمل أسم الناسخ وزمان النسخ ومكانه وهي بمثابة شارة دار النشر في الوقت الحاضر.

ويبدو من الواضح بأن سلاسل النبوءات تم جمعها كأعمال يمكن العودة إليها عند الحاجة، وإن الغرض الأساسي من وراء القيام بها هو تقديم الأسس الثابتة لتفسير النبوءات وحالما يتم تفسير تلك النبوءات تقود سلسلة الأحداث المصمم لها بطرد الفأل النحس.

---

(١) ربما كان لهذا الفصل علاقة بالطقوس التي لا تزال تمارسها الطائفة المندائية (الصابئة) في العراق القاطنة جنوب العراق، فربما ورثتها من الطقوس البابلية والسومرية. (المترجم)

جـــــدول

١٦٠٠ قبل الميلاد: تم جمع التقاليد الشخصية وتسطيرها حتى نهاية الفترة البابلية القديمة.

١٤٥٠ قبل الميلاد: تم نقل النصوص البابلية القديمة وترجمتها إلى الأوغارتية في رأس شامارا.

١٣٥٠ قبل الميلاد: تم نقل النصوص البابلية القديمة وترجمتها إلى اللغة الحيثية والحورية (Hurrian) في بوغازكي (Boghazkoi) ومن ثم تم نقل التقاليد، إذ لم تكن النصوص إلى (الأتروسكيين Etruscans) ومن ثم إلى روما.

١٠٠٠ قبل الميلاد: تم تغيير السلاسل إلى عدة تقاليد وذلك خلال فترة غير محددة من الزمن التي نقلت إلى نمرود وآشور وكوينجق وسولتان تيب Sultan Tepe وسوسة وبورسيبا وبابل ومن ثم إلى أوروك.

٦٠٠ قبل الميلاد: جمع آشور بانيبال التقاليد وبعد أن أمر بإستنساخها أصدر أوامره بحفظها في مكتبته في كوينجق.

١٠٠ قبل الميلاد: أستنسخت آخر مدرسة للخط في بابل العديد من التقاليد الوارد ذكرها في السلاسل.

أهميـة النبوءة في مجتمـع مملكـة مـاري

بقلم: فنيت بروكسل

أطلق الرومان لقب الحدس الطبيعي على الإشارات التي ترسلها الآلهة مباشرة إلى البشر عبر الرؤى أو التحذيرات، أما التفكير أو التحليل الفكري فكان يمارس في مملكة ماري كما في غيرها بصورة دائمية، إن هذا النوع من النبوءات كان مبنياً على قواعد صارمة ومعزولة عن الظواهر وكانت تلك التحليلات تدون وتدرس وكان (الباروم Barum) عبارة عن رجل مفكر وتقني ومتخصص وكانت معرفته مبنية على التحليل وليس عن الإلهام أو الرؤى أو الأحلام، وتبنى تحليلاته على ظواهر مرئية وهي بصورة تقريبية ظواهر دائمية ويمكن تفسيرها وقابلة للتأويل ويمكن أن يعاد إنتاجها وهي تنقل عالم ما فوق الطبيعة إلى نتائج منظورة.

ومن قراءة الألواح السومرية نستنتج أن صفة الطبيب أو المتخصص بالزيت كانت تطلق على (الباروم)، وكانت النبوءات تقرأ في الزيت أو الماء أو مراقبة حركة النجوم ومن تحليق الطيور أو من تشريح أجزاء من جسد الحيوانات وقراءة الإشارات على الكبد أو القلب أو الرئة، وهذه التقنية لا تعود إلى مملكة ماري فحسب إذ كثيراً ما ظهر أسم (باروم) على الرقم الطينية السومرية ويسمى (ماسو غيد غيد Masu Gid Gid) ويتحدث عن قراءة الإشارات التي تظهر على أحشاء من جسم الحيوان، ونعرف أيضاً أن الملك وكبار رجال البلاط كانوا يستشيرونهُ وكذلك العامة عن المشاكل التي تواجههم ونعرف اليوم أن (الباروم)[1] كان يمارس فنه على أجساد العجول والماعز وفي اللغة الأكدية يسمى (نيباشتوم Nepestum) وكان عمل (الباروم) يستخدم تكنيكاً للحصول على ما يبتغيه من جثث الحيوان ودراسة الأحشاء وأغلب الأحيان تقرأ إشارات الآلهة وتحذيراتهم من الإشارات الموجودة على كبد الحيوان ويمكن أن نرى ذلك اذ وجدنا نماذج كبد في أرشيف مملكة ماري مصنوعة من الطين وقد كتبت عنها

(١) يسمى عند السومرينن Azuuzu وأحيانا Azu أي المختص بالماء وIzu خبير الزيت ويسمى عند الكلدانيون الطبيب آسوم Asum ويسمى في حضارة ماري باروم.

الآنسة (روتني)[1] وكل نقش يختلف عن الآخر وفريد في تفسيراته ولكن آخرين أستخدموا القلب والرئة أيضاً للتنبوء بالأحداث.

وكانت أحشاء الحيوانات التي تقدم كقرابين للآلهة موضع دراسة تنبؤية، إستشارات الملك ورجال الحاشية أما بصورة دورية أو أحياناً وتجرى الدراسات على النذور والهدايا التي كانت ترسل إلى المعبد من البلدان والقلاع والمدن وكانت تلك القرابين تستخدم بصورة دائمية لتلك الإستقراءات والدراسات التي يجريها (الباروم) وكانت الأنباء تبث أما بشكل شهري أو بصورة إعتيادية وأحياناً في مواعيد محددة مثل الأعياد. إذ تقدم في هذه الفترة القرابين كهدية للملك أو الجيش أو غيرهم، وقد كتب (أشمي داكان) إلى أخيه مايلي ((لقد أخذت الفأل من القرابين المقدمة لمناسبة تقديم القرابين في هذا الشهر من ساغاراتوم)) وكتب حاكم (تيركا) إلى ملكه أنه أخذ الأحشاء إلى نهاية الشهر لتحية المنطقة وأعطاها إلى العراف (أسقدوم) في معبد (أشماخ عدو)، وهناك إمكانيات أخرى إذ قام (موكا نزوم) بناء على أوامر من (زمري ليم) بإستخدام عرافين للتحقيق في قضية تخص الآله (أدد) وقام العرافان بدراسة أحشاء أربعة خراف وبقى خروف واحد وكان عليهم معالجته لتقديمه إلى المشغل، وفي اللوح رقم (٢٦٣) يطلب (كيري داكان) من نائب الملك في ماري ليأخذ الفأل لسلامة سيده ولتسوية قضية الفرقة العسكرية، ويتحدث رقُم آخر عن عراف وزميله أخذا الفأل إلى (زمري ليم) عن إحدى غزواته عبر النهر وأحياناً يُنحَرْ الحيوان لأخذ الفأل في القضايا المستعجلة، ويظهر أن هذا النوع من التضحية يجب أن يخصص من أجل القضية التي قُدم من اجلها القربان ومهما يكن السبب فأن الفأل كان يأخذ بصورة روتينية أو لمعرفة قضية خاصة.

في أغلب الأحيان كان الفأل حسناً وأحياناً يكون نذير شؤم وتؤجل أحياناً القرابين أو الفأل حتى يحل الفأل الحسن، أو الوقت المناسب، إذ يكتب العراف (أسقدوم) إلى سيده بما يلي: "لقد أخذت الفأل فيما يخص سلامة المبعوث وهي ليست جيدة وسوف أعيد فتح الفأل حيث تكون الظروف موآتية، وفي لوح آخر يطلب (أشم داكان) من أخيه التضرع إلى الآلهة لتمحي نذيراً بالشؤم أخذ الفأل جيد يمكن له أن يحمي التأثير الجنائزي لخسوف القمر.

---

(١) تم العثور على (٣٢) لوح طيني على شكل كبد مكتوبة في تل حريري.

وتقدم الملاحظات والنتائج عادة إلى الملك وكذلك الحكام ويبعث العرافون بتقاريرهم وتبدأ الفعاليات التي أخذ الفأل حولها بلا تأخير. أما إذا كان التفسير صعباً أو غامضاً فقد لاحظ أوبنهايم أن الرسالة ترسل مع نموذج من المخ مع التقرير المكتوب وكلمة فأل باللغة المارية هي (Tenrtum) ثينرتوم وأحياناً تستخدم بمعنى (فتح الفأل) وتصنع نماذج من الأحشاء من الطين المفخور حيث يمكن للملك الرجوع إلى تلك التقارير متى شاء ولديه (باروم) عراف لقراءة الرسالة أو النموذج وتحفظ الرسائل بشكل منظم فقد كتب (موكانشوم) إلى الملك الغائب عن ماري، لقد عالج العرافون أربعة عجول وها أنا أرسل لك بفألهم ويتكرم سيدي ويبعث لي بتقرير كامل عن هذه الرسائل، الرقيم (١٣٩) ويصطحب الملك في سفراته عرافون لحل الرسائل والفأل وبناء على ذلك تصدر التعليمات فلقد كتب (باهدي ليم) إلى (زمري ليم) مايلي:

((من أجل سلامة القطعات العسكرية أخذت الفأل وتأكد لي بأنه فأل حسن وبناء على ذلك حركت القطعات وكذلك أخذت الفأل لسيدي وأرسلته مع عراف بسرعة))، (الرقيم ٧٥) أما (أسماعدٌ) فيرسل لأخيه قلب أحدى القرابين أو النتائج مع التأويل الذي قام به العراف، قام (أسماعدٌ) بدوره بإرسال الفأل والتأويل إلى ماري مع إستنتاجاته (اللوح ٥٤).

وخلال فترة السيطرة الآشورية في عهد (زمري ليم) نرى أن العراف كان ملازماً للملك ويصاحبه في حملاته العسكرية ففي الرسالة رقم (٨٥) نرى أمراً بإرسال ثلاث عرافين وراء الملك (أسماعدٌ) في حملته وبضمنهم عراف الماء و(نارام سين) و(الباروم) الشخصي لنائب ملك ماري ولاتمرٌ الحادثة بسهولة إذ يكتب إلى أخيه حول هذا التهديد خاصة من أشخاص جاءوا من منطقة ستلومّ.

ويوجد عراف لدى كل قطعات الجيش حتى في حالة غياب الملك ويمكن للعراف قيادة فرقة، إذ نرى في إحدى الرسائل مايلي ((لقد سار العراف أيشو – ناصر)) على رأس (عينابان Inapan) من القطعات العائدة لسيدي أما مع القطعة البابلية فيسير عراف بابلي والرسالة موجهة من (أبال بي أيل Ibal pi el) إلى (زمري ليم).

وبصورة متواصلة يسافر عراف بلاط ماري (أسقدوم) إلى (ساغراتوم) لأخذ الفأل وكذلك إلى دور (أسماعدٌ) و(تركا) و(سيوروم) من أجل طلب الحماية من كل مدينة (الرقيم ٦٥) حيث لايوجد باروم رسمي للإقامة في هذه المدن لذا يرسل (باروم) العراف الرسمي العاصمة إلى المناطق القريبة للقيام بالواجبات، أما المناطق الأخرى

ومراكز المحافظات المسماة (باتوم Battom) مثل (ستولوم) على الضفة اليمنى لدجلة و(أيكالاتوم) (القريبة من بيجي حالياً) في عهد السيطرة الآشورية (وتل حايوم) غرب الخابور الأعلى في عهد (زمري ليم)، فلقد كانت مراكز مهمة بناء على العدد السكاني وكذلك لموقعها الجغرافي بالنسبة للمملكة، ولا يمكن لمثل هذا الوجود والكثافة السكانية بدون عراف، نجد أن هذه المراكز قد تم توحيدها سياسياً وإدارياً وكان كل من العراف والطبيب يقومان بدورهما في هذا المجال وهناك رسالة موجهة من الملك (النصورا) يطلب فيها أن يسكن عراف في مدينة كاهات والفضل يعود إلى (ال دوسن) الذي حدد موقع المدينة في (تل باري) في شمال شرق (تل براك) وهي مدينة أخرى من المراكز (باتوم).

ونقرأ في وثائق مملكة ماري أسماء العديد من العرافين الذين يتضرعون لإيقاف أعمالهم ولا نعرف سبب هذا الطلب، ولكن يمكن أن يعود السبب لإكتشاف دورهم السياسي وأن نظمنا الألواح فأننا يمكن أن نستنتج وجود مخاطر ومحاولة تخلص من مأزق قد يؤدي للتسميم.

إذ نقرأ في رسالة مرقمة (١٣٩) بأن (أيشو ناصر) العراف يذهب مع زميله من أجل إحدى الإستشارات حول الفأل ويأمر إحدى الفرق العائدة إلى (زمري ليم) بالإلتحاق بحمورابي في بابل وتحتل الفرقة مخزن للزيت وبعدها يظهر لنا أن (إيشو ناصر) هو حاكم منطقة قاطونان أما (أسقدوم) و(أسماعدٌ) فيأخذان الفأل إلى مدينة (ساغراتوم) و(تيركا) و(سبوروم) و(ماري) (الرقيم ٦٥) ويواجهان مشاكل عسكرية الرَّقْمْ (٩٨) مما دفع أسقدوم للتنازل عن فترة حكمه لفترة عام إلى الكرسي الملكي الآشوري ويبقى زمري ليم مسيطراً على زمام الأمور في بلاط ماري وبدأ بتقديم القرابين في كل المعابد وأخبره أحد العرافين أن ذلك يتعلق بخسوف القمر، لذا أمر الملك بإرسال بعثة لدراسة توزيع وإستغلال الحقول العائدة للبلاط وأعطى العراف إدارة منطقة واسعة على ضفاف الفرات على أن تذهب حصة منها إلى مخازن القصر، وكانت هذه جائزته لفتح الفأل عن خسوف القمر، والمفروض على الباروم إلا يقوم بأي مبادرة لانه يختلف عن وظيفة النبي الذي تلقى أوامر الآلهة ولكن كثيراً ما يغرى العراف ويدخل في مجال الإستقراء البصري ويتحدث عن رؤى مشكوك في صحتها إذ أن الرؤى هي أفعال من الآلهة وترسل إلى مختلف الكهنة أي إلى المتهنين من الكهنة حسب تدرجهم أو أي رجل أو أمرأة يصبحان وسطاء روحيين للآلهة وهذه الرؤى لا يمكن قبولها بدون ضمان

رغم إنها تنقل عبر الكهنة، لذا ترسل معها خصلة شعر وجزء من المعطف والأظافر لذا يمكن القول هذه الرؤى لم تكن بذخاً أو إمتلاكاً أو جنوناً.

إن الكاتب أو الباروم والطبيب هم مصدر العلم وهنا تكمن قوتهم فإذا كان الطبيب قادر على شفاء المرضى والباروم وآخر أسمه (أيشي عدو) يأخذ الفأل حول حملة عسكرية أو لحماية مدينة (سوبروم Suprum) وكان سفيراً للملك (زمري ليم) أما الباروم (آتور أسدو) فقد كان مسؤولاً عن ثروة وحسابات (زمري ليم) التي حصل عليها من (أسما عدٌّ) وكان حاكماً لـ (ناحور Nahur) ووصياً في بلاط ماري.

وهنا نلاحظ تداخل السلطة الدينية والمدنية ولكننا لا نعجب عن هذا التداخل إن كان على شكل تأثير سياسي كبير ويمكن له أن يؤثر على كل زمام المملكة في إنتظار فأل حسن أو غيره، وكذلك في القضايا العامة للأمة، إذ كان الباروم يؤخر أو يمنع إجراء أي مشروع ما لم يكن هو الذي يقترحه، فمثلاً يستشار الباروم حول فرص نجاح عمل ما يمكن أن يشغل المجتمع بأكمله إذ أنهما لديهما التحليل والعلاج، وحسب المعلومات المتوفرة لدينا فأن الجيوش كانت تسافر بلا طبيب ولكن لا يمكن أن تذهب في حملة بدون (باروم (Barum))، عراف.

بعض طرق النبوءات البابلية وعلاقتها فيما بينها

بقلم: جي جي جاو

مارس الإنسان عبر العصور مهنة الكهانة (العراف) ولاتزال هذه المهنة منتشرة حتى يومنا هذا في العديد من الشعوب خاصة البدائية، كما يؤمن بعض الأفراد في المجتمعات المتقدمة بالنبوءات حيث يعتقدون بأنها مصدر لسعادتهم لهم دون إبداء إستعداد للإعتراف بضعفهم، وكانت النبوءات تمثل دائماً محاولة لمعرفة أسرار المستقبل، رغم أن الإجابة كانت ترد أما خاطئة أو غامضة، وحسب القواعد المنطقية، فأن الكهانة مسؤولة عن جميع الأفكار الخاطئة التي تم تعريفها وتستخدم لغة غامضة ورمزية تناشد كبرياء الإنسان وتلعب بربط الأفكار بشكل إعتباطي، فألرموز التالية مقتبسة من كتاب التوجيهات اليدوية عند الآشوريين، يعني:

الطول = تحقيق الهدف

الشيء الغليظ = القوة

الإنحناء إلى الأمام = الحصول على شيء

بريق الشيء = فرح

وقال أفلاطون أن الرجل الواسع الأفق (Synoptic) هو الرجل الدايلكتيكي ولكن ذلك تفسير غير فلسفي للموجز المختصر (Synopsis)، وتحت تأثير مثل هذه الأفكار يقف الإنسان عند الشفق بين العالم الخارجي الذي يعرفه على الأقل وعالم طبيعته الداخلية المألوف لديه وغريب عنه بنفس الوقت. العالم الذي بدأ بالغور في أعماقه قبل بدء الحركة السايكولوجية التي سادت عصرنا وللبدء في هذا البحث، تعين البدء بالبحث من الخارج إلى الداخل، ويبدو من المفيد لدراستنا بأن تعطينا النبوءة الآشورية المثال الأول على هذه العملية.

في نبوءات تقاطيع الوجه التي تتكهن بعدة طرق حديثة، جميع المحاولات الخاصة بعلم الصفات كتب أحد الباحثين المشهورين في هذا الحقل:

١. بدأت من العالم الخارجي إلى نفس الصنف من التفسيرات من الرموز الخارجية تعود إلى قراءة الكف، الضواهر الفينولوجية Gales phenolosy [1] (دراسة تقاطيع الوجه

(١) علم يبحث في العلاقة بين المناخ والظواهر الإحيائية الدورية

وكذلك دراسة الخط وبتحد كبير حاول الكهنة الآشوريين عكس العملية في ذلك الصنف من النصوص الذي أطلق عليه تسمية (Sittenkanon) في هذا العالم نصفه مضاء فأن العقل سوف لا يتنازل عن جزء منه. ومحاولات عنيدة لتثبيت وتصنيف بما تستطيع إسترجاعه من جدول التجارب، وبذلك يبدأ الإرباك اللانهائي حيث تم فيه جمع محاولة دراسة أنواع النبوءات، وإحدى الحالات يجب ربطها مع حادثة لاحقة بشكل سببي

٢. وحسب الآراء القديمة يتعين تنظيم هذا الإرتباط عن طريق إرادة القوى الخارقة، ويمكن منح فهم النظام في العالم من الأعلى إلى الأدنى من الآلهة إلى الرجال وبدت الآلهة على إستعداد منح قراراتها ولكن كانت تفضل ذلك بطرق ترضيها، والنبوءة هي العملية أو إحدى العمليات التي يتم الحفاظ بواسطتها على هذا الإتصال عندما يراد التأكيد على نوايا الآلهة ولا ينطق بها بشكل حر.

وفي أعقاب الفترة التي تهمنا بشكل خاص طرحت عدة مقترحات لشرح وتصنيف وإستخدام مختلف أوجه النبوءات، وليس بمستطاع أي منها النجاح في إعطاء طريقة صحيحة لأن المعلم حكم عليه بأن يكون غير ثابت بشكل دائم، والظاهرة المتعددة النواحي تربك العقل في محيط لايسيطر الإنسان فيه سوى على نصفه وحيث تتداخل قوى أكبر ولا يفهم العقل منطق القلب، وهنا يأتي التمييز الذي قدمه (شيشيرون) بين النبوءات الطبيعية والنبوءات الإصطناعية والفرق بين الحدس والإستقرار، وهي تتلائم مع المادة البابلية إلى حدٍ ما حيث نجد عند البابليين النبوءات والوحي والأحلام والغيبوبة ولكن سرعان ما يتداخل التفسير ونولج في المجال المصطنع. لقد حاول الرومان التمييز بين هذه الحالات بما يسمى بالتوسل والابتهال (Ablative impitrita). ولكننا مرة أخرى لانواجه صعوبة في إيجاد أمثلة حيث تجمع المعلومات العادية وتصنف ليستنتج منها تفسير.

وفي هذا المأزق ولغرض الوصول إلى بعض أوجه النبوءات البابلية علينا أن ننظر إليها بطريقة التطور والإلتزام بالحقبات التاريخية. أن النبوءات في جوهرها هي وسيلة للإتصال بالآلهة ومن الممكن تتبع تطور عملية إيصال أهداف الآلهة إلى الإنسان. وبصورة عامة يمكن تلخيص ذلك التطور في كون الآلهة لاتدخل في حوار مع الإنسان مما أدى لقيام البشر بتفسير الإشارات الآلهية.

ففي البدء سارت الآلهة بحرية مع البشر (Denzens) وحدث ذلك لعدم وجود فرق بين الآلهة والبشر عندئذٍ حيث هناك إشارات في الأساطير والملاحم تدل على وجود حوار بين الآلهة والبشر ولكن الآلهة إنسحبت وأصبح ذلك أكثر وضوحاً، ومن مزايا هذا الإبتعاد الطريقة التي بدأت فيها النبوءات تبتعد عن التحليل كما نجد ذلك في رسائل مملكة (ماري) حيث نجد بأن الآلهة تتحدث بسذاجة وبراءة غريبة إلى إنسان إعتيادي وإننا لنشارك هنا الشكوك التي راودت كاتب رسائل (ماري)، في كون الرواية حقيقة، حيث أن لدى الآلهة ناطق رسمي ولغة الآلهة تحتوي على أسلوب من النبوءات وحتى لو عدنا إلى الأيام الخوالي اي إلى عهد كلكامش أو أبعد من تلك الفترة وأعني هنا لو عدنا إلى فترة الطوفان فحتى في تلك الفترة الحاسمة لم تتحدث الآلهة بصورة مباشرة مع الإنسان حيث أن الآلهة (أيا) آلهة الماء خاطبت كوخ القصب، كما أن (كورنوس) أنذر (كزيتهيزوس) عن طريق الحلم وحتى قبل معرفة الإنسان بالآلهة (آيا) نجد أن هناك نبوءات مثل (أبكالو Apkalau) وقد إكتشفنا الآن الأسماء وملوك (سُبار) حيث أن (Enemduranka) قد تحقق بأنه مكتشف التنبؤ بواسطة الزيت وبطبيعة الحال فأن أبطال الطوفان كانوا على معرفة بما سيحل بهم رغم تآمر الآلهة عليهم لتدمير تلك المخلوقات المزعجة، ولكن هل كانت هناك إتصالات أخرى مع آخرين غير الملوك المقدسين إذ يذكر (بروسيس Brossos) بأن آخر الملوك بعد الطوفان وزوجته لم يكونا الوحيدان اللذان أنعمت عليهم الآلهة بنعمة الخلود، حيث نجد ذكر لأبنته وربان سفينته الذي يمكن أن يكون (Puzurd Kurgal) الذي أوكل إليه إدارة البيت الكبير. وإذا نظرنا إلى أبنته (زيسيثوروس Zisythros) فأنها لا تظهر في ملحمة كلكامش ولكن (بروسيس Brosses) يذكر بأن حسب الرواية الهيلينية فأنها كانت زوجة أبن (زيسيثوروس Zisythros) حيث تم إنقاذها من سفينته التي كانت تغرق مع آخرين، ويذكر (بروسيس) بأنها كانت أول عرافة (Sibyles) وأسمها بالكلداني (سامبيث Sambethe)[(١)].

وأن (Alewibe) لايليق بنموذج أسطوري، وهناك شكوك أيضاً حول (سيدوري) وكذلك حول (Nahmizullel) في النص الحوري لكتاب جي والذي كتب حوله (اوتو) في كتابه الموسوم (كلكامش وأساطيره).

---

(١) أ ج، زميرين وآخرين كما هو مدون (Kat) لمعرفة (سامبيث) المعروفة بأسم (سابي) أو (سابيتو) من كتاب (جي Ge) ولكن يانتسن لم يقبل بهذا الفكرة وبنفس الوقت لم يعرف فكرة بديلة، وفي الحقيقة فأن كلمة (سابيتو) لم تكن معروفة ولكنها يمكن أن تكون أسم أكثر من صفة مهنة.

حيث تنبأ عن برج بابل وما حدث لمصمميه المتصورين وكان ذلك قبل (تبلبل الألسن)(١).

أن (سيبل) الكلدانية كتب عنها الباحث (شنابل) عند تفسيره لكتاب (بيروسيس) حيث يستنتج بأن هناك براهين جيدة تجعلنا نعتقد بوجود (سابيتو) كما تحدث عنها الكاتب الأغريقي ولكننا نضيف بأن موضوع (سيبل) الكلدانية وربان السفينة واصل تلك الأساطير لازالت غير معروفة في إنتظار إكتشافها في المستقبل.

وهناك حادثتين تدل على وجود (سيبل) في التراث حيث أصدرت الأوامر إلى (كزيثورس Xisysthros) بدفن كتابات عن بدايات وأواسط ونهايات الخليقة في (سبار):

١. لدينا نموذج من الأدبيات مسطرة على لوح في بقايا (Scanty) حول النبوءات ذات العلاقة بالفترة البابلية الأخيرة.

٢. وأن تلك الأدبيات يمكن أخذها على كونها تمثل مجموعة كاملة من القطع الأدبية بعضها يروي بداية الخليقة وهو الموضوع المفضل في الأساطير السومرية والموضوع الآخر الذي ربما يمثل أهمية حول (سيبل) وهي تغني في بداية الأسطورة البابلية هو "صوت من الهواء" الذي يروي إلى الكائنات التي أُنقذت من الطوفان ما حدث لزملائهم وتم توجيههم حول الطريقة التي يمكنهم بها المعيشة وكيف يمكنهم إنقاذ الكتب التي تصنف مستقبل البشرية من مكتبة سبار.

٣. لقد كانت (سيبل) قناة أخرى للاتصال بين الآلهة والإنسان وكانت معروفة لذا لايمكن أن تتحدث بشكل غير مرئي من الهواء او السماء بصوت شأنها شأن الأصوات التي يتم سماعها اليوم في صلاة المتعبدوّن في المعابد.

٤. وأجابهم صوت تكرر عدة مرات مردداً (نعم) أو (كلا) سماع أصوات حيوانات أو كلمات إنسان ذات أهمية (Boding) واذا ترددت أصوات الآلهة التحدث بنفسها أو عن طريق اناء فأنها غالباً ما تكون مستعدة لكشف نواياها بمنح إشارات عفوية، وتم منح إتفاق بدون أية ضغوط كما يمكن إيجادها في كل مكان، وكل ذلك كان مطلوباً لأن إستخدامها كان عن طريق الإلهام، ولم يكن ذلك أبعد من قابلية أي رجل ملهم بخيال محدود مهما كان غير متعلم، ومثل تلك الرموز كانت تأتي

(١) نجد تفسير لذلك في الأسطورة السومرية إلتى كتب عنها كريمر في كتابه الموسوم آلهة آراتا ولكن المعنى لازال مبهم.

عن طريق الأبتهال ويمكن إيجاد تجسداتها الواضحة في النبوءات وفي احشاء الحيوانات والظروف المحيطة بالحياة اليومية، ومع ذلك تأتي هنا مرة أخرى عدم الثبات في ممارسات النبوءة الأمر الذي يثير الدهشة. بجانب الأشياء المباشرة المحيطة بالحياة الأرضية وفي الأفق الواسع للسماء. ويمكن عرض ذلك للجميع فهي بعيدة عن تأثير الإنسان وهناك تبرز قوة وإرادة النبوءة – تعلق السماء مجد الآلهة ومع ذلك فعند عدم فهم جميع هذه الأمور لم يكن هناك سوى أكثر الأشخاص علماً الذي يمكنه الإفتراض تفسير الدرجات العليا للكواكب.

والطيور مرة أخرى هي أقل الكائنات التي يمكن السيطرة عليها إلا أن لطيرانها وأصواتها أهمية تمكن أي فرد يرغب بالتخيل حسب هواه، ومع ذلك فأن كلا من تجسدات الكواكب والطيور يمكن جعلها أعطاء أجوبة لأسئلة معينة، لبعض الظواهر تحت توجيه الآلهة الذين كانوا يمكن تغيير تلك المسارات عن طريق التضرع لأنه ينتقل من يد المتضرع اليمنى إلى يدهُ اليسرى سواء كانت مفضلة أو غير مفضلة، فألإشارات التي تعطيها الطيور يمكن تغييرها عما يطلق عليها الرومان بأنه فأل حسن وتحويله إلى تكهن عن طريق تثبيت حدود لنشاطها بإختيار بين فصيلتها أو عن طريق جلبها بشكل قسري إلى مسرح الأحداث.

وفي (آشور) يقع مثال للطيور يمكن ملاحظتها لغرض معين في ظروف مرتبة وأن وجودها مؤكد لوجود طعم وتم تنظيمها على هيئة تعويذة.

١. نعلم أيضاً أن مثل ذلك النوع من النبوءات التي تقوم بها الطيور كانت تمارس في سوريا من قبل الحيثيين.

٢. رغم تلك الإستثنائات فأن النبوءات من الأحداث الإعتيادية في الحياة اليومية الإعتيادية كانت مفتوحة إلى أكثر الطبائع المألوفة وعليه فكانت اقل تأثيرا وبطبيعة الحال فأن ذلك النوع من التنبوءات تطبق نتائجه على تجارب الإنسان الخاصة.

٣. التنبؤ حول صحته أو مرضه وثروة عائلته، نجاحه أو فشله في الأعمال ومستقبله بصورة عامة تاركين ذلك إلى المنجمين العاديين وهناك منجمون ذوي شأن عال يقررون مصير الملوك والقادة والشؤون العامة للبلاد، وتدرج نفس الأطروحة الآشورية للتفسيرات التي إقتبسناها.

٤. المواضيع التالية تكون مناسبة للنبوءة بواسطة أحشاء الحيوانات: حول مستقبل الملك والسلاح والحملات العسكرية والأمطار للأستيلاء على مدين وصحة رجل مريض وتحقيق الأماني، ويفسح ذلك المجال للإهتمام الخاص بالنسبة للطقس والسرد الآخر:

١. أكثر تحرراً حيث يسمح للأشخاص المعنيين للرموز المفضلة لممارسة الطب ولمصير المرضى وللولادات إلا أنه يتضمن أيضاً الإهتمامات العامة مثل: التوجه إلى الحرب، السيطرة على المدينة، حضور المبعوث، تحقيق الأماني والعنصر الطبي قوي، مع أنه يمكن الإفتراض بأن المرضى كانوا من الطبقة العليا الذين بمستطاعهم تحمل نفقات الإستشارة، رغم ذلك فقد حصلنا عدة مرات على أهمية الرموز إذ عُثر عليها في ضحايا لإحدى الكائنات (موسكينو Muskenu).

٢. ويختلف هذا عن ما يمكن العثور عليه في صحبة شخص عظيم الشأن (كبتو Kabtu).

٣. ولقد كانت إحدى التمييزات العديدة التي يتعين على (بارو Baru) الحفاظ عليها في ذهنه ولها ما يوازيها في النبوءات اليونانية مثل الأحلام المتشابهة في (أرتميدروز Artemidorus) التي تؤشر إلى أحداث مختلفة للاغنياء والفقراء.

٤. نبوءات في الحياة اليومية مثل الاحلام، حيث كانت الأحلام تعتبر ملك عام للجميع يمكن أي شخص استخدامها بشكل مغرض من قبل رفيق سوء.

٥. ومع ذلك فكانت تجمع (Laboriously) وتُسطر لمكتبة الملك الآشوري، وقبل حفظها في مكتبة الملك الآشوري، يتعين إضافة فقرتان لتكون مقبولة حيث يتم توسيعها بشكل إصطناعي لأعمال تسعى لإستنفاذ الإمكانيات العلمية لكل موضوع.

نبوءات مـــاري

بقلـم جـي دوسـن

لقد عرفت الديانة المنتشرة في حضارات ماري خلال الفترة الأولى البابلية عدة تقنيات للنبوءات عن طريق وبواسطة علم الفلك والتنجيم ومن المؤكد أن هذه الطرق قد انتقلت إلى ماري من بابل التي أثرت تأثيراً بالغاً على حضارة ماري وفي ماري لعبت النبوءات دوراً عن طريق النشوة والغيبوبة عن طريق وسطاء من الرهبان من الرجال والنساء وقد عثر على العديد من الألواح التي تكشف هذه الأسرار، وقد كتب السيد (تي أج روبنسون) في عام ١٩٥٠ حول العهد القديم وعلق على إحدى الألواح تحت عنوان لوح مثير من ماري يكشف تاريخ النبوءات السامية لحد اليوم من أهم وأطول الألواح الموجودة في أرشيف ماري.

وكما فعل الكاتب فإننا نترك عاصمة (زمري لم Zimri – Lim) ونتحول إلى شمال سوريا وإلى حلب بالذات حيث مقر كبير آلهة ماري (أدد Adad) الذي عُبد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد كأنه يوجه النبوءات (Oracles) وهو قوي ويطالب من يعبده بالكثير، وتحتوي رسالة ماري على نبؤتين إحداهما تعود إلى (أدد أله خالاصو Adad of Kallasu) وخالاصو هي المنطقة الدينية في حلب والأخرى تعود إلى أدد أله مدينة حلب، وكانت النبوءات تصل من المنطقة الدينية عن طريق نبي ونبية، (آبلوم Apilum) أما أله حلب فلم يكن لديه سوى نبي واحد، ونجد في الألواح أن الملك (زمري لم) كان قد أرسل العديد من القرابين من الحيوانات الصغيرة والكبيرة إلى أله (نحلاتوم Nihlatum) ولكنه تأخر في إرسال القرابين إلى حلب و(خالاصو) ونجد في الألواح كيف أن الآلهين أرسلا النبوءات إلى ملك ماري لإجباره على تنفيذ ما يطلبانه منه ومنذ نشر هذه الوثيقة المثيرة فإننا نعتقد أن الذي أرسل الرسالة أحد موظفي الملك في حلب رغم العثور عليها في ماري، ولقد عرفنا اليوم أسم ذلك الموظف حيث عُثر على شذرة من اللوح يعالج نفس الموضوع إذ كتب (نور سن Nur Sin) وإكتشفنا أن (نور سن) هو المبعوث الدبلوماسي (لزمري لم) في حلب وقد عثر على سبعة أسطر محفوظة لحد اليوم وتحتوي الخمسة الأولى على مايلي:

إلى سيدي من خادمك (نورسن) أنني أكتب إليك للمرة الثانية والخامسة إذ أكتب لسيدي حول موضوع القرابين التي قدمت إلى (أدد) في مدينة (نعلاتوم) وأن أدد

الاه معبد خلاصو يطالبك بها، وفي الوجه الثاني من شذرة اللوح الطفيفة نجد النبوءة التي أرسلها نبي أدد إلى ممثل (زمري لم) (نورسن) ونجد في النص مايلي:

((أنا أدد ألاه حلب ألم أنصبك على عرش والدك؟ أنني لا أطلب منك شيئاً ولكن إذا جاءك شخصاً مظلوم (رجلاً كان أم أمرأة) فإستجب لشكواهما وأحكم لهما بالحق، هذا ما أطلبه منك وما أكتبه يجب أن تنفذه وعليك أن تولي الإهتمام لكلماتي وكذلك عليك العناية بالمملكة منذ لحظة إستيقاظك من النوم وحتى وقت النوم عليك العناية بالمملكة التي منحتك إياها، ويضيف مبعوثه قائلاً "هذا ما تم إبلاغي به من نبي حلب".

لقد كتب (نورسن) إلى سيده عدة مرات ولعل هذه هي المرة السادسة حول النبوءة ونجد أن ةأأ(زمري لم) يكن مستعجلاً في تلبية طلبات آلالهة ولم يكن ممتناً إلى آله حلب الذي أعطاه عرش أبيه ونستنتج بأنه قد لبى الطلب في النهاية.

في الطريق المحاذي لنهر الفرات والذي يربط ماري بحلب توجد ثلاث تلال ضخمة وهي تل (إيمار Imar) و(توتول Tuttul) و(طرقا Terqa) وفي المدينة الأثرية الأخيرة طرقا لأن آله المدينة هو (داكان Dagan) وكانت عبادته مهمة وفي مدينة (توتول Tuttul) الواقعة قرب جدول (باليح Balih)[1] والذي يصب في نهر الفرات كان الآله (داكان) يحضى بإحترام كبير.

وكان لدى (داكان) نبياً أيضاً كشاهد على الرسائل التي ترجمها ونشرها السيد (بوتيرو Bottero) حيث نجد أن أحد الموظفين الكبار في بلاط ماري المسمى (موكانيزوم Mukannisum) قد أرسل إلى مدينة (توتول) الرسالة الثانية، بعد أن إحتفلت بتقديم القرابين إلى (داكان) لإطالة حياة سيدي فأن نبي المدينة وسُمي هنا (أباتوم Aapatum) صرح بما يلي:

(آه يا بابل عَمَّ تفتشين دوماً وماذا تريدين؟ أنك تشبهين فتاة وإن آلهك مثل ثور متوحش، إن الشركاء السبعة وكل ممتلكاتهم قد ملئوا أيادي (زمري لم).

أما النبوءة الثانية فتحتوي على خمس أسطر وقد ضاعت البقية أما هذه الأسطر فهي موجهة إلى (زمري لم) في أواخر أيام حكمه حيث أن ملك بابل حمورابي أصبح ألد الأعداء مملكة ماري وفي النهاية سيطر على مدينة (زمري لم).

---

(١) في المصب الجنوبي لباليح تم التنقيب عن هذه المدينة توتل والتي تعود اليها ثلاث رسائل عثر عليها في ماري. ان اطول تل يقع على بعد ٢كم ونصف شرق مدينة الرَقة حالياً حيث تم العثور على مدينة قديمة هامة تعتبر من اهم المدن في طريق باليح.

والرسالة موجهة من حاكم مدينة توتول إلى ملكه وتُظهر الرسالة مرة ثانية الأهمية التي أولتها مملكة ماري إلى الآله (داكان) وإلى مدينته ونبوءاتها والرسالة كما يلي:

((لقد كتب لي سيدي أن أقدم القرابين إلى "داكان" حيث قدمت عجلاً وستة خراف وقد وصلت القرابين إلى المدينة وقدمت إلى "داكان" وقد فرح الجميع بهذه القرابين، وقد قام النبي "مُهمُ Muhhum" وقال أكتب لسيدك بأني غسلت القرابين بماء صافي وأبعث له بالصوف والآلهة، فبجانب النبي (أبيتوم Apitum) فأن النبي (مُهمُ) يمارس نبوءاته في (توتول). أما في مدينة (تيركا) فكانت من أهم الأماكن المقدسة لعبادة الآله (داكان) في الشرق الأوسط، وكان يخدمه نبي يذهب في غيبوبة ليعطي نبوءاته وقد تم العثور على ثلاث رسائل موجهة من حاكم المدينة (كبري داكان) إلى ملكه (زمري لم)، وفي إحدى الرسائل يحدثه عن الطقوس الجنائزية التي أُجريت لوالده (لحدون لم Lahdun – Lim). وفي رسالة أخرى تتحدث عن تقديم قرابين في تاريخ محدد في اليوم الرابع عشر من الشهر ويجب ألا يمر هذا اليوم بدون تقديم القربان تحت أية ذريعة.

أما الرسالة الثالثة فيقول (كبري داكان) بأن النبي (مُهمُ) أمر بإيصال إحدى النبوءات القاسية حيث أن الآله غضب لعدم بناء بوابة جديدة للمدينة وتأخر الحاكم في بنائها فتدخل داكان. أما الرسالة الأخرى فهي موجهة من نبية الغيبوبة (موهاتوم Muhhatum) لتوجيهها إلى سيده (باهدي لم Bahdi Lim) حاكم مدينة ماري وقد آتى الراهب (شانغوم Sangum) بخصلة من شعر النبية وقطعة من معطفها ويحتوي اللوح على رؤيا النبية بالتفصيل وقد رافقت الرؤيا الرسالة الموجهة إلى حاكم المدينة (ماري) ولكن لم يُعثر عليها في أرشيف ماري ولكن الرسالة تدل على وجود نبية في بلاط ماري.

ولكن الآله لا يملي إرادته عن طريق غيبوبة الأنبياء بل يطلب في الأحلام إذا حلم بها أحد الكهنة. ولإظهار حسن نيته في التفسير يرسل خصلة من شعره وقطعة من معطفه للحاكم إذ لدينا ألواح تتحدث عن حوار بين (آتور أسدو Itur Asdu) حاكم ماري ورسالته إلى (زمري لم) يحدثه فيها عن حلم أحد سكان قرية (شاكا Sakka) حيث يقول أنه وجد نفسه في الحلم في معبد الآله (داكان) في (ثيركا) وجرى حديث بين الأثنين حول أحداث الشغب التي أحدثها العمونيون ولم يستطع (زمري لم) من

السيطرة عليها حيث وعد (داكان) بالقضاء على الشغب إذا وعد (زمري لم) بخدمة الآله والتضرع إليه وتدل الرسالة على وجود شغب سياسي أيام حكم الملك (زمري لم).

وفي الجزء الثالث عشر من أرشيف ماري الملكي نجد رسائل أخرى من (كبري داكان Kibri Dagan) حول العديد من الأحلام التي أرسل عبرها الآله رسائل إلى الملك ففي الرسالة (١١٢) رغم أن السطر الأول من اللوح ممسوح تتحدث الرسالة عن حلم يقول فيها الآله (داكان): بلا شك أنه يفضل أن تخدمه الفتاة الصغيرة (سوهاروم Suharum) حيث يأمر الآله بما يلي:

"لا تشيد هذا الدار على الأطلال فإذا شيدته سأهدمه وأجعله يسقط في النهر وفي اليوم الذي تحلم به لاتحدث أحداً عنه ولكن بعد اليوم الأول أخبرهم عن الحلم".

لاتشيد الدار فإذا شيدتها في الساء سأجعلها تسقط ويقول الحاكم أرسل إلى مليكي خصلة من شعر الحالم وقطعة من ثيابه وأود أن أنبأك أن الخادمة الصغيرة مريضة.

والحلم الآخر المرقم (١١٣) الموجه من (كيري داكان) يتحدث عن شؤون عسكرية ولكن اللوح في حالة سيئة فلم نتمكن من الحصول على التفاصيل. وتتحدث الرسالة عن حلم رجل رآى فيه تسلل ألآف الجنود إلى ثلاث مدن في مملكة ماري وهي (تيركا) و(سفاراتم) وكان الحلم نذيراً بالشؤم، يقول الحلم أن السبب هو نتيجة إهمال الحاكم (كيري داكان). وأجبر الحاكم (كيري) على كتابة الرسالة ويقول (كيري) أنه يخشى أن يعدم بسبب الحلم، من الصعب التكهن فيما إذا كانت رسائل (كيري داكان) هي عن أحلام أو أشخاص في حالة غيبوبة إذ تتحدث الرسالة رقم (١١٤) عن زوجة رجل حر (آشات أوليم Assat Awilim) حيث زارت (داكان) ولا ندري إن كانت تتحدث عن رؤيا أو حلم إذ تطلب منه إرسال كلمات إلى الملك حول (أنباء بابل) وتقول أرسلني (داكان) لأقول لك (لا تقلق على البلاد لا تكن قلقاً. أن حمورابي وقد مسح بقية اللوح كذلك كسوة توجد كلمة (Auahalqqisu) ونفهم أنه رغم تهديدات حمورابي (لزمري لم) فأنه سيخسر وبالإضافة لذلك توجد ألواح إقتصادية تم نشرها ولكننا أن درسنا الوثائق أعلاه نجد أن إرادة الآله كان يتم التعبير عنها من قبل وسطاء في حالة من النشوة والغيبوبة أو الأحلام وسأحاول تفسير ذلك بأقل ما يمكن من الغموض.

في اليوم الثالث من الشهر سقطت (شيلبوم Selebum) في غيبوبة (Immahu) في معبد الآلهة[١] (آنونيتوم Anunitum) وقالت لها الآلهة مايلي:

(((زمري لم) أريد مساعدتك في قمع الثورة أحمي مرافقيك وجيشك وخدمك. أنهم يحبونك ضعهم بجانبك يحمونك لاتذهب وحيداً لأن هناك من يريد إغتيالك ولكنني سأنقذك أنني أبعث مع ساعي البريد خصلة من شعر خصي)).

وهناك نبوءة أخرى من معبد (آنونيتوم) في (Armto No. 8)، سقطت (أحاتوم) أبنة (داكان مايك) في غيبوبة في معبد الآلهة (أنونيتوم) وخاطبتها الآلهة موجهة الرسالة التالية:

((زمري لم رغم إهمالك لي فأنني حاميتك وسأجعل الأعداء يسقطون بين يديك أن هؤلاء اللصوص يشبهون معسكر للحصى. أنني أرسل هذا النبأ مع خصلة شعر)).

أما الرسالة العاشرة فقد إستلم ملك النبوءات رسالة من خصي يخدم الآلهة (آنونيتوم) أسمه (أيلي حزنايا) وحدثه عن تهديدات حمورابي ملك بابل إلى مملكة ماري وتقرأ في السطر الثاني مايلي:

((لدى هذا الرجل خطط عديدة ضد بلادك ولكنه لا يعرف أن الآلهة ستعينك وستهزمه وتسيطر عليه أن أيامه أصبحت معدودة)).

ويكتب ملك النبوءات: لقد تحققت بنفسي من صدق النبوءة وأن أردت فعليك التحقق بنفسك من الخصي، إننا نعرف أن (زمري لم) قد حارب بشدة لإستعادة عرش أبيه وتثبيت سلطته، وأن الرسالة الثانية الموجهة من (سابيتو) إلى الملك تؤكد هذه الوقائع وفي هذه المرة يقوم الآله حامي مدينة ماري (آتور ميرItur mer) بتشجيعه على هذا العمل، إذ أن السيدة (كاكا ليد Kaka Lide) في معبد (آتور مير) تشاهد الرؤيا التالية (Imvur) ((يقوم قاربان ضخمان بسد مجرى النهر يحملان الملك والجنود ويقوم الجميع من اليمين واليسار).، "الملكية ستعود ويعود العرش والمناطق الرئيسية والمناطق الصغيرة وستعطى جميعاً إلى (زمري لم) ويجيب جميع الجنود (أنه زمري ليم) الوحيد الذي يُعطي كل شيء" وتمثل الزوارق أو المراكب البوابات الملكية)).

وهناك رسالة أخرى من سيدة من الطبقة الراقية أسمها (أنب شينا) موجهة إلى نجمها (زمري ليم) وتنقل إليه نبوءة من نبية في حالة غيبوبة

---

(١) أسم بلدة عانة في العراق مشتقة من أسم الآلهة. المترجم

(سن كا ما توم Sinn kama tum) من آله تيركا (داكان) وتقول أن الذي نقل إليها ذلك خصي المعبد:

((إن إشارات الصداقة من ملك "أشنونا" ما هي تفرق إلا نفاق وعبارة عن ماء يسقط على حصيرة ولكنني سأعامله مثل الحنطة التي أطحنها فقد هدمت بلاده أما كنوزه التي خزنها منذ القدم فلقد نهبتها كلها "يضيف العراف هذا ما قيل: لي حافظ على حياتك ولا تدخل داخل المدينة، أنني دوماً خائفاً عليك لذا لا تخاف لأنني أحميك")).

أما سيدة القصر (عادو دوري Addu – Duri) فكتبت إلى (زمري ليم) ما يلي:

((عندما لا تنقل له أنباء أحلام القصر التي حلم بها هذا او ذاك من الناس)).

وتقول لقد حلم أدن أيلي كاهن معبد (أتور مير) بما يلي:

((ظهر لي (بيليت) في المنام وقال لي إن العظمة ستكون للملك وستمتد سلطته لتشمل جميع الأرجاء فلماذا العجلة؟)).

وأحياناً تحلم سيدة القصر (أدو دوري) ما تخبرها بها الآلهة عبر الأحلام وتنقل ذلك بدورها إلى الملك والحلم الذي تنقله نذير شؤم إذ تقول:

((منذ أن شيد أباك بلاطه لم أحلم بمثل هذه الإشارات لقد حلمت بأنني دخلت في معبد (بيليت إيكايم) ولكنه لم يكن موجوداً وحتى تماثيله لم تكن موجودة وعندما شاهدت ذلك بدأت بالبكاء إن ما شاهدته يدل على حدوث ثورة، وشاهدت حلماً آخر إذ شاهدت كاهن معبد عشتار بشراً ماسكاً بقبضته باب معبد (بيليت إيكايم) وسمعت صوتاً يصرخ بما يلي: ((تورا داكان تورا داكان[1] وإستمر الصوت وفي حادث آخر تصرح كاهنة معبد الآلهة آنو نيتوم بما يلي بعد ان فاقت من غيبوبة)).

(زمري ليم) لا تذهب في حملة ما أبقى في ماري وسأستجيب لك دوماً، وتقول الكاهنة: على سيدي إلا يهمل نفسه وأبعث له بخصلة من شعري للبرهنة على ولائي.

وأهم ما جاء في الرسالة المائه إذ تكشف تلك الرسالة عن رسائل كتبتها نسوة وهي مهمة لأنها تحل مشكلة الحمل بلا إتصال جنسي إذ تتحدث عن طفلة خطفت في سفرة هي أبنة (سامي تار) وتستشير الآله (داكان) فينبأها أن (زمري ليم) يستطيع مساعدتها وإرجاع طفلتها "إن طفلتها (دانانا) تنبؤك بما يلي:

---

(١) أن التورا هنا تعني ثورة. المترجم

عندما كنت أقطن في قارني باتم أرسلت كوكي هيا إلى ربان. وخلال الرحلة خُطِفَ وبعدها فأن آلهك داكان جعلني أحمل بدون أن يمسني أحد وتكلم معي داكان بما يلي: ((من العُلى إلى أسفل إلى أسفل أنني رحلت إلى أسفل ولكنني لم أشاهد أبنتي لأن سيدي ذهب إلى (أندارك) وظهرت علائم عن وجود أبنتي عند (سامي تار) وذهبت إليه فأعطى موافقة ثم عاد في كلامه ولم يعطني أبنتي وأنبأني (داكان) بما يلي:

«إذا لم يستطع أحد أن يطلق سراح أبنتك بناء على أوامر (زمري ليم) فلايمكن أن تصبحي حرة، لذا فبموجب أوامر (داكان) الآله لا يمكن للملك أن يرفض طلبي وقبل الإنتهاء من هذه الإيضاحات حول النبوءات في ماري أريد أن أشير إلى الرسالة رقم (٤٢٦٠) التي لها أهمية خاصة بالنسبة لبحثنا أنها رسالة موجهة من النبي (أيبيلوم Apilum)[١] عن الـ (زمري ليم) من الآله شمش إله سبار[٢] ويقول من أجل الحياة والعرش المخصص لي إذ أنني أطلب منك أبنتك والتي سبق وأن طلبتها منك» وبقية النص مشوه ولا يمكن قرائته. ولعل هناك نبوءات آخرى من آله سُبَّار أما السطر (١٦ إلى ١٨) من النص فموجه من قبل (أدد آله حلب) وترد كلمة عشاكُم وتعني هنا مُحرَّم ويتحدث النص عن كنز ولعل النص يعني أن على (زمري ليم) أن يرسل كنزهُ إلى الآله أدد.

أما السطر (٢٤ إلى ٣١) فهناك أوامر أخرى من شمش إذ على (زمري ليم) أن ينحت تمثال كبير من البرونز ويرسله إلى الآله (نرنغال) في مدينة (نيشاليم).

أما الرسالة الأخرى فتبعث على الإطمئنان إذ جاء فيها (أن حمورابي ملك كوردا قد إستخدم عبارات إجرامية ضدك ومن جهة أخرى يمد يده، عليك تحرير البلاد الداخلية. أما بالنسبة لي فأن جميع أرجاء البلاد أضعها تحت تصرفك عليك تحريرها من عبوديتها.

إذا درسنا جميع هذه الوثائق نجد أن النبوءات كانت تستخدم في ماري عبر الغيبوبة والأحلام والتنجيم التي لعبت دوراً مهماً، إن الآلهة العظام مثل (داكان) و(أنو نيتوم) و(آتور مير) و(بليت إيكايم) وآخرين تسطر أسمائهم على الألواح الطينية والرُقمُ الإدارية وغيرها... وتكتشف دورها في الحياة السياسية في المملكة وكذلك الحياة

---

(١) وتعني نبي باللغة السامية.

(٢) سُبار مدينة أثرية في العراق قرب مدينة بابل.

اليومية والوظيفية وبلا أي تقاليد أخلاقية أو دينية وهنا نجد الخلاف بين هذه التقاليد وتقاليد نبوءات بني إسرائيل الأخلاقية والدينية...

ورغم ما كشفت عنه الوثائق فإننا لا نعرف شيء عن تقنية التنبؤ نفسه ولكننا نعرف أن النبي كاهن يرد على أسئلة الأتباع المخلصين للآله. ولكن علينا أن نعرف وظيفة النبوءة في مملكة ماري وكيف يمكن الوصول إليها عن طريق الحلم أو الغيبوبة هل كانت تأتي بصورة فجائية؟ أو هناك طريقة لإثارتها؟ مثلاً قضية الحمل بلا تماس جسدي. والفضل يعود إلى وثائق ماري إذ أن هذه الحضارة التي إنتعشت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد خاصة في الفرات الأوسط وكذلك في شمال مدينة بابل وسُبار وهكذا نعرف أن النبوءة كانت مؤسسة منظمة وتمارس بصورة واسعة.

نصـــوص تاميتـــو
Tamitu

بقلـــم LAMBERT مـــن برمنغهـــام

رغم إعلان العالمان الأثاريان كريغ وزمرن قبل نصف قرن بأنهما قد إستنسخا نصوص تامينو وإنهما على وشك إصدار كتاب يتضمن تلك النصوص، إلا أنه مثل ذلك الكتاب لم يصدر حتى يومنا هذا. واليوم لا يعرف العديد من العلماء المختصين بالآشوريات ماذا عنى العالمين الآثاريين بتلك النصوص، وكان كاتب هذا المقال قد اعلن هو الآخر وللمرة الثالثة بأنه قد إستنسخ تلك النصوص وأعرب عن أمله بنشرها عن قريب.

والدراسة الحالية هي تقرير يشير إلى التقدم الذي أحرزه العالم في هذا الموضوع.

والواقع أنه ليس هناك أي غموض حول نصوص تاميتو. فقد نشر (كريغ) نفسهُ مقطعان من ألواح تاميتو، رغم فشل محاولة العالم (أف مارتين) لتحريرها، وقام العالم (وايدنار Weidneer) مؤخراً بتحرير ونشر إحدى نصوص تاميتو الكاملة التي تُعد من النصوص النادرة وكان قد إقترح بأن الكاتب الحالي قد بدأ بدراسة هذا النص وقدم قائمة بعدد القطع غير المنشورة والتي كانت محفوظة في مكتبة آشور بانيبال التي تم جمعها من نسخ العالم (أف دبليو جيرز F.W.Geers). وعند فحص ثاني لنسخ (جيرز) أعطت شذرات من النصوص التي كانت محفوظة في مكتبة آشور بانيبال. وبالإضافة إلى ذلك هناك كميات قليلة من النصوص التي عُثر عليها في آشور وبابل ولوح كبير في نمرود.

وتاميتو هي نص مؤلف من (١٠ – ١٠٠) سطر قصير من النثر يتبعه سطر من الطقوس الدينية يبدأ دائماً بكلمة تاميت. والموضوع المحدد عالج مع الكلمات التي تتبع ذلك المصطلح مثل (تاميت علاق هاراني Tamit alak harrani) والتي تدور حول التوجه إلى الحملة. وهناك ألواح صغيرة منقوشة مع تاميتو أحد، ولكن على الأقل أن المكتبات الآشورية الأخيرة تضم مجاميع من هذه النصوص مسطرة على ألواح كبيرة تضم ثلاث أعمدة من الكتابات المسطرة على وجهي اللوح، أما فيما يخص فحوى نصوص تاميتو فهي تساؤلات موجهة إلى الآلهة شمش والآلهة أدد، ويتعين تمييزها عن

مجموعتين من النصوص ذات علاقة بالموضوع. إحدها يطلق عليها أدعية لعلها: الاله شمش التي بادر إلى نشرها العالمان (كنودتسن Kundtzon) و(كلوبر Klauber) ويتوقع صدور طبعة جديدة من تحقيق العالم (جي آرو J. Aro) وهذان النصان قريبان من نصوص (تاميتو Tamitu) لتضمنها تساؤلات نبوئية ويوظفان العديد من الكلمات الفنية المشابهة. إلا إنهما يختلفان في ثلاث مجالات مهمة. الأولى مخاطبتها للآلهة شمش وحدها وليس للآلهتان شمش وأدد وثانياً إنهما من النصوص الآشورية التي تضم تساؤلات طرحها ملوك (سرجونيين Sargonid). وخلافاً لنصوص تاميتو التي هي نصوص بابلية. فكل ملك مُسمى أو مشار إليه في (تاميتو) هو ملك بابلي، وأحد النصوص التي ليست بها إشارة إلى الملك وضعت بشكل واضح في مدينة بابل. وتشير مثل هذه الإشارات إلى الفترة كما حدث في (تاميتو) إلى فترة سبقت فترة الملوك الآشوريين الأخيرين. ثالثاً إن ما يطلق عليه أدعية إلى الآلهة شمش لا تعطي جواباً شافياً، خلافاً للعديد من نصوص (تاميتو). الا ان هناك احدى الواح تاميتو التي تم دمجها إلى نصوص الأدعية إلى الآلهة شمش. حيث تتضمن في البداية على مخاطبة الآلهتان شمش وأدد ومن ثم إلى الآلهة شمش وحدها. وهناك مرة أخرى لا يعطي النص جواباً شافياً.

والمجموعة الثانية من النصوص ذات علاقة مباشرة بالموضوع، حيث تتضمن على أدعية إلى الآلهتين (شمش) و(أدد)، وخلال ترديد الأدعية وممارسة الطقوس يردد الكاهن العراف استفسارات إلى الآلهة حول طالع الشخص الذي يرغب بمعرفة طالعه. وقد نشر العالم (زمرين) قسماً من تلك الأدعية والاستفسارات التي بدت قصيرة. وفي نهاية الاستفسار يدون ملحق طقسي له علاقة بالدعاء. وفي الوقت الذي يظهر الوضوح في الملحق بشكل منفرد إلا أنه لا يشكل وحدة مترابطة مع الدعاء والاستفسار المسطر في القسم الأعلى من اللوح.

وتشترك جميع نصوص التاميتو بمصطلحات متميزة رغم عدم وجود بناء يمكن ملاحظته، كما تستهل جميع النصوص بدعاء إلى الآلهتان (شمش) و(أدد).

ويقرأ الدعاء:

(شمش بيل دينيم أدد بيل بيري Samas Bel denim Adad bel biri)

والشخص الذي يرغب طرح السؤال حول طالعه يطرح السؤال بواسطة الكاهن الذي يحمل قطعة قماش من حاشية ملابس الشخص أو قلامة من ظفره عند طرحه السؤال أما إذا كان السؤال يدور حول تقنيات زراعية فيحمل الكاهن حفنة تراب من

الحقل المعني بالسؤال. وإذا كان السؤال يخص حصاناً فيحمل الكاهن قصاصة من شعر الحصان. إن الطبيعة المجسمة للغة واضحة وهي استخدام قطعة القماش وقلامة الظفر بشكل متماسك "صوف وحاشية" و"أصبع وقلامة ظفر"، ويتم حفظ اسم الشخص المعني وأقصد هنا الشخص الباحث عن إجابة في حالتين عندما يكون الاسم حمورابي أو (شمشو – ديتانا Samsu – Ditaus) ولكن في الحالات الأخرى يظهر بدلا عن الاسم (فلان أبن فلانة Annanna pil annanna) أو الإكتفاء برتديد كلمة (فلان Annanna) وبهذا نكون قد إنحرمنا من أهم معلومة ولكن هناك تعويض ضيئل وهي أن إخفاء الأسماء تشير إلى سبب تقديم هذه الوثائق التي تبدو للوهلة الأولى وكأنها عديمة الفائدة أو بالأحرى ليست ذات فائدة عملية. بعد أن تم توظيفها من قبل الكاهن تماماً كما هو عليه الحال في القانون حالما يتم البت في إحدى القضايا فإنها تصبح سابقة وبذلك يمكن إيجاد إجابة لنفس المشكلة بالنسبة للأطراف الذين يواجهون نفس المشكلة في المستقبل دون اللجوء إلى العملية الطويلة الأمد والباهظة الثمن التي يستغرقها تطبيق القانون.

وكذلك عليه الحال بالنسبة لنصوص تاميتو فحالما يتم الإجابة عليها يبادر إلى حفظها في حالة ظهور شخص آخر يرغب معرفة إجابة الآلهة حول السؤال نفسه.

وتقع التساؤلات في صنفين مختلفين تماماً. أولاً يتسائل البعض إذا كان الطرف المعني بالتساؤل سيكون مصان من جميع الشرور خلال التقويم السنوي ويشمل ذلك إدراج جميع الأسباب الممكن أن تؤدي إلى سوء الطالع، ويقدم الكاهن الجملة الغريبة نحوياً.

(تاميت أنا شولوم Tamit ana Sulum) (وتعني تاميتو مهتم بكذا...... لأجل سلامة كذا).

ويحافظ الخطاطون على بناء نص تاميت Tamit حتى لو كان خطأ. وإن بناء الجملة لنصوص تاميتو التي تضمن الحماية، وحسن الطالع للشخص هي مجرد رموز لطالع الشخص في الحاضر والمستقبل.

هل سيحدث كذا وكذا...؟ والغرض بطبيعة الحال ليس محاولة معرفة ما أذا كانت هناك كوارث وسوء طالع مخبئة للشخص الذي طرح التساؤل، بقدر محاولة إتخاذ الخطوات المناسبة إذا كان الجواب على التساؤل ينبئ بسوء الطالع.

وفي هذه الحالات لا يتم حفظ جواب بما أنه الشخص الذي طرح السؤال أول مرة وجميع الأشخاص الذين قد يرغبون بطرح نفس السؤال في وقت لاحق كانوا يبحثون عن إجابة لذلك التساؤل سلباً كان أم إيجاباً أكثر من إهتمامهم بخيار واحد لذلك التساؤل.

والمجموعة الثامنة للتساؤلات لم تكن تبحث عن جواب ذي علاقة بجميع الظروف المحيطة بالحياة خلال الأشهر الأثنى عشر القادمة ولكنهم كانوا يتسألون عن مجموعة محددة عن الظروف المخبئة لهم في المستقبل القريب، وغالباً ما يدور حول مهمة يود للشخص الذي طرح السؤال القيام بها. وفي الواقع يطرح خطته لتلك المهمة للحصول على موافقة الآلهة ورضاها. أما فيما يخص نصوص تاميتو ذات العلاقة بحماية الشخص طارح السؤال فيكون الجواب أما (نعم) أو (كلا) وجميع التفاصيل ذات العلاقة بالسؤال يجب أن يتم تضمينها بالسؤال لأجل الإجابة عليها بتلك الطريقة البسطية (وفي الأزمنة القديمة كان العبريون من طائفتي (أوريم وتوميم Urim and Tuummim) يعطون إجابة مقتظبة أما سلباً أو إيجاباً.

أما التعاليم المخولة لكنيسة الرومان كاتوليك فمنشورة على هيئة أسئلة مع خيارين للإجابة يتمثلان (بنعم) أو (كلا).

ويمكن لبعض الأمثلة أن توضح نوع الأسئلة المطروحة. كان هناك أحد الملوك البابليين القاطنين مدينة (بادنو Badnu) يفكر القيام بحملة على شعب (لولوبو Lullubu) في (هالمان Halman). وقدم إليه مستشاروه خطة للحملة تستغرق يومين، وتضمنت الخطة بمغادرة الملك بوابة مدينة (بادنو Badnu) ليقود الجنود للمعركة عن طريق فيه سبع نقاط لقضاء الليل. وفي اليوم التالي يتبع طريق آخر يمر بسبع نقاط أخرى ذات تسميات ذات علاقة بمدينة (لولوبو Lullubu). ولسوء الحظ فأن قلة من الأماكن المذكورة في خط الرحلة هذه معروفة خلافاً لذلك. والسؤال الآخر من نفس النوع ذا علاقة بأرض (نامرو Namru) والسكان الرحل فيها الذين يطلق عليهم أسم (أحلامو Ahlamu).

وهم فخذ من الآراميين الذين تم وصفهم كونهم يقطنون في خيام على حافات البحر (Sut Kustari ... ahiz kisad tamti) ويختتم المقترحان بإشارة إلى الصيد.

وتتناول ثلاث نصوص غير محفوظة بشكل جيد مواضيع الزراعة. أحداها تتعلق بزراعة السمسم الذي يطلق عليه إسم (سمسامو Samassamu) والآخر بزراعة الشعير

والثالث ذا علاقة بالري ويقرأ النص الأخير (تاميت سيبو ميم Tamit Sepeu Memes) التي تعني تاميتو تخص أعماق المياه وهذه إحدى الأمثلة على الكلمات التي تقدمها تلك النصوص.

وهناك نصان ذا علاقة بالخيول في إحداهما يدور السؤال حول الحصان الأبيض الذي يقود مركبة مردوخ عبر الطريق المقدس في بابل. ويبدو أن الحصان قد تم البرهنة على كونه مرح وأراد الشخص الذي طرح السؤال معرفة كيف يمكن جعلهُ أكثر استعداداً للمشاركة في الطقوس. وإن هذه الفصيلة من الخيول نادرة أي بمعنى أن توجيهات أخرى ستتبعها رغم عدم تمثيلها كإجابة. بعدها يُهمس في أذن الحصان (أيها الحصان Ala sisa). ولاتتضمن جميع نصوص تاميتو على قضايا مهمة فعلى سبيل المثال، ورد طلب في إحدى نصوص تاميتو تساؤل حول سائق العربة الذي لا يستطيع التحكم بمقوده.

وتبرز قضايا شخصية أخرى مثل القضايا التي نعالجها اليوم في أعمدة بعض الصحف الغربية، مثل تساؤلات امرأة تشك بإخلاص زوجها، وامرأة أخرى تعاني من مشكلة مشابهة لمشاكل زوجات هندي الثامن ملك إنكلترا، فلقد أنجبت لزوجها بإبنتان ولكنها فشلت في إنجاب صبي يرث أباه، والثالث يدور حول مراسيم تنظيم حفل زفاف.

وتختلف ترتيب هذه الأسئلة التي هي في الحقيقة مقترحات تم صياغتها على شكل أسئلة منها يتم ترجمة كلمة (ليبروز Liprus) التي تعني هل يتعين عليه؟ كما إن إستخدام الحاضر البسيط وارد في النصوص ولكنه يستخدم مع كلمة (لا La) السلبية التي يمكن صياغتها على الشكل الآتي: (يتعين عليه أن لا ...... أليس كذلك؟) كما أن الصفات والمخطورات هي لغة فنية وغالباً ما تستخدم في نهاية السؤال. ويتبع هذه المقترحات عادة بالجواب (شمش وأدد كيان Samas & adad kiam) التي يُعتقد إنها موجز كلمة شمش وأدد اللذان أجابا دعه يفعل كذا.

وبمعنى آخر يمكن العثور على الإجابات الإيجابية. والسبب لذلك يمكن البحث عليه في تسليم تلك النصوص، عندما تحدث شمش وأدد ضد طريق مقترح للعمل لم يفكر أحد فيما بعد بالقيام بذلك العمل، وهذا السؤال لم يكن ذا قيمة للأجيال القادمة. ولكن عندما عبر الإلهان عن كلمة ليكن كان ذلك طريق العمل الذي يمكن تكرارهُ في المستقبل بنتائج ناجحة. ولقد كان ذلك ذا قيمة وجدير بالحفاظ

عليه، وهذا العامل يجعله ممكناً إلا وهو أن الخطط المقترحة للحملة وضعت حيز التطبيق، وأصبحت تاريخاً بدلاً من مقترح، مع أنه لا يمكن للفرد معرفة فيما إذا كانت النتيجة ذات علاقة بإجابة الآلهة.

ولا يترك العالم (أكريبز) أي شك باستخدام الكهنة العرافين أكباد الحيوانات التي تقدم قرباناً للآلهة لمعرفة الإجابات على الإستفسارات التي يطرحها عليه الأشخاص الراغبين بمعرفة طالعهم.

والمجموعة الثانية من النصوص ذات علاقة مباشرة بالموضوع، حيث تتضمن أدعية إلى الإلهان شمش وأدد تردد خلال مختلف الأدعية الطقسية وفي مجرى تلك الطقوس ترد إستفسارات. نشر العالم (زمرمين Zimmermen) قسماً منها وجميع تلك الإستفسارات قصيرة تتعلق بمرحلة معينة أو مقال أستخدم في الطقوس، ويتبع كل منها بداية Arubric (أك رب Ik – Rib) وحالة المضاف إليه التي تعقبها تحدد ملحق طقسي التي لها علاقة بالدعاء، وفي الوقت الذي تبدو فيه واضحة بصورة منفردة، فإنها لاتشكل وحدة مترابطة كمجموعة بوضح الطقس.

في الوقت الذي تشترك فيه جميع نصوص (التاميتو) بمصطلحات متميزة فليس هناك بناء يمكن ملاحظته بإستثناء إشتراكها جميعاً في البداية بدعاء إلى الآله (شمش) رب القرار والآلهة (أدد).

(شمش بيل دينيم أدد بيل بيري Samas bel denim Adad bel biri) والشخص الذي يرغب بالإجابة على سؤال يدور في ذهنه يطرح السؤال عن طريق الكاهن بعد أن يحمل الكاهن قطعة قماش من حاشية ملابس المتسائل أو قلامة من ظفره عند طرحه السؤال، أما إذا كان السؤال يدور حول تقنيات زراعية فيحمل الكاهن حفنة تراب من الحقل المعني بالسؤال.

وأكبر مشكلة مرتبطة بنصوص تاميتو هو كيفية الحصول على كلمة (نعم) أو(كلا) ولايترك (أكريبز Akribs) أي شك بإستخدام الكاهن العراف أكباد الحيوانات لمعرفة الجواب.

وليس هناك أدنى شك عن الأعداد الهائلة للنبوءات التي يحصل عليها الكاهن من أشكال أكباد الحيوانات وتظهر النتيجة اذا تم تقديم قرباناً للآلهة. وقد تساعد دراسات أخرى ومكتشفات اخرى لـ (أكريبز Akribs) في إيجاد جواب لهذا السؤال.

وتتضمن هذه الشذرات على ملاحظات عامة حول تلك النصوص، مبينة على دراسة مفصلة للنصوص المنشورة سابقاً، وبالإضافة إلى مسح عام لمحتويات القطع غير المنشورة.

وسيكون من المفيد هنا إعادة بعض الحقائق المعروفة وإلا فأن ملاحظاتي ستكون معلقة في الهواء.

إن المادة مقسمة إلى مجموعتين. استفسارات من عهد أسر حدون والسنوات الأولى لحكم (آشور بانيبال) الممتدة من ٦٧٦ قبل الميلاد وحتى عام ٦٥٧ قبل الميلاد وتقارير من السنوات ٦٥٢ – ٦٥٠ قبل الميلاد ذات علاقة بحرب آشور بانيبال مع (شمش سوم أوكين Samas Sum Ukin). تتصف المجموعة الأولى بكونها: تبدأ بالجملة (شمش بيلو رابو سا أسالوك أنا كينا Samas Belu Rabu Sa Asalluk Anna Kina) التي تعني شمش أيها الرب العظيم أطلب منك جواباً (بنعم) أو (كلا) على إستفساري. والإعلان عن موضوع الإستفسار يأتي على هيئة جملة إستفسارية وغالباً مع (Tenmin) محددة (Adannu Ri) وفقرات تبدأ بكلمة (Ezib sa)، بصرف النظر عن حقيقة تبني قسم من الفقرات الأخيرة لتتلائم مع الوضع المعين. في الوقت الذي كانت فيه الفقرات الأخرى مألوفة بالنسبة لجميع النصوص وتتطرق إلى ظروف محددة غير مناسبة يمكن أن تحدث خلال الطقوس! عدم نظافة الكاهن القائم بالطقوس أو عدم كفاية التضرعات.

وبعد هذه الفقرات يتم إعادة السؤال مرة أخرى وهذه المرة يكون على شكل فقرة متممة (أسألك شمش بيلو رابو Asalka Samas belu rabu)

التي تعني أسألك شمش أيها الآله العظيم فيما إذا كان بمستطاعك أن....) ويتم إضافة سطور من الصلوات في النهاية:

Ina lbbi sa anni izizamma anna kins usurati salamati sere tamit damqati salamati sa di – tim sa pi elutika rabiti suknamma lumun

التي تعني:

قف وسط هذا الكلمات وضع كلمة (نعم) موثوقاً بها، وخطوط ذات طالع حسن ونبوءات حسنة للسؤال وذلك بنطق كلمة (كيبتيم Qibtim) أو (سليمتيم Silimtim) التي تعني جميعها جيدة وذلك عن طريق فم الآلهة العظيمة لأتمكن من مشاهدتها أو ما شابه ذلك.

وقد تم تهيئة اللوح ووضع أمام الآلهة قبل إجراء الطقوس. وهيئة اللوح غريبة جداً. فهو مستطيل وغليظ جداً والكتابة المنقوشة عليه أشبه بالكتابة المدونة على ختم أسطواني حيث بدت كبيرة وخشنة. وفي أعقاب الطقوس دونت النبوءات التي حصل عليها الكاهن على اللوح في مكان فارغ (يترك عادة أما قبل الجملة الختامية أو بعدها). ويضاف للنبوءات جزء تمهيدي كما هو عليه الحال في تقارير (OB) و(B، M) مع فارق واحد وهو وجود (Be) قبل كل مدخل مستقل. وهي مقتطفات شفوية من النبوءات القانونية.

وقد حدث مرة في إحدى النبوءات التي تُقرأ على النحو التالي:

Gis MA ba ? la ? sik – kan – na im us qu la pa simma utu amar utu I – na makal / kale x ? – qa is le ni – u – su ina silim – tim na silim tim silim at

التي تعني: أن قارب بدون شراع سيجعلها تنحرف وأن الإلهان شمش ومردوخ الجالسان في حفل عشاء سيستمران في البحث عنه؟؟ أن مثل هذه النبوءة تدل على طالع حسن، وعندما تكون النبوءات عديدة، فليس هناك إشارة فيما إذا كانت نبوءة ذات طالع حسن أو سيئ.

أما المجموعة الثالثة فقد وردت على شكل تقارير تشمل التوقعات وتمثل النبوءات فيها الشيء الأساسي. وهناك عدد آخر من النبوءات التي تبشر بطالع نحس التي غالباً ما تصحبها نبوءات قانونية يتم تكرارها في أعقاب الجملة الأولى للنبوءات مع تذيلها بالجملة التالية:

(ستاك ميس كار ميس Stak mes cas mes) التي تعني هناك خمس نبوءات تبشر بطالع نحس وتذيل الاستفسارات عادة باسم الكاهن الذي يطلق عليه اسم (Baru bel teme).

وكما أشار العالم (كلوبر Klauber) وتشير صياغة تلك النصوص خاصة ذات العلاقة منها بالاستفسارات إلى نصوص تاميتو كنموذج مباشر لتساؤلاتنا. ويتعين الإشارة هنا بأنه لم يتم استخدام أي نص من نصوص تاميتو كنموذج مباشر لتساؤلاتنا، ففي المكان الأول توجه نصوص تاميتو إلى (شمش بيل دينيم وأدد بيل بيري Samas bel denim Adad bel biri).

التي تعني: شمش آله القرار وأدد آله التوقعات ويطلق على الشخص المعني (أقصد هنا الشخص الذي يدور حوله التساؤل لمعرفة طالعهُ.

الجملة التالية: EN Sig gi (ate) u tug sig (ulinni) anni التي تعني: مالك هذا اللباس الصوفي الغامق.

وهناك تشابه كبير في صياغة الجمل مثل: Ilu ur ka lku nu gal tizu u

التي تعني: "تعلم آلهتك العظيمة" التي هي مألوفة للحدثان، نفس الشيء بالنسبة:

Ina ka (utu a iskur) dingir – ti – ku – nu – dinger – ti – ka gal ti qa bi I ku nu ma

التي تعني: هل نطقت بها أيتها الآلهة العظيمة، سطور أزب Ezib

Lu – u zi mes (nasha) lu – u – bar mes bera

التي تعني: (سواء كانت ابتهالات مقتبسة أو مختارة فإنها ناقصة)، وحتى الإملاء واختيار الشعارات.... إلخ، فقد تبدو متشابهة وبعض الأحيان تساعد نصوص تاميتو لإعادة الأسطر غير الاعتيادية التي تحطمت في التساؤلات مثال على ذلك يمكن ربط السطر:

(Ezib sa) mes qab sa – a – ti as bu ma su uʕ

مع الفقرة التالية المنقولة من نص تاميتو غير منشور

E – zib sa inim kur se – u – ki bi is gir kur igi – ru kur 15 – sa u 150 su ins dag mes lahl – sa – a – ti – as – bu – ma – su – u – ins bi rit dag mess a kur E. mes

التي تعني:

(بصرف النظر عن إمكانية سماعه صوت وكلمات الأعداء ومشاهدة آثار أقدامهم فأن العدد يجلس على يمينه وعلى يساره بهيئة مواقع Tah sat إلا أنه يتعين عليه التجوال بين مواقع العدو).

والمشكلة الوحيدة تكمن في أن أي من الكتابات qab - or - sa - a – ti

هي الكتابات الأصلية، فكليهما تبدوان واضحتان في مواقعهما.

فكلمة (كاباسو Qabsu) معروفة في لهجة (نا Na) ولكنها لهجة آشورية تعلمها (كابالتو Qabaltu) ولا تناسب هذه النصوص المكتوبة باللغة البابلية أما كلمة (تاهاساتي Tahsati) فغير معروفة حيث يمكن ربطها بفعل (هيسو هاسو Hesu Hasu) التي تعني (التغطية) وحسب اقتراح قدمه البروفسور (لامبرت) فأن كلمة (سوبات تاهاساتي Subat Tahsat)، تعني كمين التي تناسب النص.

وتشير عدة اعتبارات بأن استخدام مكثف للتنبؤ للسؤال عن نجاح الحملات العسكرية، وإخلاص الموظفين وصحة أعضاء العائلة المالكة التي تشكل المواضيع

الرئيسية لتساؤلات وتقارير أسر حدون وآشور بانيبال قدمها أسر حدون فإن اهتمامه في جميع صنوف النبوءات والممارسات الخرافية قد تم تأكيدها بواسطة مراسلاته.

صحيح كان هناك كهنة (بارو Barus) قبل فترة حكمه في آشور حيث تحتوي المكتبات على نصوص نبوءات مشتقات من أكباد الحيوانات التي تقدم كقرابين للآلهة، أما بالنسبة لسلفه من الملوك فيذكر بأن الملك (سرجون) كانت لهُ اهتمامات بالنبوءات ولكن لا توجد نصوص فيها استفسارات قبل عهد أسر حدون.

وقد بدا تطور في نصوص الاستفسارات التي وردت في عهد أسر حدون، حيث سطرت معظم النصوص باللغة البابلية باستثناء النصوص التي سطرت في السنوات الأخيرة من حكمه عندما كان آشور بانيبال ولياً للعهد فقد سطرت باللغة الآشورية رغم علاقتها باللغة البابلية. ويستخلص الفرد انطباعاً بأن أسر حدون قد استقدم خبراء من بابل علموا الخطاطين الآشوريين خط وثائق مشابهة.

ويبدو من غير المجدي بالنسبة للمؤرخ الذي يرغب باستخدام استفسارات حول الطالع الذي سجلها أسر حدون بأن معظمها غير مؤرخة وحتى لو كان هناك تاريخ فقد اقتصر على ذكر اليوم والشهر دون الإشارة إلى السنة ويبدو بأنه هنا أيضاً طرأ تطور فأقدم النصوص لا تحمل أي تاريخ باستثناء ربما (أدانو Adannu) المثبتة بموجب الأشهر والأيام، ومن ثم أصبح من المألوف الإشارة إلى الشهر واليوم وأخيراً إلى (ليمو Limmu) أيضاً، وأقدم (ليمو Limmu) التي تم الحفاظ عليها هي (نابو – بل – آشور – Nabu – bel Usur) التي تتطرق إلى مرض أسر حدون وهناك (ليمو) أخرى مكسورة وربما تضمنت (أتار أيلو Atar Ilu) المسطرة عام ٦٧٣ قبل الميلاد أو ربما (أيتو ـــ أب ـــ آ ـــ آ Itu – AB – a - a) المسطرة عام ٦٦٨ قبل الميلاد.

ونستنتج من هذا بأنه لو كان هناك نص كُسِر منه إسم ليمو Limmu، فإن تاريخه يرجع إلى ما بعد عام ٦٧٢ قبل الميلاد وليس قبل هذا التاريخ.

ويمكن جمع إشارات أخرى من أسماء الموظفين وكتاب التقارير. وهنا أيضاً إمكانية بأن تكون النصوص التي لا تحمل أية إشارة للموظفين هي الأقدم، وعليه فأن أسماء الموظفين تبدأ لتظهر (مكتوبة على الحاشية أو في نهاية النص مع التاريخ). تظهر في البداية إشارة لإسمين فقط، وفي وقت لاحق أي في الفترة التي تم تنصيب آشور بانيبال ولياً للعهد عُثر على أسماء جماعة بكاملها. والكلمتان النادرتان نوعاً ما هي

(نادينو Nadinu) و(تابني tabni) فعندما تردان منفردتان فإنهما تشيران إلى فترة سابقة وتم البرهنة على أن الأسماء:

(نابو – أوسالم Suma and nabu – usallim) أو (نابو وبيل أوسالم Suma and bel – usallim) التي عُثر عليها بشكل متكرر، على أن هذه الكلمات تظهر في النص لوحدها فأن تلك النصوص قد سطرت قبل عام ٦٧٢ قبل الميلاد.

كما تم العثور على أسم (مردوخ سوم أسور Marduk sum usur) مرتبطة بإسم (ناصرو Nasiru) وغالباً ما ظهرت مرتبطة بأسماء أشخاص آخرين مثل (أكارا Aqara)، وقد تم تسطير تلك الألواح في أماكن مختلفة معظمها في (كالاها Calah) وقسم منها في (تاربيزي Tarbisi) أو (أديا Adia) وإذا عُثر على أسم (مردوخ سوم أوسور Marduk sum usur) وخاصة إذا وردت مع أسم جماعة أكبر، فأن تلك الألواح تعود إلى نهاية حكم أسر حدون، وكان الملك أسر حدون يدون التقارير بنفسه وذلك في الفترة ٦٥٠ – ٦٥٢ قبل الميلاد كما هو عليه الحال بالنسبة لأسم (بيل أوساليم Bel Usallim).

والأسماء الأخرى التي تظهر في المجموعة التي كتبت التقرير مثل:

(داناجا Danaja)، (آشور دانين سارا Assur Dannin Sara) (أيلو أزباتاني Ilu Izbatanni) هي أسماء جديدة.

ورغم ذلك فأن إمكانيات تحديد التاريخ لتلك الألواح يبقى غامضاً لأن معظم النصوص مهشمة بشكل كبير. وليس هناك إمكانية بتطبيق القوانين المشار إليها أعلاه. والنقطة التي قد تساعدنا في بناء خطة للمراجع هي ورود أسم (موغالو Mugallu) فهناك إشارة إلى محاولته السيطرة على مدينة (ميليد Milid) ويبدو أنه نجح في مهمته، لأن هناك إشارة إلى أسمه في نصوص أخرى تحت أسم (موغالو ميلاداجا Mugallu Milidaja) ويبدو أنه كان مصدر إزعاج للآشوريين حتى نهاية حكم أسر حدون. وهناك إشارة في الأدبيات البابلية ونصوص أسر حدون إلى حملة آشورية على مدينة (ميليد Melid) ضد (موغالو Mugallu) وذلك في ٦٧٤ – ٦٧٥ قبل الميلاد.

وتبرز مشكلة تحديد تاريخ الأعداد الكبيرة من النصوص التي تُشير إلى:

(كاستريتو بيل علي سا كاركاسي Kastaritu bel ali sa karkassi) الذي هدد مواقع الآشوريين في (كيساسو أوسيسي، كيلمان وسبار Kisassu usisi Kilman and subar) في (ميديا Media) والضواحي المحيطة بها.

وآخر الكتاب الذين عالجوا هذا الموضوع بشكل موسع هو (أ. أم دياكونوف I.M Diakonoff) حيث أرجع تاريخ نصوص هذه المجموعة إلى بداية ٦٧٣ قبل الميلاد، كما أرجع (دي جي دابزجان) تاريخ هذه النصوص إلى ٦٧٣ قبل الميلاد وذلك في صفحة (١٣٠) من كتابه الموسوم (اتفاقيات البواخر في عهد أسر حدون) وعلى أية حال لا يمكن للفرد أن يتأكد تماماً من النصوص ذات العلاقة بـ (كاستريتو Kastaritu) إلى بداية نفس العام، وعليه فليس هناك رأي مؤكد حول الموضوع. ولكن بإمكاننا القول بأن الشؤون مع (كاستريتو Kastaritu) لا يمكن إرجاعها إلى فترة تلي عام ٦٧٢ قبل الميلاد لأنه لم ترد أية إشارة للنصوص في الألواح الآشورية ولا يمكن إرجاعها إلى فترة تسبق ٦٧٦ لأنه لم يكن هناك نصوص تشير إلى أحداث قبل عام ٦٧٥ قبل الميلاد.

ومن المدهش أن نلاحظ أن نصان من النصوص الخمسة التي تشير إلى (سكيثيان Scythian) موجودة في الألواح الآشورية، ويدل ذلك على أنه (سكينثيان) كانوا لايزالون يشكلون تهديد في السنوات الأخيرة من حكم أسرحدون، ويبدو ذلك مخالفاً إلى الافتراض الذي اتفق عليه المؤرخون أنه عندما زوج (أسرحدون) أبنته إلى ملك (الأسكيثيان Scythian) الملك (برتاتوا Bartatua) تحسنت العلاقات لفترة طويلة وهناك إشارة إلى نص (برتاتوا) في الألواح البابلية. وبهذا تبدو أنها أقدم من بعض النصوص التي تشير إلى (الأسكيثيان)، والحقيقة المذهلة أنه من بين مجموعتا النبوءات المحفوظة في النص بدت المجموعة الأولى تبشر بفأل نحس:

(سوما كابلوت مانزازي باستا Summa qablut manzazi pasta)

وإذا تم إزالة الأجزاء الوسطية في المخطوطة، فإنها تعني: أن (أنانا غاضبة على الإنسان Inanna libbat amel malut) رغم وجود إشارات تبشر بفأل حسن مثل (دانانا ساكين Dananna Sakin) التي تعني أن القوة هناك

و(.......... Isdam kenati subtu nehtu) التي تعني: أساس متين واستيطان آمن Summa kakki sibti ana sumeli tebi) ....) التي تعني: عندما يرفع سلاح القوة المضافة إلى الجانب الأيسر.

Wmmanni himsal umman nakri ikkal فإن جيشي سيقضي على فلول جيش العدو.

منظورات حول الألوهية في بلاد الرافدين

بقلم: ليو أوبونهايم........

يقال أن الفلكي أيودوكسيوس من كنيدوس الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد أنه روى الحكاية القائلة أن الفيلسوف أفلاطون وجه سؤالا لطلبته من الذين كانوا يدرسون علم الفلك لاختيار هدف ما من شانه أن يفضي إلى إنقاذ" الظاهرة الفلكية".

أن مقولة أفلاطون الشهيرة تؤكد الهدف الأسمى للعالم الفيلسوف وهو وضع تفسير عقلاني أو رياضي للتحركات غير المنتظمة في الكواكب والشمس والقمر. ومن خلال تطابق الأساليب القابلة للشرح والتفسير بصورة كاملة للكون الذكي فأن الواقع الذي يمكن ملاحظته هو في الكشف عن تلك الأشكال غير المنتظمة مثل الآليات الهارمونية الكونية والتي يمكن شرحها من خلال نموذج عامل.

لقد كان الشرق الأدنى القديم يتمسك بآراء تختلف اختلافاً كليّاً عن هذه الظواهر نفسها وطبيعتها ووظائفها.

عندما ينشد الكاهن " أن السماء تعكس روعة الإله والقبة الزرقاء تمثل روعة صناعته " فأنه يعبر عن الذهول الذي تلهمه السماء المرصعة بالنجوم في نفس كل شخص مرهف، ويمكن بكل سهولة العثور على عبارات مماثلة من مصادر أكدية. لكننا نتعمق بعيدا في الجوانب التي تحددها الطبيعة عن رؤية العالم كما ورد في العهد القديم حينما ننظر إلى " أدب الحكمة " الخاص به. أن الاهتمام المتأجج في روائع الخلق وأسلوب حركة الكون الذي يخاطبنا من خلال أجزاء معينة من كتاب أيوب والكهنة يعكس قوة ملاحظة موضوعية على قدر عال من الحدة إلى جانب غياب واضح للتفسيرات اللاهوتية. وتوجد هذه العبارات محاطة بلغة بسيطة لكنها جميلة وتبرهن على صورة عقلانية للعالم الذي، كما يبدو، يمكن أن يزدهر هناك فقط بسبب الحماية الواردة لنمط وأسلوب "آداب الحكمة" ولكن خارج هذا الغلاف يربط علم اللاهوت للعلامات غير الاعتيادية والمعجزات الإلهية إلى عبدته – " بالنسبة لليهود

فأنهم يطالبون بعلامة بينما يسعى الإغريق خلف الحكمة" كما قال بول في رسالته الأولى لأهل كورنثيا.

وعند التحرك من سوريا شرقا نكتشف عالما مختلفا تماما. ففي بلاد الرافدين نجد المعتقد الغريب القائل بأنه في مستوى من العلاقة بين الإنسان والإله تعبر الظاهرة والأحداث الأخرى في الطبيعة عن اهتمام الإله بالفرد. وعليه فأن الرعد يدوي والبرق يومض من أجل الإنسان وتهتز الأرض ويتباطأ أو يتسارع القمر في مداره وتنطلق ضحكة من رأس مقطوع. وهنا نجد أن الكون الذي يتحرك بصورة طبيعية لا يمثل مظهرا من مظاهر الذكاء الأعلى (القوة الأعظم) أو انجازاً من انجازات القوة الإلهية أو تعبيرا عن القوة الخلاقة، بل على العكس، فقط تلك الأشياء التي تبدو منحرفة أو خارجة عن المألوف أو خارج نطاق ما متعارف عليه، هي التي تحمل معنى لأنها تمثل رسالة إلى المراقب.

أن الإرادة الإلهية تخترق شبكة ما يعرف بالسبب والنتيجة وتشوه المظاهر الطبيعية للنبات والحيوان لكي توصل إلى الإنسان تحذيرا بقرب وقوع حدث ما ليس فقط بالكوارث ولكن غالبا ما تتطرق إلى أحداث هامشية في الحياة اليومية ويحدث هذا ليس عن طريق الأحاديث النبوية أو الأصوات الإلهية بل من خلال انحرافات معينة يجب ان تقرأ بشفرة أو أن تفسر بواسطة العراف.

أود هنا أن أناقش ماذا كانت تعني الكهانة في بلاد الرافدين حينها وما يمكن أن نتعلم منها اليوم. وبطبيعة الحال ليس بوسعي أن أجيب على مثل هذه الأسئلة الأساسية إلا لنفسي ونظرا لأنني أعتقد بأن ذلك هو واجب كل عالم لمادة الأشريولوجي (علم الآشوريات)، إذ عليه أن يطرح أسئلته الخاصة به وأن يحاول الإجابة عليها، أقدم أنا أسئلتي الخاصة بي وهي عبارة عن ثلاثة منظورات عن الكهانة في بلاد الرافدين والتي تبين من زوايا عدة المشاكل ذات العلاقة وبذلك تكشف عن تعقيداتها وتبين تداعيتها.

المنظور الأول

تمارس الكهانة في بلاد الرافدين على مستويين متميزين عن بعضهما الأول هو المستوى الشعبي أو الفولكلوري والثاني هو التخصص المعرفي التفصيلي وكلاهما يتضمن صفة من صفات الثقافة الأسيوية العابرة. والأدلة على هذا موجودة في المنطقة الممتدة من بلاد الرافدين وعبر آسيا إلى الصين، وتمثل اليابان في الشرق وأتروريا في الغرب (بلاد قديمة غربي ايطاليا) مراكزاً حدودية. وفي مصر بقيت الكهانة غائبة بصورة ملفتة للنظر ولغاية السلالات الأخيرة عندما وقعت الموجة الآسيوية الكبيرة. وهناك مدى واسع من الأوساط والأساليب الكهنوتية ذات سمات متعلقة بالزمن والمنطقة وتؤكد هذه الاختلافات الحاجة العميقة والمستمرة لهذا النوع من الترابط مع كل ما يتجاوز الطبيعي مهما كانت الأساليب والملاحظات والتفسيرات المستخدمة. فبدأ بالتشوهات الموجودة في الحيوانات المولودة حديثا أو المذبوحة ولغاية الظواهر الفلكية، وكذلك من سير الرياح وتكون الغيوم إلى سلوك الحيوانات المدجنة أو البرية والظواهر التي ليس قيمة في الحياة اليومية، تم جمع ملاحظات معينة وبلهفة كبيرة أفترض أنها ستقدم معلومات عن قضايا أساسية تخص الدولة أو عن حياة أو موت الأشخاص وكذلك عن كيفية اختيار يوم معين يبعث على البهجة لغرض الزواج. أن هذه الممارسة، في ملاحظة وتسجيل هذه العلامات بهدف استخلاص بعض التفسيرات المحددة، قادت إلى عدد من التوجهات الجديدة داخل العقل البشري المتسم بالفضول الدائم. ففي علوم الطب والفلك وحقول معرفية أخرى دأبت هذه الممارسة على زيادة وتحفيز الشغف في تلك الأجزاء من محيط الإنسان والتي لا تقدم أية فائدة تذكر.

و تم في كافة أجزاء آسيا الاحتفاظ بهذه الملاحظات أو التكهنات المتعلقة بالعرافة بأسلوب الكتابة أو حيثما تيسر وجود كلا الوجهين أو كلا النمطين من هذا العلم، وكان هذا ما يحدث في بلاد الرافدين فقط، وبذلك منحنا الفرصة لإلقاء نظرة معمقة إلى داخل هذه الحضارة. ونجد في عظام الوسيط الروحي في آنيانغ في شمال الصين وكذلك في النماذج الأولية للكبد المكتشفة في أمارة ماري وكذلك الأبراج الفلكية المفصلة في الهند كما واسعاً من المعلومات قادرة على ان تأخذنا في جولة رائعة تتجاوز الزمن والمكان وتستكشف الكثير من التأريخ الفكري لقارة آسيا. وبما يشبه التيارات التي تتحرك عبر المساحة الواسعة للقارة فأن ممارسات العرافة ذات السمة

الآسيوية الوسطى تصل إلى الفرات وتتحول هناك إلى مادة للسعي العلمي منذ الألف الثاني قبل الميلاد فما فوق، ويصبح علم الفلك في بلاد الرافدين والمناطق الممتدة لغاية التبت والصين معلما بارزا خلال النصف الأول من الألف الأولى بعد الميلاد وبذلك يمكن القول ان متابعة خطوط الاحتكاك هذه ستبقى مهمة أجيال عديدة من العلماء وفي كافة الاختصاصات.

وما يزال هناك الكثير مما يتطلب عمله في مجال الدراسات الآشورية إذا أردنا أن نستغل كافة المعلومات المتوفرة عن الملوك وعن العامة وعن الحياة داخل البلاط وفي المدن والتي توفر أحياناً تكهنات وتباشير محددة، ومن الملائم ان نقدم هنا نموذجا معروفا قد لا يكون اعتياديا للمقولة التالية:

"ستصبح زوجة رجل ما حاملا من رجل آخر وستبقى تصلي باستمرار وتبتهل إلى الآلهة عشتار وتقول وهي تتطلع إلى وجه زوجها سأجعل طفلي الذي لم يولد بعد يشبهه". أن هذه الجوهرة التي تكشف من خلال كلماتها الأربعة عشر في اللغة الأكدية مأساة عائلية مختصرة ضمن قصة قصيرة تقدم لنا لمحة سريعة عن حياة ليس بوسع أي نص قانوني أو تاريخي أن يضاهيه وهناك الكثير من مثل هذه المقولات محفوظة في هذه الخلاصة المبتسرة.

والأهم من ذلك فأن مجموعة العبارات التبشيرية، إذا ما نظرنا إليها كمجموعة متراصة ومتلازمة، تبين بوضوح التطورات الداخلية لنشوء توجهات جديدة لاهتمامات أكاديمية وتخصصية وتمثل بذلك مرآة لحضارة وادي الرافدين. ولا يمكن كتابة أطروحة تأريخية عن الحياة الثقافية في بلاد الرافدين بدون الفهم الواسع لهذه الخلاصات وعلاقاتها المترابطة مع التطورات الفنية والاجتماعية لتلك الحضارة.

وبطبيعة الحال فان من السهل، أو من وجهة نظر فكرية من الرخص، أن نرى في الكهنوتية الرافدينية نظاما معقدا من الخرافات مع محاولات بدائية لشرعنتها. وبالنسبة للعلماء الباحثين الذين تثير الصعوبات اللغوية الموجودة في هذه النصوص اهتمامهم وكذلك الخلفيات المتطورة التي تمتد من التكهنات المفهومة ولغاية لب الحضارة الرافدينية، فان الخلاصات الكهنوتية الكبيرة تقدم مصدرا مهما ومثيرا للمعلومات عن حضارتنا كما ورد في السجلات المفصلة للمدراء الإداريين وفي أنواع النصوص المتوفر بكثرة...

المنظور الثاني

رغم أن من المعقول تصور الألوهية كما وردت في التعريف يتعذر تخيلها بدون الافتراض بوجود كيان إلهي يعتمد في تحفيزه على الرغبة في التواصل مع مجموعة او مع كيان آخر كما ورد في الأدلة النصوصية في بلاد الرافدين ومع ذلك فأن مجرد الاهتمام بهذه الملاحظة والتفسيرات لهذه الإشارات وكذلك الإجراءات المعقدة التي غالبا ما تؤخذ لمنع تحقيق الاستنتاجات غير المرغوبة هي تعابير ما كان ينبغي أن تؤخذ كجانب أساسي في العلاقة بين الإله والإنسان والتي تبدو في خصائصها رافدينية. وهذه العلاقة هي خارج الأطر الاعتيادية للتواصل والتي كما أراها مثل الدين الرسمي المتأصل في المواقع المقدسة الأخرى. ومن جهة أخرى تمثل هذه العلاقة طاعة الأفراد التي تغذيها الحاجات الشخصية الموجهة نحو أفراد معينين من الهيكل الإلهي. واليوم نحن من التبلد بمكان في فهم أي مفهوم ديني يتركز على قوة إلهية غير منفردة والتي تتعلق بالإنسان لكن يصعب إدراكها من قبله من خلال الصلاة أو الطقوس الدينية الأخرى. كما أن الحقيقة القائلة بأن الآلهة شمش وأدد الذين غالباً ما يتم التضرع لهما باعتبارهما سادة الآلهة ينبغي أن لا تجعلنا ننسى أن ذلك لا يمثل سوى (ميثولوجيا) سطحية ذات روابط دينية أكثر عمقا، بينما يمكن أن يطلق عليه "مانح العلامات" وأولئك الذين كانت هذه العلامات موجهة لهم وبوسعهم فهمها وأطاعتها.

وهنا تتجسد ما يمكن تسميته وجهة نظر غير إلهية استمرت في بلاد الرافدين مع وجود نظام عالمي تأسس واستدام على يد شخوص إلهية محددة. واستمرت هناك في حالة من التعايش مع عدد مازلنا لا نعرف كنهه بما يكفي من وجهات النظر القدرية، وكل منها كان يستند على مبادئ عمل بدائية والتي كانت على أساسها يقع الحظ أو سوء الطالع للإنسان، وكما حاولت أن أبينه في كتابي (بلاد الرافدين القديمة) الصفحات ٢٠٣- ٢٠٦. وعليه نرى الفرد في بلاد الرافدين عالقاً في شبكة من الأسس المتناقضة فيما بينها والحصرية بصورة مشتركة وجميعها في نهاية المطاف تتمحور حول المشكلة الأساسية للعلاقة بين الإنسان وربه.

يتعين فهم الإنسان الرافديني ضمن التعقيدات الخاصة بكل التكهنات التي وضعه فيها التأريخ الفكري والروحاني لحضارته. وأن محاولة التركيز على جانب واحد مثل الطاعة الدينية للفرد أو المعبد وما يقدمه من الخدمات أو القصص والحكايا

عن الآلهة..الخ هي بمثابة تشويه للمشهد بأكمله. أن الألوهية كوسيلة للتواصل بين الإنسان والقوى الغيبية تمثل جانبا أساسيا منه. وعليه فأن دراسة الألوهية قد تسهم في فك أسرار العلوم الأخرى مثل التنجيم وغيره وهذا قد يقود إلى دراسة التحولات في الاهتمامات والتغييرات في وجهات النظر التي يمكن تتبعها في الكم الموجود من النصوص المسمارية المتعلقة بالألوهية. أن تأريخ الألوهية في بلاد الرافدين يكشف كما هو حاله على الدوام، جوهر هذه الظاهرة في جوانبها المتعددة وكيف أثرت فيها عوامل الوقت والجغرافية والإطار الاجتماعي.

والألوهية لا يمكن أن توجد دون وجود العرافين. وعراف بلاد الرافدين، أذا نظرنا أليه خارج أطار التقاليد والفولكلور، لم يكن كاهنا بل كان فنانا متخصصا بل وقبل كل شيء عالما.

واقصد بكلمة عالم بمعناها الحديث وليس بصفة العالم الإغريقي الذي يظهر بصفة المعلم والفيلسوف ولا بصفة العالم الصيني الذي يظهر وكأنه أحد رجالات الدولة ذو المواهب الأدبية التقليدية والفنية. ويستقي العراف معلوماته عن الأحداث الكبيرة من الخلاصات الوافية ومن تراكمات التجارب المعرفية الكهنوتية والتي يقوم بدراستها وتفسيرها والتعليق عليها بمساعدة اي من المصادر والكتب التي تقع تحت يده. ومعلوماته هذه لا تعتمد على خاصية الحدس بل عليه ان يخضع لتدريب شاق يستند على امتحانات، إذ أن حياته تعتمد كما تخبرنا بذلك المصادر وبصورة متكررة، على سمعته أي على نجاحه في عملية العرافة. وهذا ما يضع عراف بلاد الرافدين في موضع خاص إذ بوصفه عالما عليه أن يتنافس مع الطبيب ومع الخبراء في أجراء طقوس النقاء ويتنافس معهم ليحظى باهتمام الطبقة الغنية والمتسلطة حينما يتحتم على أفراد هذه الطبقة التعامل مع مسائل الحياة والموت. وعليه فأن لديه وظيفة اجتماعية إذ يجد نفسه مضطرا للتعامل مع تقلبات الحياة بأسلوب وجده أهل بلاد الرافدين ملائماً وضرورياً. وبقيامه بهذا الدور المزدوج كعالم وكمستشار فأن عراف بلاد الرافدين يمارس نشاطه ضمن نطاق حضارته، أي حضارة وادي الرافدين.

المنظور الثالث

أن المواضيع التي أود طرحها هنا هي، اعتيادياً لا تقع ضمن اهتمام الباحث في علم الآشوريات ولكن مع ذلك فأنا أميل إلى الاعتقاد بأن هذه المواضيع ينبغي أن تقع ضمن اهتمامهم والسبب بصورة رئيسية يكمن في أن هذه المواضيع توسع بحثنا وتضعه ضمن نطاق أوسع وبصورة ما تضعه ضمن مدار الأسئلة التي تعود ليومنا هذه، أي أصول العلوم وتطورها.

أن على أية محاولة جدية للبحث في تأريخ حضارة بلاد الرافدين أن تواجه مشكلة الظهور المفاجئ لعلم الفلك الرياضي بحدود العام ٤٠٠ قبل الميلاد. وليس من الواضح فيما أذا كان ظهور هذا العلم قد جاء من خلال علم الفلك الأوسع أو كنتيجة لنشوء ونطور العلوم في بلاد وادي الرافدين، أي أن علم الفلك الرياضي قد نشا بسبب عوامل مازالت مجهولة.

وهناك العديد من المصاعب التي يواجهها الباحث في دراسة هذه المشكلة الصعبة، فالعلاقة بين علم الأبراج وعلم الفلك الرياضي مازالت غير معروفة بالتمام، وبدون شك فالمواضيع الأولية الخاصة بالأبراج تتضمن مقادير من المعلومات الفلكية مازالت غير معرفة ولسبب بسيط هو أن إشارات علم التنجيم مشتقة من ملاحظة نفس الظواهر التي كان علماء الفلك البابليون قد حاولوا فيما بعد التعبير عنها بالعلاقات الرقمية. ومع ذلك وبينما كان البحث العلمي لإيجاد تفسير علمي منطقي مستمرا فان نفس الظواهر الشاذة والمتكررة استمرت في التخاطب مع المنجم وأتباعه بصيغة الوعود والتحذيرات حول المواضيع التي تتعلق بالدولة وبحياته الخاصة. وفي الحقيقة فأن علم التنجيم وكذلك علم الفلك الرياضي المعاصر يعملان تحت محددات يصعب علينا فهمها. أن التهديدات الوخيمة والتكهنات الشيطانية التي تولدها الظاهرة لا تؤخذ بجدية لأن صيغ وممارسات السحر وجدت لتفادي تلك التهديدات بينما لم ترق الأسباب التي تجعل تلك الظواهر الشاذة تعاود الظهور في دورات يومية متقنة لأن تصبح مادة للفضول العلمي الفلكي.

وكان على هذه الظاهرة أن تنتظر الإغريق ليبحثوا فيها.

وغالبا ما يتم الافتراض بأن اندماج سلسلتين منفردتين من التقاليد الفكرية هو المسؤول بصورة أو بأخرى عن ظهور علم الفلك الرياضي في بلاد الرافدين في تلك الفترة. فإحدى السلسلتين كانت تمثل تقاليد ألفية من الرياضيات التي وفرت التقنية المطلوبة

بينما وفرت السلسلة الأخرى أسلوب الملاحظة والتسجيل للظواهر الفلكية في فترات زمنية متباعدة والظواهر التي كانت مثار اهتمام علماء بلاد الرافدين في التنجيم وفي الفلك تركزت حول حركة الكواكب ضمن المجرات وكذلك حركتها نسبة إلى شروق وغروب الشمس والعلاقات البينية بين حركتي الشمس والقمر ناهيك عن التطرق إلى خسوف وكسوف كليهما. وقادت الملاحظات المستمرة إلى تحديد دورات للأحداث التي تقع بصورة دورية والتي تم تسجيلها وتثبيت دوراتها الزمنية ومقارنة هذه الملاحظات مع بعضها، وقد وصلت هذه في نهاية المطاف إلى اليونانيين وقام علماء الفلك اليونانيون في استخدام هذه المعلومات لوضع نظرياتهم الخاصة بهم عن الآليات المنتجة لهذه الأحداث الشاذة وبما قاد إلى الحفاظ على هذه الظاهرة. وهذا يعني أنهم نجحوا في استبدال الصيغ الحسابية البحتة العائدة لبلاد الرافدين والتي استنبطت لتفسير الدورات الشاذة لهذه الأحداث الفلكية، استبدلت بفرضيات هندسية (الحركات الدائرية للكواكب حول الأرض..الخ) والتي طابقت الحقائق وكذلك توافقت مع العقلية الأغريقية السائدة في حينه.

وأميل أنا شخصيا إلى الاختلاف ولدرجة كبيرة مع التسلسل السلس لمراحل تطور الأحداث أذ أن ذلك لا يتماشى وبكل وضوح مع التوجهات الهادفة لمؤرخي العلوم المهنيين.

أن تواريخ العلوم – المعني هنا على الدوام هو تاريخ العلوم الغربية الحديثة – قد اكتسبت اليوم المنزلة والوظيفة التي كان يحتلها التأريخ والدين وبصورة أكثر تحديداً تأريخ الفلسفة. أن مثل هذه التواريخ تتعامل بصورة أكثر أو أقل جرأة مع صلة نسب العلم الذي يفضله المؤلف أو المجتمع وكذلك الحال مع الدين أو الفلسفة. ويطيب لهؤلاء الكتاب أن يشعروا بالفخر والانتشاء حول الطرق الصعبة والملتوية التي يتوجب عليهم أتباعها والتي تقود في نهاية المطاف إلى ذلك العلم أو الدين أو الفلسفة الخاصة بعالمهم. وفي مثل هذه الظروف تصبح الاستمرارية رغم الصعوبة في تأكيدها ضرورية من أجل توكيد أسلوب العرض والغاية منه. وبطبيعة الحال تختار المدارس المختلفة شواهد وأحداث بأسلوب يقود إلى استجلاء وتوضيح آراءها وتفسيراتها الخاصة بها. وقد يقوم البعض بالتركيز على المواقف البنيوية والاقتصادية الأساسية بينما تقوم مجموعة أخرى بالترويج لأهمية العبقري الفرد (وهو ما يعرف بعلم تقديس الكاتب أو المؤلف المترجم له) وهناك مجموعة ثالثة قد تستخدم النزوح أو عمليات الغزو والاجتياح أو

العودة إلى فترات الإصلاح أو الانبعاث أو الثورات، أي باختصار أنهم يقومون باستخدام المهنة التقليدية القديمة للمؤرخ.

وما يبدو أكثر أهمية هو دراسة الفترة الزمنية التي نناقشها، أي في بلاد الرافدين، خلال فترة أواسط الألفيتين الأولى والثالثة قبل الميلاد وبكافة مظاهرها لكي نتمكن من إيضاح مسار نشوء علم الفلك الرياضي. وخلال هذه القرون القليلة المهمة لابد أن حدثا ما أو سلسلة من الأحداث قد وقعت بموازاة التغيرات التي قادت في أماكن أخرى - أو في فترات أو مناطق أخرى - إلى نشوء الفكر العلمي والأساليب العلمية. وإذا تم التحري في هذه القرون الرافدينية بأسلوب مناسب فقد يثبت ذلك أهميتها التي توازي أهمية القرون الخامس عشر ولغاية الثامن عشر في أوربا الغربية التي شهدت نشوء العلم الحديث. وعليه نجد هنا مهمة كبيرة أمام الباحث في علم الأشوريات. وبقدر ما يمكننا رؤيته فأن الفترة التي نبحث فيها تبدو وكأنها تتسم بولع خاص واستمرارية في تسجيل الملاحظات الفلكية وكذلك تدوين الأحداث السياسية وإضافة لذلك فأن التغيرات الواضحة في عموم البنية الاقتصادية والاجتماعية وحتى اللغوية في بلاد الرافدين والتي وقعت قبل عدة قرون تجعل التغيير في المناخ الذهني حقيقة واقعة في ذلك الوقت. وقد يكون من الواجب ملاحظة أن هذه الفترة لم تكن ذات طفرات تكنولوجية واضحة أو حتى ذات اهتمامات يمكن ان تدلنا عليها الأدلة الغائبة. وباختصار فلو تيسرت أمامنا بعض النصوص أو المواد العائدة لتلك القرون، وأذا ما تم التعامل والاستفادة بصورة أفضل من المطبوعات فأن الباحث في علم الآشوريات قد يجد نفسه في يوم ما في موقع يمكنه من تسليط الضوء على الظروف والظواهر التي ساعدت أو أبطأت نشوء تلك التظاهرة الثقافية التي نسميها اليوم بالعلوم.

السحر من منظور اثنولوجي

لمجموعة من الكتاب (مترجم)

تـقـديـم:

ليس مـن المبالغـة القـول إنَّ البحـث في ظـاهـرة السِّحـر ـ والخفـي عمومـاً ـ مـن المنظورين الاجتماعي والنفسي، باللغـة العربيـة، شبه مُنعَدِم في الوقت الرَّاهن؛ فـإذا استثنينا مـا يُنجَزُ مـن بحوث جامعيـة، تبقـى أسيرة جدران الكليـات، لا يمكـن إلا الـذهول أمـام الفـراغ الكـبير الـذي تعرفـه سـاحة النشـر في هـذا القطـاع. ويغـدو هـذا الفراغ مبعثاً للسؤال بالنظر إلى كوننا ما أن نغير وجهـة اللغـة حتـى نـصادف عـددا لا يـستهان بـه مـن المؤلفـات في الموضوع نفسه، كُتِبَت وتُكتَبُ، منـذ مـستهل القـرن الحـالي إلى اليوم، بـأقلام بـاحثين عـرب وأجانـب علـى الـسَّواء[1]، دون أن يُكتَب لأي منهـا ـ في حـدود مـا نعلـم ـ أن يـرى النـور باللغـة العربيـة حتّـى اليوم. أي ممنوع تنطوي عليه اللغة العربية في شأن السِّحر ـ والخفي عموماً ـ بحيث يتعذر داخلها كل كـلامٍ «علـم ـ إنـساني» عنـه؟ أهـوَ ممنـوع اللغـة، باعتبارهـا عالمـاً رمزيـاً مُحمَّـلاً بـالأوامر والنواهي، أم هـوَ ممنـوع الحَداثـة، باعتبارهـا نمطـا في التفكير والسُّلوك يـضع بينـه وبـين «اللاعقلانيـات» مـسافة متَعـذرَة الاختـزال؟ إذا كـان الأمـر كـذلك، فلمـاذا لا ينـسحب هـذا المنـوع نفـسه علـى اللغـات الأجنبيـة الـتي تُنجـزُ بداخلـها تلـك الدِّراسات؟

مُقابل هـذا الوضع تعرف سـاحة النشر العربيـة نفسها غزارة غير مسبوقة في طبع وإعادة نشر مؤلفات عديدة تتعلق بالسِّحر وما حَولَه، يمكـن تصنيفها ضمن خانتين: أولاهما تشجُبُ السحر وما يُحيطُ به من معتقدات وممارسات. والثانيـة قـد «تدعُو» إلى السحر و «تبرر» وجودَه من خلال ما تَضَعُ بين يدي الفضوليين والسَّحَرة

(١) القائمة طويلة جداً، ونذكر منها على سبيل المثال:

- Edmond Doutté, Magie et religion en Afrique du Nord,(Alger, 1908), Paris, J. Maisonneuve & Paul Geuthner, 1983; - Idriess Shah, La magie orientale, Paris, Payot, Coll. Petite Bibliothèque Payot, 1978; Aïssa Ouitis, Magie Possession et prophétisme en Algérie, Paris, Arcantère, 1984; -Ndjima Plantade, La guerre des femmes. Magie et amour en Algérie, Paris, La Boîte à Documents, 1988.

المبتدئين والحرفيين، على السَّواء، من عناوين لا تحصَى، تتعلق بالسِّحر والتنجيم والعرافة بكل أصنافها وإخراج الجنّ والعفاريت من أجساد المرضى(١).

ويترتب عن ذلك ـ ضمن ما يترتب ـ أن القارئ باللغة العربية وحدها، متى أراد معرفة بالسحر والخفي عموماً، لا يجد سوى كتابات تصادِرُ موضوع معرفتها مسبقا باعتباره مخالفاً للشرع، كفرا وردَّة، ومن ثمة تحرمه أو تعتبره مظهراً للتخلف، أكاذيب وترهات فتدعو إلى عدم الاهتمام به، أو يجد كتابات أخرى تدعوه إلى ولوج هذا العالم من غير أن تزوده بأدوات الفهم العقلاني للظواهر المعنية، من موضوعية وحتمية وقوانين وعلية، الخ ـ كما ترسَّخت في ذهنه من قبل ـ لأن هذه الأدوات للفهم «غريبة تماماً» عن عالم السحر (وها نحن نعود إلى المسافة نفسها متعذرة الاختزال الفاصلة بين الظواهر العقلانية وغير العقلانية).

يكاد السحر يماثل الدين في كونه تجربة داخلية تتعالى عن كل تعميم أو تقنين؛ فالله موجود، لكن التحقق من وجوده لا يتم إلا باطنياً وبشكل فردي. ومن تنكشف الحجب بينه وبين الماوراء يعسر عليه أن يشرك الآخرين في ما يراه ويسمعه هناك لأن تلك الرؤية والكلام لا يمنحان نفسيهما إلا للفرد وللفرد وحدَه. وبكلمة واحدة، مثلما يعسُرُ على المؤمن إقناع الملحد (المتمادي في إلحاده) بوجود الله عن طريق استدعاء براهين حسية ملموسة دامغة ويعسر على الملحد إقناع المؤمن (الغارق في الإيمان) بعدم وجود الله؛ كذلك يشق على عديم الإيمان بالسحر أن يقنع الساحر

---

(١) نذكر من المؤلفات القديمة، على سبيل المثال: ـ أحمد البوني، شمس المعارف الكبرى، بيروت، المكتبة الثقافية، (بدون تاريخ)؛ ـ أحمد البوني، منبع أصول الحكمة، بيروت، المكتبة الثقافية، (د. ت)؛ ـ الإمام الغزالي، الأوفاق، (بدون مكان النشر)، (بدون اسم الناشر)، (د. ت)؛ محمود نصار، غاية الحكيم للأستاذ المجريطي، (د. م)، دار الفكر، (د. ت)؛ ـ السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)؛ ـ أحمد الديربي، مجربات الديربي الكبرى، بيروت، المكتبة الشعبية، (د. ت). ومن مؤلفات المحدثين، نذكر على الخصوص كتابات المصري عبد الفتاح الطوخي الفلكي، وهي غزيرة جداً، نكتفي بذكر بعضها (والاختيار هنا عشوائي): ـ سحر الكهان في حضور الجان؛ ـ البداية والنهاية في علوم الحرف والأوفاق والروحاني (٢ ج.)؛ ـ منبع أصول الرمل المسمى الدرة البهية في العلوم الرملية؛ ـ نهاية العمل في علم الرمل؛ ـ الأصول والوصول في علم الرمل؛ ـ بلوغ الأمل في علم الرَّمل؛ ـ الزايرجة الهندسية في كشف الأسرار الخفية؛ ـ علم الكف؛ ـ الكباريت في إخراج العفاريت؛ اسم الله الأعظم؛ ـ النور الرباني في العلم الروحاني؛ ـ السحر الأحمر؛ ـ تسخير الشياطين في وصال العاشقين؛ ـ السحر العجيب في جلب الحبيب... وقد صدرت منها طبعات عديدة ببيروت، عن المكتبتين الثقافية والشعبية بالخصوص، وكلها بدون تاريخ النشر، ومؤخرا صارت تطبع بأعداد وفيرة في المغرب.

والمسحور - خصوصاً - ببطلان ما يؤكدانه. وحدَه المؤمن يعرف الله حقَّ المعرفة، ووحدَه من تعرض لمصيبة السحر يعرف حقيقة وجود هذا النشاط.

لهذا السَّبب ارتأينا تجاوز البعد الأنطولوجي لظاهرة السحر (مسألة وجوده أو عدم وجوده)، علماً بأنَّ في هذا الجانب كتابات غزيرة جداً، باللغتين العربية والعجمية على السَّواء، وهنا أين تمَّت الترجمة بشكل كبير.

خارج المواقف السابقة، اخترنا أن نضع بين يدي القارئ نصوصاً تتناول الظاهرة المعنية من زوايا متعدِّدَة؛ لغوية، أنثروبولوجية، إثنوغرافية، إثنولوجية، طب عقلية، تحليل نفسية، وتاريخية، كتبها باحثون ينتمون إلى مدارس مختلفة ضمن الحقول السابقة، وانطلاقاً من معطيات ميدانية تنتمي إلى مجالات ثقافية متنوعة: إفريقيا السوداء، أمريكا الجنوبية، الجزائر، وأوروبا. وهي نصوص من شأنها أن تشكل مدخلا لدراسة السحر...

والنصوص التي يضمها هذا الكتاب، فضلاً عن كونها تقع فيما وراء الرقابتين الدينية والحداثية، تشترك في نقطتين: تتمثل الأولى في ابتعادها عن الإغراق في عرض الطقوس السحرية على غرار ما كان يفعله الإثنوغرافيون الكولونياليون، الذين كان يتحدد انشغالهم الأول في جمع أكبر عدد من الملاحظات الغرائبية، لينتهوا من ذلك إلى إثبات وجود عقلية بدائية أو ما قبل منطقية[1]؛ أقول: بدل ذلك تضع الدراسات الحالية نصب عينها إظهار مصدر الفعالية السحرية الكامنة أساساً في سلطة الكلمة. أما النقطة الثانية، فتتحدد في ابتعاد النصوص المذكورة، في معظم الأحيان، عن التجريد والخوض في القضايا النظرية بما يفترض في القارئ عمق الإلمام بقضايا الإثنولوجيا والتحليل النفسي.

وبالفعل، ما نعتقد القارئ - وقد أنهى قراءة الكتاب الحالي - إلا واقفاً على الطابع الكوني للظاهرة، بما يجعل تسمية الإنسان الساحر[2] (Homo-magicus) التي لم يتردد البعض في إطلاقها على الكائن البشري (على غرار أسامي الإنسان المفكر أو العاقل

---

(١) سيقف القارئ على مثال عن هذا النوع من المقاربات، في دارسة إدموند دوتيه «السحرة والعرافون بشمال إفريقيا» التي ارتأينا إضافتها. (هامش أدرجناه للتو، قبيل سحب الكتاب).

(٢) انظر:

- F. E. Lorint & J. Bernabé, La sorcellerie paysanne. Approche de l'Homo Magus, avec une étude sur la Roumanie, Bruxelles, Editions A. De Boek (Univers des sciences Humaines), 1977.

[Homo-sapiens] والإنسان السياسي [Homo-politicus]، والإنسان الصانع [Homo-Faber]، والإنسان الأكاديمي [Homo-académicus]، الخ.) تأخذ معناها الممتلئ.

أما إذا لوحظَ شبه تركيز على إفريقيا السَّوداء، فذلك لكون مجموعة من الممارسات السحرية والعلاجية التقليدية في المغرب الراهن تتأصل في قسم منها في تلك المعاقل. ذلك أن الخفي في المغرب، كما في مجموع بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط العربية، يتكئ على إرث مزدوج: الأول وثني والثاني «عربي - إسلامي».

لقد بتنا مقتنعين أكثر من أي وقت مضى بأنَّ عمل المترجم لا يعدو - في أحسن الأحوال - مجرد توسط بين طرفين يُفترض في أحدهما (القارئ) عدم معرفة لغة الآخر (المؤلف)، وإلا فلا امتياز يحظى به المترجم - بالمقارنة مع القارئ - سوى توفره على وثائق (هي الأصول الأعجمية) ليست في متناول المتلقي. ولهذا القسم من القراء تمَّ إثبات العناوين الأصلية للدراسات المترجمة ومصادرها في نهاية الكتاب. أرجو منهم مسبقاً الصفحَ عما قد يقفون عليه من هفوات. فما حثني على تعريب هذه النصوص - قبل كل ما ذُكِرَ أعلاه - سوى البقاء على صلةٍ بهذا الموضوع الذي لا تنضب خصوبته.

محمد أسليم

مكناس في ٣٠ يناير ١٩٨٨

الرَّمــز والسِّحــر(١)

جان بــران

لقد فتح فرويد بكتابه الطوطم والحرام[٢] (١٩٦٥) طريقاً جديداً لفهم الوظيفة الرَّمزية في حياة الذين اصطلِح على تسميتهم «بالبدائيين». ومهما تعدَّدت الخلافات بين فرويد وتلميذه المنشق كارل جوستاف يونغ وتعذَّر تبسيطها، فإن هذا السبيل قد قاد يونغ إلى استكشاف، بطريقة إن لم تكن شاملة فهي على الأقل عميقة جداً، جميعَ هذه الرموز التي غمرت حياة «البدائيين» اليومية. وهي رموز سيجدها ثانية مسيخة، لكن متطابقة في الحياة الاجتماعية والسلوكات الفردية، بل وحتَّى في أحلام سكان البلدان المصنَّعة وعُصاباتهم. وبذلك وجَد يونغ نفسه منقاداً إلى صياغة مفهوم النموذج الأصلي الكوني والخالد، الذي يوجد في قلب الميثولوجيات القديمة، كما في الميثولوجيات العصرية التي لا ندركها مع ذلك كما هي.

لقد أصيب يونغ، خلال رحلاته إلى إفريقيا وأمريكا والهند، بالدهشة والفتنة في آن معا لدى اكتشافه أن الحياة الاجتماعية للشعوب التي التقى بها كانت عائمة كليّاً في عالم رمزي تتجلى فيه محتويات اللاشعور في الميثولوجيات والطقوس الاجتماعية والسلوكات الفردية والفنون، وخاصة في الأقنعة والتماثيل أو الرَّقص. وبذلك وجد نفسَه، إلى جانب التفسيرات بالسببية الطبيعية، أمام التفسير بقوة النماذج الأصلية والرموز التي تحيل إلى التَّجليات النَّهارية لقوة اللاشعور الليلية الخارقة. عندما ندرس المنحوتات والتماثيل الإفريقية أو الأمريكية أو الأوقيانية العجيبة التي كثيراً ما يُعاد إنتاجها برداءةٍ وغزارةٍ لأجل السياح الذين يبحثون عن ذكريات غرائبية، عندما ندرسها وندهشُ لها في بيئتها الأصلية أو في المتاحف، فمن غير الممكن ألا نتأثر لهذا التكاثر

---

(١) سبق أن نشرنا هذه الدراسة في مجلة العرب والفكر العالمي، ع: ١٣ / ١٤، (١. من نص البلاغة والبيان؛ ٢. من نص السحر والإثنولوجيا)، ربيع ١٩٩١، ص ص ١٧٣ - ١٧٦.

(٢) ترجمه جورج طرابيشي إلى العربية، وصدر ببيروت عن دار الحداثة، الطبعة الأولى ١٩٨٣، كما صدرت ترجمة أخرى للكتاب نفسه تحت عنوان: التوتم والتابو، دار الحوار، اللاذقية، سورية ١٩٨٣ [عثرنا على إحالة إلى الترجمة الثانية، بدون ذكر اسم المترجم، في: د. عبد المعطي سويد، التناقض الوجداني في الشخصية العربية المعاصرة، اللاذقية، دار الحوار للنشر، ط١.، ١٩٩٢، هامش ٤٣، بالصفحة ١٧٦] (م).

والتراكب ذي الأشكال الغريبة المقلقة المغرِّيَة، حيث تجد كل نزعة أكاديمية ومثالية نفسيهما مُبعَدَتين.

يسبَح «البدائي» كلياً، فردياً واجتماعياً وفنياً، في عالم لا نصادف أي صعوبة في نعته بعالم رمزي. فحتى الأدوات المألوفة التي يستخدمها يوميا، من مزهريات وأقداح ومواعين وآلات وأسلحة، الخ. تكون مُحمَّلة بصور أو استعمالات طقوسية تجعل منها أدوات ترتبط بشيء آخر غير العالم العملي التابعة له. وكلّ من القطاف والزراعة وصيد السَّمك والقنص والحرب، تحدِّده هو الآخر انشغالات منفصلة عن تلك التي قد تكون كافية للحصول على النتائج المنتظرة من ذلك الضرب من الأنشطة. أخيراً، يكاد يكون من غير الضروري التذكير بأن جميع الأحداث والوقائع المتعلقة بالحياة، كالولادة والبلوغ والزَّواج والمرض والموت، تشارك في ما وراءٍ يُرمَزُ إليه بالطقوس التي تتصدَّر الحفلات.

يمكن التفكير حينئذٍ، كما فعل ليفي برول أوّلا، في أن «البدائي» يعيش في عالم منفصل يمكن فيه لأي شيء أن يكون السبب في أي شيء آخر، عالم ينعدم فيه معنى المستحيل ومعنى التجربة. وبذلك قد نترك كل ما يشتمل عليه هذا العالم من الدلالات الخفية يفلتُ من خلال تهميشه.

لكن على العكس عندما نستسلم لسحر هذا العالم كله، والذي تبدو الرَّمزية فيه سيِّدَة الموقف، فإننا نجد أنفسنا أوّلا أمام مشكلة معرفة لماذا تُجهل الكتابة جهلاً تاماً في تلك المجتمعات التي لا تعرف سوى التقليد الشفهي وإيصال الميثولوجيات بلغة غير كتابية؟

بعد ذلك، نجد أنفسنا مساقين إلى التساؤل: لماذا لم تطوّر مثل تلك المجتمعات أية تقنية متقدِّمَة وجهلتْ كل أشكال «المحرِّك»، فأفلتتْ، بذلك، مما يسمَّى بالتقدم؟ كيف استطاع مثل هذا العالم من الرموز أن يكون، علمياً وتقنياً واجتماعياً، عالماً متحجِّراً بينما تعتَبرُ هذه الرموز - فيما يبدو - غزيرة المعنى، غنية ومفتوحة على عالم من شأن الإنسان أن يستمد منه ما يتيح له التجدد رأساً على عقب إذا ما أنصت للغتها؟

سيقودنا فحص مثل هذه الأسئلة إلى اكتشاف لغة الرمز على أساس ما ليس هذا الرمز إياه، وعلى أساس الملحمة التي استطاع الإنسان خلالها إتلاف الرمز وهو يريد تدجينه.

إذا كان «البدائي» يعيش في عالم من الرموز، فإنه طبعا لا يشعر بها باعتبارها رموزا لأنه مسجون - إذا صحَّ القول - بين ما هو سماوي، من حيث تأتي قوى رهيبة، وسطح ما هو أرضي، حيث تسود قوى أخرى تشكل هي الأخرى تهديداً، والتي يجب الانتصار عليها للتمكن من البقاء. لكن السَّماوي والأرضي يبدوان أيضاً بمثابة حِجابين تختفي وراءهما القدرات التي تطلق هذه القوى من معاقلها: آلهة كوكبية أو تحت أرضية، غير مرئية لكنها كلية الحضور، تحمل على الاعتقاد بأن «الكل مملوء بالآلهة». وباختصار، فإن «البدائي» الذي نصادفه، الذي كنا إياه وسنظل إياه، يعيش داخل كراطوفانيا، أي داخل عالم يتجلى فيه دوما لعبُ القوى التي تفلت من رقابة الإنسان.

أمام مثل هذا الوضع الذي يشكل تهديدا لوجود الإنسان، أي تهديدا لجسده أوَّلا، لا يستطيع الإنسان نفسه أن يجد سوى ملاذٍ واحدٍ يشكل في آن واحدٍ تقنية حياتية وإجراء إنقاذٍ وجودي. هذا الملاذ هو ملاذُ مُشاركةٍ في سلسلة الكائنات، مشاركة تنطوي على تفكيك للجماعة مزيلٍ للنزعة الفردية وعلى تماهٍ مع القوى الخارجية قصد التوصُّل إلى إغوائها واستمالتها بالتحوُّل إلى مثيل لها. وبذلك ينمو السحر الذي هو تقنية مرموزة ولغة كوسموبيولوجية تضمها أساطير تتحدَّثُ عن اتصال الممالك الطبيعية وممالك الكائنات المركبة لها، في حكايات تصف أشكال هذا العبور من فردية إلى أخرى، ممثَّلة بالنِّسابات والتحولات وظواهر المسِّ بالجنِّ أو الأرواح.

ترتكز أحكام فريزر وليفي برول وسوسيولوجيين آخرين، وجميع هؤلاء ينقضون الاستدلالات «المغلوطة» في فكر ما قبل منطقي غير مُؤَسَّس على مبدأ الهوية، ترتكز على تنظيماتٍ تصنيفية تجعل من المستحيل فهم ما تدرسه. عندما نجد أنفسنا إزاء إجراءات للتماهي تحاول إجراء محاكاة حقيقية قادرة على الإفضاء إلى انتقالات وجودية مستمرة تضمن المرور عبر الكائنات والصيرورة الكونية، عند ذاك لا يمكننا أن نأسف لجهل مبدأ الهوية. يشكل كل من المشاركة والمسارَّة[1] والطوطمية والسحر كذلك إجراءات لاستبدال سلسلة من الموجودات - حيث يجد كل فرد نفسه منفصلاً

(١) المسارة :(initiation) يترجمها البعض بـ «التدرب» أو «التأهل» (راجع ترجمة حسن قبيسي لكتاب ك. ليفي ستروس، الإناسة البنيانية، البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٥، ص. ١٩٢ وما بعدها، وكذلك ترجمته لكتاب جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٦، ص. ٣٧٤). والكلمة تطلق على «الطقوس والاختبارات الموجهة لإلحاق مرشحين إلى جماعات مغلقة كالجمعيات السرية، والطوائف، الخ. (...). وتشكل هذه الشعائر عموما مناسبات لإقامة حفلات كبرى يشارك فيها جميع أعضاء المجتمع الكبير، لكن يلعب فيها المسارون أو المسارون الجدد دورا أهم...». عن Michel Panoff et Michel Perrin, Dictionnaire de l'ethnologie, Paris, Payot, 1973. (م).

جذرياً عن الأفراد الآخرين لأنه ليس بشيء آخر عدا نفسه - بدائرة للوجود يُشِعُّ بداخلها الكل من مركزٍ يمكن دائماً العودة إليه انطلاقاً من أية نقطة من محيط هذه الدائرة.

منذ ذلك الوقت، ظهر معنى هذا العالم من الرموز الذي يعيش فيه «البدائي». الرمز فيه هو المركبة التي تنقل من المركز إلى المحيط ومن المحيط إلى المركز. إنه مفكك للجماعة بقدر ما يفسخ جزئياً، تقريباً، بنيات الأشياء والأجسام ومكوناتها كذلك؛ إنه خلاصي بوصفه يدمج أشكالا، بحسب فرديات جديدة، تكسر أطر كل الصنافات الطبيعية. والاصطناعي لا يكرس فيها انتصارا أحرزه الأدائي على الطبيعي، وإنما يُبرزُ غزو المتخيَّل للواقع، المتخيَّل الذي يقدم نفسه باعتباره رجفة حقيقية للفرد من أجل القفز خارج الذات والإفلات من كل الفوريات التي تحاصره.

ليست الأرواحية والإحيائية[١] والطوطمية أو السحر على الإطلاق شعوذاتٍ من شأن وصفها أن يكفي لدحضها كليا. إنها منافذ لسلوكات الشدَّة[٢]. شدة غير قابلة للاختزال إلى ما قد توحي به الحيوانات المتوحشة أو العناصر الهائجة، ولكنها تنطوي كذلك على شدة أساسية لدى الإنسان تجاه عَرائه الجوهري. والرموز التي تجري عبر ما كان يبدو مفترقاً، والتي تكسر كل التصنيفات، هي كذلك إجراءات للهروب، هي وثْباتٌ أو إقلاعات تطلب من المستحيل أن يجعل بالإمكان تحقيق انتصار ما على الواقع. والفكر التحليلي عند السوسيولوجي أو المحلل النفساني سيفكك هذه الرموز كأنها أجزاء مربكة[٣] ليستخرج منها اللامنطق المنطقي الخفي. وبذلك سيقضي على نفسه بألا يرى فيها التعبير عن الوجود الذي يبحث عن منفذ للخروج، والذي - لأجل ذلك - يتدخل ويختلط بكل ما يحيط به، يدمج المغاير أملا في العثور على الفصَّال الذي

(١) الإحيائية أو المذهب الحيوي :(animisme) نظرية صاغها تايلور، ويقصد بها أن «ينظر الإنسان إلى كل مظاهر الطبيعة حوله (حيوانات - نباتات - جماد) على أنها مليئة بالحياة الشخصية. فالأنيميزم هي الاعتقاد في وجود الأرواح في كل شيء». عن د. منال عبد المنعم جاد الله، الاتصال الثقافي، دراسة أنثروبولوجية في مصر والمغرب، الإسكندرية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٩٧، ص. ١٠١.

(٢) Stresse: مصطلح كنا نترجمه آنفا بـ«الضيق»، ونتبنى حالياً الترجمة التي يقترحها كل من «معجم الثقافة النفسية لمصطلحات علم النفس»، الصادر ضمن مجلة الثقافة النفسية، مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية، بيروت، العدد الثاني عشر، المجلد الثالث، تشرين الأول، ١٩٩٢، ص ص ١٢٢ - ١٣٧، و«معجم الثقافة النفسية لمصطلحات الطب النفسي»، الصادر في المجلة نفسها، العدد الحادي عشر، المجلد الثالث، تموز ١٩٩٢، ص ص. ١١٧ - ١٥٢. (م).

(٣) المربكة: (puzzle) نوع من لعب الورق معقَّد. (م).

سيفتح، من الجانب الآخر لجميع المشاركات، قفل هذا العالم الذي تجري فيه هذه المشاركات نفسها.

في الواقع، يرى الوجود نفسه، في عالم الشدة، محاصرا بالتدقيق المنتظم الموجود هنا أو هناك، الذي يقطع الطريق أو يقترب: بذلك فهو يضحى سجين فضاء مريع وصيرورة مبرمجة. وعالم الرموز يستبدل مثل تلك الشبكات بنوع من مجرَّة يكون الوجود داخلها - إن صحّ التعبير -، في (حالة دوران)، وحيث يضمن الرمز فيها وظيفة تَنَافُذ وجودي وأنطولوجي؛ بفضل هذه المجرة لا يعود الـ هو والـ أنا محاصرين حتما بعالم الـ هذا الذي لا يُقهَر، إنهما يصيران نقطتين بؤرتين تتلاقى فيهما وتتفرَّع عنهما إمكانيات مُعاش لا متناهية. كان ليفي برول في البداية يقول: إن «البدائي منغلقٌ للتجربة»، ولا يملك معنى المستحيل. والواقع أن البدائي شفاف جداً للتجربة، للتجربة المعاشة وليس لتجربة المختبر التي لا تعدو مجرد مخلَّفة[1]؛ إنه يحاول الانفتاح على حقل الممكنات وراء التكثفات المجمدة التي يفرضها الواقع. وإذن، فالرمز يتكلم لغة الإنسان الذي يحاول امتلاك كلام كل ما يحيط به من أجل الوصول إلى هذه اللغة السامية التي ليست الميثولوجيات جميعها سوى ترجمانات لها ومعبرة عن لسان حالها.

وبصفة الرمز والأسطورة، كذلك، فهما يشكلان أداتين أنطولوجيتين حقيقيتين لا تعملان في المادة، وإنما في الوجود وفي الأشكال التي يتخذها هذا الوجود بمثابة ملابس يمكن تجريده منها، وإعادة تفصيلها أو تجديدها على الدوام في سبيل انتزاعها من لباسٍ أناً شخصي ومن جيوش الـ هذا التي تحاصرها.

ذلك هو السبب في كون مسألة الكتابة المنظمة لا يُطرح في مثل تلك المجمعات؛ فظهور علامة الحرف ينطوي، في الواقع، على تحول جذري في رؤية العالم. والرمز عند «البدائيين» يعبر عن نفسه داخل الشكل الخطي للصور وليس داخل الشكل الخطي لأبجدية ما؛ إن شئنا الحديث عن كتابة ما، فيجب الحديث عن كتابة الوشم، والأقنعة، والتوكيلات، والمانضالات، والأنسجة، والتماثيل، والجدرانيات الصخرية، وكتابة أشكال القرى، وأشكال تسلسل الطقوس؛ أي كل كتابة ينتصر فيها هذا

---

(١) البقية أو المخلفة أو الراسب (survivance): «عنصر من ثقافة يعتبر بمثابة شاهد على حالة أقدم للثقافة، أو بمثابة أثر لاتصالات تاريخية بين مجتمعات مختلفة..». عن ميشال بانوف وميشال بيران، معجم الإثنولوجيا (بالفرنسية)، م. س. (م).

الدوران التبادلي للأشكال الذي تحققه الرموز، ناقلات الوجود هذه تحدث عن نفسها في القبول المزودج للتعبير؛ أي تتكلم بنفسها وتتحدث عن ماهيتها.

إن مثل هذه الرموز والأساطير التي تدمجها بصفتها أدوات وجودية وأنطولوجية، تتلاقى وتتكرر في الزمان والمكان، وليست تنوعاتها بشديدة التباعد بعضها عن بعض بحيث يتعذر علينا تحديد نماذجها الأصلية. إلا أن همَّ استخراج هذه النماذج الأصلية، عبر تعدد مظاهر الوظيفة الرمزية، يمكن أن يسقطنا في فخاخ التصورية العاجزة عن رؤية الرموز باعتبارها تكثيفَ إجراءاتٍ وجودية تسعى لمواجهة شدة أساسية. ومع ذلك، فاكتشاف مثل تلك النماذج الأصلية يشهد على سرمدية كونية الوضع البشري الذي - وراء الحالات التي تشكل أطرا له - يجدُ دائماً أمامه السؤال الأساسي: من أنا؟

أما الأنظمة التي تريد تصنيف هذه النماذج الأصلية وفق تنظيمات، فليس لها من نظامية سوى عدم فهمها وزعمها اختزال السلوكات الإنسانية إلى مجرد ظواهر طبيعية تحُلّ من الحتمية الكونية. إلا أنها يمكن أن تحثنا، رغماً عنها، على التساؤل: لماذا «تنفر الأسطورة بعمقٍ من التاريخ مع أنها تحاكيه؟ (هنري بلوشيه، ١٩٥٩: ١٥٧). أكيد أن الميثولوجيات غنية بالحكايات التي تريد إعادة رسم أصول العالم وأصول الشر لكي تعرض المآسي التي يتخبط فيها إنسان الأمس واليوم. لكن مثل تلك الحكايات تبقى إجرائية أساساً بقدر ما تنشغل بتعيين خطوط السير التي ستصل اللغة بفضلها، في ما بعد، إلى القوى المهيمنة، الخيرة والشريرة، التي تشع في القوى الطبيعية والتي يتكبدها الإنسان. بهذا المعنى، فالأساطير حكايات كشفٍ تزعم الاطلاع على سر ما هو فوق أرضي وتحت أرضي، وتعليم اللغة الوصفات الطقوسية القادرة على التدجين والهيمنة، وباختصارٍ القادرة، بواسطة تقنية الكلمة، على استخدام القوى الخيرة أو الشريرة التي تكشفها الأسطورة أوّلا.

هنا، إذاً، لا نجد أنفسنا أبداً أمام تاريخ الوضع البشري وإنما أمام حكايات تتخذُ فيها اللغة من الرموز نقطة الارتكاز هذه التي كان أرخميدس يطالب بها ليرفع العالم برافعته. فالرموز تحقق أوّلا مراحل إجراء تصاعدي سيكو - أنطولوجي للاقتلاع من الشدة. وتشكل بعد ذلك، مختلف الدرجات التي تمكن المرء من النزول ثانية فوق الأرض وبحوزته الكلمات المكلفة بإعادة توزيع أشكال العالم والفرديات التي تحكمها تلك الكلمات.

إن الكشوفات والأساطير المسارية والرموز العملياتية تشكل كذلك وجوه لغة يتألّه الإنسان من خلالها ساعياً نحو التطابق مع اللغة التي تجري عبر الكتابة للحياة كلها، مع لغة يحاول التحكم بها لكي يستعمل فيها السلطة الأمرية لل «كُنْ».

الهوامش والمراجع:

Blocher, Henri.
1979, Révélation des origines, Lausanne, P.B.U.

Freud, Sigmund,
1965]1913[, Totem et Tabou, Paris, Payot.

بعض التأملات العامة في السِّحر

تزفتان تودوروف

لقد أصبح السحر منذ البدايات الأولى للإثنولوجيا واحداً من الموضوعات المفضلة في هذا الحقل المعرفي، فحصل لتوه على وضع اعتباريّ غامض لا تعود المسؤولية فيه إلى السحر، وإنما إلى ما يمكن تسميته بإحساس الإثنولوجيا بخطئها التكويني. ذلك أن الأهمية التي أولاها للسحر جميع الإثنولوجيين الكبار، من فريزر إلى ليفي ستروس، مرورا بمارسيل موس ومالينوفسكي وإيفانس بريتشارد وآخرين عديدين، تلك الأهمية ترسم، كما في العمق، الطبيعة الاستثنائية للظاهرة السحرية. فظاهرة كهذه لا يمكن أن تستغني عن تفسيرات، ولكَمْ هي غير قابلة للتفسير! لكن من جهة أخرى، وفي الوقت نفسه، إن جميع منظري السحر، وكأن الندم قد استحوذ عليهم لكونهم وجدوا الآخرين شديدي الاختلاف عنَّا، حاولوا إظهار أن السحر على كل حال لا يختلف اختلافاً كبيراً عن الأنشطة المألوفة لدينا، بل وحتى عن أكثرها جدارة بالاحترام مادام سيُدمَجُ أخيرا في العلم. هكذا استطاع ليفي ستروس أن يكتب ما يلي في معرض تلخيصه لتقليد طويل:

«من الأفضل إذن بدل أن يقام نوعٌ من التقابل بين النظامين أن يوضَعا كمتوازيين أي بوصفهما نسقين معرفيين غير متساويين من حيث النتائج النظرية والعملية (إذ لابد من القول إن العلم ينجح من هذا المنظور أكثر من السحر، علماً بأن السحر يسبق تكون العلم بمعنى أنه ينجح أحياناً هو أيضاً). ولكنهما يتساويان من حيث نوع العمليات الذهنية التي يقومان عليها وهي لا تختلف في طبيعتها بل انطلاقاً من الظواهر التي تطبق عليها» (ليفي ستروس، ١٩٦٢: ٢١)[1].

هكذا فبعدما يعري الإثنولوجي طبيعة السحر الغريبة بيد يعود فيُلغي هذه الحركة بيد أخرى لشعوره بالندم، فيؤكد لنا أن السحر يشبه بما فيه الكفاية ما

---

(١) أو ترجمته العربية: كلود ليفي ستراوس، الفكر البري، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: د. نظير جاهل، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط I، ١٩٨٤، ص. ٣٤. ومنه نقلنا نص الإحالة. (م).

نحن عليه، أي ما نقدره. ونرى ثمة، كما في منمنَمة، الحركةَ المزدوجة المؤسسة لكل إجراء إثنولوجي: الاعتراف بغرابة الآخر، ثم تعظيم هذا الآخر الغريب واختزاله إلى الذات وكأنه يُرادُ تجنب كل شك في وجود تمركز حول الذات العرقية.

بدل أن أستخلص نظرية جديدة في السحر انطلاقاً من قناعاتي الشخصية أودُّ الآن أن أسلك طريقا معكوسا فأرى انطلاقاً من واقعة سحرية كنتُ شاهدا عليها، بل وحتى ممثلا فيها، ما هي الظروف الضرورية والكافية لوجود تلك الظاهرة. الحدث عادي جداً. فقد كنتُ ذات يوم في الريف أحاول عبثاً إصلاح نافذة مركبة بشكل رديء، فأدت حركة جسورة إلى حصر إبهامي في فتحة النافذة. تأهبت لإطلاق بعض الترنحات، غير أن جارة لي، وهي ريفية من المنطقة، كانت هناك فاقترحت علي أن تداويني من ألمي على الفور. أمسكت يدي، وقامت بحركة حول أصبعي، وتلت بصوت خفيض كلمات لم أتبينها، ثم التفتت إلي وقالت: «انتهى، لقد انصرف». وفعلاً، كان الألم قد زال. كان قد انتهى.

قد يعترف الجميع، فيما أعتقد، بهذه الواقعة باعتبارها حدثا سحريا يدخل ضمن السحر العلاجي تحديدا. ولذا سأحاول وصفه الآن بذكر خاصياته. طبعاً، أنا على استعداد لتركه عند الاقتضاء كي أستبدله بوقائع سحرية أخرى أكثر وضوحاً وأكثر تعبيراً.

أولاً، يتجلى السحر على شكل أفعال سحرية، أي أعمال يقوم بها الساحر ويتبعها - كما في حالتي - تحول في الحالة عند المرسل إليه بالنسبة لهذا العمل[1].

تتيح هذه المفاهيم العامة جداً، وبكيفية مسبقة، صياغة تعريف أول للأعمال السحرية، وهو الآتي: إنها أعمال يؤثر بها الساحر في موضوع السحر لكي يؤثر، في الواقع، في المرسَل إليه.

لنقارن العمل السحري بعملين أبسط يمكن توضيعهما - إذا صح القول - بتفكيكهما انطلاقاً منه. فمن جهة، يكتفي عمل تقني خالص، كالتدخل الجراحي، بالتأثير في الموضوع. ومن جهة أخرى، يرتكز فعلٌ مثلَ المرافعة القضائية على التأثير في المخاطَب دون أن يزعم أنه يؤثر في موضوع الحديث. وبذلك فنحن أمام

(١) آثرنا ترجمة «destinateur» بـ «مرسل إليه» بدل «متلقي»، من جهة لأن صاحب النص لم ينعته بـ«récepteur»، ومن جهة ثانية لأننا لو فعلنا ذلك لجعلنا الذي يؤثَّرُ لصالحه هو المتلقي الفعلي للوصفة السحرية، والحال أن هذه الكلمات قد تُوَجَّهُ إلى كائنات خفية فتكون هذه الأخيرة هي المتلقي الفعلي. (م).

صنفين من الأعمال: ففي حالة يتم التأثير في المرجع، وفي حالة أخرى يتم التأثير في المخاطَب. فلنسمهما «مرجعيَّات référentiels»، و «خطابيات allocutoires». والسّحر عمل للمخاطبة يقدم نفسه باعتباره عملاً مرجعياً.

ويحسن بنا أن ننظر الآن في جملة من الاعتراضات التي يمكن أن توجه إلينا:

أوّلاً: قد يبدو من باب الإسراف الحديث عن «مرجع» أثناء الكلام عن الموضوع مادام هذا المصطلح ينتمي إلى الإطار المفهومي للسانيات، والحال أن السحر لا يكون بالضرورة لُغَويا، وهو لم يكن لغوياً في مثالي إلا بشكل نسبي جداً، حيث شاهدتُ العمل جيدا لكنني لم أسمع الكلمات التي رافقته. وإذا كنت مع ذلك قد سمحت لنفسي بإجراء هذه المقارنة، فذلك لأن الأعمال السحرية إنما تتبعُ لمقولات السلوكات الرمزية التي لا يعدو الخطاب مجرد مثال واحدٍ عنها، وهو حقاً يكون في أغلب الأحيان الأكثر سهولة للتحليل. وبهذا الصدد، يُعتبر مارسيل موس السباق إلى تأكيد وجود قرابة بين مختلف قنوات نقل السحر:

«تتضمن كل حركة (geste) سحرية جملة لغوية، ذلك أنها تتضمن دائماً حداً أدنى من التمثل، وفيها يتم التعبير عن طبيعة الطقس وغايته، بلغة داخلية على أي حال. ولذلك، نقول إن الطقس الصامت الحقيقي لا يوجد على الإطلاق. ومن هذه الوجهة للنظر، ليس الطقس اليدوي بشيء آخر غير ترجمة هذه العزيمة الصامتة. فالإشارة علامة ولغة» (مارسيل موس، ١٩٦٠: ٥٠).

ثانياً: يمكن الاعتراض علينا بأن المرسل إليه في بعض الأحيان يكون هو موضوع السحر. إذ توجد وصفات سحرية، كما رأينا[١]، يقال فيها مثلاً: «عزَمتُ عليك أيها المرض كي تغادر جسم...، الخ.». إلا أن مثل هذا الاعتراض يخرجنا من دائرة السحر إلى مجال المعاناة منه. فما التلفظ الحالي سوى الجزء غير المرئي من جبل الجليد العائم، والأدوار التي تهمنا لا تتكشف في أغلب الأحيان إلا بفحص الجزء الذي تمَّ حجبُه منذ البداية. فلو كنتُ ساحراً وخاطبتُ المرضَ بدل المريض لكنتُ حينئذ أستعمل نهجاً بلاغياً، مجازاً نحوياً. مما لا شك فيه أنني أؤثر في المريض، وما الفصل الذي أقمته بينه وبين المرض سوى فصل ظاهري. وعليه فالحوارُ مهما يَقُل عنه السَّحَرَة، إنما ينعقد بين بَشَر حتى إشعار آخر.

---

(١) يشير المؤلف إلى أحد الأمثلة التي تناولها ضمن قسم سابق من هذه الدراسة، عدلنا عن إدراجه ضمن الكتاب الحالي لكوننا نعتزم إصدار نص البحث كاملاً في كتاب مستقل تحت عنوان: اللغة والسحر. (م).

أخيراً: يمكن لاعتراض آخر أساسي جداً أن يجادل في كون العمل الحقيقي لا يتعلق دائماً بالمرسل إليه. ولنأخذ حالة أخرى من السحر، وهي حالة مألوفة: يتدخل الساحر لفائدة فتاة كي يساعدها على غزو قلب شاب مَّا. فحسب ما يبدو للوهلة الأولى، لا يوجد هنا عمل في المخاطب وإنما في موضوع السحر فقط. وأجيب بأن مثل هذا العمل لا يكون فعالاً - وإذن لا يكون سحرياً - إلا إذا أصاب، رغم كل المظاهر، المحادَثَ الواقعي وهو الفتاة في هذا المثال، اللهم إذا لم يكن هناك حوار ثان فيصير الفتى في العمل هو مُحَادَثُ الساحر. وهنا أيضاً ربما يجب مكابدة السحر للتوصل إلى إعطائه وصفاً آخر.

يتطلب أحد المصطلحات الواردة في ردنا على الاعتراضات الممكنة بعضَ التفسيرات الإضافية. ونعني به مصطلح العمل الرمزي. فهذا المفهوم الذي طبقناه على السِّحر يمكن، في الواقع، أن يفهَمَ منه على الأقل ثلاثة أشياء مختلفة:

- فبالبقاء، أوَّلا، داخل الصورة التي يريد السحر فرضها عن نفسه، وهي صورة عمل في موضوع الكلام، نلاحظ وجود علاقة رمزية هامشية إلى حدٍّ ما بالنسبة لطرحي الحالي. إن العمل السحري يرجع بالضرورة تقريبا إلى سلسلة من الأحداث غير الأحداث الحاضرة: إنه يُشَبِّهُ الحالةَ الراهنةَ بحالةٍ شرعيةٍ تشكل جزءا من لائحة مغلقة ومعروفة جداً بكيفية مسبقة. وتأخذ هذه الإحالة في أغلب الأحيان - وقد رأينا ذلك[1] - شكل تشبيه واضح: يقول الساحر: «فلتُشْفَ كما تخلص يسوع المسيح من ألمه على يد الطبيب». فوظيفة هذا التشبيه وهذه الرمزية لا تتمثل في إطلاعنا جيداً على العمل الحاضر (بهذا المعنى ليس السحر نمطاً من المعرفة)، وإنما في تدجين المفرد والحادث وجعله مألوفا من خلال ربطه بصنف من الوقائع المنظمة تنظيماً جيداً. فللرمزي دور تنظيم المادة المدرَكَة. إن الحادثة التي وقعت لي تبدو للوهلة الأولى غير متطابقة مع هذا الوصف، لكن لنحاول أن نتمثل الأشياء بشكل أفضل: فبوضعي يدي بين يدي جارتي التزمتُ مسبقا بميثاقٍ غير معبَّر عنه، بمقتضاه وضعتُ ثقتي في المطببة. والحالة هذه، ألم أفترض أن لساحرتي دراية بمعالجة حالتي الخاصة، ومن ثمَّ أن لها معرفة بكيفية إدخالها في إحدى فئات الوقائع التي تدخل ضمن كفاءتها العلاجية؟ إن التزامي نفسه في هذا العمل يقتضي أن الحادثة التي جرت لي لم تعد مجرد حدث شاذ ومنفرد، بل صارت تندرج ضمن صنف قائم من الوقائع رغم جهلي بطبيعتها.

---

(١) انظر الهامش السابق. (م).

لننتقل الآن إلى المظهرين الرمزيين الآخرين للفعل الرمزي:

أولاً: يمكن إقامة العلاقة الرمزية بين العمل السحري المزعوم، أي العمل في المرجع، والعمل السحري الواقعي، أي العمل في المخاطب. هذه العلاقة علاقة رمزية لأن الواحد يثير الآخر دون أن يكون هذا الأخير واضحاً. فالانشطار (dédoublement) على مرأى مُلاحِظٍ خارجيّ على الأقل) هو الذي يخلق الرمز.

ثانياً: العملُ السحري عمل رمزي بالمعنى الذي قصده موس لأنه يتألف من كلمات أو إشارات يمكن قلبها إلى كلمات. وهذا الشكل من الرمزية يعتبر تكميلياً للشكل السابق بمعنى ما. فإذا سلمنا بأن العمل السحري يريد أساساً أن يؤثر في المخاطب، صار بهذه الصفة فعل كلام كأي فعل آخر ينفذ في وجوده الخاص ويكف عن الإحالة إلى أي شيء آخر غير نفسه. العمل السحري يتألف من رموز، غير أن هذا لا يعني على الإطلاق أنه عمل خيالي أو غير جِدِّي. فـ «جدِّيُّ» الأعمال الرمزية يفرض تحديدا أن يُصَاغَ برموز. وذلك يتيح إبعاد العديد من سوء التفاهمات المتعلقة بالفعالية السحرية. فالسحر العلاجي، مثلاً، ليس بفيزيولوجيا رديئة (لأنه يحاول علاج أمراض بواسطة حركات وأقوال غريبة)، بل هو سيكولوجية جدية لأنه يجد الوسائل الملائمة للتأثير في الغير: بدلاً من أن يكون عملاً مرجعياً فاشلاً، فإنه يغدو بالأحرى عملاً خِطابيا (allocutoire) ناجحاً.

متى ركَّزنا على العمل المرجعي كانت العلاقة الرمزية من نوع استبدالي (substitutif)، ومتى وضعنا العمل الخطابي في المقام الأول كانت العلاقة نفسها من نوع المشاركة. وإذن، فالسحر علامة وصراع في آن واحد.

يتيح هذا التحليل للعلاقة بين الرمز والسحر الإحاطةَ بطبيعة هذا الأخير عن كثب.

أولاً: لا يتكون العمل السحري من الملفوظ (énoncé) وحده، كلامياً كان أو غير كلامي، وإنما من التلفظ (énonciation) في كليَّتِه. فهو لا يحتوي الجمل الملفوظة أو الحركات المنجزة فحسب، بل يحتوي أيضاً أبطال هذا العمل، وظروف إنتاجه، وعلاقة مجموع العناصر فيما بينها. إنه يتحقق بفعل تظافر سلسلة من الشروط - لن أسترسل في عرضها - التي، دون أن تُكَوِّنَ السحر، هي وحدها تجعله ممكناً.

ثانياً: إن النوعي في السحر هو تحديداً إمكانية هذا التطور المزدوج: كونه علامة وصراعاً في آن واحد، وكونه يحاول التأثير في الغير زاعماً أنه يؤثر في موضوع خطابه.

بوسعنا الآن المقارنة بين السحر وأنشطة أخرى مجاورة له سعياً إلى تحديد طبيعته:

في البداية، يمكن مقارنته بوصف معنِي بما يصفُه من أشياء كأن نثيرَ، مثلاً، حدثاً ما لإقناع مُحَاوِرنا واستقطابه. هنا أيضاً يوجد عملان: أحدهما موجه نحو المرجع، والآخر نحو المخاطَب. إلا أن الاختلاف يكمن أولا في طبيعة العمل المرجعي. إنها هنا وصفية، ومن ثمة فهي تتمثل في الحفاظ على المرجع. أما هناك، في السحر، فهي طبيعة تحويل. بالإضافة إلى ذلك، فالعلاقة بين العملين ليست واحدة. في الوصف الإقناعي يخضع العمل المرجعي للعمل الخطابي: من السهل، على الأقل، إثبات نية التأثير في الغير وإن لم يتم الإعلان عنها صراحة. وعلى العكس، فما يتراءى في العمل السحري هو العمل المرجعي وحده بحيث إذا أثرت مباشرة في المخاطب لم يعد هناك سحر على الإطلاق.

ونرى الآن كم هو شاسع الفرق بين العلم والسحر، دون أن يعني ذلك بالضرورة أن الثاني أحط قيمة من الأول. فالعمل العلمي هو قبل كل شيء عمل يريد لنفسه أن يكون مرجعيا خالصا (هذه على الأقل نية العلم المحض). علاوة على ذلك، فالعالِمُ لا يُقِرُّ بأنه يبحث في نشاطه العلمي نفسه، عن تغيير الواقع إلى ملفوظ خالص، إلا بمحو طبيعة السحر الإنجازية.

كثيراً ما جرت المقارنة بين السحر والدِّين. والاختلافات هنا من طبيعة أخرى. فبين الإثنين شَبَهٌ بوصفهما عملين خِطَابيين (إلا أنه يتعين علينا التمييز هنا بين الخطاب الذي نوجهه إلى الله وبين الخطاب الذي يمكن أن يتبادله عضوان من جماعة واحدة). وفي المقابل، لا يؤدي الخطاب الديني أي عمل مرجعي: إنه يحَوِّلُ علاقة الإنسان بالله ولا يحول علاقة الإنسان بالأشياء (وإلا فسيكون هذا الدين ملطخاً بالسحر - وهو ما تخلو منه الممارسة)[1].

كثيراً ما تم التساؤل عن الأشكال التي يأخذها السحر (إن كان يأخذ شكلاً) في حضاراتنا العصرية التي تعتبر الشفاءات الخارقة، كتلك التي كنتُ موضوعاً لها، ضرباً من ماضٍ ولَّى إلى غير رجعة. هل يوجد في ظروف حياتنا اليومية سحرٌ عصريٌّ يتم بلا أشباح وبلا وصفات؟

---

(١) بهذا الصدد يشرح البعض رأي ليفي ستروس، في الموضوع، على النحو التالي: «... "فأنسنة" الطبيعة وهي ماهية الدين (أو ما يتكون منه)، و"تطبيع" الإنسان أو تشييئه (وهو ما به نحدد السحر) يشكلان معطيين متلازمين في مزاج واحد لا يطرأ التغيير إلا على معاييرهما ومقاديرهما فقط. وكما مضى وأوضحنا فإن كل واحد يستدعي وجود الآخر. فالدين لا يقوم بدون سحر والسحر لا يخلو من "ذرة" دين». محمد بن احمودة، الأنثروبولوجيا البنيوية أو حق الاختلاف: من خلال أبحاث ك. ل. ستروس، البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط II، ١٩٩٠، ص. ٩٩. (م).

بهذا الصدد، كثيرا ما يُستَحضَرُ الإشهار. ونودّ الآن أن نرى أين تكمن الاختلافات والتشابهات بين السحر والإشهار. يؤثر الخطاب الإشهاري في مخاطبه، بل إن هذا التأثير يشكل جزءا من تعريف هذا الخطاب نفسه. ولتحقيق هذا التأثير، يمكنه أن يحاول تعديل طبيعة موضوع حديثه (ولكن ليس هذا سوى أحد أشكال الإشهار)، كأن أقول - مثلاً - عن جهاز أريد بيعه: إنه «سيشتغل مدة خمس وعشرين سنة دون أن يصيبه أي عطب». لكن هذا الخطاب لن يفترض أبداً أنه يحوِّلُ ما يتحدث عنه، كما أنه لن ينادي بهذا التغيير كتعريف لكينونته. فلو كشفتُ عن العمل المرجعي للتحول لكان عملي الخطابي للإقناع محكوماً بالفشل.

يتميز جميع آباء السحر العصريين - الذين ليست بعض أشكال الإشهار سوى أحد أمثلتهم - عن جَدِّهِم الكلاسيكي بهذه الخاصية النوعية المتمثلة في كونهم يُخفُونَ طبيعة تأثيرهم في المرجع بدل المطالبة بها. السحر العصري سحرٌ خجولٌ. فبتجميلي الموضوع الذي أتكلم عنه إنما أبحث عن إقناع مُحَادِثي. وذلك ما هو متماثل من الجهتين. غير أني في إحدى الحالتين أخفي التجميل، وفي الأخرى أحجب محاولة الإقناع. وبذلك فالسِّحران «العصري» والكلاسيكي تناظريان بشكل تام: كلاهما يدَّعي أنه بسيط. أحدهما لا يبوح بتأثيره المرجعي، والآخر لا يكشف عن عمله الخطابي.

وعن هذا الاختلاف تتفرع اختلافات أخرى: فمنتج السحر الكلاسيكي شخصٌ محترف يعترف به الجميع، وتضمنُ له فعاليته الشهرةَ. أما الساحر العصريّ، فلا يقرُّ أبداً بكونه ساحراً مادام يخفي تحديداً الطبيعة السحرية لعمله بدل إعلانها. وفي أيامنا هذه، لربما كان الساحر الوحيد الذي يشبه الساحر القديم هو ذلك الفنان الذي يعلق قماشه البالي على الحائط، ويسميه «Composition BX 311»، ثم يبيعه بما يفوق عشرة ألف دولار. مع أن تحول المرجع يكون نتيجة إقناع المشتري بَدَلاً من إثارته. فالتحول تناظُريٌّ من جهة المرسل إليه الذي يكون في حالة السحر الكلاسيكي فرداً مُحَقَّق الهوية يلتمس من تلقاء نفسه تدخل الساحر. أما اليوم، فهذا المرسل إليه غير معروف، لا مُسمَّى ومتعدد: إنه الرأي العام، إنه «الإنسان المتوسط» الذي يتعذر الإمساك به، وهو لا يعرف أنه ضحية للسِّحر أو مستفيدٌ منه.

تُظهرُ هذه القرابة التي من الهام أيضاً رؤية جوانبها المتشابهة والمختلفة، أن النشاط السِّحري متى نظرنا إليه في شموليته، ظلَّ أبعد ما يكون عن تلك الصورة التي يراد تقديمه لنا بها في أغلب الأحيان، وهي صورة حيوان غريب وملغز. إن الأعمال تعرض نفسها بأشكال متنوعة، ولكن وراء التمويهات المختلفة تنكشف بنية مشتركة. فقابلية السحر ليست في حاجة لأن يُبحَثَ عنها بعيداً جداً في الزمان - في العصر الوسيط المعتِم[1]، مثلاً - ولا في المكان (عند بربِّي القارات البدائية). إنها حاضرة في كل واحد منا حتَّى وإن اختلفت أشكالها، لأن ما من أحد منا إلا ويحاول، وهو يمارس نشاطاً رمزياً، كأن يتكلم مثلا، أن يُنَظمَ الأمر بالطريقة التي تناسبه في سبيل ذلك الحوار المستمر الذي ينخرط فيه مع أمثاله.

ولربما كان النشاط الوحيد الغريب حقاً - إن كان موجوداً - هو عمل الوصف المحض، هو تسمية العالم التي تفلح في عدم تغييره وعدم إخضاع عمل التسمية نفسه لهدفٍ إقناعي ما، لربما كان هو ذلك العمل الذي تطلق عليه بضعة شعوب متاخمة للجزء الغربي من القارة الأوروبية اسم عِلم.

---

(١) إشارة إلى ملاحقة الساحرات في أوروبا، خلال القرون XV، XVI و XVII، من قبل محاكم التفتيش التي انتشرت في مجموع أنحاء أوروبا، والتي سنقف على مختلف تفسيراتها في دراسة خوليو كارو باروخا «عن بعض تأويلات السحر العصرية» المترجمة ضمن الكتاب الحالي (م).

الهوامش والمراجع:

Austin, J. I.,
1970, Quand dire c'est faire, Paris, Le Seuil.

Castiglioni, A.,
1951, Incantation et magie, Paris, Payot.

Levi-Strauss, C.
1962, La pensée sauvage, Paris, Plon.

Malinowski, B..
1923, «The problem of Meaning in Primitive Languages», appendice à C. K. Ogden & I. A. Richards, The Meaning of Meaning. London, International, Library of Psychology, pp. 296-336.
1966, The Language of Magic and Gardening (Coral Gargens and their Magic, II). 2nd., London, George Allen & Unwin.

Mauss, M.
1960, Sociologie at anthroplologie, Paris, Les ditions de Minuit
1968, Œuvres, I: Les Fonctions sociales du sacré, Paris, Les ditions de Minuit.

Todorov, T.,
1970, L'Enonciation (Langages 17), Paris, Didier-Larousse.
1972, «Introduction à la symbolique», Poétique 3 (II), pp. 273-308.
1973, «Analyse du discours: l'exemple de devinettes», Journal de Psychologie 70 (1-2), pp. 135-155.

المُسَارَّة، الرّجُولة والعلاج

أ. م. هوكارت

I. المُسَارَّة والرجولة[1]:

حاول عدد كبير من المؤلفين أن يحللوا طقوس البلوغ، بيد أننا لا نعرف جيداً نظريات «المسارِّين» أنفسم. في فيجه[2]، لا يحصل الطفل على اسم «رجل» إلا بعد أن يُختَّن. ويذكر هويت Howit أن بعض البالغين، عند قبائل الكورينغا Kuringa، كانوا يُقصَون من حفل المسارَّة لأنهم لم يجتازوا المسارَّة، أي لم «يُجعَل منهم رجالاً».

ويمكننا مُضاعفة الأمثلة إلى ما لا نهاية، ولكننا سنتوصل من خلالها إلى خلاصة أن المرء يكون «رَجُلَ» الاحتفال، وهو أمر نعرفه سلفاً. أريد من جهتي أن ألح على أنَّ الأمر هنا لا يتعلق بمجرد مواضعة اجتماعية، ولا بمجرد تحول أخلاقي حتّى.

فعند اللوريتجا (Loritja)، وهي قبلية تقع في وسط أستراليا، يملك المراهق المسارّ الحق في الاستفادة من خدمات ومساعدات طفل غير مسار، ذلك أن هذا الأخير لا يُعتبر بعد رجُلا. وعند الأوماها[3]، يدخل الشباب في عزلة يقضونها في الصوم والزهد، خلالها إذا رأوا نفسهم في الحلم يتلقون الأحزمة التي تستخدمها النساء لنقل الأحمال الثقيلة شعروا بأن عليهم من الآن فصاعدا أن يرتدوا ملابس المرأة ويعيشوا مثلها من جميع النواحي. إنهم [فئة] الميكسوغا (Mixuga).

---

(١) تشكل العناصر الثلاثة التي تتألف منها هذه الدراسة، في الأصل، فصولا مستقلة، وقد ارتأينا ضمها إلى بعضها وإخراجها بالشكل الحالي نظرا لتقارب مضامينها ومواقعها في الكتاب الأصلي. انظر قائمة العناوين الأصلية للدراسات ومصادرها في مستهل الكتاب الحالي. (م).

(٢) فيجه: «أرخبيل يقع في المحيط الهادي، من أصل بركاني ومرجاني، يتألف من أربع جزر كبرى، ومئات الجزر الصغرى. تبلغ مساحته حوالي ٢٧٤ ١٨ كلم٢ كانت فيجه مستعمرة بريطانية من ١٨٧٤ إلى ١٩٧٠. يتألف سكانها من أعراق متعددة، أهمها الهنود الذين استوردت الإدارة البريطانية أعدادا كبيرة منهم، منذ ١٨٧٩ وإلى ١٩١٦ بإيقاع ٢٠٠٠ مهاجر في كل سنة، وذلك بهدف تزويد مزارع قصب السكر بعمال منتظمين. عن موسوعة Universalis، ط. ١٩٩٥. (م).

(٣) les Omaha: «سكان هنود من الولايات المتحدة، يتكلمون لغة من عائلة السيو، كانوا في بداية القرن XIXيقيمون في الضفة اليمنى من نهر ميسوري، ثم انزووا محتشدين في محمية تقع في هذه المنطقة من نبراسكا. يمثل تنظيمهم الاجتماعي نموذجاً مرجعياً في النمذجة التي وضعها مردوخ عام ١٩٤٩». ميشال بانوف وميشال بيران، معجم الإثنولوجيا (بالفرنسية)، م. س. (م).

وبذلك يبدو من الواضح جداً أن السِّنَّ لا يكفي ليجعل من شخص ما رجلاً، ولأجل ذلك يجب عليه أن يجتاز طقساً. ولكن لا يجب الاعتقاد بأن هذه الشعوب تمنح للاحتفال دورا ما في التشريح؛ فهي تعلم علماً تاماً ممَّ يتكون الأطفال الصغار! وإذا كانت تعتقد أن البلوغ يتوقف على إنجاز هذا الطقس أو ذاك، فإن الطبيعة قد تتكفل جيدا بمعاكستهم. ففي فيجه، كان الختان يؤخر أحياناً لوقت طويل بحيث يجد الأطفال أنفسهم قد بلغوا جسديا ولم يمروا بهذا الطقس بعد، بل إن بعضهم يكون قد ارتبط بعلاقات جنسية مع بنات. وفي الحالة التي يذكرها هويت Howitt، كان هؤلاء الرجال الموضوعون على أرصفة المجتمع، مع ذلك، أزواجا وآباء عائلات. ويذكر ميس فلتشر Miss Fletcher مثال [رَجُل] هندي من قبلية أوماها أجبرته إحدى النبوءات على أن يحيا حياة امرأة، ولكنه مع ذلك ربى أسرة بكاملها.

وإذن فما جدوى الحفل مادام لا يأتي بأي تحول جسدي؟ يجيب أهالي الأوماها بأن المراهق يسعى، عبر الصلوات والصيام، إلى الحصول على «حياة سعيدة، وعلى الصحة، والنجاح في الصيد؛ كما يريد الإفلات من أعدائه؛ والقفول من غزواته الحربية محمَّلا بعدد كبير من فروات رؤوس الأعداء». ومؤكد أن هذه الصلاة ليست طقوسا للمسارة، ذلك أن كل طقس في الواقع هو صلاة لطلب الحياة (la Vie بحرف استهلالي كبير) وكل ما هو ضروري لها. ينذر أهالي الأوماها مواليدهم الجدد لـ«تطول طريقهم في الحياة» إلى أن «يروا طلوع النهار زمنا طويلا». والمعنى العام لطقوس الطفولة وخلوة البلوغ هو نفسه. لا تختلف القرابين إلا بشكل ودرجة الحياة المفترض أنها تمنحها. بيد أننا لا نحتاج إلى الذهاب عند الأوماها كي نعرف هذا، إذ يمكننا العثور في أي كتاب على تصنيف للقرابين القدسية، يحدِّد طبيعة كل منها والرعاية القدسية المنالة على إثره، علما أن هذه الرعاية القدسية هبة فوطبيعية بواسطتها يمنحنا الله «الحياة» الخالدة.

يمكن القول في نهاية المطاف إنَّ المسارَّة عند الأوماها تمنح للشابِّ «الرعاية القدسية» الطقوسية بامتياز ـ أي الحياة ـ ولكن بشكل ذكوري تخصيصا .بالحفل المساريّ ينال الطفل حياة طويلة، وبعد ذلك ينال بالصيام الحق في الحياة رجلاً، ومزاولة المهام الخاصة بالرجل كالصيد أو الحرب. من الآن فصاعدا، سيشارك في الاحتفال حيث سيلعب دوره، وهو دور الذكر، وسيُرَخَّص له بحمل الشارات الخاصة بوضعه الاعتباري. وهذا طبعاً، إذا اجتاز الامتحانات الطقوسية بنجاح، تبعا للحلم الذي رآه) في

هذه الحالة). إذا صار كل شيء على أحسن ما يرام أظهر له هذا الحلم أنه صار رجلاً، إلا أنه يحدث أيضاً أن يُظهِرَ له الحلم أنه لم يبلغ درجة «الرعاية القدسية»، إن صح التعبير، وأنه غير جدير بالعيش عيشة الرجل وارتداء ملابس الرجل.

وبذلك، فهذه العادة المدهشة ليست في الواقع سوى تطبيق خاص لقانون عام بمقتضاه يُلقي القربان بركته على كل الجديرين بها ويلقي لعنته على كل الذين ليسوا جديرين به.

ونجد مثالاً آخر في طقوس تكريس الملِك، إذ ليس في استطاعة أي كان أن يتلقى هذه الوظيفة المباركة ما لم يمتلك خاصيات محدَّدة. والمنتحلون لقوا - جزاء اعتدادهم وافترائهم - عقاباً أخذ شكل لعنٍ تسبب مراراً في هلاكهم وزوال مُلكهم. كذلك إن لم يُشمل الشاب بالرعاية القدسية، فإنه لا يستطيع أن يدعي بحقه في ارتداء ملابس ذكورية ولا أن ينتحل دور رجل لأن نجاحَ القنص والحرب يتوقف إلى حد كبير على الإنجاز الجيد للطقس .وإذا رَفض هذا الشاب أن يأخذ بعين الاعتبار النبوءة التي تضمنها حلمه، تعرض للهلاك .يذكر ميس فليشتر: «حصل أن الشابّ التعس لم يستطع، رغم مساعدة أبواه، أن يمحو بداخله تأثير حلمه المشؤوم، فانساق تدريجيا إلى الانتحار، إلى المخرج الوحيد لوسواسه».

قد يكون من السهل جداً القول إن [أفراد فئة] الميكسوغا ينتمون إلى حقل علم المرض. لا، إنهم ليسوا لوطيين تجدُ ضروبُ كبتهم ترجمتها في الحلم، لأن هذه الوضعية تثير نفور غالبيتهم بشكل جلي. إلا أنهم لا يملكون خيارا آخر، ذلك أن العين الشريرة تلاحِق الذين يعقدون أن باستطاعتهم تجاوز تبريك الآلهة. ويذكر مس فلشتر أيضاً حالة هذا الميكسوغا الذي كانت الطبيعة [الرجولية] عنده من القوة بحيث كان من حين لآخر يكف إطلاقا عن التمسك بوضعه الاعتباري [كميكسوغا]، فيرتدي ثياب الرجل ويتبع المحاربين إلى حلبة القتال، حيث يبدي شجاعة ملحوظة، ثم يعود بعد ذلك ليستأنف حياته باعتباره «امرأة».

لا، مرة أخرى لا يتعلق الأمر بحالة مرَضية، وإنما بتطبيق صارم للعقيدة الطقوسية. لن نتعجب من هذه الصرامة إن نفهم جيداً أنَّ الأمر يتعلق بمسألة حياة أو موت.

إن المسارة لا تصنع الذَّكَر، ولكنها تصنع الرجل بمعنى أنها تجعل المرء قادرا على امتلاك امرأة وأطفال والمشاركة في الحرب، الخ.

يعتبر هنود الـ Eddystone بأرخبيل سليمان[(١)] أن الصَّيد عملٌ من اختصاص الرجل، ولذلك يعتقدون أن الرجلَ الذي يخاف خوفا شديدا مثل امرأة لا يملك حق المشاركة في الصيد. فمثل هذا الرجل، في الواقع، هو «امرأة صغيرة»، وقد لا يعرف كيف ينجز بنجاحٍ المهامَّ الخاصَّة بالرجل.

والصيد برمي الصنارة نشاط مقصور على الرجال، فلا تقبَلُ النساء في القوارب المسخرة لهذا الاستعمال. في الإديستون لا توجَد طقوس للمسارة بالمعنى الدقيق، ولكن هناك احتفالات خاصة بكل مناسبة: بصيد سمك الطون، بالحرب، الخ. وفي الظاهر، لم يعد الإستونيون يؤمنون بأن الاحتفال يمنح الرجولة بشكل عام، بل صاروا يرون أن المرء لا يحتاج إلى الطقس لكي يصير رجلاً بإمكانه أن يتزوج. وعلى العكس، تبقى التكريسات الطقوسية ضرورية للمرء نفسه لكي يصير صياداً أو قناصاً ماهراً. ومع ذلك، يحدث ألا تتطور هذه الرجولة على ما يرام وأن يظل الشاب خوافا مثل امرأة. آنذاك، يطلق التعيسُ رائحة تجعل السمك نفسه يفر. لحسن الحظ أن الحالة تتوفر على علاج وأن وصفات سحرية مناسبة ستضع حدّاً لهذه العاهة؛ وقد التقيت برجل سبق أن خضع لهذا العلاج، فلم يعد يشكو من شيء، في الظاهر، بما أنه تزوج في أعقاب ذلك الحفل، وصار يشارك في جميع عمليات الصيد.

وبحوزتي النص الكامل لوصفة سحرية من قبائل الروفيانا Roviana تُستعمل في مثل هذه الحالات، وهو: «ضربتُ هذا الرجل؛ طردت منه ضعف المرأة؛ طردت منه الرائحة... فليبرأ هذا الرجل، وليسعد في الصيد؛ فليصر بمقدرته أن يحمل القعفات[(٢)]، ويقبض على أعداد كبيرة من سمك الطون. فليتزوج امرأة. ولتكن الأمور على هذا النحو مع الرجل الذي أصبته. امنحوه حمايتكم، آه أيتها الأرواح».

يتعلق الأمر هنا بوصفة ذات طبيعة أعم من وصفة الطب أو صلاة صياد الرؤوس أو صياد سمك الطون. فهي تجعل من الرجل رجلاً فحلاً. ويمكن أن نفكر في أن الأمر

---

(١) Salomon: جزر جبلية، بركانية في معظمها، تقع في غرب بابوازيا - غينيا الجديدة. كانت من بين أولى جزر المحيط الهادي التي اكتشفها الأوروبيون. اكتشفها عام ١٥٦٨ ملاح إسباني انطلق من البيرو بحثاً عن جزر النبي سليمان العجيبة، ثم تعاقب على اكتشافها ملاحون فرنسيون وإنجليز، لتصير بعد ذلك مستعمرة إنجليزية ابتداء من عام ١٨٩٨ إلى سنة ١٩٧٨. دارت فيها معارك شرسة إبان الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء واليابانيين. وقد تعرض أهالي جزر سليمان لتصدع نفسي، من جراء لقائهم القوي والمباغت مع التقنيات العصرية والرخاء الأمريكي، الأمر الذي ترتب عنه ظهور ما يسمى بـ «عبادات السفينة الشاحنة»، تتوقع عودة العصر الذهبي. عن موسوعة Universalis، ط ١٩٩٥. (م).

(٢) ج. قعفة: آلة حربية تشبه قحف السلحفاة كان المحاربون يدخلونها ويتقون بها النبال. (م).

يتعلق بوصفة للمسارة، بقية طقس سقط في الإهمال ولكنه يستعيد كامل قيمته في حالة معاكسة الطبيعة.

II. المسارَّة والعلاج:

أعرف فتاة لم يعمِّدها والداها بعد ولادتها، ولكن بعد ما اتضح لهم أن المولودة كانت ذات صحة ضعيفة غيروا رأيهم، فأنجزوا طقس التعميد، ومنذ ذلك الحين وهي في صحة جيدة «كأنها شفيت بقوَّة سِحْر».

نحن هنا أمام حالة تمارَس فيها المسارَّة عملياً لغاية طبية. وإليكم كيف يتم التوصل إلى ذلك: كل احتفال طقوسي يجب أن يكون خيِّراً، وطقس المسارَّة لا يخرج عن هذه القاعدة، ولكن التهاون أو نزعة الشك المتزايدة لدى العامَّة تفضي إلى نسيان التعميد في بعض الأحيان. وإذا لوحظ أن الطفل لا يعاني صحياً من ذلك الإهمال، فإن المثال يحتذى ويتزايد تدريجياً عدد الذين يعفون أنفسهم من ذلك الطقس. وعلى العكس، ما أن تسير الأشياء ليس على ما يرام حتى يحس الآباء بأنهم أذنبوا عندما خالفوا العادة، ويسارعون إلى إصلاح إهمالهم. وبما أن هذا الإهمال صار شائعاً بشكل متزايد، فإن الطقسَ ينحو إلى أن يُختزل إلى ممارسة يتم اللجوء إليها في حالة الضرورة القصوى، كالمرض الخطير مثلاً، أي يصير [الطقس] عِلاجاً طبياً.

وهذا يفسر لنا لماذا «يلجأ مايا الهندوراس البريطانية إلى إقامة حفل للقضاء على المرض» (غان وتومسون، ١٩٣١: ١٣٩). للأسف أننا لا نعرف جيداً العادة القديمة لنقارنها بالممارسات الحالية، ولكن من الواضح أن المبشرين الذين نجحوا في إضعاف إيمان الهنود بطقوسهم المسارِّية القديمة لا يستطيعون منعهم من الرجوع إليها بمجرد ظهور أعراض المرض الأولى.

رأينا في الفصل السابق[1] أن سحر الإيدِسْتونيين ضد ضعف المزاج يمكن أن يرتبط أيضاً بطقوس المسارَّة.

وبالمثل، يُفهم لماذا يمارس الفيجيون عمليات طبية تشكل جزءاً من طقس المسارة لدى سُود أستراليا. يمارس السكان الأصليون، في الواقع، مسارة على مرحلتين: الختانُ أوَّلا، ثم الختان الجزئي بفاصل وقت وطويل. والفيجيون لا يعرفون في الواقع إلا الختان، ولكن يبدو أن في فيتي ليفو Viti Levu، تعرف قبائل التلال الختان الجزئي الطبي. إذا

(١) تحت عنوان «المسارة والرجولة»، وقد أدرجناه ضمن الدراسة الحالية. (م).

صدَقَ الشخص الذي زوَّدني بالمعلومات[١]، فإن العملية نفسها قد تكون أقل حسماً من ختان جزئي حقيقي، ولكن يحتُمل أن الأمر يتعلق بعملية من النوع نفسه. قد يكون الفيجيون تخلوا عن القسم الثاني من الطقس المساري، وبقي - ربما - مع ذلك في بعض الحالات الخاصة.

يمكن أيضاً دِرَاسَة تطوّر الفصد[٢]، الذي يُعرف شيوعه في الممارسات الطقوسية وفي حفلات المسارة على الخصوص. [أما] عندنا فيقتصر على علاج بعض الأمراض. وسيرورة التطور تظل هي هي في الحالات السابقة، باستثناء أن هذا الفصد لم يكن يُمارس على القضيب (pénis).

رأينا للتو أن المسارَّة يمكن أن تظهر من جديد، في حالات استعجال قصوى، متخذة شكلَ عِلاج طبي. بيد أن هذا التطور يمكن أن يتم في ظروف أخرى: إذا ما دعت حاجة للإسعاف، فإن المرء يستدعي أولاً طقوسه الخاصة، ولكن إذا تبدت كلها - الواحد تلو الآخر - عديمة الفعالية، فإن اليأسَ يدفعه إلى البحث عن شخص يحتفظ بوصفات جدية، على نحو ما كانت تُجرَّب العلاجات الآتية من الخارج. هكذا، انقل فويتازو Vuestasau، وهو أحد الأعيان الفيجيين، إلى الديانة المسيحية، وتبعه سائر سكان لاكيمبا Lakemba. كان لفويتازو فتاة مرضت طويلاً إلى أن يئس من شفائها. تضرع في البداية طبعاً إلى جميع آلهة أجداده، ولكن صلواته ظلت بدون جدوى. ولما رأى أن الإله المسيحي نجح في شفاء ابنته، تنصَّر هو وجميع شعبه. وهذه القصة هي قصة العديد من الذين تخلوا عن ديانتهم القديمة ليعتنقوا ديناً جديداً.

يذكر البروفيسور م. أ. كاني M. A. Canney حالة رجل إسرائيلي استعاد صحته بواسطة تعميد عبراني، بعد أن تبدت جميع طقوس بلاده عديمة الفعالية.

---

(١) الـ informateur: اسم يطلق على الشخص (أو الأشخاص) الذي يزود الإثنوغراف الأجنبي عن مجتمع دراسته بالمعلومات التي يحتاج إليها بصدد موضوع بحثه، والتي يدونها في ما يسمى بـ «يوميات البحث Journal d'enquête» تمهيداً للعمل التحليلي (الإثنولوجي) الذي يبدأ عادة بعد عودة الباحث إلى مجتمعه الأصلي. (م).

(٢) الفصد: علاج تقليدي، يستخدم عادة للوقاية ولعلاج بعض الأمراض. وتتم العملية عموماً (في المغرب على الأقل) على النحو التالي: «يشد رباط على الموضع المطلوب حتى يظهر العرق من خلال نبضه، ثم يخرق العرق أو يقطع فيرسل من الدم القدر المناسب، وبعد ذلك يوضع على العرق قطن ويشد حتى يشفى». عن نادية بلحاج، السحر والتطبيب في المغرب، الرباط، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط I، ١٩٨٦، ص. ٦٥.

تُعَدُّ هذه الطريقة في تحديد الأشياء طريقة شقية على الخصُوص. إنها نتيجة سيكولوجية مَغلوطة تريد تقسيم العقل إلى خانتين محكمتي الإغلاق، إحداهما لما هو عقلاني والأخرى لما هو سِحري. إنها تفترض أنَّ فكر الإنسان كان في السابق مشغولاً كليا بالخانة العقلانية، ولكن الخانة السحرية تطوَّرت بإفراط إلى أن اجتاحت حياة العقل بكاملها: سيقال بلغة بعض علماء الاجتماع: «جاء الدين ليتدخل حتى في أقل تصرفات العقل». منذ ذلك الحين، طبعاً، دفعَ الإنسان المتطور حدودَ ما هو سحري إلى تلاشيه التام، لدرجة أن عقولنا اليوم لم تعد تتصور إلا ما هو عقلاني!

ولكن كفى فلسفة! لنعد إلى الوقائع منذ البداية. في الأساس، هناك الإنسان الذي يطلب الحياة في صلاة ردئية الصياغة، عامة جداً، لا يتمنى منها أي شكل محدَّد من النجاح، ولكنها تتبدى على العموم خيِّرة. في نهاية التطور، نجد تقنيات شديدة التخصص لا تعالج إلا حالات خاصة: الانتصار على الأعداء، النجاح في الصيد، بل وحتى في صيد نوع محدَّد من السَّمك دُونَ غيره، علاج أوجاع البطن، الخ. ينتج عن هذا التخصص المتطرف أن منهجاً مَّا يمكن أن يتضح فعالا في إطار تخصصه المحدود، ولكن عديم الفعالية خارجه. في فيجه، يحقق طقسُ التكريس الأكبر أثرا منعشا للشعب بكامله، بيد أنه لا يشفي الاحتقان. أما الفصد، فعلى العكس، ليس له أيّ حمولة اجتماعية ولكنه يُحتمل أن يكون فعالا في مداواة الاحتقان.

في الواقع، تكون أفكارنا حول الظواهر الثقافية دائماً مُشبَعة بالفلسفة وقليلة الارتكاز على الملاحظة. نعود دائماً إلى هذا التمييز بين الشأنين السحري والعقلاني. حديثا، أكد الدكتور هوغو هوروتز Dr Hugo Horwitz، في مقال حول التكنولوجيا (أنثروبوس، ١٩٣٣) وهو أجود ما كتب إطلاقاً في المادة ـ أكَّدَ أنه لا يمكن لتدخل تقني ما أن ينشأ من مفاهيم ميثولوجية ـ طقوسية. وهذا تأكيد مدهش على الأقل عندما نضع الختان نصب أعيننا.

من جهة أخرى، يعتبر مفهوم «السحري» أو «العقلاني» مفهوماً ذاتياً خالصاً، وبالتالي أجنبياً عن عِلم كالبيولوجيا، إذ يتحدث البيولوجي عن التعميم أو التخصص، وهما مفهومان موضوعيان. يُطوِّرُ الاختصاصُ المردوديةَ على حساب الكونية والليونة. في وقتٍ لا يقع فيه التأكيد سوى على المردودية، يبدو هذان الشكلان من التخصص عقلانيين تماماً، ولكن من يدري؟ ففي غضون بضعة قرون، قد يبدوان لاعقلانيين كليا. ليس دور الباحث هو أن ينصِّبَ نفسه حَكما، وبالمقابل عليه أن يكتفي بملاحظة مراحل للتطور يمكننا تمثيلها إجمالا على النحو التالي:

طقوسٌ عامَّة للنجَاح

ربح أخلاقي

طقس أخلاقي

«متخصص»

طقوس احتفالية

تراتيل

أدب

بتر الأعضاء

جراحَة

تناول القربان، الخ.

الطب

لما كنتُ أحرِّرُ هذه السطور اطلعتُ على حكاية وددت إدراجها هنا لأنها تبين بكيفية جيدة كيف يمكن بعثُ القربان لغايات علاجية. يتحدث [رجلٌ] شاوني[1] قائلاً: «أهملنا العادة أولا لما سمينا أطلقنا على ابننا اسم أرثور، إذ اكتفينا بتكليف امرأتين بالسَّهر ليلة بكاملها، ثم مَنح المولود اسم أرثور... ولكن عندما سقط أرثور مريضا، فهمنا أنه كان الأفضل القيام بالأشياء حسب الأصول، ومن ثمَّ عقدنا بَيتولا[2] وأطلقنا على المولود اسماً جديداً» (الأنثروبولوجيا الأمريكية، ١٩٣٥).

---

(١) نسبة إلى الـ Shawnee: أحد شعوب هنود أمريكا الشمالية. حوالي عام ١٧٠٠ كان أهاليه يعيشون في أوهايو الحالية، ولكنهم تعرضوا للطرد من قبل الإيروكوا، ومنذ ذلك الحين افترقوا، فهاجر بعضهم إلى فلوريدا، ثم إلى الطيكساس، فيما التحق آخرون بجورجيا... كان أوائلهم يعيشون صيفا في قرى منازلها مغطاة بلحاء الأشجار، وكانت النساء تشتغل بالزراعة فيما كان الرجال يشتغلون بالصيد. أما في الشتاء، فكانوا ينقسمون إلى معسكرات صغيرة للصيد. كما كانوا ينتمون إلى عشائر وعائلات ذات نسب خطي أبوي. واليوم يزاولون الزراعة والتربية في المزارع الكبيرة. بعضهم صار بروتستانيا، ولكن العديدين منهم لازالوا يعتنقون ديانات تقليدية. عن موسوعة Encarta، ط. ١٩٩٧. (م).

(٢) Peyotle: «اسم يطلق على صبَّار صغير من المكسيك وجنوب الولايات المتحدة الأمريكية (...) وعلى المخدر المثير للهلوسة والهذيان المستخلص منه .(la mescaline) مثل الكوكا، يستعمل البيتول بمثابة منشط مخفف للجوع والتعب، أو باعتباره دواء، ولكنه معروف على الخصوص بخاصياته المثيرة للهلوسة التي توجد في أصل ممارسات طقوسية تجمع تحت اسم «عبادة البيتول (...)» وبما أن استهلاك البيتول يقود إلى حالات نفسية خاصة، فإن بعض الإثنيات اعتبرته تجسدًا لألوهية معينة، ومن ثم اختلفت استعمالاته. فبعض القبائل تأكله طقوسيا، بينما يعمد هنود أمريكا الشمالية إلى تدخينه طوال احتفالات طقوسية مخصَّصة للرجال، تتضمن جلسات تطهيرية وأغاني ورقصات». عن: م. بانوف وم. بيران، معجم الإثنولوجيا (بالفرنسية)، م. س. (م).

III. خواص الوشم العلاجية:

ليس من النادر ممارسة ماكياجات عالمة في إطار احتفالات طقوسية، أما عمليات حزّ الجلد فهي شائعة جداً وتتخللُ طقوسَ البلوغ والموت بالخصوص. والوشم تأليفُ بين هذين الإجرائين ولا يتدخل مبدئيا إلا في سن البلوغ. موضوعُه في الأصل كان موضوعَ كل ممارسة طقوسية، ونعني به جلب الحياة.

في مصر يستعمل الوشم لغايات خاصة جداً، في علاج أمراض محدَّدة كشفاء التوعكات التي تتسبب فيها رائحة السمك المقلي، مثلا، ويضيف ميس بلاكمان (بلاكمان: ٢٣) أنّه قد يكون للوشم فعالية في القضاء على وجع الرأس، وسُعار الأسنان، والضعف البصري، ومسّ الجن أو الأرواح.

لكن على ماذا ترتكز قناعتي بأن جميع هذه التطبيقات الخاصة يجب ربطها بطقوس المسارة؟ أولا، على كون الوشم يمارَس أيضاً في مصر، كما في الدول المجاورة، بنيَّة المُسَارَّة. ينتاب بلاكمان إحساسُ بأن أشكال الوشم في مصر تُعتبر دائماً علامة رجولة، أي على علامة الـ(«sex appeal» ويلمور: ٣٦٥). وتظهر لنا دراسة مقارنة للمسارَّة أن هذا الطقس يكرس صاحبه باعتباره رجلاً أو امرأة، أي يمنحه - ضمن ما يمنح - قوة جنسية أو خصوبة. ليس هذا سوى جانبٍ واحد من «القوة الحيوية» التي يُغدقها التقرب القدسي، ولكنه يمكن أن يقترن اقترانا كبيرا بالوشم على الخصوص. وهذه القيمة الجنسية واضحة جداً في إحدى عادات مصر العليا: عندما تموت فتاة بكر في سن الزواج، يرسَم على وجهها ويديها زخارف تصطنع وشما - «على هذا النحو تكون مزيَّنة أو جاهزة، لأنها إذا استحقت أن تحظى بالقبول بين حور الجنة نالته» (وينكلر: ١٣٣). بعبارة أخرى، يتم إجراء غسلها الزفافي.

في العراق يُقال إن الوشم يساعد على الحمل (الأنثروبولوجيا الأمريكية، ١٩٣٧). وهنا أيضاً نعود إلى طقوس المسارة، أي إلى الطقوس الأساسية للتفتح الجنسي للرجل والمرأة على حد سواء.

في العراق دائماً، إذا فقدت المرأة أطفالا عديدين أملتْ في إنقاذ مولودها الأخير باللجوء إلى وشمه. وهو تصرف منطقي مادامت المسارة، بالصفة نفسها التي لسائر التقربات القدسية الأخرى، هي «مصدر للحياة». هنا يتدخل معتقد آخر يمكن أن يعدل كلياً معنى العملية. ففي إحدى القرى يحمل الشباب أشكال وشم خاصة بالبنات: بهذه الحيلة، يُأمل أن تصرَف عنهم العين الشريرة التي قلما تنشغل بالجنس الضعيف. ومثل

هذا الإجراء يمضي كليا ضد روح الطقس الأولى، وهي رفع الطفل إلى حالة الرجل بمنحه كل ما يختص به الرجل.

بين أتباع سان توماس من يرفضون الإيمان بما سبق لأنهم لا يفهمون كيف تمَّ الانتقال من الوشم - طقسَ مسارَّة - إلى التطبيقات الضيقة الموصوفة أعلاه. لكن للأسف إني لأخاف ألا تمسهم الرعاية القدسية أبداً، لأنهم إذا كانوا يأملون مباغتة التطور في غمرة اشتغاله، فإنهم يجازفون بالانتظار الطويل! التطور؟ هم يؤمنون به بقوة لدرجة أنهم انتهوا بجعله مفهوماً ملموساً، جلياً. في الواقع، إنهم لا يرون سوى تعددية من التطبيقات الخاصة التي تفترض ضمنيا وجود قاعدة. وذلك كل ما يجب انتظاره من الدراسات الإنسانية: نظرية تنطبق على جميع الحالات وتصاغ بأبسط طريقة دون ذكر أي سيرورة لم تبينها الملاحظة سلفا.

نعرف أن موضوعَ المسارة تمكينُ النضج من الوصول إلى كمال نموه. من جهة أخرى، رأينا في الختان أنه يتم أحياناً عزلُ عنصر من طقس المسارة ليُستخدَمَ استخداما خاصا. ربما كان الأمر كذلك بالنسبة للوشم. وفي جميع الأحوال، من المباح لنا أن نصوغ هذا الافتراض. ومذ ذاك، نرى جميعا أجزاء المربكة[1] تجتمع لتكوِّنَ جدولاً بسيطاً ومفهوماً. يمكننا الآن الحصول على أفكار حول المسألة.

يصنف الأنثروبولوجيون جميعاً أمثلة الوشم المذكورة أعلاه تحت علامة واحدة هي كونها «أعمالا سحرية»، ومعناه ضمنيا أنها بدون فائدة. وإذا ما أنتجت مفعولاً ما، فإن الحديث يتم طبعا عن «الطب التقليدي». ولكن تخيلوا أن يُكتشفَ - وهذا يمكن أن يحصل - أنَّ الوشم يمكن فعلا أن يهدئ وجع الرأس. سنضطر آنذاك للاعتراف له، على الأقل في هذه الحالة المحدَّدة، بتوفره على قيمة «علاجية عقلانية»، فيما تظل قيمه الأخرى مُدرَجة ضمن مجال «السحر»! ليس لنا الحق في إجراء تصنيف انطلاقاً من مجرد حكم قيمة، بيدَ أنَّ التمييز بين ما هو سحري وما هو عقلاني لا يعدو مجرَّد مسألة تقدير ذاتي؛ فالمصريون يرون أن الوشم ممارسة شديدة الفعالية. علاوة على ذلك، هم مستعدون للبرهنة على ذلك بأمثلة ملموسة تماماً، فيما لا يسعى الطبيب الأوروبي ولو إلى تبرير رأيه. ولا شك أن له من الأسباب الوجيهة ما يجعله يتصرف على هذا النحو .فهو برفضه فحص المسألة إنما يتحاشى تضييع وقته في أبحاث يقدِّرُ سلفاً أن

---

(١) المربكة :(puzzle) نوع من لعب الورق معقّد. (م).

لا طائل من ورائها وأنها عقيمة كلياً. ولكن رأيه لا يعدو مجرَّد رأي يمكن أن يتغير في كل لحظة .هناك معايير أخرى غير معايير كلية الطب.

ثمة فرق ملموس بين تصورنا للختان المبني على الوقاية الصحية، من جهة، والقيمة العلاجية التي يمنحها المصريون للعلاج من جهة ثانية. فبعد عزل الختان عن النظام المسمَّى مُسارَّة، أدمجناه في نظام آخر من القيم مرتكز على الوقاية الصحية. في مصر، انفصل الختان عن النسق دون أن يسترجعَه نظامُ آخر. لا ننسَ أنَّ لا أحد - في حدود علمي على الأقل - سعى في يوم من الأيام إلى معرفة هل هذا النسق، هو الآخر، طاله الإهمال. ومختلف تطبيقات الوشم ربما لم تعد اليوم بالفعل سوى des disjecta membra.

إذا كان الحال على هذا النحو بالنسبة لمصر، فإننا في العراق، على العكس، عثرنا على نسق آخر أسميناه مذهب العين الشريرة. هذا التصور الجديد ربما يبدو لنا هو الآخر «سحريا» مثل الأول. على الأقل، تبقى السيرورة هي نفسها تماماً في حالة الختان؛ تم إعادة تفسير عادة قديمة على ضوء نظريات جديدة. إن مثل هذه السيرورة شيء موضوعي، وذاك ما يجب أن يكون القاعدة الوحيدة لأي تحليل علمي.

الهوامش والمراجع:

- Anthropos, 1933.
- American Anthropos, 1935.
- American Anthropologie, 1937.
- Blackman (W.),
  The Fellahin of Upper Egypt.
- Gann (T.) et Thompson (J. E.)
  1931, History of Maya, Londres.
- Wilmore (J. S.),
  The Spoken Arabic of Egypt.
- Winckler (H. A.),
  Bauen zwischen Wasser und Wüste.

الرجوع إلى فهرست محتويات كتاب السحر من منظور إثنولوجي.

الشّامانية عندَ هُنود الشّاكو الأكبر[١]

ألفرد ميترو

غالباً ما تكون شهرة الشامان نتيجة نداء فوق طبيعي يتجلى عبر لقاء مع أحد الأرواح. وبحسب قول أحد المخبرين الذين التقيت بهم في منطقة الطوبا Toba، فإن الشخص الذي يتجول في الدغل يمكن أن يجد نفسه فجأة وجها لوجه أمام جني مجهول، يكون في الواقع روحاً، يسلمه عصا وريشا وهو يقول له: «يمكنك الآن أن تغني. بمجرد ما تعود إلى بيتك غنِّ من أجلي».

كما يمكن للوحي الماورائي أيضاً أن يُترجم بارتعاش مزمن يستحوذ على المرشح عندما يكون وحيدا في الغابة. وتلك علامة على كون أحد الأرواح يوجد بداخله. تحت تأثير هذا المس يأخذ الشخص - الذي سيصير شامانا فيما بعد - في تسلق الأشجار وتناول لحوم الطير أو الكلاب طازجة. كما أكد لي المخبر الطوبي نفسه، رغم أني أشك في صدقه، أنه هو نفسه تستحوذ عليه هذه الارتعاشات. وأضاف أن جميع الأشخاص الذين تستحوذ عليهم الارتعاشات لا يصيرون بالضرورة شامانا، وهو ما يبدو لي أكثر صحة.

من المحتمل أن تكون إوالية النداء الباطني الماورائي واحدة عند هنود الماطاكو Mataco، رغم غياب الدقة في المعلومات التي تلقيتها بهذا الصدد. فهي معلومات تقتصر على النساء اللواتي لا يصرن شامانا إلا في حالات قليلة جداً. واللواتي يعينهن أحد الأرواح للقيام بهذه المهنة يُعرَفن من خلال تصرفاتهن. فهن يمكثن ساعات كاملة مُقعيات فوق الأرض، يتأرجحن دون توقف. وأخيراً فهن يحاولن الهروب في الدغل بقوة تكون من الشدة بحيث يعسر على جماعة كبيرة من الرجال أن يمسكوهن. فهن يمزقن ثيابهن ويتسلقن الأشجار حيث يمكثن أياماً عديدة وهن يغنين ويتأرجحن.

---

(١) الشاكو: مساحة شاسعة جداً من أمريكا الجنوبية (علما بأن في أنغولا هي الأخرى منطقة تدعى الشاكو)، تتقاسمها دول بوليفيا، والأرجنتين، والباراغواي، ثم المسكيك. وجميع أسماء الأماكن الواردة في الدراسة تنتمي إلى هذا المجال الجغرافي: الطيرينو والتونيريها والماكاطو توجد في البرازيل، والطوبا والبيغالا في الأرجنيتن، والمايا في المسكيك. أما الأبيبون والكاسكيلا (أو الغوانا) فلم نتمكن من تحديد موقعيهما اعتماداً على الخرائط التي تتضمنها موسوعة: Atlas Mondial Encarta 97، ط ١٩٩٥ - ١٩٩٦.

إذا صدقنا الأشخاص الذين أخبروني من قبائل الطوبا والماطاكو، فإن ما من شخص رغب في الانخراط في مهنة الشامان إلا وأمكنه التهيؤ لذلك عبر اختلاء في الغابة حيث يتيه في مغامرة متعاطياً فيها للزهد الموصوف أعلاه. بمعنى أنه يتعين على الشامان المرشح أن يتسكع عارياً، ويتأرجح فوق الأشجار ويأكل اللحوم النيئة والكريهة مثل آذان الكلاب، والثعابين والضفادع. يجب عليه أن يخضع لضروب من تقتيل الجَسَد بالتعذيب الذاتي أو بكبح الشهوات إلى أن يحصل على نشيد سحري. وقد زوَّدني شيخ قبيلة الماطاكا المسمى بيدرو، والذي تم اغتياله فيما بعد، حول مسارة[١] الشامان معلومات إن لم تترجم حقيقة الممارسات التي يحترمها ويزاولها الأهالي فهي تترجم على الأقل وصفات مثالية من أجل الحصول على أغاني سحرية. وها هي تلك المعلومات: يجب على الشامان المبتدئ أو المتعلم أن يقتل طيورا بواسطة أغنية شجية، أن يحول الطيور إلى فحم وأن يبتلع مسحوق الفحم هذا ممزوجا بالدم المستخرج من يده. خلال تدريبه داخل الدغل، يؤمَرُ بقرع الطبل وإطلاق ساقيه للريح. والويل كله لمن يستيقظ قبل أن يُتمَّ الطائرُ نشيده، لأنه إن فعل استحال عليه أن يتذكر النشيد الذي استمع إليه. وأحياناً تلتحق بالغابة جماعات من الشبان كي يحصلوا على نشيد سحري. وفي اليوم الموالي ينشدون بالتناوب الأغنية التي تلقوها أثناء نومهم. وهكذا فهم يرددونها باستمرار على امتداد أيام عديدة خشية نسيانها. ولا أحد يستطيع أن ينشد أغنية تنتسب إلى غيره. وأضاف شيخ القبيلة بيدرو: «إن الطيور التي يراها المرء في الحلم ليست طيورا عادية، بل هي كائنات فوق طبيعية». بعض الأحلام تكون شؤما وتحطم تأثيرات الأحلام سعيدة الطالع. فمثلاً، من المشؤوم أن يشاهد المرء في الحلم إغوانة[٢]، لأن في ذلك علامة على أنه لن يصير أبداً مغنياً جيداً - أي شامانا جيداً.

وتلتقي أقوال بيدرو مع المعلومات التي جمعها المبشر و. باربروك غروب W. Barbrooke Grubb لدى هنود اللينغوا Lingua. فقد أكدوا له أن الشامان المبتدئ كان يتغذى بالطيور التي نُتِفَ ريشها وهي حية، وذلك لكي يَبتَلع قدراتها الموسيقية.

في جميع هذه الحكايات، لا يتعلق الأمر بمدرِّب رغم ما ينتابنا من إحساس بأن المرء لا يمكن أن ينال الفن السحري دون توجيه معلم. وقد وصف لي أحد الأشخاص

---

(١) initiation: سبق شرحها في الهامش رقم ٣ من دراسة جان بران «الرمز والسحر»، المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

(٢) جنس حيوانات زحَّافة من فصيلة السَّقَّايات. (م).

من قبائل الطوبا مشهداً ـ أكد لي أنه كان شاهداً فيه ـ يوحي بتدخل معلم صاحب حنكة وتجربة. وقد كان الحفل الذي وصفه لي يهدف إلى تكريس مجموعة من المبتدئين باعتبارهم شامانا. فبعد أن انتهى شامان ـ يحظى بشهرة ـ من الرقص والغناء دسَّ في صدر كل مرشح عصا «كانت تغيب في اللحم دون أن تترك أي أثر». وكان المعلم يكرر العملية نفسها بعصا مماثلة لا يعلم أحد من أين كانت تجيء. وقد فُسِّرَ لي أنَّ «تلكَ العصا كانت تَمنَحُ القوة، وأنها تحتوي على الدم لأنَّ المرءَ متَّى عضَّها سال منها دم. وهذه العصا نفسها هي ما يستخلصه الشامان من جسد المرضى الذين يعالجهم». وليس هناك أدنى شك في أن هذه العصا السحرية هي المعادل لبذور الكوارتز، وهي شبه مسامير أو أشواك ينحشي بها شامانُ قبائل الغويا والأمازون ومريدُوهم. وما أن يصير هؤلاء شامانا بقوة القانون، حتى يستعملون هذه الشظيات التي يحملونها بدواخلهم لتسليط المرض والموت على أعدائهم.

لا شك أنَّ مرحلة المسارَّة[1] هي الفترة التي يقيم الشامان خلالها علاقة مشاركة روحية مع شجرة غريبة تنبت في جزيرة تتوسط بحيرة عاجَّة بالقواطير[2] والضارات[3]. وقد تحدث لي أشخاص كثيرون من الماكاطا، بمن فيهم شيخ القبيلة بيدرو، عن هذه الشجرة بكلمات غامضة جداً. غير أنهم يتفقون، مع ذلك، في النقط التالية: تأتي الأرواح وتحط كالطيور فوق أغصان هذه الشجرة التي تُخَضُّ خضاً مستمراً ينشأ عنه وضع خطيرُ، هو: ويلُ للروح الذي يسقط في البحيرة، إذ فور سقوطه يتعرضُ للالتهام في رمشة عين. يجتاز الشامان هذا الامتحان بالتحول إلى عظاية[4] أو حيوانات أخرى تسكن الأشجار. وبهذه الهيأة ينجحون في الالتصاق بالشجرة وتجنب السقوط القاتل. وطبيعة العلاقة بين الشجرة والشامان ليست واضحة تماماً، غير أني سمعت في مناسبات عديدة أن الشامان ليس له ما يخشاه طالما ظلت هذه الشجرة ـ أو أحد أغصانها ـ خضراء. وعندما يرى الشامان في الحلم هذه الشجرة قد تصلبتْ وجفَّتْ، فإنه يَعلم أن أجله قد حان.

لنقارن الآن هذه المعطيات بالمعلومات التي نتوفر عليها حول التَّرَهبُن الشاماني في قبائل أخرى من منطقة الشاكو. فعند هنود الكاسكيها Kaskih لـ (أو الغوانا Guana)

---

(١) سبق شرحها في الهامش رقم ٣ من دراسة «الرمز والسحر» المنشورة ضمن الكتاب الحالي». (م).

(٢) جمع قاطور: تمساح أمريكا. (م).

(٣) ج. ضارٍ: سمك ضار صغير بجنوبي أمريكا. (م).

(٤) عظاية أمريكية عاشبة. (م).

الذين يقطنون منطقة الشاكو الواقعة في الباراغواي، يصوم الشامان المبتدئ ما يناهز ثلاثة أشهر. وهذا الاختبار يُقسم إلى فترات متعاقبة من الصوم الكامل تتخللها فترات قصيرة يباح فيها للمرشَّح أن يشرب الماء ويأكل بطاطة حلوة (هاسرل، ١٨٩٤: ٣٥٦ - ٣٦٧).

لقد ترك لنا رحالة سويسري جدولا أكثر شمولية بصدد مُسَارَّة الشامان الكاسكيها، لكن، للأسف، لا يمكن التحقق من دقته. قد تكون مهنة الشامان وراثية في هذه القبيلة. عندما يصل ابن شامان ما إلى سن تعاطي المهنة العائلية، يبني أبوه كوخاً صغيراً، ثمَّ يضع في كل ركن من أركانه أوعية تحتوي على بخور سحرية تتنوع طبيعتها بحسب جهاتها الأصلية. خلال خمسة أيام يكون الكوخ محرماً على الجميع، باستثناء الشامان. وفي اليوم الخامس يُساق الشامان المبتدئ إلى داخل الكوخ في غمرة صراخ النساء وزعيقهنَّ. يجد في الوسط وعاءً احتفاليا سبق وأن تعرَّض للتعديل حسب قواعد صارمة جداً. يملؤه الأب بمحتوى الأوعية الأخرى مبتدئا بالوعاء الموجود في الركن المتجه نحو الغرب، وآنذاك يشرب المبتدئ هذه العصيدة المقرفة. وعندما ينتهي، يكسِّرُ أبوه الوعاء فوق رأسه. يمكث المسارُّ عدة أيام معتزلا داخل الكوخ وهو موصدُ عليه، ويصوم فيه صياماً قاسياً. وتكمن قدرة الشامان بالخصوص في لعابه الذي سبق إشباعه بالقوة السحرية للمشروب الذي تناوله خلال مُسارَّتِه. والشامان الذين يسعون إلى التخصص في علاج لسعات الأفاعي يتعين عليهم أن يمتصوا أفاعي ويأكلوا لحومها .

يبدأ تعلم الشامان من أهالي الطيرينو Tereno منذ الطفولة. خلال السنة الأخيرة من خُلوته، يجب عليه أن يمتنع عن أكل اللحم، والشحم، والملح، والمنهيوت[(١)] والفواكه. وفي يوم معين، ينتزع الأستاذُ من فم الشامان المبتدئ ضفدعة، وثعباناً صغيراً، ورُثيلاء[(٢)] ويقدمها له كي يأكلها. أخيراً يجب على المبتدئ أن يغني ليلة بكاملها إلى أن ينكشف له روح شامان ميت (هـ. أ. راتراي، ١٩٢٨: ١٢٦ - ١٢٧).

نفتقر إلى تفاصيل حول خُلوة الشامان مبايا Mbay ل. إلا أننا نعرف، بفضل سانشر لابرادور (١٩١٠ - ١٩١٧، مجII: ٣٣). الحفل الذي يطبع نهاية مسارته. عندما كان يُقبَل شامان ما لمزاولة فنه كان جميع زملائه الذين سيصيرون بدورهم شامانا في المستقبل يجتمعون في كوخه حيثُ يقضون الليلة بكاملها وهم يغنون أغنيات خاصة

---

(١) المنهيوت: جنس جنيبات يستخرج من جذورها دقيق نشوي (كما سبق شرحها في الهامش ١ من دراسة السحر - الأنثروبوفاجيا...) المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

(٢) الرثيلاء: جنس عناكب سامة. (م).

بهذه المناسبة. واليوم الموالي كان يُخَصَّصُ لمباهج وتسليات على نفقة المرشح. وبينما يكون الشامان الآخرون بصدد شرب النبيذ، لا يكف هو عن الغناء بصوت خشخيشته[1] (maraca) يظهر عِلمَه. ويستمر على هذا النحو إلى صبيحة الغد، مبرهناً على يقظته وعلى جَلَدِه بالخصوص.

[I] نساءٌ شامان:

نادرا ما صادفتُ نساء شاما خلال رحلاتي في الشاكو الأكبر. حقاً لاحظتُ امرأة تقوم بتمريرات سحرية على جسد طفل لدغه ثعبانٌ، لكن العلاج بمعنى الكلمة لم تقم به هي وإنما قام به شامان محترفُ. وفي كل مرَّة كنتُ أغادر قرية البيلاغا Pilaga للنزهة، كانت عجوزتان تأتيان للرقص والغناء من حوالي لضمان سعادة حظي. وتشير حالات التجلي فوق الطبيعي التي تعرفها بعض نساء قبيلة الماطاكو إلى أنهن يمكن أن يُدعين لكي يصرن شامانا. غير أنني لم أعرف أبدا نساء ماطاكيات يمارسن الطبّ أو وظيفة أخرى خاصة بالشامان. غير أن حضارة هؤلاء الهنود توجد في حالة من التقهقر بحيث قد يكون من باب المخاطرة تفسير الماضي بالحاضر.

يحدثنا دوبريوهوفر Dobrizhoffer في مناسبات عديدة عن نساء شامان لدى قدماء الأبيبون Abipon ويصفهن لنا وهنَّ يعملنَ. لكني أعتقدُ أنَّ الأب اليسوعي قد غالى في موضوع الساحرة، لأن اللواتي يعتبرهُنَّ ساحرات يُحتَمَل جداً أن يكنَّ عجائز كان لإنشادهن ورقصهن بالتأكيد أثرٌ علاجي على غرار الممارسات المماثلة التي كانت تتعاطى لها النساء البيلاغيات. وتلك الوظائف لا تعني أن «الساحرات» المزعومات كنَّ شامانا بنفس صفة الرجال. بحسب الشهادة الشفهية لسانشس لابرادور (م. س، مجII: ٣٢)، فإن الشامانية عند سكان قبائل المايا Maya كان يمارسُها الرجال والنساءُ على حدٍّ سواء. يتحدث هاي (م. س.: ١٢٧) عن شامان من الجنسين لدى سكان طورينو Toreno.

[II] مصادر قدرة الشامان:

ليُنجز الشامان الماطاكو المهام التي تُطلَبُ منه، فهو يغرقُ في حال عصبي من الفُتُور أو فرط تناول المنشطات باستخدام مسحوق «الهاطاكس»، وهو عبارة عن سُعُوطٍ تُستَحْضَرُ من مسحوق بذور السَّبخة. طالما يكون فيه تحت تأثير المخدِّرات،

---

(١) سبق شرحها في الهامش رقم ٥ في دراسة ساغي وبيولت، «الاعترافات الشيطانية»، المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

يُصْدِرُ أصواتاً حادة من صفارة مصنوعة من ساق طائر اليولو عموماً. وهو بهذه العملية لا يفصل روحه عن الجسد فحسب، بل ويحولها كذلك إلى طائر يحلق نحو بلاد الأرواح أو نحو الشّمس.

ويخدُم شامانَ الطوبا رُوحٌ مُساعِدٌ، رغم أنهم قادرون بدورهم على إرسال أرواحهم في مهمة فوق طبيعية. وفي الحقيقة، يكون أحياناً من غير السهل التمييز بين الروح المتحررة من الشامان التي تنجزُ إرادَته والرّوح الخادم الذي يفعل الشيء نفسه، لكنه ينتمي إلى فئة أرواح مختلفة.

أما شامان اللينغوا Lengua، فيأخذون وضعاً غير مريح مُثَبِّتِين البصر ساعاتٍ في شيء بعيد، وينتهون بإثارة حالة مغناطيسية يفسرونها باعتبارها تسكعاً لأرواحهم.

وليثير الشامان من أهالي الطيرينو أرواحهم المساعدة والتي غالباً ما تتجلى على شكل طيور، فهم يصرفون ليلة بكاملها في صبغ خشخيشاتهم يساعدهم في ذلك آباؤهم.

في الشاكو، كما في مجموع أمريكا الجنوبية الاستوائية تقريباً، تعتبر الخشخيشةُ أداةَ الشامان الأولى، وهي مجرد كرنيبة يشكل ساقُها كُمَّها ويُدخِل فيها الهنود بذوراً تتمتع بخاصيات فوق طبيعية. وتمنحُ الخيُوطُ الحديدية التي تولَجَ بين الجوانب الداخلية من الكرنيبة، هذه الخيوط التي عوضت أشواك الصبار، للصَّوتِ جودة معدنية. يرتدي شامان الماطاكو نوعاً من الصَّدرية أو سترة صغيرة مفتوحة من الصوف الأحمر ويضعون فوق رؤوسهم عمامة حمراء مُزَيَّنَةٍ بريشٍ من اللون نفسه، والذي يقولون إنه يروق الأرواح ويساعد على جذبها.

[III] وظائف الشامان:

هُنا أيضاً يعدّ التطبيب وظيفة الشامان الأساسية. وعلاج الأمراض هو أساساً كفاحٌ ضد الأرواح التي تبيدُ البشر باختلاس أرواحهم أو حشو أجسادهم بحشرات أو أفاعي أوعسالج[1] من الخشب. ويبدو أن هذه الأشياء المسبِّبَة للمرض ترتكز على تصور يضفي طابعا ماديا على الروح الشرير، وذلك رغم شدة غموض تصورات الهنود بخصوص هذه النقطة. فقد أكّد لي هنود الماطاكو والطوبا في مناسبات عديدة، أنّه متى لدَغ ثعبانٌ شخصا مّا، ولجَتْ روحُ الثعبان جسد الضحية وتحولت بداخله إلى ثعبان، وأنه يتعين على الشامان، كي يشفي مريضه، أن يستخلص بالمصِّ عظامَ الثعبان وأحشاءه.

---

(١) جمع عسلوج: غصن دقيق أملس ينتهي غالباً ببرعم ثمري. (م).

وبذلك تتعايشُ نظريتا المرض الموجودة في أساس الممارسات الأكثر شيوعا لدى الشامانية الأمريكية الجنوبية. تتعايشُ في الشاكو، كما في عدد من القبائل الأمريكية الجنوبية. وتناقضهما لا يشعر به بتاتاً الهنود الذين يزاوجون في الحصة العلاجية الواحدة بينَ ملاحقة الروح المفقودة واستخلاص الشظايا السحرية التي أصابت المريض. والعلاجاتُ السحرية لدى الماطاكو بالخصوص مُعقَّدَة، رغم صعوبة الحسم في ما إذا كان الأمر يتعلق بِطَيرةٍ خاصَّة بهذه القبيلة أم أنَّ غياب الملاحظة المفصَّلة في جماعات أخرى يخلق وهم الاعتقاد ببساطة طقوسية كبيرة جداً.

يمكن للمريض من الماطاكو أن يتلقى علاجاً على التوالي من قبل شامان عديدين أو من قبل شامان واحد تساعده جماعة من الأعوان. وكل الذين يشاركون في الحفل الطقوسي، بما فيهم المريض، يعصبون رؤوسهم بوضع عُصابات على الجبين حمراء اللون مُزركشة بأسطوانات مَحارية، ويرتدون صدريات من البونشو[1] حمراء أو ذات لون آخر ساطع. وهذه الحلة الجميلة تروق روح المرض، ويمكن أن تجعله أكثر تساهلاً. ويربط مساعدو الشَّامان أنفسهم بالحزام وبأوتاد الخشخيشات التي صارت اليوم معدنية وبالأمس كانت تصنع من حوافر الأيليات والتابير[2]. يكون المريض في أغلب الأحيان جالساً أو نائماً تحت خيمة قرب سارية تزينها أحزمة وتعتليها راية. كل هذه الممتلكات الثمينة جداً تُنشر فوق الأرض رفقة الطعام في الغالب. وأحياناً يحيط حاجزٌ بالمكان الذي يجري فيه الطقس العلاجي.

يتمثَّلُ العلاج بمعنى الكلمة في رقصة يقوم بها كل من الشامان ومساعدوه والمريض إذا سمحت له حالته الصحية بالمشاركة في الرقص. والضجيج الذي يحدثونه يكتسي أهمية قصوى في العلاج. بل إن المريض نفسه غالباً ما يزوَّدُ بناقوسٍ يحَثُّ على استعماله. أحياناً، يدنو الشامان منه ويصبغ خشخيشاته على امتداد جسده. وبحسب ما قاله لي الهنود، فإنَّ الرقصَ يُرغم روحَ المرض على الالتحاق بالراقصين ومشاركتهم رقصهم، فيفعلُ فينهكه عنفُ هذا التمرين وينتهي بطلب العفو.

ثمة طقوس أخرى لا تُفَسَّر إلا باعتبارها عمليات تطهير للمريض من الجرائم. يُجَرَّد من ملابسه التي تنقلُ إلى مكان بعيد، فتُنفَض وبالتالي يسقط منها المبدأ المؤذي العالق بها. وفي بعض الحالات، يُغسَلُ المريضُ بماء فاتر. وفي لحظة معينة من العلاج،

---

(١) البونشو: معطف في أمريكا الجنوبية مصنوع من غطاء مثقوب الوسط لإخراج الرأس. (م).

(٢) التابير: حيوان أمريكي استوائي شبيه بالخنزير. (م).

تقع عموما في النهاية، ينفث شَامَانٌ في مريضه جُهْدَ ما استطاع. وفي نهاية الحصة العلاجية، يُطهِّرُ الأشياءَ المنشورة في الهواء الطلق. ولهذه الغاية يندسّ تحت الغطاء وينفث في هذه الأسقاط. وتعتبر هذه التزيينات، وأشياء أخرى ثمينة، هدايا مُقدَّمة للمَرَض مُجاملة له بقدر ما تعَدُّ موجهة لروح الشر كي يكتفي بظل الأشياء. (ص ١١١ ـ ١١٢).

يكفي أن يُشتِّت نَفَسُ الشامان الفوَحانات[1] النحيسة المحيطة بالأشياء فيصيرُ باستطاعة مالك هذه الأشياء أن يستعملها من جديد. أما الأطعمة التي تدخل ضمن «الهدايا»، فيستمتع بها الشامان وخُدَّامه بعد أن يطهروها من نَفَسِهم.

يَسود الإيمانُ بفعالية هذه الظواهر الأرواحية أيضاً بين أهالي الطوبا. فخلال جلسةٍ لعلاج طفل لسعه ثعبان حضَرتُها، وَضعَ أحد الحاضرين عقداً على المريض إرضاء لروح الثعبان الذي اعتُقِدَ أنه قد استحوذ على روح الطفل. كان الشامان ينشد عزائم على مسمع المريض حثا للروح على الخروج. وكان يتوقف عن الغناء كي ينفث في يديه وبُوَيقٍ صغير، ومن حين لآخر كان يمص بقوة عنيفة مختلفَ أجزاء جسم الطفل المريض. كان يبحث بيديه عن أجزاء المخاط التي يزعم أنها كانت شذرات من الثعبان.

عندما ينتهى شامان من قبيلة الليتغوا امتصاصاته ونفثه، يُعلِنُ طردَ الروح الشرير مغنياً، ثم يدعو روح المريض للعودة إلى جسدها، مَازجا بذلك علاج التدخُّل بفقدان الروح.

إذا كان هروبُ الروح يعدُّ، حسب تشخيص الشامان، سببَ المرض الذي يتعين عليه علاجه، فإن الشامان يُرْسِلُ روحه بحثا عن روح المريض ويحاول اكتشاف المكان الذي أخفاها فيه الروحُ المُغتَصِب. يخلصها، ثم يعيدها إلى غشائها الجسدي.

يعالج شامان قبيلة المبايا المرضى داخل تحويطة مصنوعة من حصر نسيج قَصبي، لا يستطيع أي شخص ولوجها خشية أن يفقد بصره، بل وأن يتعرض حتى للموت. هناك يمكث الشامان قرب مريضه وينشد بدون توقف مرفوقا بدقات خشخيشته. خلال فترات الصمت تذهب روحه إلى المقابر كي تعيد منها الروح المتسكعة. ومهما تكن نتيجة عمليات البحث هذه، فإنها لا تكفي ـ فيما يبدو ـ لضمان شفاء المريض، ذلك أنه يتعين على الشامان، إضافة إلى ما سبق، أن يدلك جسد المريض بأصابعه ويمصه ليقتلع من بدنه مواد ممرضة مختلفة ثم يدفنها بسرعة.

لدى أهالي التوميريها Tumereh، يعالج الشامانُ المريضَ بأنْ يَبصق في يديه ويمسدَ أعضاءه المريضة. على غرار علاجات أهالي الماكاطو Macato يرافق العلاجات

(١) ج. فوحان: تبخر غير مرئي وبخاصة رائحة كريهة. (م).

التوميريهية رقصٌ وغناءٌ يقلد سلوك حيوانات أو يقلد الشياطين الحيوانية بكيفية أدق (بالدوس، هـ.، ١٩٣١ : ٨٠).

[VI] وظائف أخرى يؤديها الشامان:

رغم أنَّ ممارسة الطب تشكل الوظيفة العامة التي يؤديها الشامان، فهي مع ذلك لا تشكل نشاطه الوحيد، إذ يمكنه أن يبعد كل شر يتربص بعشيرته. وعندما تشعر جماعة من الهنود بالقلق، فإن الشامان ينشغل لذلك كثيراً، فيسعى لطمأنة ذويه، ويقضي الليلة بكاملها وهو يصبغ خشخيشته ويغني عزائم طاردة للأرواح الشريرة. وقد لاحظتُ كثيرا هذه الطقوس الليلية خلال الوباء الكبير للجدري الذي اجتاح أهالي البيلاغا Pilaga في عامي ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣. ويصف لنا مارتان دوبريزهوفر Dobrizhofer مشاهد مماثلة لدى قدماء أهالي الأبيبون Abipon. فعندما كان يلم بالجماعة مُصابٌ، كانت النساء الشامان تجتمعن داخل كوخ حيث يمكثن الليلة بكاملها وهن يقرعن الطبول وينشدن عزائم مرفوقة بإحدى الرَّقصات.

كل شامان الشاكو يقومون بطقوس الاستسقاء .وعند قدماء المبايا واللول Lule، كما عند الماطاكو، كان الشامان يرسلون أرواحهم بحثاً عن المطر. ولم يكونوا يترددون في تحدي العاصفة، كما يشهد بذلك شامان الملايا الذين كانوا يلجؤون لدق خشخيشاتهم وإرسال صفير في اتجاه السحب كي يتبدَّد الإعصار..

يُسْدِي الشامان خدمات لعشيرتهم بالتنبؤ بالمستقبل. وتتأتى له هذه المعرفة بالغيب عبر إرسال روحه إلى الشمس التي تعرف وترى كل شيء. والرحلة لا تخلو من مخاطر، ذلك أن الشمس كانيبالية[1] كبيرة تكره الإزعاج. وهي تنصب حواجز وعراقيل في الطريق المؤدي إليها. وبذلك يتعين على روح الساحر أن تقوَى على الحفاظ على توازنها في مساحة لزِجَة، وتمرَّ بين عارضتين متلاطمتين، وتنفذ من حاجز شائك قبل أن تتمكن من الدنو من الشمس. إذا كان الشامان ماهراً، تحوَّلَ على التوالي إلى قطعة شمع كي يجتاز المساحة اللزجة، وإلى طائر كي يحلق بين العارضتين، ثم إلى قارِضٍ كي يشق لنفسه طريقا تحت حاجز الأشواك. وقليلون هم أولئك الذين يجتازون جميع هذه الامتحانات، وفخاخ الشمس تسقط في كل يوم ضحايا يتعرّضون للالتهام. لكن متى تغلب الشامان على جميع هذه الصعاب صارَ بوسعه ألا يخشى أي شيء من الشمس.

---

(١) كانيبالية (أو أنثروبوفاجية): آكلة للحوم البشر. (م).

يلجأ الشامان أيضاً إلى الطريقة العتيقة جداً وهي طريقة إجراء حوار مع الروح المسؤول عن المرض، فيندسون تحت الغطاء، و يخضون خشخيشاتهم، وينشدون إلى أن يستحوذ عليهم الروح. وتسمع جماعة الحاضرين، من مسافة محتَرَمة، المحادثة الجارية بين شامانهم والروح الذي يتميز صوته برنة حادة.

كان الشامان في القديم يقدمون مساعداتهم للغزوات العسكرية، لكن هذه الوظيفة تلاشت اليوم مع حروب القبائل فيما بينها. عند قدماء المبايا والأبيبون، وهما العشيرتان الأكثر حُبًّا للحرب في الشاكو، كان حضور الشامان يُعَدُّ أساسياً للانتصار في معركة ما. إذ كانوا يصنعون عدة حجب وطلاسم موجهة لتجسيد الخصم وتحطيم قوّته.

كانت حظوة الشامان - ولازالت - ملحوظة. يُخشى منهم لأنهم - فيما يُعرَف - قادرون على تسليط المرض والموت. ليس من النادر أن يتحول شامان ذو تأثير ونفوذ إلى رئيس جماعته، على غرار ما لاحظتُ لدى أهالي البيلاغا حيثُ كان بنجامين يُعَدُّ أقوى شخص بعد شيخ القبيلة لاغاديك Lagadic، وكان بنجامين هذا شامانا يحظى بشهرة كبيرة. وبعد مقتل لاغاديك على يد أعوانه، تقلد [بنجامين] رئاسة قبيلته. كان مُهاب الجانب ولا يحبه الناس إلا قليلا. وكان يبرر سلطته مؤكدا للناس أن صلواته - أي أعماله السحرية - ضرورية لإسعادهم، وأن خلاصهم يتوقف على قدرته السِّحرية.

لا يتردد بعض الشامان في التعاطي لسائر ضروب الحيل لمضاعفة حظوتهم. ويقدم لنا غروب (١٩١٣ : ١٥٦) بعض الأمثلة عن شعوذتهم. فقد كان أحد الشامان من قبيلة اللينغوا يؤكد أنه قادر على أكل حُديبة[١] تُسَبِّبُ مرض السُّلّ دون أن يتعرض لعواقب وخيمة من جراء ذلك. وكان شامان آخر يوهم الهنود بأن بذور القرع الكبير التي يلقيها فوق الأرض تتحول في رمشة عين إلى فواكه طيبة ناضجة. وكان الشامان من أهالي الطيرينو يوهِمون بأنهم ينتزعون ريشا من أنوفهم، ويبتلعون رماحا ويبترون أعضاءهم بمحض إرادتهم ثم يعيدونها إلى ما كانت عليه. ويمشي شامان الماطاكو فوق جمر مشتعل، في ما يبدو، دون أن يعانوا من الحروق.

---

(١) درنة صغيرة قد تحمل جراثيم السل وسواها. (م).

[V] مكافآت الشَّامَان:

هنا، كما في أماكن أخرى، تُدرّ المهنة على الشامان أرباحاً طائلة لأنّ العلاجات ليست مجانية. يبرر شامان الطوبا إلحاحهم على نيل مقابل بذريعة أنهم لو أبدَوا زُهدا لألحقت الأرواحُ عقاباً بهم وبمرضاهم على السواء. ويقال إن شامان الأبيبون كانوا في قبيلتهم أغنى من مَلك الخيول وممتلكاتٍ أخرى.

[VI] السحر الأسود:

يمكن للساحر نفسه الذي يُدعَى لعلاج مريضٍ مّا أن يتحول إلى كائن مخيف وشرير. وليحطم الشامان ضحاياهم، فهم يسلطون عليهم سهاماً سحرية يوجهونها بواسطة طلسم. كما يختلون في جمعياتهم التي يتعاطون فيها ممارسات سحر المحاكاة والسحر المعدي من النوع الشائع.

لازال أهالي الطوبا يعتقدون أن الشامان منهم يملكون قدرة التحول إلى فهود. هكذا فمنذ وقت ليس بطويل، كان هندي من بعثة الـ Sombrero Negro يُغَذّي اعتراضاً خطيراً ضد أحد القواد، كان يصبغ جسده بخطوط سوداء، ويردد داخل كوخه وهو يقفز: «إنّني فهدٌ». ومثل هذه المشاهد كانت شائعة بين قدماء هنود الأبيبون، كما وصفها لنا بدقة كبيرة دوبريزهوفر (١٨٢٢، مجII: ٧).

خلاصات:

تقدم لنا الظواهر التي لخصناها هنا، وهي ظواهر بعضها مستمد من ملاحظات شخصية وبعضها الآخر مستمد من أدبيات الموضوع، تقدم لنا صورة للشامان في قبائل الشاكو لا تختلف إلا قليلاً عن نظيرتها في المناطق الاستوائية من القارة. ونداؤه ذو صبغة فوق طبيعية، لكنه يمكن أن يثيره بزهده. وتكمن قدرة الشامان في امتلاكه نشيدا، يوحي به إليه روحٌ، هو ثمرة للعلاقة التي يقيمها مع الأرواح. وظيفته الأساسية هي علاج المرضى، ويؤدّيها بالنفث في المريض ومص جسده. وللعلاج عند هنود الماطاكو طبيعة احتفالية، يشارك فيه عددٌ غفيرٌ من الشامان، ويُرفَقُ بالرقص والطقوس التطهيرية. ويلج شامان قبيلتي الماكاطو واللول حالات ذهولية انتشائية خفيفة عن طريق استنشاق سعوط مسحوق بذور السَّبخَة. وبما أن المرض ينجم عن فقدان الروح، فإن الشامان يسافر بحثا عنها ثم يعيدها إلى جسد المريض.

كما يسهر الشامان على صحة الجماعة، ويصرفون عنها الشرور والحوادث المتربصة بها، ويضمنون النصر في الحروب. بالإضافة إلى ذلك، فهم يملكون القدرة على علم الغيب، إما باستشارة الشمس أو باستدعاء روحهم المألوف. وباختصار، لقد كان الشامان، باعتباره طبيباً مستشاراً ومرشداً، الشخصية الأكثر تأثيراً في جماعته ومن شأن اختفائه أن يعجل بانهيار جماعتها.

الهوامش والمراجع:

Grubb, W. Barbrooke.

1913, An unknoun people in an unknown land..., Londres.

Baldus, Herbert,

1931, Indianerstudien im nordstlichen Chaco, Leipzig.

Hassler, Emil.

1894, Die Bewohner des Gran Chaco, Paraguay, Memoirs of the International Congress of anthropology, Chicago.

Hay, Alexander Rattray,

1928, The Indians of South America and the Gospel, New York.

Sanchezi Labrador, José,

1910-1917, El Paraguay callico, (3 vol.), vol. II, Buenos Aires.

Dobrizhoffer, Martin,

1822, An account of the Abipones, an equestrian peopole of Paraguay, Londres.

السَّحَرَة والعَرَّافون بشمال إفريقيا

إدموند دوتيه

خلافا لمجموع الدراسات التي جمعناها في الكتاب الحالي، تتميز دراسة إ. دوتيه الحالية بنزعة تمركز عرقي حول الذات الأوروبية بشكل واضح وصريح. ويُفهَم ذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار مسألتين:

الأولى الزمن الذي نشر فيه مؤلفه «السحر والدين في إفريقيا الشمالية» (الذي تشكل الورقات الحالية فصله الأول)، وهو مستهل القرن الحال، حيث كانت الأنثربولوجيا حقلاً معرفياً مُسخراً لخدمة الاستعمار أساسا، فكانت الأبحاث تسخر لمعرفة عقليات الشعوب غير الأوروبية تمهيدا وتسهيلا لإحكام السيطرة عليها.

أما النقطة الثانية (ربما هي الأهم)، فتتمثل في المد الذي كان يعرفه الاتجاه التطوري آنذاك، والمتأثر بالداروينية ونظرية تطور الأجناس. وهو تيار ظهر في منتصف القرن التاسع عشر في أمريكا وأوروبا، من أبرز ممثليه مورغان، وتايلور، وفريزر. وقد كان أصحابه يؤكدون على فكرتين أساسيتين، هما: التطور، والتاريخ.

للتطور عندهم أهمية، بمعنى أن المجتمعات البشرية تنتقل من مراحل دنيا إلى مراحل عليا، وبالتالي فلفهم المؤسسات والظواهر الثقافية (الغربية) الحالية ينبغي الرجوع إلى تاريخها، إلى أشكالها البدائية، بمعنى أن الجنس البشري يتطور تدريجياً، وبالتالي يمكن تصنيف كل المجتمعات الموجودة بحسب مرحلة التطور التي وصلت إليها. كما كان أصحاب هذا الاتجاه يعتبرون المجتمع الغربي حقلاً نهائياً للتطور. وهكذا قدموا خطاطات عديدة لتطور الإنسانية، فرأى مورغان أن المجتمعات البشرية تجتاز ثلاث مراحل على التوالي، هي: مرحلة الوحشية، ومرحلة البربرية، ثم مرحلة الحضارة. ورأى تايلور أن الديانات تتطور من مرحلة الإحيائية، إلى شعائر عبادة الطبيعة وتعدد الآلهة، فعقيدة التوحيد. كما رأى فريزر أن المجتمعات البشرية تتطور من السِّحر إلى الدين، فالعلم، الخ[1]. ومن هذا المنظور كان يفد على المغرب كما على سائر الشعوب غير الغربية، بما فيها تلك التي تنعت بـ«البدائية»، عددُ من الإثنوغرافيين الأوروبيين والأمريكيين لجمع الملاحظات الميدانية بغاية تعزيز هذا الطرح. ودوتيه هنا واحدُ منهم.

أما أهمية العنصر التاريخي عندهم فتتمثل في تأكيدهم على أنه لفهم المؤسسات والظواهر الثقافية الحالية ينبغي الرجوع إلى تاريخها، إلى أشكالها البدائية. وبما أن المجتمعات الغربية قد بلغت حداً كبيراً من التطور بشكل يتعذر معه معاينة مجموعة من السلوكات والظواهر، فإنه ينبغي الذهاب إلى المجتمعات التي لازالت توجد في أطوار بدائية من التقدم، ثم ملاحظة الظواهر نفسها المراد بحثها وهي لم تبارح أشكالها البدائية، أو وهي لازالت على شكل «بقايا».

وباستحضار هذه المعطيات يُفهَم لماذا يدرج إ. دوتيه سكان إفريقيا الشمالية ضمن البدائيين، ولا يتردد في اختلاق أفكار غريبة، كقوله بوجود «محافل السبت في إفريقيا الشمالية»، واعتباره قبيلة «زكارة» منحدرة من الغجر اعتماداً على «فيلولوجيا» واهية... وترهات أخرى عديدة سيقف عليها القارئ لا محالة. وإذ ننبه إلى ذلك، نشير إلى أننا ما ترجمنا هذا المنتخب إلا لتمكين القراء المغاربة من الاطلاع على بعض الكتابات التي رسخت صورة معينة عنا في أذهان الغربيين. صورة لازالت تشتغل إلى اليوم... (المترجم).

I. العرافون والكهان قبل الإسلام[٢]

نطلق على السحر الاسم نفسه الذي يحمله لدى الإغريق، وهو mag's الذي يعني رهبان الديانة الزرادشتية (مانجو بالفارسية)[٣]. في اللغة العربية احتفظ هذا الاسم بمعناه الحقيقي[٤]، ويضع الرسول محمد السحرة (المجوس) بجانب اليهود والمسيحيين والصابئة (القرآن، الحج: ١٧)[٥]، واضعاً إياهم مجتمعين في تقابل مع الوثنيين. والساحر في العربية هو سحَّار أو ساحر، وقد عومل محمد على الدوام من لدن أعدائه تارة باعتباره ساحرا، وتارة أخرى بوصفه مسحوراً[٦].

كانت الساحرات أكثر شيوعاً من السحرة. وإذا كنا لا نملك سوى معلومات قليلة في شأنهن، فإننا نتوفر على وثائق أفضل حول العرافين الذين كانوا يسمون كهانا[٧] (بالعبرية: كوهين)، والذين كان لهم آنذاك طبيعة شبه كهنوتية. كانوا يتنبئون بالمستقبل ويلقون نبوءاتهم بعبارات مسجوعة[٨]، ومن ثم يكون الكاهن في صلة وثيقة بالشاعر[٩]. ويبدو أن هاتين الوظيفتين الاجتماعيتين كانتا تختلطان بهذا القدر أو ذاك، على نحو ما نجد عند الشاعر المحارب زهير بن جناب الذي كان يقال إنه كاهن[١٠]. ولبعض هؤلاء الكهان طبيعة أسطورية، مثل سطيح، وهو عراف شهير عاش ستة قرون ومات في السنة التي ولد فيها النبي، بعد أن تنبأ بمجيء الإسلام[١١].

كان العرافون العرب يستشارون في جميع الظروف الصعبة[١٢]، وأحياناً كانت تتم استشارة العديد منهم علاوة على أنهم كانوا لا يتفقون في الرأي[١٣]، كما كانوا يُتخذون حكاماً[١٤]، وكان يطلب منهم أن يكشفوا عن القتلة[١٥]. ومن هنا ارتباط العراف بالحَكَم، كما تظهر ذلك المعاني المختلفة للجذر حَكم (كاهن، حَكم، كاهن، ساحر، طبيب)[١٦].

من ناحية أخرى، كانت الكاهنة أو الساحرة، على الأقل، أكثر عدداً من العرافين. وعندما حفر عبد المطلب جدّ محمد بئرَ زمزم الشهيرة، نازعه القرشيون في ملكيتها، وأمام تعذر الوصول إلى أي اتفاق، تم الاحتكام - على نحو ما كان معمولاً به آنذاك - إلى كاهنة بني سعد بسوريا، فرحلوا إليها لهذه الغاية، ولكن حدثاً خارقاً بدَّد نزاعاتهم وأعفاهم من الخضوع لتحكيم العرافة[١٧].

ألزمت إحدى الكاهنات التنوخيين بالسفر إلى الحيرة حيث أسسوا المدينة التي ستقترن شهرتها باللخميين فيما بعد، في هذه المناطق من بلاد ما بين النهرين السفلى حيث تعاقبت العديد من العواصم[١٨]. واستشار الأزديون كاهنة أخرى عندما سافروا إلى اليمن، فقالت لهم إذا نحروا جملاً أصيلاً وغسلوه بدمه هزموا الجرهميين واستوطنوا بلادهم[١٩]. أخيرا، بعد وفاة الرسول ظهرت في قبيلة بني تميم كاهنة تسمى سجاح، فجمعت جيشاً وتوغلت في المنامة لمحاربة النبي الكذاب مسيلمة الذي ستتزوجه عقب اجتماع بينهما[٢٠].

بجانب الكاهن كان هناك العرَّاف الذي لا يتنبأ بالمستقبل، لكنه يخمن مع ذلك أشياء تفلت عن معشر الأحياء، كمكان وجود الشيء المفقود أو المسرُوق[٢١]. وتخمينه يقع في دَرَجَةٍ من التخمين أقل من الكهانة. ثم هناك العائف الذي لا نملك معلومات جيدة عنه[٢٢]، وكان القرشيون يزورونه مرفوقين بأبنائهم كي يتنبأ لهم بمصيرهم.

II. الكاهنات والعرافات عند البربر القدماء:

عرف البربر القدماء أيضاً الكاهنات، وبل ويبدو أنَّ النبوءة نفسها كانت مقصورة على النساء أكثر مما كان عليه عند العرب القدماء، إذ نادرا ما يذكر المؤرخون عرافين مثل هذا الذي يُدْعَى عاصم بن جميل، زعيم ورفدجومة، وهو نبي وعراف[٢٣] [توفي سنة] ١٤٠ قبل الهجرة. ولكن العرافات بالخصوص هن

اللواتي اشتهرن بنيل حظوة كبيرة في القبائل، إذ يقول مقطع غريب من [مؤلف] بروكوب:

«... عند المغاربة، يمنع على الرجال أن يتنبؤوا بالمستقبل. ولكن بعض النساء، بعد أن يجتزنَ طقوساً مقدسة، مستلهماتٍ الروح (الإلهي)، تتنبأن بالمستقبل مثل الكاهنات القديمات لا أقل ولا أكثر»(٢٤).

وتشتهر هذه الكاهنات أساساً بسبب بطولة إحداهن يُطلق عليها اسم الكاهنة لا غير، وكانت في حوالي الربع الأخير من القرن الأول الهجري تحكم جميع القبائل البربرية بالأوراس. ويقال إنها كانت تسمى داهية، وأنها من قبيلة جراوة التي كانت على الديانة اليهودية(٢٥). بيد أننا نستبعد أن تكون قد لقبت بالكاهنة بسبب تهودها، مادمنا لا نعرفها إلا عن طريق المؤرخين العرب الذين كان من الشائع عندهم، ومنذ وقت طويل، تسمية العرافات باليهوديات. ويظهر لنا مقطع بروكوب أن المتنبئات كن منتشرات بين جميع البربر، إذ «لما دخل حسان [ابن النعمان] القيروان أراح بها أياماً. ثم سأل أهلها عمن بقي من أعظم ملوك إفريقية، ليسير إليه، فيبيده أو يسلم، فدلوه على امرأة بجبل الأوراس يقال لها الكاهنة؛ وجميع من بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون. "فإن قتلتها دان لك المغرب كله، ولم يبق لك مضاد ولا مُعاند"»(٢٦). فقاد جيوشه إليها، إلا أنها هزمته، وظلت تحكم البربر سنين عديدة إلى هزمها حسان أخيراً، حوالي سنة ٧٠٤ م، في معركة لقيت فيها حتفها.

لن أتحدث عن الجميلة والنبيهة زينب النفزاوية التي كانت خليلة شخصيةٍ غامضةٍ، وصارت زوجة لآخر ملوك أغمات، أبي بكر اللمتوني، وبعده (صارت زوجة) ليوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية(٢٧). فقد كانت تسمى الساحرة، بيد أن الأمر هنا قد لا يكون سوى مجاز. ولكنني لا أجد سبيلاً للصمت عن عمَّة حميمٍ نبيٍّ غمارة الزائف وعن أخته .الأولى اسمها تنكيت Tanguît، كانت عرافة وساحرة، والثانية اسمها دَادْجُو أو دُبُو، كانت ساحرة وعرافة وواحدة من أجمل نساء زمنها، وكان قومها يلجئون إليها في وقت الحرب وفي جميع الشدائد. زد على ذلك أن ابن خلدون يقول: منذ عصر حميم وبنات غمارة يتعاطين للسحر(٢٨). ولا زالت ذكرى أخت حميم قائمة في المغرب إلى اليوم عند بني حسان الذين يطلقون عليها اسم دبو ويَزُورُون قبرها. ومن العادة أن يُلقى عليه حصى، أثناء المرور، كما تحج إليه المغربيات اللواتي يتجهن إلى السحر(٢٩).

III. المرأة والسحر:

وبذلك فالنساء على الخصوص، عند البربر كما عند العرب القدماء، هُن اللواتي يُعتبرن ساحرات. وتظهر لنا الإثنوغرافيا المقارنة أن الأمر كذلك عند العديد من الشعوب البدائية وحتى عند الشعوب المتقدمة في الحضارة. فالشرط الجسدي «للجريحة الأبدية» يشكل لدى البدائيين موضوع دهشة وخوف، إذ يُعتقَد أنها مختلفة اختلافا عميقا عن الرجل، فتعزَل عنه. إنها ذات طبيعة ملغزة أساسا، قدسية أو سحرية[٣٠]. وبتقدم الدين وتميزه تحتدّ هذه الطبيعة، فلا تشارك المرأة عموما في العبادة[٣١]. بيد أن الدينَ ما أن يقصيها من التعاطي للأشياء القدسية أو الممنوعة حتى تعود إليها تحت غطاء السحر الذي يصير بالنسبة إليها شبه ديانة ذات طبيعة دونية[٣٢]. والوجوه الأسطورية والخرافية الخاصة بالسحر تكون في أغلب الأحيان نساء أكثر مما تكون رجالا، مثل هيقاط، وسيلينيه، وسيرسيه، وميديس، والكاهنة، الخ. وللسبب نفسه تعتبر المرأة مُساعدا ثمينا للسحر، إذ غالباً ما يُشتَرطُ حضور فتاة بكر. فقد أكد لي ساحرُ مغربي أجرى لي مندلا بالمرآة[٣٣] أنَّ الجلسة قد لا تنجح إلا بحضور فتاة زنجية، لأن الزنوج عموماً يُعتبرون في مجموع أنحاء المغرب العربي مؤهلين لمزاولة السحر بالخصوص[٣٤].

IV. السحرة في المغرب [العربي] الحديث:

وُجدَ السحرة والساحرات في المغرب العربي منذ الأزمنة البعيدة، ولكنهم فقدوا أهميتهم. فقد ترك لنا البكري صفحة غريبة حول سحرَة غمارة حوالي القرن العاشر الميلادي[٣٥]، ونجد عند ليون الإفريقي جدولا لمختلف السحرة والعرافين والسحرة الذين كانوا يزاولون عملهم بمدينة فاس في القرن XVم، دون أن ينسى الساحرات أو الممسوسات، إذ وصف لنا عوائدهن التي لا يبحنَ بها إلا قليلاً[٣٦]. كان للعرافين آنذاك نفوذ كبير مكنهم من الدخول إلى بلاطات الأمراء، إذ شاهد ليون (الافريقي) فلكيين وضاربي خط الرمل[٣٧] يمارسون فنهم في قصور فاس وتلمسان وتونس[٣٨].

ومع أن هذا قد لا يُرى اليوم في بلاط عبد العزيز، فإن العرافين لازالوا موجودين والسحرة كذلك، إلا أن العجائز بالخصوص هن اللواتي يتعاطين للسحر. فقد وقفتُ في ضواحي موغادور[٣٩] على العرافات اللواتي يتنبأن بالمستقبل بمحارات، واللواتي سبق لديبغو دي طوريس أن عاينهن عام ١٥٥٣م[٤٠]. هنَّ نساء بربريات يزعمن الكلام عن

أحفوريات مثقبة[٤١]، يقلن إنهن يربينهن داخل علبة. وفي العديد من قبائل إفريقيا الشمالية لازال يوجَدُ صنف الساحرة المكروهة والمهابَة، بسبب عينها الضارة التي تقضي على الأطفال بالخصوص[٤٢]، ولكن بكيفية عامة، صار المحترف نادرا والسحرُ منتشراً على الخصوص. والعراف المحترف أكثر انتشاراً في إفريقيا الشمالية من الساحر الحقيقي: إنه دكاز التونسيين[٤٣]. ويعود السَّبب في هذا التقلص إلى مُعَاقبة الشريعة الإسلامية السَّاحرَ بالقتل.

١. علامات السَّحـرَة:

يُعتقد أن الساحر يحمل علامات خاصة. ففي مراكش أكد لي أحد مُزوِّدي بالمعلومات[٤٤] أنَّ الساحرات لا يغطسن تحت الماء، وهذا مُعتقد قديم جداً وواسع الانتشار لأن صاحب كتاب الأغاني سبق أن أشار إليه[٤٥]، إذ بهذه الطريقة تعرف الخليفة الوليد الأول عن اللواتي يجب قتلهن من بين نساء بلاطه المتهمات بالتعاطي للسحر[٤٦].

غالباً ما تكون الساحرة ممسوسة؛ لأن حالات المس بين المسلمين لا تحصى، وفوق ذلك فجميع الأمراض عندهم تعتبر أشكالا من المسِّ. تكون الساحرة في الغالب مريضة، تقع فريسة لأزمات عصبية. ومعروف أن علماء مثل ليهمان يبنون نظرية السحر بكاملها على الهستيريا والتنويم المغناطيسي باعتبارهما ظاهرتين عصبيتين[٤٧]. بيد أن هذه النظرية الطبية تبدو على كل حال غير كافية، بالخصوص لدى المسلمين إذ هيهات أن يكون السَّحرة كلهم عصابيين. ومن جهة أخرى، العصابيون بدورهم غالباً ما يُعتبرون أولياء أكثر مما يُعتبرون ممسوسين. صحيح أن التمييز بين هتين الحالتين هو بالأحرى [تمييز] دقيق.

٢. السَّاحـر المضـاد:

يُقابل السَّاحرَ الشرِّيرَ السَّاحرُ الخيِّرُ[٤٨]؛ متى أصاب الضحية شر بسبب سحر استطاع سحرُ آخر أن يخلصها منه[٤٩]. وأحياناً تتمايز هاتان الوظيفتان مع الاحتفاظ بطبيعتهما السحرية. فساحرة القبيلة التعسة التي تحدثنا عنها، وهي السَّحّارة، تقابلها الخوَّاية التي تشفي من سحر الأطفال باستعمال حديد أحمر[٥٠]. لا يتعلق الأمر هنا بمداواة محوِّلة أو مُصرِّفة، وإنما بعمل سحري، إذ ما يُطرَد بالنار على هذا النحو هو التأثير الشرير، أي الروح أو الجن.

٣. الطب ابن السِّحر:

ليس الطبيب في الأصل سوى ساحر مُضاد. فكلمة طبيب في العربية الكلاسيكية تعني السحر والطب على السواء[٥١]. الطب ابن السحر. بالإضافة إلى ذلك، حتى في أيامنا هذه، لا يتم التمييز في إفريقيا الشمالية إطلاقاً بين الطبيب والساحر كما لا يميز المرض عن الجن[٥٢] أو على الأقل بين الاثنين مراحل وسيطة غير محسوسة. تتضمن كتب الطب العربي المنتشرة في كل الأماكن، مثل الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي، وصْفات سحرية وأخرى طبية على السواء. تتجاورُ فيها طرق صرع الجن مع المعلومات العلاجية، وطقوس السِّحر التعاطفي واستعمال وصفات بسيطة وجداول الأعداد والحروف مع العقاقير الصيدلية. في الواقع، غالباً ما يستحيل تمييز الطقس السحري عن الطقس الطبي. يعتقد العربي أن جميع ممارساتنا العلاجية هي سحرية، ونحن [الأوروبيون] أنفسنا ندرج ـ في كلامنا ـ ضمن السحر كل ما لا نفهمه.

أكثرُ أنواع طب الأهالي شيوعاً هو ذلك الذي يعرف ويستخدم الخصائص الغريبة للأعشاب. إنه مايسمى jarmac's لدى الإغريق. فضلاً عن ذلك، تعتبر jarmac's مرادفاً تقريباً لـ mag's، والصيدلة ليست سوى أحد تخصصات السحر. طبعاً، يخلط المسلمون جميعا بين الصيدلي والطبيب، والكلمة الشائعة التي تطلق عليهما هي مُفرَدَة «طبيب»، ولكن غالباً ما تُستعمل أيضاً كلمة «حكيم». ومن جهتي، سبق أن عوملتُ باعتباري حكيما خلال رحلة لي بالأطلس. وهذا التعبير، في نظر المسلمين، لا يخلو من مداهنة. ذلك أن الحكيم في العربية تعني، في الواقع، حكيم (sage)، وفلاسفة العصور القديمة يُوصفون بالحكماء ويشتهرون بأنهم سَحرة قبل كل شيء، مثل فرجيل في العصر الوسيط. وبينما ليس الطبيبُ سوى من يقوم بمهنة الحرب، فإن الحكيم هو من يمتلك التقاليد الغريبة المنحدرة من العصور القديمة، من تقاليد أفلاطون وأرسطو ـ دون نسيان السحرة المسلمين نصف الأسطوريين كجعفر الصادق ـ مروراً بهرمس المثلث الذي كان يعالج بالعزائم والعقاقير[٥٣].

أ) موقع الطبيب في العالم الإسلامي

غالباً ما يكون الطبيب طالباً أو شريفاً (وهذا أفضل). لا ينبغي أن تخدعنا الحظوة التي ينالها الطبيب في بلاد الأهالي. فهو لا يتلقى نظير علاجاته سوى اعتبار هزيل، والطب يكاد يكون خارج الدين، إنه يفضي كثيراً إلى السحر. وإذا كان أطباؤنا يحظون بسمعة كبيرة، فذلك يعود إلى العلاجات التي يحققونها، ولكن أيضاً

- وبالتأكيد - إلى السهولة التي تُعزى بها قدراتُ سحرية للأجانب عموما وللمسيحيين بالخصوص.

نادراً ما لا يكون طبيب الأهالي طالباً حائزاً على إجازة، أي على شهادة حررها له أستاذ ملحق بمسجد. إذا كان (هذا الطبيب) شريفاً، أي منحدرا من الرسول محمد، فهذا أحسن، خصوصاً في المغرب حيث يشتهر الشرفاء بكونهم أطباء أفضل من غيرهم(٥٤). بهذه الطريقة، يدخل الطب تحت غطاء الدين(٥٥). العديدُ من هؤلاء الأطباء حائزون على إجازة تذكر أنهم درسوا الطب(٥٦)، ولكن بما أن تعليم الدين غير موجود تقريباً في إفريقيا الشمالية، فإن هذه الضمانة تظل وهمية كليا. ففي الحقيقة، لا يعرف جميع هؤلاء الأطباء أي شيء على طريقة وجهة النظر العلمية(٥٧)، باستثناء بعض الأشخاص القليلين جداً الذين حافظوا على بعض تقاليد الطب العربي المجيدة.

ب) انحطاط الطب الإسلامي:

إذا كان الطبيب والحكيم - وهما طبيبان متجولان في أغلب الأحيان - موجودان منذ القدم ومرتبطان بالسحرة القدماء، فإنه لا يمكننا أن نغفل هنا أن المسلمين بدورهم عرفوا أساتذة للطب. يكفي ذكر أسماء ابن زهر، وابن رشد، وابن سينا وأبو القاسم [الزهراوي]، والرازي، الخ... ولكن هذا التفتح اللامع لعلم الطب لم يثمر إلا فوق الأرض الأوروبية، دون أن يُفيد إطلاقاً المغربَ العربي الذي لم يلتق أبدا سوى أصداء الحضارة الإسلامية بإسبانيا أو المشرق. أي طبيب مغربي اليوم يعرف أبا القسيس مبتكر (la lithotomie)(٥٨) كان مغربيا؟ وأي طبيب مغربي يعرف أن ابن زهر طبيب يوسف بن تاشفين هو مبتكر فكرة تشريح الشُّعب أو القصبة الهوائية في الغرب(٥٩)؟

٤. الحلاق:

ليس الطب هو المهنة الوحيدة التي لها طبيعة سحرية عند [الإنسان] البدائي. فقد أظهرت الإثنوغرافيا المقارنة أن الرأي العام ينسب هذه الطبيعة، بهذا القدر أو ذاك، لمهنٍ أخرى من بينها الحلاق، والجلاد، والحداد، وحفار القبور(٦٠).

فقدَ الحلاقون في إفريقيا الشمالية تقريباً هذه الخاصية التي كانوا يستمدونها من علاقاتهم المتواصلة بأشياء لها علاقة كبيرة بالسحر(٦١)، غير أن الحلاق يكون أيضاً طبيبا يعالج الأمراض الخفيفة، كما أنه هو الذي يُكلف بعملية الختان، وهي

ممارسة قديمة جداً، موروثة من المجتمعات البرية التي ندرسها على الخصوص. وهو يعلب أيضاً دوراً هاماً في بعض الحفلات المنزلية المنحدرة من أصول قديمة، كحلاقة رأس المولود لأول مرة، وفيها يتلقى عموما علامات تقدير دون أن يطالب بأي مقابل. وكما في أوروبا، فالحلاق ينتمي إلى نمط الرجل الدسَّاس وصاحب اللسان الحلو(٦٢).

٥. الحـدَّادُ:

من المعرُوف أنَّ الحدَّادين في المجتمعات البدائية يشكلون طبقة معزولة. فأحياناً يُؤلَّه عُمال الحديد، وأحيانا أخرى يُعتبرون سَحرة، وعرافين، وأطباء. في الميثولوجيا الإغريقية يُعتبر الداكتيل، والكورتيس، والكوريبان، والسِّيكلوب كلهم صناع معادن وسَحرة بهذا القدر أو ذاك(٦٣). وحتى عندنا [في أوروبا] يختص الحداد في تقويم الالتواءات المفصلية وفي تجبير العظام.

من أين يستمد هذه الخاصية؟ أوّلا من كونه يستعمل الحديد، يقوم بكيّ سحري من النوع الذي تحدثت عنه أعلاه، وكل ما يمسّ الحديد هو سحري بهذا القدر أو ذاك، وهذا المعتقد شائع عالمياً(٦٤). يتكلم القرآن عن النار بكلمات يمكن تفسيرها بمعنى سحري: «وأنزلنا الحديد فيه بأسُ شديد ومنافع للناس»(٦٥). في حالات عديدة جداً، يعتبر البريون الحديد حراما أثناء إجراء حفل سحري أو ديني. فالمزابيون يمتنعون عن حمل الحديد أثناء الصلاة(٦٦)، ولهذا السَّبب غالباً ما يوصى باستعمال سكين حجري بدل سكين حديدي. وهذا بقية (أو راسب)(٦٧) من العصر الحجري(٦٨). واستناداً إلى نصّ ينحدر من القرن XVIIم، غامضٍ للأسف، يبدو أن الأمر كان كذلك بالنسبة للختان في مدينة الجزائر نفسها(٦٩). الحديد يُبعِدُ الأرواح(٧٠)، وفي القديم كان يُحمل للتطهر، ونعل الفرس يجلب الحظ في اعتقاد جميع الشعوب، وأهالي إفريقيا الشمالية لا يشكلون استثناء في هذا الباب(٧١).

أ) الحـديـد:

من أين يستمد الحديد هذه الطبيعة؟ لاشك أن اختراع الحديد شكل أحد أكبر الأحداث التي عرفتها البشرية، والأوائل الذين استخدموه أثاروا إعجاباً كبيراً وخوفاً شديداً(٧٢)، لأن ما من ابتكار جديد إلا ويفزع الإنسان البري. والذين كانوا يعرفون صنع الحديد بَدوا لغيرهم كائنات خارجة عن باقي الكائنات، ومن هنا ربما يأتي

كون الحدادين يحتلون مكانة خاصة في سائر المجتمعات، ويكونون في أغلب الأحيان مُهابين ومُحتقَرين.

ب) الحدادون في المغرب [العربي]:

في الجزائر يُقال للحدادين بني نيات، وهم يشكلون نوعاً من فئةٍ تقع خارج المجتمع، فئة لا نملك تحديد طبيعتها. فهم مُحتقَرون[٧٣]، إذ تعتبرُ صيغة «الحداد بن الحداد» شتيمة[٧٤]، وهم لا يتزوجون عموما إلا فيما بينهم. غير أنَّ تعميمَ استعمال الحديد في أيامنا هذه ضاعَفَ عددَ العمال فيه، وبالتالي ساهم في تلاشي هذه القبْلية[٧٥]. أما في جنوب المغرب، فتغاطي مهنة الحديد مقصور على الحرطانيين، وهم فئة اجتماعية محتقرة بشدَّة. وفي تونس وفي السواحل الجزائرية المتاخمة لها يشكل الحدادون نوعاً من الفرقة المهنية المتنقلة، ينحدر جميع أفرادها من بعض القبائل التونسية، من الفراشيش والمادجر بالخصوص، ومن أولاد سيدي عبيد الذين يصنعون بدورهم الأسلحة والمجوهرات ويسمون أولاد بن نجلة[٧٦]. ولدى الطوارق يشكل الحدادون موضوع ازدراء عام ومطلق، كما تروى أساطير عديدة حولهم، ويشتهرون بأنهم كانوا سَحَرة وكفارا لا نسب لهم، والشريف من الطوارق لا يتحارب أبدا مع حداد[٧٧].

٦. الغجَر الجزائريون:

هناك فئة أخرى ذات طبيعة سحرية بهذا القدر أو ذاك، هي طبقة بني عادس. هكذا يُسمى ما يمكن نعته بالغجر الجزائريين[٧٨]. وهم رحَّل مشتتون في جميع أنحاء الجزائر، يزاول رجالهم مِهَن الوشم، وتجارة الخيل، والسمسرة، وختان الأطفال في بعض الأحيان. أما نساؤهم فينطقن بالفأل الحسن، وذلك بأن يَفحَصْنَ في جوف أياديهنَّ السّكّرَ، وحبات الفول، وثفل القهوة. هنَّ اللواتي يُسمَع صراخهن في طرقات الجزائر: الكزانة (الناطقة بالفأل).

في محافظة وهران، يعوِّض العامريون بني عادس، والفئتان متشابهتان في المظاهر والسّلوكات، الفرق الوحيد بينهما هو أن الوشم لدى العامريين أمر مقصور على النساء وتجارة الخيل والسمسرة مقصورة على الرجال. وبحسب المسلمين، فقد لعن العامريين سيدي أحمد بن يوسف وَلي مليانة الشهير، إذ قال لهم: «يلا تطلبوا تصيبوا ويلا تفلحوا تخيبوا [إن شحذتم أصبتم، وإن زرعتم خبتم»[٧٩]، ولهذا السبب يُقال إنهم يعيشون على الصدقة ولا يتعاطون أبدا للزراعة.

بيد أنه يبدو أن بني عادس يعتبرون أنفسهم على عكس ذلك تماماً، لأنهم جميعاً خدامه الدينيين ويكثرون من زيارة ضريحه. أهم غجريون، أي سياحُ شعب الهند الفريد الذين انتشروا في أوروبا الغربية في القرن XVIم وأطلقتْ عليهم أسامي مختلفة؟ يبدو أن كلمة كزانة (guezzana) تؤكد ذلك. ففي العربية الدارجة هناك فعل كزن الذي يعني «كشف الحظ أو تنبأ بالمستقبل»، ويظن البعض أنه لم يكن موجوداً في الأصل، وأنه إنما اشتق من كزانة[٨٠]. غير أنه من المحتمل جداً أيضاً أن تكون هذه المفردة مشتقة من الجذر العربي «جزل»، «être sage, avoir du jugement»[٨١]، بما أن تحوُّلَ الجيم إلى كاف (ga)، بحيث تنقلب جزل إلى كزن (قراءة الطالع)، أمرُ عادي في اللهجات المغربية[٨٢]. ولكن سيلاحَظ في هذا الصَّدد أن اسمَ العوالم[٨٣] المصريات (العالِمه) اللواتي يبدو جيداً أنهن غجريات، يعني «عالمة، مثقفة، حكيمة» مثل كزانة. وإذا قرَّبنا هذه الأسماء من «كاهن» و «عراف» المذكورين أعلاه، فكرنا بدون شك في أننا هنا أيضاً إزاء فئة يكتسي أفرادها طبيعة سحرية[٨٤]. ومن جهة أخرى، يُعتبر الوشمُ علمية سحرية أساسا[٨٥].

يقودنا بنو عادس والعامريون طبعاً إلى الحديث عن عدد معين من الفئات الاجتماعية الأخرى المعزولة أخلاقياً في إفريقيا الشمالية عن باقي السكان المسلمين، ولكنها تعيش في تجمعات كثيفة. لقد اكتشفَ هذه التجمعات م. مولييراس منذ سنتين، ووصف إحداها، وهي قبيلة زكارة التي تبعد عن وجدة بحوالي ٢٥ كلم[٨٦].

٧. زكـــارة:

كانت هذه القبيلة معروفة منذ وقت طويل، ولكن عاداتها مرت دون أن تفلت الانتباه تقريباً[٨٧]. وإذا لخصنا ما جاء به أستاذ وهران = [موليراس]، وجدنا الزكاريين يبدون بمثابة جماعة صغيرة مُنحرفة من وجهة النظر الدينية. فهم لا يعيرون الدين أي اهتمام، إذ ينكرون نبوة النبي ولا يؤدون الشعائر الإسلامية.

أ) العادات الغريبة عند زكارة:

والمسلمون يتهمونهم بجميع أنواع الفظائع، بيد أنه لازال من الصعب تبين نصيب الحقيقة داخل هذا النسيج من الأقاويل والشائعات [حولهم]. يقال إنهم غير مختنين، ولكن هذا لا يبدو صحيحاً، ويقال إن لديهم حقّ سيِّدٍ حقيقي يمارسه نوع من الرهبان، وإن لهم عيدا سنويا يشيع خلاله اختلاط مطلق بين الجنسين (ليلة الغلطة)، وهو ما

يحتمل أن يكون صحيحاً[٨٨]. إلا أن المؤكد هو أن لهم زعماء خاصين ذوي طبيعة قدسية يسمون رسَماء، ومعناه غير مَعْرُوف. وهم يحتقرون المسلمين احتقاراً عميقاً، ويمارسون بعض العادات الملغزة[٨٩]، غير معروفة بشكل جيد، ويمارسون زواجا مغلقا، ويخدمون علنا ولي مليانة سيدي أحمد بن يوسف. ويقيم بينهم جماعة من أحفاد هذا الولي باعتبارهم صلحاء. بالإضافة إلى ذلك، ينادي الزكاريون بعضهم بعضا بخدام عامر بن سليمان، وهو شخصية خرافية لا نعرف عنها أي شيء اللهم كونه كان تلميذا لسيدي أحمد بن يوسف. أما المسلمون الورعون، فيقولون إنه كان يهودياً مرتداً حظي بثقة الولي وأشاع في السكان مذاهب فاسدة تحت غطاء سلطة سيده[٩٠].

ب) تشتت الجماعات الزكارية: زكارة والغجر

من جهة أخرى، توجد جماعات هنا وهناك، في المغرب وفي الجنوب الوهراني، شبيهة بالزكاريين من حيث التصرفات. هناك المليانيون على ضفاف سبو، والذين يشير اسمهم إلى أن لهم زعيما شريفا مليانيا[٩١]، والغواثيون في منطقة الزكاريين نفسها[٩٢]، وغنانمة وادي الصاورة المعروفون بهجراتهم الدورية التي يزورون خلالها ضريح سيدي أحمد بن يوسف في مليانة، ويشحذون ويزاولون حرفاً صغيرة، ونساؤهم يلفتن إليهن الأنظار بحريتهن المطلقة في تصرفاتهن[٩٣]. وأخيراً، أشار مولييراس إلى وجود جماعات شبيهة في الصحراء، في تافيلالت، وحول مراكش وحول مكينس[٩٤].

والخلاصة أنه يوجد عدد من الجماعات الصغيرة شديدة التفرق التي تتميز عن السّكان المسلمين المحيطين بها. إنها أساساً جماعات لا دين لها، يتظاهر أفرادها بخدمة سيدي أحمد بن يوسف، وينتسبون فيما بينهم لعامر بن سليمان. من جهة أخرى، إن الصورة الغريبة لسيدي أحمد بن يوسف، وهو ولي معروف بالخصوص بالأقوال الهجائية المنسوبة إليه، التي لا تحصى حول كل بلد، تلك الصورة مصنوعة بكيفية جيدة لإثارة الانتباه. بالإضافة إلى ذلك، تشير نصوص تاريخية، ليست غزيرة جداً، إلى أنه تعرض لتهمة الزندقة، وهو ما تستفيض كتب مناقب الأولياء المسلمين في مناقشته. ويبقى مؤكداً على الأقل أن طائفة زنديقة قد انتسبت إليه[٩٥]، وكل ما نعرفه عنها على كل حال لا يعدو أنها تسمى شراقة. ويبدو أن هذا الإخلاص لسيدي أحمد بن يوسف يقرِّبُ سلفاً بين الجماعات الزكارية من بني عادس والعامريين. واسْم هؤلاء يمكن أن يثبت هذا التقارب، بما أن الزكاريين يدعون بأنهم حماة رجل يسمى عامر بن سليمان[٩٦]. والسؤال يبقى مفتوحاً، ومن شأنه أن يحسَم إذا تأتت البرهنة على أن

«زكارة» ليست سوى اضطراب في النطق شبيه بـ «زنكاري (Zingari)» التي تعدّ واحدة من الأشكال العديدة لمفردة «غجر».

لنعد إلى السحرة، لأنه يمكن ألا يكون للجماعات الزّكّارية بهم سوى علاقات بعيدة. رأينا أن تسمية الساحر تنسبُ لبعض المهن التي تعتبر ممارستها قادرة على إثارة الدهشة والإعجاب.

٨. الغريب باعتباره ساحراً:

يرى البدائي أن كل ما هو غريب عنه إلا ويكون ساحراً. وفي المغرب العربي توجد فئتان من الناس يعيشون حياة خاصة، هم اليهود والمسيحيون، ويُعتَبرون سحرة في المقام الأول[٩٧]، إذ يُعتَقد أنهم يحفظون عن المسيح الذي يعرفه المسلمون على الخصوص بأنه «كان يحيي الموتى»[٩٨]، أو عن الأنبياء اليهود الذين صار بعضهم - كسليمان - سحرة ميثولوجيين حقيقيين في نظر المسلمين[٩٩]، يُعتَقد أنهم يحفظون تقاليد من الممارسات السحرية. وهي المعتقدات نفسها السائدة في شبه الجزيرة القديمة حيث كان السحرة يهودا بالأساس ورهبانا مسيحيين[١٠٠].

بصفة عامة، يعتبر الغريب ساحراً. وعلى نحو ما ترتبط في اللغة الفرنسية كلمتا étranger و étrange بالجذر نفسه، يُقصَد بكلمة غريب في اللغة العربية معنى étranger و étrange في آن واحد، ولاشك أن الأمر كذلك في العديد من اللغات الأخرى. لن أشدِّد هنا على الآراء الغريبة التي يكونها المسيحيون عن المسلمين الذين لم يروهم أبداً، لأنه سبق لي أن عالجتُ هذا الموضوع في مقام آخر[١٠١]. لقد تسببت هذه الأفكار في فقدان أكثر من مُستشكف، كما أنقذت آخرين، ذلك أن الغريب ما أن يُعتبر ساحرا حتى يُتخذ إزاءه أحد موقفين: إما يُقتل أو يُسعى لاستمالته واتخاذه طبيباً[١٠٢]. وقد بلغ هذا الخوف من الغريب ومن جميع الابتكارات[١٠٣] كماله في الإسلام داخل نظرية البدعة: كل بدعة زندقة[١٠٤].

وبذلك غالباً ما يكون السحرة غرباء. يرى الإغريق أنهم ينحدرون جميعا من طيسالي[١٠٥] وإترووريا[١٠٦]، ويرى المسلمون أن الساحر مَا لم يكن يهودياً أو مسيحياً فهو مغربي. ففي ألف ليلة وليلة، يكون السحرة عموماً من أصل مغربي. وفي قلب الإسلام، في مكة، الساحر كلاسيكيا هو شخص مغربي[١٠٧]. ولكن في المغرب، وبكيفية طبيعية جداً، سيكون السحرة مشارقة. يقول ابن الحاج: «اعلم أيها الطالب أنني قضيت عشر سنوات في البحث عن هذه العزيمة (عزيمة الشمس)، ولم أجدها سوى في العراق

عند رجل من بغداد، وكان يصنع بها الأعاجيب»[١٠٨]. إنه المثل الخالد: «لا أحد نبي في بلده».

هكذا يُنسب السحر للأشخاص الذين يزاولون مهنا قلما يزاولها الإنسان العادي، أو التي تجعل منهم فئة خاصة[١٠٩]، أو (ينسب) لفئاتٍ بكاملها تعيش معزولة عن المجتمع، إما مجموعات منحرفة، مثل بني عادس أو أعراق مختلفة (كلمة ساحر تعني رهبان الديانة الزرادشتية) أو الغرباء بكل بساطة. كذلك، ما أن يتشكل الدين حتى ينعت بالسحر أو الزندقة كل ما هو خارج عنه، وبذلك ينحّى الساحر الذي ينتمي إلى هذا المجتمع، يبعَد، يعزل، ينبذ تقريباً من حضن[١١٠].

٩. التشابه بين الساحر والولي الصالح:

مع أن هذا الجرد لقدرات الساحر بعيد عن أن يكون شاملا، فإنه يوضح نقطة ملحوظة وهي أنَّ هذه القدرات مماثلة تماماً لنظيرتها لدى الأولياء والصلحاء، وأن لا شيء أشد تعقيداً من التمييز بين الولي والسَّاحر. هذه القدرة على التأثير في أشياء الطبيعة هي ما يسمى بالتصرف لدى الولي[١١١]، إذ مثل الساحر يحتجب الصالح عن الأنظار بمشيئته، ومثله أيضاً يطوي الأرض ويسافر في العالم، ولذلك أطلِق اسم الطيار على عدد كبير من الأولياء. وحتى أكتفي بذكر مثال واحد، هناك سيدي أحمد الطيار الموجود على مقربة من هذه المدينة نفسها، وهي هيدرة[١١٢]. أكيد أن الصلحاء لا يذهبون إلى محافل السبت، ولكنهم يلتقون بالجن، يعلمونهم، ويحفظوهم القرآن. وكتب مناقب الأولياء الإسلامية تزخر بتفاصيل من هذا النوع، إذ تذكر أن الصلحاء يتحولون إلى حيوانات بمشيئتهم، ويحولون بني الإنسان إلى بهائم، وأخيرا فإن لهم دائماً حيوانات مفضلة، وأذكر هنا بأسود سيدي محمد بن عودة الموجود بزمُّورة، كما أذكر بجمعية دينية غريبة تسمى هداوة، أفرادها نصف شحاذين ومتسكعين، نصف أولياء، معروفون بمحبتهم للقطط والجديان[١١٣].

أ) الصالح: أصله السحري

ما القول؟ أنتعمد صدم المسلمين عندما نقول إن الولي ساحرُ أو الساحر ولي؟ لا، ولكننا نعتقد أنَّ أسلاف الصلحاء - الذين تابع الأولياء المسلمون تقاليدهم تدريجياً - كانوا رهبانا سحرة أي نوعاً من الشامان أو نوعاً من رجال الطب الذين ينتشر نمطهم بكثرة في المجتمعات البدائية[١١٤]. وسواء أكانوا رجالا أو نساء أحيانا، فالمحتمل أنهم كانوا يحظون بالمكانة الأولى في القبيلة أو في العشيرة. هذا ما يمكن استنتاجه على الأقل من اسم المرابط في اللغة الأمازيغية، أكورام(agourrâm)، وهو كلمة تنحدر من

جذر يفيد معنى «الأول»، وبالتالي «الأمير»[١١٥]. بيد أن هؤلاء الأكورام لم يكونوا رهبانا ولا سحرة، لأن التمييز بين الشأن السحري والشأن الديني لم يكن موجودا آنذاك. فيما بعد، عندما ترسخ الإسلام تدريجياً وقبل السكان عقيدته وفهموا جوهرها صار كل ما يخرج عن إطار هذه العقيدة يُعتبر سحرا وعمل ساحر.

ب) الفرق بين الساحر والصالح

يتدخل الصالح دائماً باسم الله، «تصرفه» شبيه جداً بقدرة الساحر ولكنه بركة من الله، وما يصدر عنه من أعاجيب وخوارق ليس سحراً، وإنما هو فضل من الله أو كرامات. والكرامة مفردة لم يتردد أكثر المستشرقين شهرة[١١٦] في تقريبها من الكلمة الإغريقية smapa cari projhpica. فوق ذلك، لأعاجيب الصالح طبيعة أخلاقية، بمعنى أنها تنسجم مع بعض الغايات الاجتماعية، وليس فقط الفردية[١١٧]. أخيراً فإنه ينشد من الله الرعاية دون أن ينالها ميكانيكياً وبالضرورة بقوة الطقس وحدَه، في حين يشكل هذا [النيل الميكانيكي...] خاصية للسحر. ولكن لاشيء من هذا كله يعتبر مطلقا، والفصل بين الصالح والساحر[١١٨] يظل قائما بشكل رديء، ذلك أن السحرَ ما أن يُبعَد عن الدين حتى ينحو إلى الاندماج فيه ثانية، وعدَدُ كبير من الممارسات التي لم يمكن القضاء عليها تأسلمت. فالإسلام بمنحه الإيمانَ بالجن مكانة رسمية ومكان صدارة، يفتح الباب للسَّاحر. ثم لكون الممارسات الخارجة عن الإسلام تنعت بالسحرية، فإنها تُلوَّن بالنزعة الإسلامية، وهكذا تعوض أسماءُ الله أسماءَ الكواكب أو أسماء جميع الكائنات السحرية الأخرى، وتأخذ صيغ الطلسم حلة إسلامية، والمتطلعون إلى الصلاح والصلحاء أنفسهم يصيرون أحياناً صناعَ أحجبة، فلا يبقى خارجَ الدين إلا السحر الشرير، والساحرُ الحقيقي لا يعودُ سوى الكائن المهاب المعزول، والشقي المهدد بتلقي معاملة عنيفة[١١٩]، وقد سبق أن حددنا خاصياته.

٧. أسلمَة السحــر:

غير أن سنقصد بالسحر، في دراستنا[١٢٠]، تلك الممارسات والمعتقدات المندمجة بشكل رديء في الشعيرة وفي العقيدة، والتي تشكل مُهمَّشات الدِّين إن جاز التعبير. من الغريب ملاحظة كل هذا العناء الذي يتجشمه مؤلفو كتب السحر ليزيدوا - بخلاف مؤلفي الكتب الدينية الخالصة - في الخلط بين الولي والساحر. فإذا قرأنا فصل التربية (السحرية)[١٢١] في أحد هذه الكتب، لم نجد فيه إلا نصائح خالصة في الأخلاق،

والزهد، وكأن الأمر يتعلق بكلام موجه إلى مريد أو مرشح للانضمام إلى إحدى الطرق الدينية. وفوق ذلك فنحن لا نتوفر إلا على معلومات قليلة حول المسارة[١٢٢] السحرية في إفريقيا الشمالية سحرية. كيف يصير المرء (وليّاً) صالحاً؟ عند الشعوب البرية، تتضمن مُسارَّة الراهب الساحر (le prêtre-magicien) احتفالات في منتهى الطول والتعقيد، تستغرق أحياناً سنواتٍ وترافقها امتحانات جسدية مؤلمة في أغلب الأحيان[١٢٣]: ترمي إلى منح المرشَّح هذه القدرة السِّحرية التي تتوقف عليها حياة القبيلة، وهي (قدرة) تكون وراثية في الغالب. نجد مُعادِلَ هذه المسارَّات في نقل البركة لدى الصلحاء، ولكن سحرة المغرب العربي لم يحتفظوا بأي رواسب من هذه الطقوس، أو على الأقل إن هذه الطقوس لا توجد عندهم إلا مجزأة أو معزولة. وفي سائر الأحوال، يذكر مؤلفو كتب السِّحر سندَهم وسلسلة أساتذتهم الذين نقلوا لهم العلوم الخفية[١٢٤]، سلسلة شبيهة تماماً بتلك التي يعتز بها مشايخ الطرق الصوفية.

VI. مسألة صدق السَّاحر: الساحر أمام المجتمع

أخيراً لا بد من الإجابة عن سؤال لن نتوقف عنده طويلاً مع ذلك. تحدثنا لحد الآن عن السَّاحر وكأن قدراته حقيقية أو على الأقل كأنه صادق في الإيمان بها، بيد أن الواضح فيما يبدو أنه سرعان ما ينتهي إلى الاقتناع ببطلان عملياته، ومن شأنه هذا أن يقود إلى الاعتقاد بأن جميع السحرة خداعون ودجالون. نعتقد أن الأمر بخلاف ذلك تماماً[١٢٥]. عموماً، نظنُّ أن المسعى الذي يفسر الممارسات السحرية أو الدينية بالخداع والغش يبقى مسعى تبسيطياً. الساحر ليسَ مشعوذاً، زد على ذلك أننا لو كنا على هذا الرأي لما كتبنا مؤلفا في أصول الدين؛ لو افترضنا أن الدين ليس بشيء آخر غير الغش لشطبنا بهذا الافتراض نفسه على معطى بحثنا.

لا شك أن الخداع والتدجيل طالما لعبا دوراً ملحوظاً في حقلي الدين والسحر، ولكن يجب ملاحظة أن بين الغش والخطأ هناك جميع الأطوار الانتقالية الممكنة. لا شيء يسلط الضوء جيداً على هذه الحقيقة سوى الأبحاث المتواصلة منذ ربع قرن حول ظواهر التنويم المغناطيسي[١٢٦]. بات من المتعذر إطلاقا الاعتمادُ على التفسير الفولتيري للدين باعتباره تدجيلا. في المجتمعات البدائية التي يعتبر وجودُ الساحر ضروريا للقبيلة، لا يغش هذا الساحر نفسه فحسب، بل ويدفع الرأي العام أيضاً إلى الإيمان بفعالية الطقوس. وعلى كل حال، فالاحتفالات الطقوسية تكون جد معقدة، ومن ثمة إمكانية ردّ الفشل دائماً إلى خطإ في إنجاز الطقس، ومنذئذ يقوي الخطأ الإيمانَ بدل

والزهد، وكأن الأمر يتعلق بكلام موجه إلى مريد أو مرشح للانضمام إلى إحدى الطرق الدينية. وفوق ذلك فنحن لا نتوفر إلا على معلومات قليلة حول المسارة[١٢٢] السحرية في إفريقيا الشمالية سحرية. كيف يصير المرء (وليّاً) صالحاً؟ عند الشعوب البرية، تتضمن مُسارَّة الراهب الساحر (le prêtre-magicien) احتفالات في منتهى الطول والتعقيد، تستغرق أحياناً سنواتٍ وترافقها امتحانات جسدية مؤلمة في أغلب الأحيان[١٢٣]: ترمي إلى منح المرشَّح هذه القدرة السِّحرية التي تتوقف عليها حياة القبيلة، وهي (قدرة) تكون وراثية في الغالب. نجد مُعادِلَ هذه المسارَّات في نقل البركة لدى الصلحاء، ولكن سحرة المغرب العربي لم يحتفظوا بأي رواسب من هذه الطقوس، أو على الأقل إن هذه الطقوس لا توجد عندهم إلا مجزأة أو معزولة. وفي سائر الأحوال، يذكر مؤلفو كتب السِّحر سندَهم وسلسلة أساتذتهم الذين نقلوا لهم العلوم الخفية[١٢٤]، سلسلة شبيهة تماماً بتلك التي يعتز بها مشايخ الطرق الصوفية.

VI. مسألة صدق السَّاحر: الساحر أمام المجتمع

أخيراً لا بد من الإجابة عن سؤال لن نتوقف عنده طويلاً مع ذلك. تحدثنا لحد الآن عن السَّاحر وكأن قدراته حقيقية أو على الأقل كأنه صادق في الإيمان بها، بيد أن الواضح فيما يبدو أنه سرعان ما ينتهي إلى الاقتناع ببطلان عملياته، ومن شأنه هذا أن يقود إلى الاعتقاد بأن جميع السحرة خداعون ودجالون. نعتقد أن الأمر بخلاف ذلك تماماً[١٢٥]. عموماً، نظنّ أن المسعى الذي يفسر الممارسات السحرية أو الدينية بالخداع والغش يبقى مسعى تبسيطياً. الساحر ليسَ مشعوذاً، زد على ذلك أننا لو كنا على هذا الرأي لما كتبنا مؤلفا في أصول الدين؛ لو افترضنا أن الدين ليس بشيء آخر غير الغش لشطبنا بهذا الافتراض نفسه على معطى بحثنا.

لا شك أن الخداع والتدجيل طالما لعبا دوراً ملحوظاً في حقلي الدين والسحر، ولكن يجب ملاحظة أن بين الغش والخطأ هناك جميع الأطوار الانتقالية الممكنة. لا شيء يسلط الضوء جيداً على هذه الحقيقة سوى الأبحاث المتواصلة منذ ربع قرن حول ظواهر التنويم المغناطيسي[١٢٦]. بات من المتعذر إطلاقا الاعتمادُ على التفسير الفولتيري للدين باعتباره تدجيلا. في المجتمعات البدائية التي يعتبر وجودُ الساحر ضروريا للقبيلة، لا يغش هذا الساحر نفسه فحسب، بل ويدفع الرأي العام أيضاً إلى الإيمان بفعالية الطقوس. وعلى كل حال، فالاحتفالات الطقوسية تكون جد معقدة، ومن ثمة إمكانية ردّ الفشل دائماً إلى خطإ في إنجاز الطقس، ومنذئذ يقوي الخطأ الإيمانَ بدل

أن يُعرضه للتصدع. وحتى إذا كان الساحر لا يؤمن بسحره، فإنه يظن هذا السحر ممكنا. ولا شك أنه يمزج غالباً بين قسط من الإثارة والإخلاص على نحو ما هو شائع في ظواهر التنويم المغناطيسي، ولكنه لا يكذب عموماً، لأن إيمان الجميع بسحره يفرض نفسه عليه بالضرورة(١٢٧). كذلك الأمر في المجتمعات التي يُعزل فيها الساحر ويُحتقر، إذ يشكل هذا العزل نفسه المفروض عليه، يُشكل دليلاً على الخوف من شروره والإيمان بسحره. فوق ذلك يقصده الناس التماساً وتوسلاً، وعنده دائماً نصف إخلاص على الأقل. إن الإيمان الشائع هو ما جعله ساحرا في الماضي والدين هو ما يحدِّده ويؤهله اليوم من خلال إبعاده.

الحواشي:

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن العودة لسائر أدبيات مبادئ الأنثروبولوجيا. ويمكن أن نذكر منها، على سبيل المثال، لا الحصر:

- (S. A), L'Anthropologie, Origines, Développement, concepts, Oeuvres, Théories, Paris, ED.MA, (S.D.); Evans Pritchard, Anthropologie sociale, Payot, P.B.P., 1967.

أو: إ. بريتشارد، الإناسة المجتمعية. ديانة البدائيين في نظريات الإناسيين، ترجمة: حسين قبيسي، بيروت، دار الحداثة، ط / I .الأولى ١٩٨٦.

- Jean Poirier, Histoire de l'ethnologie, Paris, P.U.F., Que sais-je? (n° 133), 3ème édit., 1984;
- François Laplantine, Clefs pour l'anthropologie, Paris, Seghers, 1987; Robert Lowie, Histoire de l'ethnologie classique des origines jusqu'à la 2ème guerre mondiale, Paris, Payot, 1971.

أو: ر. لوي، تاريخ الإثنولوجيا من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية، ترجمة: نظير جاهل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢.

- Jean-Paul Colleyn, Eléments d'anthropologie sociale et culturelle, Bruxelles, Edition de l'université de Bruxelles, 1988.

- د .حسن فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٦؛ جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، م. س.، ١٩٩٦.

(٢) صيغة «بشمال إفريقيا» في العنوان الرئيسي من إضافتنا، وأرقام العناوين الفرعية من إضافتنا أيضاً. أما عبارات هذه العناوين، فهي من صياغة المؤلف، وما تصرفنا فيها إلا بنقلها من رؤوس صفحات الدراسة إلى وسطها. (م).

(3) Cf. Henry, Parcisme, p. 156 et passim (Voy. ind.).

(٤) إلا أن لفظ مجوس، ستستعمل فيما بعد للدلالة على الوثنيين وأتباع الديانات الأجنبية. وهو يستعمل بصفة خاصة للدلالة على النورمانديين، أو أيضاً على الهراطقة مثل صالح، نبي البرغواطيين (القرطاس، طبعة تورنبرغ، ص. ٨٢ من النص العربي Cpr .(غرنباوم في Z.D.M. ، 1877، ص. ٢٤٨.

(٥) نص الآية هو: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد». (م).

(٦) القرآن، X: 2 ،XVII: 50، XXI: 3 ، XXV: 9 ، XXXIV: 42 ، XXXVIII: 3 ، XLIII: 29 ، XLVI: 6،
LXXIV: 24] والآيات هي على التوالي: «أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لسحر مبين» (يونس: ٢)؛ «نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا» (الإسراء: ٤٧)؛ «لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتاتون السحر وأنتم تبصرون» (الأنبياء: ٣)؛ «فلما جاءتهم آياتنا قالوا إن هذا لسحر مبين» (النمل: ١٣)؛ «وإذ تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين» (سبأ: ٤٣)؛ «وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب» (ص: ٤)؛ «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون (الزخرف: ٣٠)؛ «وإذا تتلى عليهم آيتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين» (الأحقاف: ٧)؛ «فقال إن هذا إلا سحر يوثر» (المدثر: ٢٤)]، ويرى القرآن أن موسى (XX: 66؛ XXVI ، XL: 25؛33، الخ.) [على التوالي: «قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» (طه: ٦٦)؛ «قال للملإ حوله إن هذا لسحر عليم» (الشعراء: ٣٣)؛ «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين، إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب» (غافر: ٢٣ ـ ٢٤)] والمسيح (V: 110) [«إذا قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طائرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين» (المائدة: ١١٠) [«وصالح نبي عاد(XXVI: 185)» [قالوا إنما أنت من المسحَّرين» (الشعراء: ١٨٥)] قد تلقوا معاملة مماثلة من لدن معاصريهم. (نصوص الآيات من إثباتنا ـ المترجم ـ).

(٧) كان محمد يُعتبر مجرد كاهن، ويدافع عن نفسه في مكانين من القرآن [LII: 29 «فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون» (الطور: ٢٩)] و [LXIX: 42 «وما هو بقول كاهن قليلا ما تذكرون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون» (الحاقة: ٤١ ـ ٤٢)]. ابن هشام، السيرة النبوية، ج. ١، ص. ١٧١. وحول الكاهن، انظر على الخصوص:

- Wellhausen, Reste ar. Heid., 2e éd. p. 134-138 et Goldziher, Abhandlungen, I, p. 18 seq.

(٨) ابن هشام، م. س.، حيث يَردُ أن محمدا لم يكن كاهناً، ولا مجنوناً، ولا شاعراً، ولا ساحراً.

(٩) ابن هشام، م. س.، راجع أيضاً: Goldziher, Abhandlungen, I, p. 19 seq، (والمرجع الأخير أساسي لدراسة أصل الشاعر).

(١٠) الأغاني، طبعة جديدة، ج. ٢١، ص. ٢١ وما يليها. انظر أيضاً:

- Caussin de Perceval, Essai hist. Ar. acant l'Isl., II, p. 263.

(١١) ابن هشام، م. س.، ج. ١، ص. ٩ وما يليها. وابن كثير، السيرة النبوية، ترجمة: Desvegers، ص. ١٠٢، حيث يجد القارئ معلومات أخرى.

- Caussin de Perceval, op. laud., II, 263.

(١٢) الأغاني، ج. ١٠، ص. ٣٦. وCaussin de Perceval, op. laud., II, p. 480

والكلمة مستعملة هنا لنعت العراف هي «قائف» (من قيافة، ويعرفها زكريا القزويني على النحو التالي: «القيافة على ضربين: قيافة البشر، وقيافة الأثر. أما قيافة البشر فالاستدلال بهيئات الأعضاء على الإنسان ويختص هذا الاستلال بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج، يُعرَض على أحدهم مولود في عشرين امرأة فيهن أمّه يلحقه بها (...) أما قيافة الأثر فالاستدلال بآثار الأقدام والخفاف. وقد اختص هذا الاستدلال بقوم في المغرب أرضهم ذات رمل فإذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تبعوا آثار قدميه حتى يظفروا به. ومن العجب ما حكي أنهم يعرفون أثر قدم الشاب من الشيخ والرجل من المرأة والغريب من المتوطن». زكريا القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، بيروت، دار الآفاق الجديدة، طا ،، 1973، ص ٣٤٤ - ٣٤٥) (م).

(١٣) الأغاني، ج. ١٥، ص ٧٠؛ Caussin de Perceval, op. laud., II, p. 582.

(14) Caussin de Perceval, op. laud., I, p. 337; p. 123.

(١٥) الأغاني، ج. ١٠: Caussin de Perceval, op. laud., II, p. 493. وبالنسبة لهذه الملاحظة كما لسابقاتها، سنجد إحالات على Frencel ومؤلفين آخرين في .Caussin بالنسبة لاستشارة العراف في موضوع مرتكب عملية اغتيال، انظر العادة الصحراوية كما يوردها ترومليت Trumelet في كتابه: Français dans le désert, 2e éd., p. 89

(١٦) انظر: Welhausen, Reste arab. Heid., p.136.

حيث يحيل على الأغاني، ثم راجع: contr لـ Lagrange. Et. s.l. rel. sém., p. 218, n.4.

(١٧) ابن هشام، السيرة، ج. ١، ص. ٩٢؛ وانظر أيضاً:

- Caussin de Perceval, op. laud., I, p. 261.

(١٨) الأغاني، ج. ٩، ص ١٥٥ - ١٥٦. وانظر أيضاً: Caussin de Perceval, II, p. 6.

(١٩) الأغاني، ج. ١٩، ص. ٩٥، وانظر أيضاً: Caussin de Perceval, I, p. 205.

(٢٠) الطبري، تاريخ الطبري، طبعة ليدن، ج. ١، ص. ١٩١١- ١٩١٢، ص. ١٩٣٠؛ ج. ٢.، ص. ١٢٨٧، و:

- Caussin de Perceval, op. laud., III, p. 353; Sprenger, D. Lehre d. Mohammed, III, p. 305.

انظر أيضاً ظريفة، وهي عرافة شهيرة، في المسعودي، مروج الذهب، ترجمة Barbier وMeynard، ج٣، ص. ٣٧٨. للمزيد من التفاصيل حول الكاهن، والوقوف على إحالات عديدة على النصوص، راجع: Welhausen, Reste arab. Heid., loc. cit.

(21) Gldziher, Abhandlugen, I, p. 25, n. 1.

وقد استشار عبد المطلب عرافاً بخبير: ابن هشام، السيرة، ج ١، ص. ٩٨.

(٢٢) ابن هشام، ج. ١، ص. ١١٤، ويبدو أن هذه الكلمة هي المفردة العبرية ôb' التي تعني «مناجي الأرواح».

(٢٣) ابن الأثير، (الكامل في التاريخ)، ترجمة: Fagnan ، ص ٨٠.

(24) Procope, De bello vandalico, II, p. 80.

(٢٥) نجد الإحالات في: Fournel, Hist. des Berbères, I, p.251.

وفي الإدريسي، ترجمة Dozy وGoeje، ص ٥١. في الترجمة وص. ٤٨ في النص الأصلي، يتعلق الأمر بكاهنة أخرى (ساحرة وليست كاهنة) كانت تقيم في ضفاف النيل وكانت تسمى أيضاً داهية، ويبدو أن هذه الكلمة التي تفيد معنى «محتالة»، كانت تطلق على الساحرات بالخصوص.

(٢٦) فضلنا أن نسوق هذا المقطع (من: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط III. 1983، ج١، ص. ٣٥) بدل ترجمة مقابله في نص دوتيه، وهو:

«H'asan ibn No'mân ayant demandé aux habitants de Cairaouan s'il restait quelque chef puissant dans l'Ifriqita dont il était gouverneur, ils lui répondèrent que la Kâhina était la reine des Berbères, que son pouvoir était absolu et que s'il parvenait à la vaincre, tout le Maghrib se soumettait». (م).

(٢٧) القرطاس، ص. ١٨٦، ابن خلدون، البربر، ج. ٢، ص. ٧١؛ ج. ٣، ص. ٢٧٢؛ ابن الأثير، ترجمة: Fagnan، ص. ٥١٤، الخ.

(٢٨) البكري، ترجمة: Slane، ص. ٢٢٩؛ ابن خلدون، البربر، ج ٢، ص. ١٤٣؛ القرطاس، ص ١٣٥.

(29) Mouliéras, Maroc inconu, II, p. 346, n. 3

وهذه المعلومة تبرر درس «دبو».

(30) Crawley, Mystic Rose, p. 206.

(٣١) راجع، على سبيل المثال:

- Fustel de Coulanges, Cité antique, 18e éd., p. 37-38.

(32) Hubert et Mauss, Magie, in Ann. Soc., VII, p. 23, 120-1,

وبالنسبة للعصور القديمة، راجع:

- Hubert, in Dic. des Antiquités, art. Magia, p. 1510, n. 28,

بالنسبة لآشور، راجع: Fossey, Magie assyrienne, p.43، وبالنسبة لليهود، راجع: Blau, Altjüd. Zauberwesen, p. 23، وبالنسبة للعرب، راجع: Welhausen, Reste ar. Heid., p. 159.

(٣٣) المندل هو ما يقال له بالعامية «المحلة»، وهي طريقة في قراءة الغيب، من الأوصاف التي قدمت له حديثا، بناء على معاينة ميدانية بمدينة الرباط، ما يلي: «المحلة بها يستطيع [الفقيه] الكشف عن السارق (...) وهو يشترط لهذه الغاية أن يكون (الناضور) وهو الشخص الذي سيرى الجن ليكشفوا له عن السارق، يشترط أن يكون صبيا صغيرا أو امرأة سوداء أو امرأة حاملا، بعد ذلك يرسم جدولا (...) في كف (الناضور)، ويرسم نقطة سوداء في نفس الكف، ثم يأمر (الناضور) بتركيز النظر على تلك النقطة ويأخذ هو في ترديد (...) عند ذلك يطلب من (الناضور) أن يصف له وجه السارق..»، عن: نادية بلحاج، التطبيب والسحر في المغرب، الرباط، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط1، 1986، ص. ١٦٦. (م).

(34) E. Doutté, Magie et religion en Afrique du Nord, chap. VIII.

(٣٥) البكري، ترجمة: Desparmel، ص ١٧٧.

(36) Léon l'Africain, in Ramusio, éd. de 1554, fol. 43.

(٣٧) هو ما يعرف في العامية بـ «الخط الزناتي»، نسبة لأحد أبرز أعلامه (محمد الزناتي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ). وخط الرمل (أو علم الرمل) طريقة في قراءة الغيب، يقوم فيها الفقيه بوضع أربعة سطور من النقط، ثم ـ انطلاقاً من عمليات حسابية وتأليفات مختلفة ـ ينتهي باستخراج ١٦ شكلاً رملياً، يقال لها البيوت، حيث لكل بيت اختصاصه (بيت المال، بيت الأولاد، بيت السفر، بيت الزواج، الخ)، فيقرأ ما بضمير السائل انطلاقا من دلالات تلك الأشكال والعلاقات القائمة بينها. ومع أن للعرب أسطورة ترجع بهذا «العلم» إلى النبي إدريس، وتقول إنه تعلمه من الملاك جبريل، فالراجح أنهم استمدوه من الصينيين. للمزيد من المعلومات حول الموضوع، راجع:

- Robert, Ambert, La Géomancie arabe et ses miroirs divinatoires, Paris, Robet Laffont, 1984. (م).

(38) Léon, op. laud., fol. 43, C; 65, D.

(٣٩) موغادور هي الصويرة اليوم.

(40) Diego de Torrès, Histoire des Chérifs, trad. fr. de 1637, p. 312.

(٤١) حيوانات بحرية من عضديات الأرجل ذوات صدفات بيضوية ملساء مثقوبة البطن. (م).

(42) Doutté, Merrâkech, I, p. 346.

(43) Vassel, Litt. pop. des Israélites tunis., in Rec. tun., 1905, p. 210, p. 242. Cpr la صراعة أو عرافة id., p. 544.

(٤٤) informateur: سبق شرح المفردة في الهامش رقم ٧ بدراسة أ. م. هوكارت «المسارة، الرجولة والعلاج» المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

(45) Welhausen, op. laud., p. 160.

(46) Welhausen, loc. cit.;

يجب فهم التنبؤ بالماء البارد في العصر الوسيط بالغرب.

(47) Lehmann, Aberglaube und Zauberei, p. 507 ad f.

(٤٨) حول خفال يهود تونس، راجع: Vassel, op. laud., in Rev. Tun., 1905, p. 220.

(٤٩) «الرقية» سحر علاجي، من رقى «عوَّذَ ونفث في عودته» [ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر (د.ت)، ج. ١٤، مادة: رقا (م)].

(50) Doutté, loc. cit.; cpr. Hérodote, IV. 77, 2.

(٥١) لنسجل مع ذلك أن المؤلفين العرب يقولون إن الطب والمطبوب لا يستعملان بالنسبة للسحر والمسحور إلا على سبيل التلطيف (القسطلاني، صحيح البخاري، VIII، ص ٦٠٣).

(52) Cpr. Snouck Hurgronje, Mekka, II, p. 115.

ولمزيد من التفاصيل حول الأطباء والطب في مكة، راجع: نفسه، ص. ١١٦- ١١٨. أما حول العلاقات بين الطبيب والساحر عموما، فراجع:

- Lehmann, Aberglaub, und Zaubercei, p. 18.

(٥٣) كل مؤلف لكتاب في السحر يجد نفسه مضطراً لذكر حكماء العهود القديمة: بل هناك من يمضي إلى الزعم بأنه اطلع على مؤلفاتهم! انظر مثلا مقدمة كتاب صغير واسع الانتشار، المختار في كشف الأسرار، لعبد الرحيم الجوباري. وحول الحكيم، راجع:

- Delphin, Textes d'arabe parlé, p. 59, n 2.

(54) Rohlfs, Mein erster Aufenthalt in Marokko, 1885, p. 134-135.

(٥٥) هناك ديانات عديدة مختلفة جداً فيما بينها، تحفظ فيها مزاولة الطب للرهبان. كذلك الأمر في التيبت. انظر: Laufer, cité ap Mauss in Ann. Sociol., v. p. 225.

وحول الصراع بين الطب والسحر، راجع:

- Ibn Khaldoun, Prolégomènes, trad. de Slane, III, p. 164.

(56) Dr Raynaud, Hygiène et médecine au Maroc, p. 120.

(57) Quendenfeldt, Kranheiten, Volksmedizin aberglaübische Kuren in Marokko, in Ausl., 1891, p. 76; Rohlfs, op. laud., p. 133-134; Raynaud, op. laud., p. 117-121.

حول الطبيب الجزائري، راجع: Robert, L'Arabe tel qu'il est, p. 35.

(٥٨) لم نتوقف في العثور على مقابل هذا المصطلح. علماً بأن السابقة (lithos) من أصل إغريقي، تعني «حجرة...».

(59) Rohlfs, loc. cit.

(60) Hubert et Mauss, Magie, in Ann. Sociol., VII, p. 24-25.

(٦١) وهي الشعر واللحية، راجع كتابنا السحر والدين في إفريقيا الشمالية (بالفرنسية)، م. س.، ص. ٦٠.

(٦٢) راجع: Desparmet, Arabe dialectal, 2e période, p. 140.

حول العلاقات بين الحلاق والطبيب في مكة، راجع:

- Snouck Hurgronje, Mekka, II, p. 115-116; cpr. Lagrange, et. sur les rel. sém., 2e éd., p. 211-220.

(63) Hubert, Magia, p. 1498, avec nombreuses références; Reinach, Cultes, mythes et religions, II, p. XIII-XIV.

(٦٤) حول المعتقدات الخاصة بالحديد لدى العبريين، انظر: Blau A ltjüd. Zaub., p. 159.

(٦٥) سورة الحديد، الآية 25. (م).

(66) Chronique d'Abou Zakariya, trad. Masqueray, p. 177, n. de p. 176.

(٦٧) البقية: سبق شرحها في الهامش رقم ٧ من دراسة ج. بران «الرمز والسحر» المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

(68) Frazer, Rameau d'or, trad. franç., I, p. 273.

(69) Dan, Hist. de Barb., p. 349.

(70) Frazer, op. laud., I, p. 377 et n. 2; Laurence The Magic of the Horse-shoe, p. 26-40.

في إفريقيا الشمالية، غالباً ما يصلح الحديد، على شكل مُديَة أو سيف، لوقاية المخطوبة من العين [الشريرة]. راجع على سبيل المثال: Hanoteau et Letourneu, Kabylie, II, p. 219.

(71) Robert, L'Arabe tel qu'il est, p. 45; Tylor, Civ. prim., I, p. 146;

ولكن بالنسبة لمختلف التفسيرات التي منحها لهذا المعتقد، راجع:

- Rob. Means Lawrence, The Magic of the Horse-shoe, Boston, 1898.

(٧٢) في هذا الصدد، نحيل القارئ على دراسة جملية لألفرد ميترو، تحت عنوان «ثورة الفأس»، ترجمها: عبد اللطيف قطيش، ونشرها حسن قبيسي ضمن كتابه المتن والهامش. تمارين على الكتابة الناسوتية [=الإثنولوجية]، البيضاء- بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١.، 1997، ص ص. ٣٠٩- ٣٢١. (م).

(٧٣) حول ازدراء الحدادين، راجع: Marçais, Dial. de Telemcen, p. 286.

وكذا المراجع التي يقدمها، وبالخصوص الإحالة على:

- Goldziher. Aj. Hartmann, Lied. lib. Wüste, p. 35-36; Robert, L'Arabe tel qu'il est, p. 99.

(74) Delphin, textes d'ar. parlé, p. 93.

(75) Abderrahman Mohammed, Lectures choisies, 2e période, p. 38.

(76) Levasseur, Une corporation de forgerons, in Bull. Soc. géogr. Alger, XI, 1906, p. 215-216.

(77) Benhazera, Six mois chez les Touareg du Aggar, in Bull. Soc. Géog. Alg., 1906, 4e trim., p. 323-324.

(٧٨) حول القرابة المحتملة بين الغجر وإحدى فئات شبه الجزيرة العربية، راجع:

- Oppenheim, Vom Mittelmeer z. pers. Golf, I, p. 720-221, et II, n. 3 de la p. 218.

حيث توجد مراجع. وحول بني عادس، إحالة في روبرت، العربية كما هي (بالفرنسية)، م. س.، ص. ٤٤ وكذلك الهامش ٧٥ من البحث الحالي.

(79) Abderrahman Mohammed, op. laud., p. 35.

(80) Bataillard, Sur les Bohémiens ou Tziganes, part. en Algérie, in AFAS, 19881, p. 780, et Bull. Soc. Anthrop., Juillet 1873, p. 678.

(٨١) «رجل جيد الراي وامرأة جزلة بينة الجزالة: جيدة الرأي. وما أبين الجزالة فيه أي جودة الرأي»، ابن منظور، لسان العرب، م. س.، ج. ١١ (مادة: جزل). (م).

(٨٢) ذلك هو رأي م .و. مارسيه. ومن الملائم ملاحظة أن كلمة كزانة معروف في المغرب بمعنى «قرئات الطالع»، بحسب ميرسييه:

- Mercier, Les mosquées et la vie religieuse à Rabat, in Arch. marocaines, vol. VIII, p. 141.

(٨٣) مفردها عالمة: راقصة مغنية من الشرق، ويطلق على الجماعة اسم العوالم .(almées) (م).

(٨٤) قارن كلمتي شيخة وعريفة بمعنى «عالمة»، وهما تستخدمان في المغرب للدلالة، بالتتابع، على المغنيات والنساء المكلفات (الحريم، السجن، شرطة الأخلاق) بحراسة نساء أخريات (الطبيعة السحرية للنساء).

(٨٥) انظر كتابنا: السحر والدين في إفريقيا الشمالية (بالفرنسية)، م. س.، ص. ١٤٩ ـ ١٥٠.

(86) Mouliéras, Une tribu antimusulmane au Maroc, in Bull. Soc. Géog. Oran, 27e ann. t. XXIV, p. 243, seq., et à part, Paris, 1905.

(٨٧) ومع ذلك فقد تمت الإشارة إليهم [زكارة] في بضعة أسطر من قبل الكونت Demaeght في:

Bull. Soc. Géog. Oran, 19e ann., t. XXIII, p. 149-194.

(٨٨) في ليون الإفريقي، ضمن Ramusio, I, fol. 61, A، نجد خبراً شبيهاً تماماً بخصوص قبيلة مغربية أخرى.

(٨٩) مثل زواج المرأة بطفل في سن مبكرة، انظر موليراس، م. س.، ص. ٩١.

(90) Mouliéras, op. loud., p. 91.

(91) Salomon, Les Bd'âd'oua, in Arch. Maroc., II, p. 358 seq.

(92) Mouléras, op. loud., p. 167.

(93) Doutté, Marabouts, p. 99; Mouliéras, op. loud., p. 51, 251.

(94) Mouléras, loc. cit.,

والمؤلف نفسه يذكر كذلك بعض جماعات غياثة، ص. ٥٤، cpr في هذا الموضوع:

- de Ségonzac, Voyages au Maroc, p. 215.

وقد فحصت للتو (دجنبر ١٩٠٦) الملاحظات الأساسية التي ذكرها موليراس ودو سليمان فيما يتعلق بغنانمة مراكش. انظر:

- Gognalons, Ouled Aïssa in Bull. Soc. Géog. Oran, 1906, p. 354 seq.

(٩٥) ابن عسكر، دوحة الناشر، ص. ٩٠؛ أحمد بن خالد [الناصري]، الاستقصا، III، ص. ٢٣.

(٩٦) هذا وهو رأي جورج ماسيه في مؤتمر مستشرقي الجزائر، سنة ١٩٠٥، وم. مونتيه، من جهة أخرى، يقربها للدروزية (Montet, in Rev. Hist. Rel., nov.-déc., 1905, p. 415-428).

(97) Blau, Altjüd. Zaub., p. 36 et n. 1

(٩٨) تتضمن كتب السحر عموما فصلا حول الوسيلة التي كان عيسى يحيي بها الموتى. انظر كتابنا: السحر والدين في شمال إفريقيا (بالفرنسية)، م. س.، ص. ٨٩، هامش ٣، والفصل IV.

(٩٩) بالخصوص سليمان الذي كان يحكم الجن؛ انظر القرآن XXI، 81؛ XXVII، 17 وما يليها؛ XXXIV، 11 وما يليها؛ XXXVIII، 29، 38 على التوالي:

«ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين، ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين» (الأنبياء: ٨٠ ـ ٨١)؛ «وحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون» (النمل: ١٧)؛ «ولسليمان الريح غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ وأرسلنا له عينَ القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير» (سبأ: ١٢)؛ «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب، قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب، فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص» (ص: ٣٤ ـ ٣٧». (م)]، و[انظر] مفسري القرآن حول هذه الآيات. كان الأمر على النحو نفسه في نظر القدماء. راجع:

- Blau, op. laud., p. 31 et n. 1.

(100) Welhausen, op. laud., p. 31 et n. 1.

(101) Marrakech, p. 28 seq.

حول الغريب بصفة عامة وفي المغرب بالخصوص، راجع كذلك:

- Westermarck, Sociales relations, in Sociol. Pap., Kâfir ou mécréant exposées dans Snouck Hurgronje, Mekka, II, p. 48-49.

(١٠٢) انظر على سبيل المثال:

- Reinaud, Monuments arabes, et..., I, p. 66. Cpr. Duveyrier, Touareg du Nord, p. 418-419.

(103) Frazer, Rameau d'Or, trad. franç., I, p. 274-275.

(104) Goldziher, Die Zâhiriten, p. 18.

(١٠٥) منطقة جبلية واسعة تقع وسط اليونان. (م).

(١٠٦) Hubert, Magia, p.1500-1501 [إتروريا: كانت تقع قديما غربي إيطاليا]. (م).

(107) Cf. Snouck Hurgronje, Mekka, II, p. 119; Goldzihzr, in ZDMG, XLI, p. 48 seq.

(١٠٨) ابن الحاج، شموس الأنوار، القاهرة ١٣٢٢، ص. ٣٣، انظر كتابنا: السحر والدين في إفريقيا الشمالية (بالفرنسية)، م. س.، ص. ٦٩.

(١٠٩) ألأجل هذا تعتبر العاهرات أحيانا بمثابة ساحرات (Fossey, op. laud., p. 51) أم بسبب التجاوز الذي يقمن به من خلال المتاجرة بالجنس الذي يعتبر ذا طبيعة قدسية أو سحرية في أعين البدائيين؟ انظر كتابنا: السحر والدين في إفريقيا الشمالية، م. س.، الفصل XII؛ ص. ٤٥، هامش ١.

(١١٠) والعزلة التي تفرض على الأرامل والعازبات توجههن، من بين سائر النساء، إلى السحر. راجع:

- Blau, op. laud., p. 25. Cf. Hubert et Mauss, op. laud., p. 129.

(١١١) للوقوف على قدرة راعي الكنيسة في قرانا، راجع: Frazer, op. laud., I, p. 71.

(١١٢) Hydra أو: Haïdra مدينة تونسية صغيرة، تقع على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية الشمالية، اعتمدنا في تحديد موقعها على خرائط Atlas Mondial، باريس، هاتيي، ١٩٨٠، وهي من إعداد الأستاذ André Journaux(م).

(113) Mouliéras, Maroc inconnu, II, p. 61, 184 seq.

(١١٤) نرى أن الكاهن العربي والكوهين اليهودي هما الرجل الطبيب البدائي. أما لافرانج Et. s. l. rel. sém., p. 218، فيرى العكس، إذ يقول إن الكوهين اليهودي هو الراهب الذي انحدر منه الكاهن العربي.

(١١٥) يرى العرب أن هذه الكلمة تنحدر من الجذر (ك ر م)، مرتكزين على كون خوارق الأولياء تسمى كرامة: ولكن هذا الاشتقاق قليل الاحتمال. وسنرى أنّ موقعَ الأكورام في مجتمع الشلوح يؤكد فرضيتنا.

(116) Goldziher, Muhamm. Studien, II, p. 273.

(117) Blau, Altjüd. Zaub., p. 32.

(١١٨) انظر، مثلا، المجهودات التي يقوم بها ابن خلدون للتمييز بين المتصوفة والسحرة، المقدمة، م. س.، ج. ٣، ص. ١٨٤.

(١١٩) انظر كتابنا: السحر والدين في إفريقيا الشمالية (بالفرنسية)، م. س.، الفصلين VI, VIII.

(١٢٠) نفسه. (م).

(١٢١) انظر ابن الحاج، شموس الأنوار، م. س.، ص. ٤٠ ـ ٤٣؛ ولاحظ كيف أن الوصفات المؤذية الموجودة بالصفحة ٩٧ تنتهي كلها بعبارة «اتق الله».

(١٢٢) initiation: سبق شرحها في الهامش رقم ٢ من دراسة جان بران» الرمز والسحر» المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

(١٢٣) انظر، على سبيل المثال، الوصف الجميل لمسارة الساحر الأسترالي، في:

- Marcel Mauss, Origine des pouvoirs magiques dans les soc. austral. (Ecole des Hautes Etudes, 1904), p. 14-50.

(١٢٤) انظر مثالاً جميلاً، حوال تعداد البوني، في كتابنا: السحر والدين في إفريقيا الشمالية (بالفرنسية)، م. س.، IV، ص. ١٣٦ وما يليها (الفصل الأخير).

(125) Tylor, Civil. primit., I, p. 158.

(١٢٦) انظر التصنيف المفيد الذي أنجزه ماكويل، بخصوص الغش والأخطاء، في:

- Maxwell, Phénomènes psychiques, p. 310.

(127) Hubert et Mauss, Magie, p. 36, 92; Mauss, op. laud, in

السّاحِرة:
طُرق الانتقاء[١]

❖ نجيمة بلانطاد

تتوفر اللغة القبائلية[٢] على عدة كلمات للدلالة على المرأة التي نطلق عليها هنا اسم ساحرة. ومع أن المعنى الدقيق لكل الأسامي لا يتوفر دائماً، فإنه يمكن ترجمتها بمراعاة فوارقها الدقيقة ما أمكن.

لقِبْلَة

كلمة من أصل عربي مشتقة من الجذر (ق ب ل) الذي يعني «واجَه»، وتطلق على المطببة عموما والمولدة بالخصوص. وتتميز لْقِبْلَة عن غيرها من النساء بما امتلكته من معرفة بالأعشاب والتقنيات العلاجية. وتكتسب مهنتها بواسطة التجربة وغالباً انطلاقاً من قيامها، وبشكل اضطراري، بأول عملية توليد. إنها امرأة في سن اليأس عموماً، حبِلَت وَوَلَدَت عدة مرات، تحظى بهالة «تجعلها ستدخل الجنة مباشرة»[٣]، كما أنها مُحتَرَمة ومندمجة تماماً في المجتمع، وليس لكلمة قبلة نظير في المذكر.

تَادرويشت

اسم منحدر من الكلمة الفارسية «درويش» التي تعني الصوفي المسلم المنتمي إلى زاوية ذات هدف مُسارِّي[٤]. ومعنى كلمة تادرويشت في اللغة القبائلية هو «مجنونة». ويجب الإشارة إلى أن هذا المصطلح يتضمن إيحاءات أخرى كثيرة، إذ يتعلق الأمر بكلمة عامة تغطي عدَّة اختصاصات. ولمذكرها، أدرويش، المعاني نفسها.

تامرابطت

لهذه الكلمة معنيان: الأول يُقصَدُ به امرأة ذات قرابة صلاحية، أي تنتمي إلى طبقة الأسياد والمرشدين الروحيين، وهي صفة وراثية. وفي منطقة القبائل يعتبر الصلحاء أنفسهم كأنهم غير قبائليين، لكنهم مندمجون استراتيجياً في المجتمع مع حقهم في نيل الاحترام والتقدير وحمل ألقاب تشريفية خاصة. وهم ينفرون من التحالف مع «القبائليين» ويمارسون زواجاً طبقياً من الأقارب. ويقول ج. م. ضاليه إنهم «كانوا في الماضي مرشدين ومستشارين، وحكماء مسموعين. كانوا حكاماً في النزاعات بين

الجماعات والعائلات والقرى والقبائل. ففلانٌ أو فلان منهم قد أنقذ المنطقة من أضرار الفوضى. أرستقراطيتهم متميِّزَة وجد مُمَيَّزَة في لغة تراتبيات (وأعضاء) الزوايا الدينية ومشايخها» (ج. م. ضاليه، ١٩٨٢).

أما المعنى الثاني لكلمة تامرابطت، فتتضمنه علاقة غير مباشرة مع المعنى الأوَّل، ويقصد به امرأة لها مزايا خاصة من صنف فوق طبيعي. وهي تستمد اسمها من الولي الصالح الذي يسكنها ويعرف باعتباره صالحا، أمرابط.

لا تملك التامرابطت صفاتها بطريقة وراثية وإنما تحصل عليها خلال تجربة داخلية تربطها بصلة مَعَ مجموعة من الأولياء (أو ولي خاص). وتسمية تامرابطت نتيجة تغيير داخلي سيحول الشخص، من الآن فصاعداً، إلى «وليَّة» ويزودها بقدرات خاصَّة. ويقالُ إن سبب تسمية التامرابطت بهذا الاسم يعود إلى الروح الذي يسكنها، وهو روح خطير يُمنح هذا اللقب التشريفي لإظهار الاحترام له، وبالتالي فهو محاولة لملاطفة هذا الروح.

١. يمكنها أن تُشفى طبيعياً؛

٢. يمكن أن تظل مريضة عقلياً، أي تادرويشت؛

٣. يمكن أن تصبح عرافة - مطبِّبَة، أي تامرابطت؛

٤. يمكن أن تصير ساحرة، تاسحَّارت.

تادرويشت

تادرويشت تامرابط تاسحارت

وتبقى درجة الخطر الصَّادر عن الروح الذي يتملَّك المطبِّبَة هو ما يفرق بينها وبين الساحرة من حيث مصير كلتيهما. فبعض الأرواح يسهل تنشئتها اجتماعياً أكثر من أرواح أخرى. ومتى أمكن تنشئة الروح تنشئة اجتماعية صارت ضحيته مطبِّبَة. وعلى العكس، إذا رفض الروح قبول القيم الاجتماعية صارت الضَّحية ساحرة.

كيف يتصرَّف المجتمع لمعرفة صنف الروح الذي «يركب»[٥] الضَّحية؟ إن الطقس الذي يحدد مصير التادرويشت بعد انصرام بضعة أسابيع من مرضها، وفيه يطلب منها هل تقبل بتقديم الذبيحة (كبش)، التي ستمكنها من مزاولة مهمتها مستقبلاً باعتبارها مطبِّبَة. فإن هي قبلت ذبحت عائلتها الحيوان وأعدت مأدبة ثم وزَّعتها على أهل القرية، وبذلك يعلم هؤلاء، من الآن فصاعداً، بوجود عرَّافة - مطبِّبة جديدة. وبهذه

العلامة القربانية للاندماج في المجتمع من جديد تعود التادرويشت إلى جماعتها بعدما كانت قد ابتعدت عنها مؤقتاً. أما إذا رفضت هذا الطَّقس القرباني، فإن المجتمع سيفسر هذا الموقف باعتباره علامة لخطورة المرض. سيعتبره إعلاناً عن أن الرُّوح الذي يملكها هو عدو معيَّن وأكيد يرفض الحوار مع الجماعة[٦]. وفي هذه الحالة تتعذَّر إمكانية إعادة إدماج المريضة من جديد في الجماعة، وبذلك ستعيش تهميشاً حقيقياً. ستصير إذن ساحرة مكروهة ومُهابَة، ما لم تبقَ في جنون عقيم.

ورغم التقاء التامرابطت والتاسحارت في كونهما معا يملكهما روح، فإنهما تختلفان في مدى تعارض هذين الروحين مع الفكر السحري الديني. ففيما يتبدَّى الروح المالك للتامرابطت قديساً إسلامياً وليّا، ظهر روحُ التاسحارت باعتباره روحاً شريراً. وهذان الروحان اللذان يُوصَفان بالرجوع إلى الإسلام ليسا بلاشك سوى الاستبدالات التي طرأت على أرواح الموتى خلال التاريخ الديني.

هناك اختلاف آخر ملحوظ بين المرأتين يكمن في قدرة - أو عدم قدرة - كلتيهما على التحول. فبينما تستطيع التاسحارت أن تتحوّل إلى حيوان (ضفدع، قط، ...) أو شيء (جرَّة ماء، قِدر)[٧]، تعجز التامرابطت عن ذلك.

رغم وجود هذه الاختلافات بين التامرابطت والتاسحارت، فإنهما لا زالتا تنعتان معا بتسمية تادرويشت الأكثر عموماً، وهي أفضل طريقة لوسم حالتهما السابقة للجنون. ورغم أن اللغة تمنحهما أسماء جديدة والمجتمع يحدد لهما وضعاً جديداً، فإنهما تظلان، رغم كُل شيء، موسومتين مدى الحياة بمرحلة خللهما النفسي. وسواء أتطورت التادرويشت إلى تامرابطت أم إلى تاسحارت، فإنها تبقى دائماً تادرويشت، أي مجنونة[٨]. ويترتب عن هذا أن الجنون مرضٌ لا يداوى أبدا بالكامل، وأنه قادر على الظهور في أية لحظة. ويساهم في تقوية هذه الفكرة نوعُ الباتولوجيا العقلية نفسه السائد في المغرب العربي (وفي سائر المجتمعات البدائية عموماً)، والذي تُكَوِّنُه الهستيريا والفورةُ الهذيانية.

يوجد نوع آخر من التاسحارت (السَّاحرة) لا يُطلق على صاحبته أبدا اسم تادويشت، وسبب ذلك هو أنها لم تعرف خللاً نفسياً، وإنما حصلت على هذه الصفة إما عن طريق النقل النَّسَبي أو بمحض الخاطر عبر إخضاع نفسها لُمسَارَّةٍ. في الحالة الأولى، نكون أمام مجرَّد امرأة تنقل معرفتها إلى ابنتها التي غالباً ما تخدمها باعتبارها

مساعِدة في مهنتها. وفي الثانية، يتعلق الأمر بامرأة تجري مسارَّة سرية. ويَعرضُ م. دوفلدير (١٩٥١) المسارَّة مختصرا إياها في نوعين:

- الأوّل تقوم فيه التاسحارت بحزٍّ رأس لسانها ثم تُلَحِّسُه لتلميذتها فتجعلها بذلك تبلع دمَها.
- الثاني نوعٌ من المسارَّة الذاتية، تكتفي فيه التاسحارت بلحس ظهر سُرفُوتٍ من الرأس إلى الذيل ثم تبلع بعد ذلك ريقها الممزوج بإفرازات هذا الحيوان شديدة المرارة. وتشكل القدرة على ابتلاع المادة التي يفرزها السّرفوت باعتباره العنصر المساري الوحيد.
- أما أنا، فلم أصادف أية تاسحارت اجتازت مسارَّة، صادفتُ فقط تادرويشت. كما لم أتمكن من معرفة أي شيء عن المسارَّة، كما لم أسمع أي حديث عن مسارة من النوع الذي أورده دوفلدير.

تاكزَّانت

كلمة تُطلق، حسب ج. م. ضاليه، على العرَّافة التي تتنبأ بالمستقبل، وعلى الشحاذة أيضاً. وقد سمعتُ شخصياً هذه الكلمة تُستعمل بمعنى العاهرة التي تراود الرجال في أزقة الجزائر لتتحكم فيهم بعد ذلك عن طريق أعمال سحرية لا تعرفها إلا هي. ولا يمكن أن تكون التاكزانت إلا امرأة عربية رحَّالة حسب ما يقوله القبائليون. إنها توحي بالفزع والجحود، ولذلك ينفر الناس من طلب خدمتها. والمذكّر أكزان موجود كذلك.

تَامْكاشْفْتْ:

(مذكرها: أمكاشف) ويعرفها ج. م. ضاليه باعتبارها عرَّافة. والكلمة مشتقَّة من الجذر العربي (ك ش ف) الذي يعني تنبأ وألقى نبوءات.

تاعزامت:

(مذكرها: أعزَّام) مأخوذة من فعل عزَّمَ. يتعلق الأمر، إذن، بالمُعَزِّمَة أو المعوِّذَة.

تامْسْنسِيتْ:

ليس لها مقابل في المذكر. والكلمة منحدرة من فعل نْسْ «قضى الليل»، صار السّنس «قضّى الليلة»، ثم تامسنسيت بالتسمية.

إن هذه الوفرة من المصطلحات[٩] التي تطلق على الساحرة (واللائحة بالتأكيد ليست شاملة) تعكس المكانة التي يحتلها السحر في حياة القبائليين. وإذا لخصنا هذه التعريفات حصلنا على اللائحة التالية:

١ - لقبلة: المولِّدة، المطبِّبَة؛

- مرابطت: عرافة - مطببة
- اسحَّارت: ساحرة

٢ - التادرويشت:

٣ - تاكزَّانت: كاشفة الحظ أو المتنبئة بالغيب؛

٤ - تامكاشفت: عرافة، كاهنة؛

٥ - تامسنسيت: مناجية الأرواح

ورغم تباين هذه الأسماء الثمانية لغوياً، فإنها تظل بعيدة عن أن تشكل وحداتٍ منفصلة. ففي الممارسة لا تقف الشخصية المعنية بأحد هذه الأسماء عند «اختصاصها»، بل تزاول في أغلب الأحيان جميع الوظائف، مما يعيق عملية تصنيف نشاط هذه المرأة أو تلك ضمن الاسم المطابق لها ما عدا لقِبلَة التي تبقى أكثر قابلية للإحاطة. وهذا التعدُّد في المعاني هو ما قادني إلى إطلاق كلمة ساحرة عليهن جميعا بلا تمييز. فمفهوم السحر له معنى واسع بما فيه الكفاية للإحاطة بمختلف الأنشطة المذكورة. والقبائليون أنفسهم يجدون صعوبة كبيرة في إعطاء معنى دقيق لكل واحد من هذه المصطلحات.

ميزاتٌ وعُيُوب

تستمد الساحرة إذن خاصيتها من مرحلة سيكولوجية متميزة تجعلها تتطوَّر نحو وظيفتها الجديدة. وهذه هي الحالة الأكثر انتشارا بما أنه لا يمكن للمرأة، حتى ولو كانت تنتمي للطبقة المرابطية، أن تصير ساحرة إلا بعد مرورها بهذه التجربة الداخلية.

في الواقع توجد نساء مرابطيات بشكل مزدوج، مرابطيات بولادتهن ومرابطات بالولي الذي يسكنهن. وهن ساحرات يحظين بامتياز أكبر من نظيره الذي تحظى به اللواتي ينحدرن من عائلة عادية كما لو أن الاصل الاجتماعي العالي يزيد من سلطتهن السحرية.

تملك الساحرات هبات روحية ليست هي كل ما لديهن؛ فمن الشائع جداً أن تنضاف إلى هذه الهبات عاهات جسدية (الحدبة أو قوس الظهر، العمى...) أو خفة متميزة في تحريك الجسد. وقد كانت إحدى العرافات اللواتي زرتهنَّ تدهش حقّاً

زبوناتها بجعلهن يضعن أيديهن في صدرها وهي تحركه. وأنا نفسي استحوذ عليّ انطباع ببلبلة وتشوش لا يمكن وصفه. وهذا التشوش في صدر الساحرة هو الذي يكشف عن السحر الذي يستهدف الزبونة. كما يذكر بالمعتقد القبائلي الطفولي الذي يرى في قرقرات البطن حربا بين الأمعاء الجائعة المتخيلة بمثابة أفعى. ففي هذا التمظهر لِغاز الأمعاء لا يمكن إغفال العثور على الرابط الموجود بين السحر والثعبان.

يعتبر تحريك الهواء داخل الجسم خاصية عامة عند الساحرات. ويشكل الجشاء أكثر مظاهره بساطة. وكلما كانت الجشآت هامة وكثيرة عند الساحرة علمت الزبونة أنها مصابة بالسحر السلبي. وكل النساء يعرفن تفسير هذا التجشؤ المطوَّل والجهوري بالخصوص.

علاوة على العلامات والقدرات الجسمية، تملك الساحرة قدرات أسطورية ألصقتها بها «الأقاويل». ورغم أن هذه المزايا (أو القدرات) لا يتم التأكد منها بالتجربة، فإنها تبقى لاصقة في العقول. فهي تستفيد من هالة تمتد لتشمل حتى أقاربها وممتلكاتها. فمن الأدوات والأشياء التي تستعملها يفيض السحر القادر على تحقيق المشاريع الشخصية بسهولة. وكل أنشطتها، سواء النهارية أو الليلية، مَحْبُوة بالسحر: تحضير الوجبات، وتدبير شؤون المنزل، وإقامة الصلاة، ما تتلفظ به من كلمات وما تراه من أحلام، الخ.، لكل تلك الأنشطة شأن أعظم من تلك التي تزاولها المرأة العادية. وعندما ترى حلما، فإنها ترويه لزائراتها اللواتي ينتظرن تفسيرها له وهن كالمعلقات في شفتيها. والمعنى الذي تقدمه يرضي دون أدنى شك المستمعات. ويمكن فتح قوس حول الأحلام لإعطاء بعض التوضيحات عن تفسيراتها حتَّى نتمكن بسهولة من ملاحظة كيف يتم إخضاع التفاؤل بالرؤى للقيم الاجتماعية. رغم أن التفاؤل موجود في القبائل، فإنه لا يوجد (أو لم يعد يوجد) مُفسِّرٌ اختصاصي للأحلام مثلما وجده ب. كيلبورن (١٩٧٨) في المغرب. فالقبائليون يملكون «مفتاحاً للأحلام» يتناقلونه جيلاً عن جيل ويُمَكِّنُ كلَّ فردٍ من العثور فيه على دلالة حلمه. إلا أنَّ النساء العجائز هن الأشخاص المؤهَّلين اليوم لتفسير الأحلام.

كما هو الشأن في المغرب، يفسر القبائليون الحلم دائماً بالرجوع إلى القيم الاجتماعية حتَّى لو كان محتواه يعبِّرُ عن رغبة فردية ظاهرة. وفيما يلي مثالٌ عن هذا التفسير.

❖ الحلم: ترى امرأة متزوجة نفسَها زوجة لرجل آخر من القرية.

- التفسير الثقافي: ستلد صاحبة الحلم عما قريب مولوداً ذكراً.

ونرى كيف «أعادت» الثقافة «تكييف» هذا الحلم حيث صار محملاً بمعنى الخصوبة، بينما هو حلم في الزِّنَى إذ يعبر عن رغبات جنسية بشكل لا يقبل الجدل.

إن تفسير الأحلام تفسير ذاتي يأخذ بعين الاعتبار، وفي آن واحد، علاقة عناصر الحلم بالواقع والوجدانات الشخصية الأولية لصاحب الحلم حينما تكون هذه الأخيرة غير مقموعة ثقافياً.

تشاهد المرأة حلما ترى فيه بقرةً تنظر إليها بإلحاح، نظرة تكشف عبرها عن نوايا عدوانية تجاه صاحبة الحلم. في الغد طبعاً، تحكي المرأة حلمها المقلق لامرأة أخرى من البيت مع الإدلاء بتفسيرها الشخصي: ليست البقرة، في اعتقادها، سوى أخت زوجها التي تعتبرها منذ وقت طويل عدوَّة لها. فهذه الأخيرة بالضبط بدينة (كالبقرة)، وذات عينين كبيرتين. فمن قبل، كثيراً ما عَزَت صاحبة الحلم أمراض أبنائها إلى عين أخت زوجها هذه. وليس ما صادفته في الحلم سوى هذه العين الشريرة. إنها تشير إليها بأن عليها أن تضاعف الحذر وتراقب تصرفات أخت زوجها التي لا شك أنها تلقي عليها سحرا ما. ولا يبقى هذا الحلم، في اعتقادها، انعكاساً «صحيحاً» لدواخل ومكنونات أخت زوجها فحسب، بل هو أيضاً إنذار. وهكذا يمارس كل فرد العِرافة لحسابه بواسطة ما يراه من أحلام. وليس في ذلك ما يدعو للتعجب في مجتمع تظل ممارسة الحِضَانة فيه معروفة جداً. لقد كان الأمر يتعلق في هذه الممارسة بقضاء ليلة في مكان مقدَّس (ضريح، مغارة...) لرؤية أحلام مضيئة للواقع أو التزوُّد بتوجيهات للعلاج في حالة الحضانة العلاجية. ويرد ج. كامب (١٩٦١: ١٥٠) هذه الممارسة إلى المناخ المتوسطي الغربي: «كذلك يشير أرسطو إلى أنه طقس كان للصَّارديين في عصره) وبالتأكيد منذ وقت أطول بكثير) عادة النوم قرب قبور أبطالهم: إنه طقس الحضانَة كما يمارسه البربر حتَّى اليوم».

تتصف مزايا الساحرة وقدراتها بالتعارض الوجداني: فهي تستطيع مساعدة زبونتها كما هي قادرة على معاكستها. وقد بدا لي من خلال الملاحظات العديدة التي تمكنت من إجرائها أن ما تبديه النساء إزاء الساحرة من احترامٍ وتقدير إنما يعود في معظمه إلى خوفهن منها.

لا يخفى على الزبونات اللواتي تلازمن الساحرة الجانبُ السَّقوطُ في شخصيتها. إلا أنهن لا يعزين إليها ما يشعرن به من خوفٍ، بل يعتبرنَه مِن تحريض الروح الذي

يملكها. فهذا الروح شديد الحساسية والتأثر لا يتساهل مع أي انحراف: إنه كثير المطالب، يفرض أحياناً أعمالاً مؤلمة، وسُلطوي لا يمكن إلا طاعته. وكثيراً ما يجد من المبررات ما يكفي للحقد على الساحرة[١٠]. إنَّ المرأة التي تنتمي إلى صنف التامرابطت لا تمارس مبدئياً السحر السلبي، على الأقل فيما تزعم، إلا أن الأمر يخالف ذلك تماماً في الممارسة. أما أنا، فمن مجموع التامرابضين (وهذا هو الاسم الذي يطلقنه على أنفسهن) الأربع اللواتي زرتهن لم أسمع إلا واحدة تنفر فعلاً من إبطال السحر السلبي، ولم أرها أبدا تستعمله. لكن هل بإمكانها فعلاً أن تبطل السحر الذي تلقي به الأخريات ما لم تكن لها دراية دقيقة بهذا النوع من الأعمال؟ لقد كانت هذه التامرابطت تكشف جميع أعراض السحر التي تعاني منها زبوناتها لتصف لهن الأدوية بعد ذلك. إن كل امرأة قبائلية، حتَّى وإن كانت أكثرهن سذاجة، بإمكانها تصوُّر ما هو السحر الشرير وترياقه، وذلك بفضل الفلكلور الغني المتوافر عن هذا الموضوع.

التاسحارت التي لم تمر بمرحلة التادرويشت هي التي تحمل عيوب الساحرة ونقائصها. فهي امرأة غير مريضة، وبالتالي فهي غير ممسوسة، تؤثر إرادياً وبطريقة مسؤولة، ولذلك فأعمالها لا تغتفر. شرورها وآثامها شديدة الخطورة لأنها قادرة على القتل والتفرقة بين الزوجين وتحريض أفراد العائلة الواحدة بعضهم ضد البعض الآخر.

رغم أن الممارسات السحرية المعاصرة تضطر أحيانا للاستجابة لطلبات جديدة، فإنها تعتمد دائماً المرتكزات نفسها. فالعناصر السماوية والنباتية والحيوانية، الخ. تبقى متماثلة حتى وإن أضيف إليها أحياناً عنصر جديد. ويسمح هذا الثبات الشكلي بصياغة السؤال التالي: هل النساءُ مالكات القدرات فوق الطبيعية هن اللواتي يقاومن التحولات الثقافية أكثر مما يقاومها الرجال، مع أن هذه التحولات قد تبدو لهن قبلياً لصالحهن؟ إن هذه المحافظة لا تعود بالتأكيد إلى وجود سيكولوجية أنثوية افتراضية خالصة، وإنما ترجع إلى النظام الاجتماعي نفسه الذي جعل منهن مؤتمنات على العالم فوق الطبيعي. إن التطابق امرأة = فوق الطبيعة هو الذي يبقيهن في موقعهن. ومن المعروف تاريخياً أن ما هو فوق الطبيعة يشكل الرائز النفسي الثقافي الذي يقاوم بشكل أفضل حتَّى أكثر التحولات عنفاً. فهو لا يبقى على حاله فحسب، بل يتقوى ويتطور في المجتمعات التي تعاني وضعاً فوضوياً وغير نظامي.

قلب القيم:

تتميَّز الأنوثة بانطلاق حركاتها من الخارج واتجاهها نحو الداخل، باتجاهها من الخارج إلى الداخل. ويمثل الحركات المتجهة نحو الداخل، أو الحركات الجاذِبَة، فعلُ جَمَعَ أو كدَّسَ. أما الحركات النابذة، فيمثلها فِعل أسْرَفَ وبذَّرَ، وهي تشارك أساساً في الذكورة. ويمكن تمثيل هذين الموقفين كالتالي:

دينامية أنثويــة دينامية ذكورية

يرتكز الانقسام الأسطوري للعالم على الانقسام الجنسي. وتأتي الساحرة من موقعها الاجتماعي الخاص لتخلط هذا النظام بتلاعبها بالحدود المقبولة. فرغم كونها امرأة فيزيولوجيا فهي تخفي وضعاً جنسياً غامضاً. وسلطتها في الحقيقة ليست ملكا لها وإنما للروح الذي يملكها. أيضاً، ليست هي التي تتلفظ بعزائمها السحرية، بل يقوم بذلك رجلٌ يستعير فمَها ويرشدها فيما تقوم به من حركات. وعلى مستوى اللباس، سنرى أن للا فاضمة ترتدي البرنس أثناء ممارستها لبعض الطقوس. وعادة ما يمنح هذا اللباس للرجل شرفا وسيادة.

بالإضافة إلى ذلك، فهي تكثر من العلامات الخارجية للديانة الإسلامية الأرثوذكسية (امتياز ذكوري) التي تمكنها، مثلاً، من إقامة الصَّلاة ومرافقة الميت إلى المقبرة، الخ. وتقودها هذه الشرعنة الشخصية ـ بواسطة الدين الرسمي ـ إلى الوضع الاعتباري الذكوري والاستفادة من امتيازاته، فتصير شخصية عمومية وتذوق تجارة المال وهما وضعان اعتباريان مقصوران على الرجل. وهي نفسها تبرر استعمالها للنقود قائلة: «تُعطاني [النقود] لكنني أعيدها».

والحالُ، إن الحركة السَّخية هي ما يعلي الشرف الذكوري. إن السَّاحرة بجميع هذه السمات والسلوكات، تبدو كأنها تقول: «إني امرأة، لكنني رجلٌ أيضاً»، وهو ما يمكن تمثيله على النحو التالي:

دينامية ثنائية الجنسية

بالنظر إلى العلاقات الموجودة بين الهستيريا والثنائية الجنسية، وبملاحظة أن الهستيريا هي الاضطراب النموذجي الأنثوي في هذا المجتمع، يمكن فهم ما تحققه النساء من إشباع عبر معاينتهن للازدواج الجنسي عند الساحرة. فهنَّ يتمكنَّ من إشباع،

وبشكل «تفويضي»، غرائزهنّ الجنسية الذكورية الكامنة مع تقوية قدرتهن الداخلية على كبح هذه الغرائز نفسها.

مثـــال:

إن أفضل طريقة للإحاطة بخصوصية الساحرة عن كثب هي، بالتأكيد، عرضُ مثال محدَّد.

ولذلك سأختار مثال للا فاضمة التي سبقت الإشارة إليها في عدة فقرات من هذا البحث. ليس وراء هذا الاختيار أي باعث قبلي. لقد فرض نفسه لسبب وحيد، هو أن للا فاضمة كانت الساحرة الوحيدة التي قبلت مساعدتي «بصدق».

لقب «للا» التشريفي الذي يسبق الاسم الشخصي ليس من إضافتي. إنه يرفَقُ دائماً الاسم الشخصي للنساء التيمرابضين (وليات صالحات أو ساحرات)، ومعناه «سيدة» و«سيدتي». وبهذا اللقب يتم رفعهن فوق النساء العاديات. فاستعمال «للا» باعتباره نعتا أو صفة يميِّزُ إيجابيا المرأة كما في جملة «للاَّ ـ سْ تّلاوينْ» التي تعني «أفضل النساء». وأحيانا يتم استبدال «للا» بكلمة أخرى هي «نانّا»، وهي لقب للاحترام معناه «أختي الكبرى»، كما يعني عموما كل امرأة أكبر سنا من الناطق(ة) به.

للا فاضمة امرأة يناهز عمرها ٥٥ عاماً، بشوشة الوجه، تحب الصحبة والدعابة. تزوَّجت في سن الثلاثة عشر، وهي أم لـ ١٢ ولدا بالإضافة إلى كونها حملت ١٢ مرة أخرى انتهت جميعاً إما بوضع مولودٍ ميتٍ أو بالإجهاض. ومن بين أولادها الأحياء ٧ متزوجون. أما الـ ٥ الآخرون (٣ بنات وذكران)، فلا زالوا يعيشون معها في بيت واحد. الذكران يعرضان اضطرابات سيكولوجية وسبق لهما أن دخلا مستشفى الأمراض العقلية. ومؤخراً، مات أحدهما في المستشفى في ظروفٍ مجهولة. زوجها يشتغل عاملاً في شركة وطنية، ولا يأتي إلى المنزل سوى للأكل والنوم. هي التي تدير حياة البيت. أما هو فليس له أي كلمة يقولها، حسب ما يبدو؛ ففي حالة زوجية عادية، سيجد رجلٌ مثله من المبررات ما يجعله يقف ضد زوجته التي لا تملك أي وقت للقيام بواجباتها الجنسية نظراً لانصرافها كلياً لأنشطتها. أما أشغال المنزل وتحضير الوجبات، فتقوم بها في أغلب الأحيان بناتها أو إحدى الزبونات المترددات على البيت. بالإضافة إلى ذلك، فهي تتمتع بحرية في التصرف والتحرك تحسدها عليها العديد من النساء.

لقد أمدَّتني لـلا فاضمة بالعديد من عناصر حياتها الشخصية، وذلك بإبداعها الخاص. فقد حكت لي قصَّة مرضها وقَدَرها على شكل نشيد شعري. وقبل أن تشرع في إنشاد حكايتها بدأت بمناداة الأولياء:

الله، أيها الأولياء
أواهٍ يا مولاي علي موسى
مساء ذات خميس
حلَّت بي مصيبة
فسلكت سبيل العالم المتوحش[١١]
مرضتُ ١٨ عاماً
لم يعثر الطبيبُ على أي دواء
أما أنت، يا مولاي علي موسى
فإني قصدتُك مضحية بأولادي
ورطتُ حتى إخوتي
وبكى زوجي
ولبستُ البرنس
والمسبحة هي كل ما في حجري
الناسُ جميعا يهرعون إليَّ
كل منهم يقولُ قولا.
بمرض إلهي أنا مصابة
في الأعشاب وجدتُ دوائي
كم رجوتُ الإله العالي
في ليالي متوالية
إنه المعلم أحمد بودربالة
قلت: «أواهٍ يا مولاي بلوى»
فجاء من [مسلك] العنق
قصدتك كل يوم
أصبحتُ كسونونو
أعطاني رجال الله الدواء

ثبتوني في المركز

يا مستشفى س

نظمت فيه قصيدة

أمّك، سأمضي إلى أن أصل إليها

كان الجميع يبكي

سألتُ سيدي علي موسى

من الله يأتي دواؤه

أنا الآن أمسك المسبحَة،

وبفضل الله نفسه أنطق [بالنبوءات]

أواهٍ يا شجرة دائمة الخضرة

الآن انتهت سعادتي

استيقظتُ ذات فجر

وأبوايَ عليّ يبكيان

وحتّى زوجي أتى

ماذا بوسعي أن أفعل من أجلك يا أختي؟

مشيتُ في الجبال،

ذلك هو الدواء!

من الخميس إلى الجمعة

الصّلاةُ دائماً هنا،

أبنائي مرضى

في المستشفى نحنُ

أخرجوا حبيبي من قلبي

مولاي عمر وفيٌّ للعادة!

[كم] ناشدتُ ك...[١٢]

احمني يا ولدي الحبيب!

قال: يا ابنة بلدي

لا تخافي يا أختي.

أنا مع الحليم الحبيب الرؤوف

عالي المقام (في تراتبية الأولياء)
لما هرع هـ[١٣] إلـيَّ،
لا تخافي يا أختي
ابنك، منحناه أدوية
هو الآن بخير
الله، الله، شجرة الحياة
همومي كثيرة
فليضع الله حدّاً للبؤس والشقاء.

لما كانت للا فاضمة تنشد قصيدتها هذه، كانت بضع نساء حاضراتٍ، فلاقَين صعوبة في إخفاء تأثرهن. هل كان ذلك هو سبب توقفها مدة قصيرة عن الإنشاد لتستأنف بعد ذلك عرض شعرها بلا ترنُّم؟

انتظرن يا أخواتي
لما كنتُ مريضة طوال ١٨ سنة
مات ١٢ من أولادي.
ما من أحد إلا وقال قولا
وفي تلك الأقاويل ساهمت حماتي
وأضافت لي ضرَّة
لما جاء زوجي
قال: لا تخافي يا أختي
رجال الله أعطوني الذكر والأنثى،
ولكن الآن، هو المَسُّ
أمسك السُّبحة
كثرت الأقاويل من حولي
أخالُ أنني مجنونة
لم أجد دوائي عند أي طبيب
تعلمتُ الأدوية جميعا
من الأعشاب تعلمتها
رجال الله أعطوني إياها

أداوي الرّضّع، وأولّدُ
لقد جاء [الملوك/الأرواح]، فصرتُ للمسلمين طبيباً
في منزلي، هنا يا أخواتي
أنا، جاءني هذا من السلطات
أنا ابنة عائلة كريمة
أحبُّ أن يكون الشرف عادة.
صار بيتي سوقاً
أخواتي يزرنني؛
الوُطانيَّة أكلمها
أرفعها عاليا كالذهب والفضَّة.
من أحببتهم فهم إخوتي
لما أجلس معهم حول مائدة واحدة
أحدهم، م.، [يكون] عاملا
والآخر، ل.، مفوّض
عند العرب، وليس هنا[١٤]
والآخر، ك.، يتكفل بشؤوننا
بكيت على أخواتي
على أبويّ اللذين هجراني اليوم
لي زوجة أب
لم أكن أحسب أنها ستفعل بي كل ما فعلت
أصبت إخوتي
وحتى أبنائي
ها أنا الآن في مكان منعزل
فيه أسكن عادة
ليلة الخميس لا أقضيها هنا
ما من ولي إلا زرته
حتَّى بلغ عددهم ٣٥ وليا، يا أخواتي
أرى من تأتي من الشرق والغرب

تزورني، هنا
أذرف دموع الشفقة
أتوكّل على الله
إنه ما يليق
لا أعتقد،
الموت موجود
سنكون رفاق الشرف
ذلك هو الـ«بخير»
كل شيء إلى الله، إلى العالي، يعود
نحنُ، سنمضي مع الهوة
ذلك أن الخوف يوجد، يا إخوان الهنا،
لأن من لم تعد الحياة راغبة فيه،
لم يتصدق.
نحن، سنعود، سنعود
حتى وإن كان الأمر هكذا.
قليلٌ من الخديعة
لم نحمِلَه هنا.

أنجزتُ هذه الترجمة بعد تفريغ التسجيل الصوتي، كما سعيتُ إلى جعلها قريبة جداً من النص القبائلي لإيقاف اللغة العربية على صعوبة تفسير هذا النوع من الإبداع الشعري الذي يعتم معنى أبياته كل من طبيعته الباطنية وكثرة رموزه وعمل المتخيل. غير أن ذلك لا يمنع من استخراج الأحداث الآتية بفضل بعض العناصر البارزة في النص: مساء ذات خميس؛ ذهبتْ إلى العالم المتوحش؛ مرضتْ طوال ١٨ عاماً؛ لم يجد الطبيب أي دواء لمرضها؛ جميع ليالي الخلوة في العالم البري كانت مخصصة لمسارّة معرفة الأعشاب؛ كان الأولياء (الأرواح) يرشدونها دائماً؛ قلقها الحالي على ابنها الذي دخل المستشفى. وهذه النقطة لا تروي حدثا ماضيا متزامنا مع بداية مرضها، وإنما تصف حالة راهنة. بوضوح متناه تقيم لـلا فاضمة رابطاً سيكولوجيا يُوَحِّد ـ بواسطة التداعي[١٥] ـ مرَضَها مع مرض ابنها، والحال أن بين المرضين مسافة زمنية تقارب ٣٥ سنة.

ومن الجزء الثاني من القصيدة، ولم تنشده، نعلم أنها فقدت ١٢ ولداً؛ أن أباها تزوج ثانية بامرأة كانت بالنسبة إليها أما شرسة، وأنها اليوم بدون والدين. كما يخبرنا هذا القسم أيضاً عن حالة إخوانها الجيدة اجتماعيا واقتصاديا. فضلاً عن ذلك، لقد قالت لي إنها زارت ٣٥ مكاناً مقدساً. ومع أنها لم تهتم بالتسلسل الزمني لزيارتها مختلف هذه الأضرحة، فقد ذكرت أسماءها جميعاً كما كانت تتواردُ في ذهنها[١٦]. كما أولت عناية خاصة بثلاثة أولياء منهم: سيدي محمد أمزيان[١٧]، وهو أول من زارته، ثم مولاي علي موسى[١٨] الذي يعتبر معلمها، وأخيراً سيدي محمد بن مرجة[١٩] الذي جعل منها مطببة.

إذا كانت للا فاضمة تدَّعي أنها مرتبطة بكل هذا العدد من الأولياء، فذلك يرجع لكونها تعتقد أن هذه هي الوسيلة المؤكدة لإظهار اتساع معرفتها وبركتها، وتنوعهما ومشروعيتهما. فهما واسعتان لكونهما تنحدران من جميع أولياء القبائل وما وراء القبائل. وهما مشروعتان لأن جوهرهما معا ديني.

تحمل المعلومات السابقة على الاعتقاد بأن مرض للا فاضمة يشكل نموذجاً للسلوك السيء، منظًما اجتماعيا، قادها إلى الاعتزال. لقد صارت عرافة ـ مطببة بعد تجربة داخلية تعتبر علاماتها المساريّة الأكيدة، علامات نوعية لهذه الطريقة الاختيارية. هذه العلامات هي:

١- هذيان هلوسي مع رؤية و/أو سماع روح أو عدة أرواح؛

٢- سفر مُسَارِّي يتضمن:

أ- خلوة في الجبل،

ب- حوارٌ مع الأرواح،

ج- مُسارَّة للتداوي بالأعشاب.

٣- عودة إلى الجماعة بوضع اعتباري جديد.

٤- التكفل بوضع حد لمعاناة الآخرين.

وهذا المرض المسارِّي لا يبرر قدر المرشحة للتحول إلى عرافة فحسب، بل ويستعبدها أيضاً. فهي ملزمة بالتصالح والتعاهد مع الأرواح التي التقت بهم، وإلا فقد يكبدونها معاناة أسوأ ما لم يقتلوها.

ثمة شبه ملحوظ بين جميع هذه السمات وسمات الشامان[٢٠] المعروفة في العالم الآسيوي. وهي تظل متميزة في مجتمع لم تثبت فيه بعدُ مسألة وجود ظاهرة دينية

شامانية قديمة. بيد أنه مع استحالة الحديث هنا عن شامانية محققة، يمكن الكلام عن مجرد سمات أو عناصر شامانية موازية. فالخلوة في العالم البري (رمز الموت) مع اجتياز اختبارات فيزيولوجية (حرمان جنسي وغذائي) تذكر بالموت المساري لدى الشامانيين الجدُد. بالإضافة إلى ذلك، ليست حكاية للا فاضمة شيئاً آخر غير الرحلة الداخلية التي يعرفها كل شامان، والتي يمكن أن نذكر منها ثلاث نقط على الأقل:

- الغناء.
- التعرض لـ «مصيبة إلهية».
- التماهي مع طائر السونونو والطيور المهاجرة، الذي يدعم فكرة الروح الرحالة.

لكن إذا أقمنا التمييز الكلاسيكي بين الشامان أو الممسوس بالأرواح واعتبرنا الأول يستمد خاصيته من قدرة روحه على السفر إلى عالم الأرواح والثاني يستمدها من جسمه المسكون، وصلنا إلى نتيجة أن للا فاضمة امرأة ممسوسة أكثر منها شامانة. ذلك أن الأدرويش القبائلي هو، قبل كل شيء، شخص «يركبه» روحٌ. والمركوب لا يغير عالمه وإنما يغير هويته، أما الشامان فيسافر ويغير العالم، لكنه يحافظ على هويته. وللا فاضمة تجمع بين عناصر مكونة للحالتين. فهل يمكننا بذلك أن نعتبرها شامانة ممسوسة؟ إذا كان هذا السؤال ممكن الطرح، فإن الإجابة عنه تظل مستحيلة.

تتضمن تجربة الشامان الشطحية ـ التي تؤدي إلى انتقائه ـ تعذيبات وتفسخات للجسد ثم بعثا، كما تتضمن تعليمات تستكمل فيما بعد على يد الشامانيين الكهول. ويرى م. إلياد أن هذا الموت ـ الانبعاث المسارِّي يعادل الشفاء. فالشامان مريض أفلح في استرجاع صحته، «داوى نفسه بنفسه». وعلى العكس، لا يعتقد ج. دوفرو أن الشامان يُشفى. فهذا الأخير، بحسب رأيه، هو «عنصر اجتماعي مخل بالنظام». أن يكون الشامان كائنا يعاني من عُصابٍ خطير أو حتى من ذُهان، فذلك لا ينجيه من قبضة المجتمع الذي يعتبره مريضاً في حالة شفاء مؤقت. ولهذا السبب، بلا شك، تستعمل بعض اللغات اسماً واحداً لتعيين المجنون والشامان. وفي ما يخص اللغة القبائلية، لا زالت كلمة تادرويشت التي تُطلق على المجنونة تطلق أيضاً على الساحرة، لأن الجميع يعرف جيدا أنها لا تشفى أبداً بشكل نهائي. ومما يعزز هذا التصور الأزماتُ التي تعيشها تلك التادرويشت دورياً، ثم كونها هي نفسها تشعر بضرورة زيارة أحد المطببين الذي يعلوها تراتبيا، ويكون في أغلب الأحيان رئيس جمعية دينية. ويتجلى اضطراب الساحرة تجاه

الثقافة ذاتها من خلال الأقاويل الرائجة حولها؛ فهي امرأة مجنونة، تشكل خطراً على أقاربها وعلى الآخرين، تفرض هبات وأعطيات مهمة في أغلب الأحيان فتسلب بعض العائلات الفقيرة، ثم إنها لا تعامل جميع زبوناتها بطريقة متساوية»[٢١].

يشهد كلٌّ من الوعي الحاد بكون العرافة امرأة مريضة، وإطلاق اسم التامرابطت (ولية) عليها، وهو مجرد مراوغة كلامية لا أحد من السذاجة بحيث يغترّ بها، والإحساس بالخوف منها، يشهد كل ذلك على وضعها المتفرد. ويرى ج. دوفرو أن الحالة الشامانية تشكل، بالنسبة للجماعة، جنونا بالتفويض؛ فالشامان «مجنون» باسم أعضاء الجماعة ولحسابهم مادام جنونه يتيح لهم الحفاظ على «شبه توازن سيكولوجي» (دوفرو، ١٩٧٧: ١ ـ ٨٣). ويرى ليفي ستراوس أن المركب الشاماني يتكوّن من ثلاثة عناصر: «تجربة الشامان نفسه الذي يعاني من حالات خاصة ذات طبيعة نفسية جسدية، وتجربة المريض الذي يشعر ـ أو لا يشعر ـ بتحسن، وأخيرا تجربة الجمهور الذي يشارك هو الآخر في العلاج» (ليفي ستراوس، ١٩٧٤: ١٩٧).

تزاول للا فاضمة مهمتها منذ عشر سنوات. وقد بدأ مرضها بعد انصرام بضعة أيام على وضعها لمولودها الثالث. وتتميز مسارّتها أساسا بالطول، حيثُ إذا أجرينا حسابا بسيطا بين سنها في بداية مرضها (٢٠ عاماً) وعمرها لما بدأت ممارستها (٤٥ عاماً) توصلنا إلى أنها قد اجتازت مدة مسارية استغرقت حوالي ٢٥ سنة. وهذا يجد تفسيره في كون وظيفة الساحرة لا يمكن أن تمارسها امرأة حديثة السن. كان عليها، إذن، أن تنتظر سنوات عديدة قبل أن تزاولها.

بحسب قول للا فاضمة، لا تنتهي المسارة أبداً. ولذلك فهي لازالت تواصل زياراتها لمسؤولي الزوايا الدينية النائية جداً في بعض الأحيان. وكلما بعُدت وجهة زيارتها تمّ تعليق أهمية كبيرة على ما تتعلمه فيها، ذلك أن ما من بعيد في الزمان والمكان إلا ويشتمل ـ بحسب الاعتقاد السائد ـ على جميع الأسرار والخفايا، وبالتالي على جميع الممكنات. وقد رأيتها مرّة تحكي بافتخار لزبوناتها ما قاله لها رئيس إحدى زوايا مدينة الجزائر الذي كانت قد التقت به منذ بضعة أيام. وبصفة عامة، فهي تتردّد على الأماكن المقدسة شديدة القرب، لكنها خلال الأعياد الدينية تختار التوجه إلى أمكنة بعيدة جداً. هكذا فهي تقضي غالباً أول يوم من السنة الهجرية، وهو تاعاشورت [عاشوراء]، في ضريح جدي مانكلاّت الكائن بمنطقة عين الحمام. وأحياناً

يُملى عليها في الحلم اختيارُ المكان الذي يجب أن تقصده. وبطبيعة الحال، فإنها تقضي عشية هذه الزيارات وهي على وضوء.

وهي تشعر بضرورة التوجه إلى الزاوية ليس لمواصلة تلقي معرفة الأولياء وبركتهم فحسب، بل أيضاً - وأساساً - لممارسة الجذبة، وهي ممارسة ضرورية لحفظ توازنها النفسي، بحسب قولها. وتتجلى هذه الحاجة في الانتفاخ المفرط الذي يحصل في بطنها ولا ينتهي إلا بعد الجذبة. ولا تحتاج العلاقة بين الجذبة والجنس إلى برهنة. وتتمثل هذه العلاقة عند للا فاضمة في استحالة لباسها للسّليب، وحتى السروال الفضفاض الذي يُرتَدى تحت الفستان، والذي يغطي العضو الجنسي والفخذين حتى الركبتين. فهي تحتاج أثناء الجذبة إلى الإحساس بتحرر جسدها كاملاً، سيما أنّ كل لباس يمسّ فرجها يثير فيها الشعور بالحصر والتعرض للتسمم.

الهوامش:

[١] سبق أن نشرنا هذه الدراسة في مجلة العرب والفكر العالمي، ع: ١٣ / ١٤، (١. من نص البلاغة والبيان؛ ٢. من نص السحر والإثنولوجيا)، ربيع ١٩٩١، ص ص. ١٧٧ - ١٩٧. (م). ونشير إلى أننا آثرنا ضم هوامش هذه الدراسة ومراجعها إلى القائمة المثبتة في نهاية الدراسة الموالية.

[٢] المقصود بالقبائل هنا الإثنية البربرية في الجزائر، وهي موضوع البحث الراهن. (م).

[٣] بحسب الاعتقاد المحلي، ستدخل بعض النساء استثناء (١ في ١٠٠) الجنة، بينما يقول القرآن إن المرأة لا تملك روحا، ومن ثمة فليس لها أن تطالب بالدخول إلى الجنة (كذا في الأصل، ونترجمه حرفياً) (م).

[٤] نسبة إلى مُسارَّة (initiation): سبق شرحها في الهامش رقم ٣ من دراسة جان بران «الرمز والسحر» المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

[٥] ما من مريض إلا ويركبه روحٌ «irekeb-it». وفكرة الركوب هذه، الملازمة للملك، توجد أيضاً في إفريقيا السَّوداء حيث تربط بالجماع، إذ تشكل المرأة مطية للرجل. انظر: ن. إشارد، ١٩٨١: ٣٤٣ - ٣٥٥.

[٦] في العصور القديمة، كان للآباء سلطة قاهرة على البشر. ويذكر تيرتيليان أرواح الموتى باعتبارها قوى تعمل داخل الملك: (Tertullien, De Anima, 57, 3).

[٧] للمقارنة مع المثال الذي يعطيه أبولي: «تحولت بافيل إلى بومة، جربت شكلها الجديد وهي ترسل صراخا أجش، ثم قفزت عدة مراتٍ على الأرض؛ وبسرعة، ارتفعت في الأجواء وطارت بعيدا برفرفات كبيرة»، انظر: أبوليوس، ١٩٧٥، ج ٣: ٨٥.

[٨] رأيتُ للا فاضمة، ذات يوم، وهي في حالة غضب شديد لدرجة أن امرأة نعتتها بتادرويشت، غير أن للا فاضمة ردت عليها قائلة إنها ليست «مجنونة»، وإنما هي «ولية».

[٩] من الملفت للملاحظة أن مجموع هذه الكلمات تقريباً ينحدر من جذر عربي. وتلجأ اللغة القبائلية إلى استعارة مفرداتٍ من العربية، بصفة خاصَّة، عندما يتعلق الأمر بالتعبير عن أشياء ذات حمولة عاطفية قوية (جنس، موت، سحر). وبذلك فالأمر يتعلق بتصرف لغوي يدخل ضمن المجاز التلطيفي.

[١٠] لقد أوّلت ساحرةً، زرتُها في الضاحية الباريسية، موتَ شاب عمره ١٧ سنة لقي مصرعه على الفور في حادثة سير وهو يمتطي دراجة نارية، فقالت لزبوناتها: إنها هي التي تمنّت تلك الحادثة للشاب عقابا لأمه التي رفضت أن تقدم لها بعض الخادمات أياما قبيل الحادثة.

[١١] علامة ثقافية لبداية الجنون.

[١٢] طبيبٌ بمستشفى X.

[١٣] أحد إخوانها.

[١٤] لا يتعلق الأمر هنا ببلدة وإنما بمنطقة في الجزائر غير قبائلية.

[١٥] التداعي :(association) مصطلح يعني «كل ارتباط ما بين عنصرين نفسيين أو أكثر تشكل سلسلتهما رابطة من التداعيات. (و) يستخدم هذا المصطلح أحياناً للدلالة على العناصر التي تترابط على هذا النسق. هذا المعنى الأخير هو المقصود حين نكون بصدد العلاج، إذ نتكلم، على سبيل المثال، عن "تداعيات حلم ما" للدلالة على ما له صلة ترابطية في كلام الشخص مع هذا الحلم. وقد يدل مصطلح "التداعي" في حده الأقصى على مجمل المادة المنطوقة خلال جلسة التحليل النفسي». عن: لابلانش وبونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة د. مصطفى حجازي، بيروت، الدار العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط. ٢، ١٩٨٧، (مادة: تداعي، ترابط). (م).

[١٦] سيدي بلوى، بلقاسم أولحاج، علي بوناب، للا سعيدة، سيدي عكاد، سيدي محمد أمزيان، سيدي علي موسى، تالا أوفاناس، الشيخ أحمد بودربالة، الشيخ أزرقي، سيدي أحمد بودومة، الشيخ العموري، سيدي بومديان، سيدي امحمد، سيدي عبد الرحمان، سيدي محمد بن مرجة، سيدي بوبكر، سيدي عامر الشريف، سيدي حند إزمورن، سيدي خالص المرسى، سيدي محمد بن يوسف، سيدي أودريس، سيدي محند أولحسين، سيدي الحاج إخلوين، عكال أبركان، آت الحاج، الشيخ الحامل، الشيخ مبارك، الشيخ بن عرب لاربعا، بورمضان، آت آتلي، علي أو طاير، سيدي أحمد أومالك، سيدي بوكدور.

[١٧] سيدي محند أمزيان: رئيس فعال للزاوية «الرمضانية» في سنوات ١٨٥٠، ومقدَّم زاوية صدوق.

[١٨] سيدي علي موسى: زاوية المعاتقة التي نزح مؤسسها من الساقية الحمراء في القرن XVIII، وهي زاوية أحرقها الجنرالPélissier ، ثم أعيد بناؤها في السنة الموالية: راجع م. ما ميري، ١٩٨٠.

[١٩] سيدي محمد بن مرجة: زاوية يحتمل أن تكون موجودة في منطقة الخ. ضارية (الباليصطو سابقاً).

[٢٠] للإحاطة بمعنى هذا المصطلح يمكن المبادرة بقراءة دراسة ألفرد مترو «الشامانية عند هنود الشاكو الأكبر» المنشورة ضمن الكتاب الحالي. على أن ذلك لا يمنع من تعريفه، باقتضاب شديد، باعتباره «طريقة في العلاج سحرية دينية، يتولاها شخص من رجال الدين أو المطببين تكمن قدراته فوق الطبيعية في كونه يتمكن من تقنيتي الشطح والملك أو المس (Possession) بواسطة سفر إلى السماء، يحارب (هذا الشخص) خلاله الآلهة أو يفتنهم. عن:

- Michel Panoff et Michel Perrin, Dictionnaire de l'ethnologie, Paris, Payot, 1973. .(م)

[٢١] تكّات ثُومَاذْوِينْ: تعبير يتردد كثيراً ويعني بالتحديد: «إنها تلعب برأس زبونها».

السّاحِرة: التّدخلات والطقُوس

❖ نجيمة بلانطاد

I. التدخُلات:

تنظم للا فاضمة ممارستها «المهنية» بحسب دورة أسبوعية تتألف من ثلاثة أنواع من الأنشطة: تخصص أيام الأحد والإثنين والأربعاء للعرافة[1]، والثلاثاء والسبت للسحر العِلاجي، ويسمى ألاَوِي، وأخيراً تخصِّصُ يومي الخميس والجمعة للراحة و«التكوين». في القسم الأول تزاول مهمة الساحرة، وفي الثاني تؤدي دور المطببة، وفي الثالث تنتقل من جانب المطبب إلى جانب المعالَج. وراحة نهاية الأسبوع[2] ضرورية عندها لسببين: لتتمكن من إفراغ مشاعر قلقها الأسبوعية في الجذبة من جهة، وتتزود بطاقة تمكنها من الانطلاق من جديد، من جهة ثانية.

تصيبها مشاكل الزائرات في عمقها. هكذا، فكلما عالجت حالة برودة جنسية أو عجزاً جنسياً خلال النهار أحست بنفور جنسي طوال ٢٤ ساعة، وكأن فعاليتها العلاجية تتعذر خارج إجراء تحويل (بمعناه في التحليل النفسي)؛ فهي لا تخلص زبونتها من البرودة الجنسية إلا إذا استضمرت ما ألمَّ بهذه الزبونة. وليس من الضروري التدقيق في مسألة غياب أية علاقة بين هذا التحويل وذلك الذي يحصل في العلاج التحليلي؛ فبينما هذا الأخير «تكرار لنماذج طفولية مُعاشَة بشعور راهنية محدَّد» (لابلانش وبونتاليس، ١٩٧٨: مادة transfert). لا يعدو الأول مجرد تحويل للمرض من شخص إلى آخر. وفي هذا التحويل يفسح المريض السلبي للمطببة مجال «الاشتغال»، فتقوم بتصريف انفعال لفائدته. في العلاج التحليلي المريضُ هو الذي «يعمل»، أما المحلِّلُ فلا يعدو مجرد ذريعة «للعمل». هكذا فليفي ستراوس، يعرف الزوج الساحر ـ المريض قائلاً:

«بفضل الاضطرابات التكاملية التي تطبع الزوج ساحر ـ مريض، فهو يجسد لدى الجماعة، بطريقة واضحة وحية، تضاداً خاصاً بكل تفكير. ولكن تجربته العادية تبقى غامضة وملتبسة: فالمريض انفعالية، استلاب الذات نفسها مثلما مرض الفكر هو ما يقع خارج اللغة. أما الساحر فهو فاعلية، فيضٌ للذات مثلما الانفعالية مستودعٌ من الرموز. والعلاجُ يقيم علاقة بين هذين القطبين المتعارضين، يضمن الانتقال

من أحدهما إلى الآخر، ويُظهر في تجربةٍ كليةٍ تماسكَ العالم النفسي الذي هو نفسه إسقاطٌ للعالم الاجتماعي» (ليفي ستراوس، ١٩٧٤: ٢٠١).

وقد حضرتُ جلسة مضنية موضوعها علاج عجز جنسي كان يشكو منه رجل يناهز عمره ٥٠ عاماً، قصد لـلا فاضمة مرفوقاً بزوجته. رغم أن الزوجين جاءا من مكان بعيد، فقد وصلا في الصباح الباكر .تقرفصت لـلا فاضمة الأرض قبالة الزوج وهي مرتدية برنسها الأبيض، ثم أمسكت أهدابه الجانبية بيديها معاً وغطّت الزبون؛ أحاطته بذراعيها بحيث اختفى الإثنان معاً داخل البرنس. ما عاد يُسمَع، حينئذ، سوى ما كانت الساحرة تلفظه من كلمات مُجَمجَمَة وغير مفهومة. بعد بضع دقائق، تغيرت رنة الصوت ليبح تدريجياً. استحوذ عليها جشاءُ متواصلُ وتثاؤبات مستمرة. كان الجشاء من القوة بحيث انتابني إحساس بأنها ستشرع في القيء. وباختصار، لقد كانت في حالة جذبة. وقد فهمت زوجة الزبون هذا الاضطراب الجسدي جيدا وأخذت تشهق وتنتحب أمامي جاعلة مني شاهدة، وهي تردد أن زوجها مسحورٌ. فقد تأكدت، أولا، من صواب شكوكها في ما يخص سبب عجز زوجها الجنسي. وبسبب من قلقي العائد أساسا لاضطراب لـلا فاضمة النفسي ولانتحابات زوجة المريض، فقد صرتُ عاجزة كليا عن تقدير المدة الزمنية الحقيقية التي استغرقتها الزيارة.

ظهرت الساحرة وزبونها من جديد بعدما تخلصا من أهداب البرنس الجانبية التي كانت تغطي رأسيهما. بدا الزبون هادئاً، على عكس لـلا فاضمة التي كان وجهها غارقا في العرق وجسمها يرتعش. جففت عرقها واسترجعت أنفاسها. استعادت تدريجياً التحكمَ في صوتها، فخاطبت زوجة المريض قائلة إن عناصر السحر التي استعملتها عدوتها كانت تتألف من شعر زوجها وتراب أخِذَ من تحت قدميه.

لم تكن الجلسة التي حضرتها جلسة لإبطال السحر، بالمعنى الدقيق، وإنما كانت عرافة أولية ضرورية لتشخيص الحل الواجب تقديمه. ولا تترك حالة لـلا فاضمة خلال العرافة وبعدها مجالا للشك في طبيعة السحر باعتباره حالة نزاع. وتصف جان فافري - سعادة في دراستها للسحر في منطقة بوكاج الماين بفرنسا حربا دارت بين مُبطل للسحر وبين ساحر، على النحو التالي:

بمجرد ما تم شك قلب العجل بدأت الحرب القاتلة بين مبطل السحر والساحر الذي تصدّى له السيد غريبون (Grippon) بأبهةٍ قائلاً: "الجسم بالجسم. هو الذي ينفذ منه أو أنا". نهاية هذا القتال ليست واضحة على الإطلاق. ذلك أن غريبون اضطر، وهو

ينضح بقطرات كبيرة من العرق ويرتج بالتشنجات، إلى مدح خصمه فوق الطبيعي، فقال مرات عديدة: "حقاً إنه قوي ولا أعرف كيف - وقد لا أستطيع - السيطرة عليه. ثم عاد إلى منزله تاركاً لمريضه مسؤولية تفسير الثنائي السحري يساعده في ذلك المتلفظ"[٣]... وفي الصباح الموالي هرول الساحر إلى مستشفى المايين حيثُ أجريتْ له عملية جراحية وقطعَ له ٢٥ سم من المعي. بقي مريضا مدة طويلة ثم عاد إلى منطقة البورغ، أما ضحيته (المسحورة) فقد شُفِيَت» (جان فافري، ١٩٧٧: ٩٢).

غير أنه من اللائق التمييز بين الثنائي السحري القبائلي والثنائي السحري الماييني. ذلك أن الصراع السحري في القبائل لا يتم بين ساحر ومبطل للسحر، كما هو الشأن في البوكاج، وإنما يجري في مستوى أكثر «تجريداً»، بمعنى أن مزيلة السحر لا تقارن نفسها بالساحر وإنما بعناصر السحر. لا يتعلق الأمر بمواجهة «جسداً لجسد» يتألم الساحر في نهايتها تألماً جسدياً، وإنما بصراع يقابل بين سحرين أي بين لغة رمزية ضد أخرى. ولذلك ينبغي التشديد على الأهمية التي تكتسيها العناصر المكونة «للوصفات» السحرية في المتخيل القبائلي الذي يعتبر هذه العناصر كأنها محملة بقوى أو قدرات مختلفة ومتفاوتة الفعالية. والدليل على ذلك أنه في العديد من الحالات لا يتم استدعاء مبطلة السحر، وبالمقابل يُكتفى باللجوء إلى ترياق تبعا لنصيحة إحدى الصديقات اللواتي سبق لهن أن جرَّبنه.

عندما كانت للا فاضمة بصدد تسخير قدراتها في الحرب التي وصفناها قبل قليل، فإن الساحرة لم تشعر بأي شيء لا في ذلك الوقت ولا فيما بعد. ومبطلة السحر القبائلية لا تسعى إلى إصابة الساحرة في وحدتها الجسدية أو المعنوية، وإنما إلى القضاء على فعالية الوصفة السحرية، ولذلك كان «تشخيص» الإصابة بالسحر، انطلاقا من شعر المريض وتراب قدميه، تمهيداً ضرورياً للعلاج. وانطلاقاً من هذه العناصر ستتمكن مبطلة السحر من إيجاد الترياق المناسب. إن شفاء المسحور هو مواجهة الشر السحري الذي أصابه ومواجهة صاحب هذا الشر المفترض. غير أن مواجهة هذا الأخير [الساحر] تتم بشكل عرضي فقط.

لا يتوقف عمل للا فاضمة عند نهاية هذا العمل التمهيدي، إذ تتلوه طقوس أخرى يدوية: تقيس، أوّلا، طول المريض بخيط من الصوف[٤] ثلاث مرات، ثم تضفره وتعقده سبع عقدات بينها مسافات متساوية. وبعد ذلك تضع الخيط حول رأس المريض، وتأخذ شفرة حلاقة، وتنفث في كل عقدة قبل قطعها بحذر شديد. وبعد انتهاء عملية القطع

تجمع العقد السبع والشفرة، ثم تضع الجميع وسط عقاقير، وتضيف إليه (جاويا وحرملا عربيا ومسكا)، ثم تسلم صُرَّة العقاقير للزوجة ناصحة إياها بإطلاق هذه العقاقير بخورا بين ساقي زوجها. وأخيراً، تنتهي الزيارة بتقديم وصفة أخيرة شفهية يتم تحضيرها بعسل ومجموعة أعشاب يتعين على المريض أن يتناولها في الصباح والمساء مدة ١١ يوماً. والنباتات التي يجب سحقها وخلطها مع العسل تتألف من زعتر، وفليو، وكمون، وإمليل، وفجلة، وأورمي، وإفرن لْكْسُوسْ، وتيمجًّا، ورَند، وحبة سوداء [=سانوج]. وفي الأخير ضربت للا فاضمة للزوجين موعدا أجله شهر.

بعد أن انصرف الزوجان، وجدت نفسي مختلية بللا فاضمة، فأوضحت لي أنها، عندما يكون موضوع الزيارة مداواة العجز الجنسي، تشعر بتمُّلٍ، وارتعاشات، وضعف عام، وشعر في قعر فمها. وباختصار، فإنها تشعر بمجموعة من العناصر غير الطبيعية.

طوال تلك الجلسة سجَّلتُ نقطا هامَّة تؤكد تماماً الطرح الذي أقدمه في العمل الحالي، وهو أن النساء في مجال السحر هنَّ اللواتي يأخذن المبادرة لأنهن أول المعنيات. لقد كان المريض سلبياً بشكل ملفت للنظر: فللا فاضمة لم تكلمه في أية لحظة، وبالمقابل كانت تمد زوجته بالتفسيرات والوصفات كما لو كانت هذه الأخيرة هي المعنية في المقام الأول. أما المسحور، فلم يكن معنياً على الإطلاق. وذلك مثال ساطع لمنطق السّحر المتعلق بالعلاقات بين الجنسين التي لا يتعلق الأمر فيها بالإيروسية والحب بقدر ما يتعلق بصراعٍ بين امرأتين، بين الساحرة وزوجة المسحور. ولا يمكن لهذه الثنائية السحرية النسوية أن تنشأ إلا بواسطة رجل، أي ضحية لابد منها لإلحاق ضرر بزوجته.

تستجيب للا فاضمة يومياً لعدد غفير من الزبائن. ومنزلها يمتلئ دائماً عن آخره تقريبا ويشكل مكان خروج ودخول لا ينقطعان. أما الزيارات فتتم في غرفة البيت الرئيسية، وتُنظَّم عموميا، أي أن جميع الزبونات يحضرن زيارات الأشخاص السابقين ريثما يحين دورهن. وبذلك يقضين عدة ساعات في هذا المنزل الذي يشكل مكان لقاء ومحادثات لا تنتهي. وهذا الاختلاط يلائم تماماً الأغلبية المطلقة من النساء حيث ينتهي بهن الأمر جميعاً إلى التعارف فيما بينهن. لقد أصبح منزل للا فاضمة مكانا مفضلاً لديهن للقاء والثرثرة داخل فضاء أنثوي مغلق يتيح التعرف على آخر الأخبار. وعلى العكس، يبدو أن هذا الوضع لا يروق بعض النساء حديثات السن اللواتي سبق لهن أن

تمدرسن. فقد أبدين في عدة مناسباتٍ رغبتهن في جعل الزيارات تتم بشكل فردي، وذلك بإنشاء نظام شبيه بنظام عيادة الطب العصري. وطلبن من للا فاضمة أن تستغل غرفة أخرى من منزلها، تقع قرب الباب، لتجعل منها غرفة انتظار، مما سيمكن الزبونات من العبور واحدة تلو الأخرى إلى غرفة الزيارة، وذلك لأن «الجمهور»، بحسب قولهن، يجعلهن يشعرن بالانزعاج؛ فليس من شأن النساء الأخريات أن يعرفن الأسباب التي قادتهن إلى هذا المكان شبه السري. وهذه العقلية التي بدأت تتبلور بالترابط مع التمدرس والعلاقات الاجتماعية الجديدة تغير علاقة النساء بالسحر الذي لازال بالتأكيد مجالا للإيمان، لكنه أصبح قضية شخصية تستوجب تسوية فردية.

من الصعب وصف طبيعة العلاقات التي تقيمها للا فاضمة مع الأرواح بسبب التراكم الموجود بين عناصر إسلامية وعناصر أقدم تنتمي إلى التقليد المحلي [الوثني]. أما علاقاتها مع رؤساء الزوايا الدينية، فلها هدف آخر غير هدف التواصل الروحي مع الله، هذا التواصل الذي تصبو إليه مبدئياً الرقصات الشطحية. والجذبة الأسبوعية التي تقوم بها للا فاضمة في تلك الأمكنة لا تختلف عن تلك التي تقيمها النساء العاديات، ويعبّر عنها بفعل جَذَبَ الذي يعني «حرك الرأس من الأمام إلى الخلف وقام بالتواءات». وجذبة النساء القبائليات ليست شيئاً آخر غير تمظهر لأزمة الملك أو المسّ (possession). وبعد أن حدَّد ج. روجيه مختلف استعمالات مصطلحي «جذبة» و«شطح» ميَّز بينهما بكون الأول «لا يحصل إلا وسط الضَّجيج والإثارة ومجتمع الآخرين»، أما الثاني، فلا يحدث إلا «بالصَّمت والسكون والوحدة» (ج. روجيه، ١٩٨٠: ٣١). وهذا التمييز هو الذي اعتمدناه هنا. بالإضافة إلى ذلك، لا تنتمي للا فاضمة إلى أية زاوية محدَّدة، ولا يمكن الحديث عنها باعتبارها مريدة لنظام مرتبط بمذهب محدَّد. فهي لا تستمد سلطتها من تواصل مباشر مع الله، وإنما من علاقاتها مع أكبر عدد ممكن من الوسطاء، وإذن من الأولياء. بهذا المعنى فهي في منأى كامل عن كل تصرف أصيل خاص بتاريخ الجمعيات الدينية في إفريقيا الشمالية. وعلى العكس من ذلك، فهي تدخل تماماً في إطار الديانة المحلية التي تعطي الأولوية التامة لعبادة الأولياء، والتي حلّت محلّ عبادة الأجداد القديمة»[٥].

وتظهر دراسة س. أندزيان (١٩٨٣) حول إحدى الزوايا الدينية بضاحية تلمسان أن المعلم الروحي - خلافاً لما يُقال عن هذه الزاوية - لا يعمل مطلقاً (على الأقل عند النساء) باعتباره معلماً روحياً طبقاً «للسلسلة الكلاسيكية» التي يضعه فيها هذا المؤلف،

وإنما يعمل باعتباره مرابطا عاديا يزاول مهنة مطبِّب دون أن يكون مرتبطا بأية زاوية. غير أن للا فاضمة، بارتدائها البرنس خلال زياراتها، ذلك البرنس المحمَّل بالبركة، ترتبط بطريقة واضحة وجليّة بتلك «السلسلة الصوفية الكلاسيكية». وفي الواقع، يمكن وضع البرنس بموازاة «الخرقة الصوفية» التي أخذها ابن عربي (ق XII.م) مباشرة من أستاذه الخضر (هـ. كوربان، ١٩٥٨)[٦]. وفي نشيد للا فاضمة المتعلق بسيرة حياتها، تذكرُ البرنسَ وكأن الأمر يتعلق بعلامة تنصيبها المُسَارِّي. والدلالة نفسها نجدها في البذلة الشامانية التي يتمكن الشامان بعد ارتدائها من «استرجاع الحالة الصوفية الموحاة والمحددة من خلال التجارب الطويلة والاحتفالات المسارية... فالبذلة توحِّدُ بين الشامان والأرواح داخل جوهر محولة إياه في أعين الجميع إلى كائن فوق إنساني» (م. إلياد، ١٩٨٣: ١٣٧ و١٤٤).

إن الطريقة التي تصف بها للا فاضمة الروح الذي يملكها تجعل من هذا الأخير أقرب إلى الأرواح التي تخدم الشامانيين الكلاسيكيين منه إلى مذهب المتصوفة المسلمين الديني. وبالفعل، عندما تعجبتُ يوما من استهلاكها المدهش للحم، فسَّرت لي ذلك بكون الأرواح التي تسكنها هي التي تطالب بكمية كبيرة منه وليس جسمها هي. ها هو إذن الولي، أمرابض، قد تحوَّل إلى كائنات غير محدَّدة، تحول من المفرد إلى الجمع. في الواقع، يملك الروح الذي يسكن أدرويش، أي المجنونة، مجموعة أخرى من الأرواح غير المعروفة بشكل جيد تُدعَى تارباعات، وهي تحت إمرته. وبذلك فهذه الجماعة هي التي تتصف بالشره لأكل اللحم[٧]. ونرى إلى أي حد يصعب أن نحدد بدقةٍ الوضع الاعتباري الديني الذي تتمتع به للا فاضمة؛ فتفسيره بالعودة إلى الإسلام وحده من شأنه أن ينفي جزءاً كبيراً من الإطار الثقافي الذي تستمد منه إبداعاتها وممارستها، ومن شأنه في نهاية المطاف أن يبتر اصطناعياً كلية معقدة.

هناك مستويان من الانفصامات، بحسب ما يقوله أ. ر. ضودس. والانفصام الذي تخضع له للا فاضمة يقبل الدرجة التي يستمر فيها الوعي السوي إلى جانب الشخصية المتدخلة (...) ويمكن للذات أن تذكر فقط ما يقوله الصوت الذي حلَّ فيها» (أ. ر. ضودس، ١٩٧٩: ٧٠). ولذلك تستعمل للا فاضمة ضمير المفرد الغائب لنطق عزائمها بعد اتصالها بولي، فتقول: «يقول لك». أما الدرجة الثانية فهي جذبة أكثر عمقا، تتلاشى فيها الأنا العادية كليّاً «بحيث لا تعود تذكر ما قيل، وما فُعِلَ (...) يتكلم

الصوت بالمفرد المتكلم عبر شفتي الذات». في هذه الحالة، يمكن للذات أن تقول مثلاً: «أنا الله»، وهو ما يتطابق أكثر مع حالة الشطح الصوفي.

وعن إفريقيا الشمالية في العصور القديمة، يقول أ. ضودس: إنَّ «ترتوليان[٨] كان يعرف امرأة تتحاور مع الملائكة وأحياناً حتى مع الله، شاهدَت روحا بشرية بهيئة جسمية (مبرهنة بذلك، وبارتياح كبير، على أن الأرواح مجسَّمَة). وربما كان شيء من المزاج الإفريقي الشمالي أو من التقليد الثقافي، يهيئ بخاصة لحالات انفصامية» (نفسه: ٨٢). يتعلق الأمر في حالات الجذبة، بالتأكيد، بحالات انفصامية، وما تعاني منه للا فاضمة أو غيرها من النساء هو الجذبة لا الشطح. وهنا أيضاً يجب التفكير في التمييز الذي يقيمه ج. روجيه بين الحالتين[٩]. بالمقارنة مع الساحرات الأخريات، تبدو حالة للا فاضمة جد متفردة. فشهرتها مُغَلَّفة «بنزعة إسلامية» أكثر من زميلاتها اللواتي لا يملكن إرادتها المتحمسة لممارسة زيارات متكررة للأضرحة، ولا يقمن بزيارات منتظمة لرؤساء الزوايا. وبالاستماع إلى خطاب مُريداتها ينتابني شعور بأن الأمر يتعلق بساحرة «أكثر شرعية» من الساحرات الأخريات، إذ فيما يقال عنهن إنهن سيدخلن النار، يقال عنها، هي، إنها ستدخل الجنة.

II. الطقـوس

بعدما حاولنا الإحاطة ما أمكن بالساحرة ووضعَها الاعتباري في السياق الاجتماعي، سنهتم الآن بسحرها أساساً.

إن التمييز الذي أجريه بين «سحر جيد» (أو سحر إيجابي) و«سحر سيء» (أو سحر سلبي) لا يستجيب فقط لأسباب تتعلق بتيسير التحليل بقدر ما يترجم بأمانة الخطابَ الذي يصوغه القبائليون أنفسهم بشأن سحرهم. فهم يجرون تفريقا ثنائياً واضحاً جداً بين السحرين. ورغم أن الخطاب «العصري» يشجب هذه الممارسات في مجموعها، فإنه يحدث دائماً أن يتم الدفاع عن السحر الجيد عندما يستجيب لحالة خاصة يعرفها المتكلم، فأحرى عندما يَقترح هذا السحر نفسه للجمع بين زوجين فرق بينهما السحر السيء، أي لإصلاح الشر بالخير أو من أجله.

لا تتوفر اللغة القبائلية على مفردتين لتسمية هذين النوعين من السحر، وبذلك فهي تؤكد ما قلناه سابقاً، ألا وهو إن الساحرة قادرة على القيام بكل شيء. لا نجد، كما هو الشأن في سحر البانطو[١٠] مثلاً، الزوج حكيم - ساحر - (magician sorcier)[١١] حيث يتم تعريف كلاهما لغويا بوحدتين دلاليتين منفصلتين، متعارضتين ومتكاملتين:

الحكيم يمارس السحر الجيد ويتصدّى للساحر. والساحر الذي يُلقي رُقى مؤذية (ل. دوهوش، ١٩٧١: (١٧١ ـ ١٨٧). فالقبائلي لا يقابل بين اسمين، وإنما يقابل بين فعلين، إذ يتحدث عن الساحرة التي «تعمل السحر» (تخدَمْ إحكُولَنْ)، وعن الساحرة التي «تزيل السحر» (تعكّس إحكولن). وبذلك فما يوصف هو عمل الساحرة وليس هذه الأخيرة. فالساحرة التي «تعمل السحر» قادرة أيضاً على «إزالته»، والتي «تزيله» تملك أيضاً القدرة على «فعله». كذلك لا تتم المقابلة بين الساحر (Witch) والساحر المؤذي (Srcerer) كما هو الأمر عند الأزاندي[١٢] فقد كتب إيفانس برتشارد:

«يعتقد الأزانديون أنْ بعض الأشخاص سحرة، وأنهم يستطيعون إيذاءهم بما ينفردون به من خاصيات. والسَّاحر (Sorcier) لا يقيم طقوساً، ولا يتلفظ بعزائم، ولا يملك أعشاباً. العمل السحري عمل نفسي. كما يعتقدون أن السحرة قادرون على إيذائهم بإجراء طقوس سحرية يستخدمون فيها أعشاب ضارة. إن الأزانديين يميزون بدقة بين السحرة والسحرة المؤذين. ولمواجهة هؤلاء واولئك، فهم يلجأون إلى عرافين وكهّان، وأعشاب» (إيفانس برتشارد، ١٩٧٢: ٥٣).

لقد جمّعنا في الجدول التركيبي التالي جميع الطقوس التي عرضناها في القسم الأول [من هذا البحث]، والتي تتضمن عناصرها استخدام نباتات وأحجار، الخ.

السحـر السلبـي

السحـر الإيجابـي

باذَوَرْد

حلتيت

قطران

دفلى

قِنَّــة

فطريات (لازَهْريات)

قصب

مُرَّان (دردار)

عرق السُّوس

قرنفل

صمغ جاوَة

جَوزة الطيب

حبات قطيفة (سالف العروس)

حنّاء

لوف مصري طبيعي

أغصان شجر الرمان

سكر

نباتــــات

ضفدع

جلد الكلب

جلد الفأر

بدغة (حية الزجاج)

هـر

جلد القنفذ

حافر الخنزير البري

حرباء

سرطان

سلحفاة

جلد الثعبان

مخالب الهر

أشواك القنفذ

حيـوانـات

ركاز كوبَلْت

ملح

معدنيـات

حديد

فضة

صلب

معـــادن

صابون غسل الميت

شقفة خزف

جفنات قديمة

خيط أملس

قصب

إبرة سبق استعمالها في خياطة كفن

ماء غسل الميت

قِدر

صابونة صغيرة

إناء خزفي

سراج

مرآة

سكين المحراث

دست ماء

أدوات منزلية

زغب عانة الزوج

عظم الساق الأكبر

شعر المرأة

ضلع ميت

دم رجل مات مقتولا

دم الحيض

خراء

زغب عانة الزوج

مني الزوج

سنّ الزوجة

جسد بشري

نزول الليل

الليلة رديئة الطقس

لحظة مرور الموكب العرسي

سابع يوم بعد العرس

الليل

النهار

ليلة حلول رمضان

أوقات

قبر

شجرة

مكان مهجور

موكب زفافي

عتبة المنزل

باب غرفة نوم الزوجين

داخل المنزل

تحت السقف

مكان مرور الرجل

قبر

شجرة

الطريق المؤدي إلى السوق

الطريق المؤدي إلى المقبرة

مكان ذبح الحيوانات

مكان الدرس

سقف المنزل

داخل المنزل

مكان مقدس

مكان مرور الزوج

تحت سرير الزوجين

فضاءات

علامات مكتوبة

خرقة الجماع

أحشاء الجيفة

سِنَاج

أذهان تجميلية

علامات مكتوبة

بيض

البدر ليلة اكتماله

مختلفات

صرة عقاقير

حجاب

إدخال في المعدة

حمام

حجاب

إدخال في المعدة

بخور

وسائل

لأول وهلة، من السهل ملاحظة أن العناصر السحرية الطبيعية الأكثر تواترا هي النباتات والحيوانات. أما المعدنيات والمُهَلِيَات (ذهب، فضة، بلاتين)، فتنعدم كلياً في السحر السلبي، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد بأن هذه العناصر يتم تصورها بمثابة وحدات خيِّرَة للغاية على عكس بعض الحيوانات مزدوجة [الخاصية] كالهر والغيلم أو الثعبان. والجدول الآتي الشامل نسبياً يُتيحُ، وإن بشكل تضخيمي، تحديد بعض العناصر الدالة، وكذا التقلبات التي تحكم المنطق السحري:

السحر السلبي

السحر الإيجابي

ثدييات

زحَّافات

العائلة

أرضي

بــرّ ـ مائــي

الوســـط

صائتـــة

خرســـــاء

اللغـــة

مرئيـــة

غيــر مرئيــة

أعضاء التوالد

بالمزاوجـة

لغـــــزي

التوالــد

الحيوانات

الحيوانات التي تيسِّرُ التقارب الجنسي البشري هـي الحيوانات الأشد بعدا عن الإنسان من وجهة نظر النوع. وعلى العكس، فالحيوانات التي تحدث التباعد الجنسي الإنساني هي الحيوانات الأكثر اقترابا من الإنسان.

الجنس البشري

الجنس الحيوانـي

اتصال جنسي إنسانــي

على العكس،

النوع الإنساني = النوع الحيوانـي

انفصال جنسي

ونفهم هذا الوضع المفارق إذا استحضرنا فكرة كون الحيوانات البعيدة عن المجال الإنساني، أي تلك التي تنتمي إلى العالم المتوحش، تخفي قوى عالمها. وهي قوى أشد قدرة من قوى العالم الإنساني. هكذا، مثلاً، فاعتبار الطفل خنزيراً بريّاً لحفظه من العين ومن السحر المؤذي عموما، يطابق الفكرة التي تعبر عنها الأم بما يلي: «ابني خنزير بري، حيوان متوحش. والمتوحش يزيل الخوف» (لوحش إتْكّسْ لوْحْشْ)، أي يطابق ذلك الاستدلال الذي يرى: «بما أن المتوحش يثير الفزع، فليس هناك ما يفزعه».

إن معنى كلمة الوحش يرتبط بالشيء المخيف وبالخوف نفسه في آن واحد. وحقله الدلالي واسعٌ لأنه يغطي كل ما له صلة بالتوحش، والعزلة والخوف.

بالنسبة للنساء، يشكل الزوج ضفدع/سرطان تقابلاً استبدالياً يقوم على اختلاف البيئتين اللتين يعيش فيهما هذان الحيوانان. فعلى الرغم من أنهما يسكنان معا في وسط بري مائي فإنهما يتعارضان: فالمجال المائي للسرطان هو النهر، الماء الجاري، ومن ثمة فهو يوحي بالنقاء والطهر. أما مجال الضفدع، فهو المستنقع ومصبّ النفايات؛ أي الماء الراكد، ومن ثمة فهو المجال الذي تفضله أشرار الجن وكائنات فوق طبيعية أخرى خطيرة. بالإضافة إلى ذلك، فمجال السرطان يقع خارج الوسط المباشر، إنه يقع في الطبيعة. أما مجال الضفدع، فهو لا يبعد أبداً عن العالم البشري، بل يقطن في الجزء الأكثر إثارة للتقزز في هذا العالم.

والعناصر الملائمة التي يتم الاحتفاظ بها في السحر الحيواني إنما هي أساساً العائلة التي تنتمي إليها هذه العناصر والوسط الذي تعيش فيه. أما في السحر النباتي، فالعنصر الملائم يتشكل حول الروائح العطرة.

السحر السلبي

السحر الإيجابي

تعفن

(عقم)

نُضج

(خصوبة)

السَّنَن النباتي

مرارة

برّ - مائي

السَّنَن الذَّوقي

نتانة

حلاوة

السَّنَن الشَّمّي

النباتات

في السحر النباتي، ما هو زكي ومُعطِّر ييسِّر الاتصال الجنسي، أما ما هو مُر أو كريه الرائحة فيباعد بين الجنسين. وهذا يطابق الدور المهم الذي تلعبه الروائح وضروب الطيب في الثقافة القبائلية. هكذا فالعروسة تعطَّر ليلة الزفاف من قمة رأسها إلى أخمص قدميها لغاية الزيادة في «سرها»[١٣]. وتعطير الجسم[١٤] والنفَس[١٥] أمرٌ إلزامي للمرأة التي ترغب في أن يجامعها زوجها. وهذا السحر الأنثوي اليومي هو ما نجده منقولا إلى الخطاب الطقوسي. فالنفس اللطيف لدى الشريكين ضروري لتحقيق اتحاد جنسي جيِّد كما تشير إليه هذه الحكاية بمنتهى الوضوح:

«زعموا أن امرأة حملت جرتها وذهبت إلى عين لتسقي ماء، فلقيها سبعٌ وطلب منها أن تتزوجه. فلما امتنعت هدَّدها بالافتراس، فلم تملك إلا أن توافق على الزواج به. ولما عثر أهل القرية على الجرة اعتقدوا أن المرأة قد افترسها وحش. غير أنها ما لبثت أن عادت إلى القرية بعد أشهر ومعها "زوجها" السَّبع. فلما رآه أهل القرية ذعروا، فحمل بعضهم منجلا وحمل بعضهم حجرا وهموا بقتله. غير أن المرأة خاطبتهم قائلة:

"ما لحمكم سوى لقمة في فمه

وما دمكم سوى جرعة [في فمه]".

فابتعد الناس وفسَحُوا الطريق للمرأة والسبع، فدخلت المرأة إلى بيت أبيها ومعها السبع، وتركته في غرفة كما لو كان واحدا من أهل المنزل، ثم التحقت بنساء الدار اللواتي كنَّ متلهفات على سماع حكاياتها. فجلسن في غرفة لا يفصل بينها وبين غرفة السبع ووالد المرأة سوى حائط قصير، فأرهف السبع سمعه وأنصت لمحادثة النساء دون أن تفلت منه أي كلمة. سألت النساء الزوجة عن مسائل عديدة حول عيشتها مع السبع، وبالخصوص حول كيف يتجامعان. فقالت لهن إنه يحميها ويأتيها بكل ما تطلبه، وأنها لا تكره فيه إلا شيئا واحدا، هو خبث نتانة رائحة فمه التي تقززها منه كلما دنا منها.

ولما حان المساء عاد السبع والمرأة إلى الغابة، فذهب إلى الصيد كما يفعل كل يوم، ثم أحضر حماراً وقدمه للزوجة كي تأكله. فلما رفضت أكله قال لها: "بما أن رائحة فمي كريهة فيجب أن تكون رائحة فمك هي الأخرى كريهة، فإما تأكلي الحمار أو آكلك"، فلم تجد المرأة بدا من أكل الحمار. ونكاية فيها، نشب السبع مخلبه في جبينها فأحدث به علامة، ثم أرسلها إلى أهلها لتبقى بلا زواج إلى الأبد؛ فعلامة جبينها وخبث نَفَسها جعلا الرجال يرغبون عنها»[١٦].

وفي الطقوس التي تقتضي علاجا يدويا يجب الإشارة إلى الدور الهام الذي تلعبه الوسائل والأشكال السحرية (من حجب وابتلاعاتٍ وبخور) وندرك في هذا المستوى أيضاً الارتباطات التي تنشأ بين الشم والفمية والجنسانية. فابتلاع مواد مختلفة والحجب مزدوجة الطبيعة يختلفان عن البخور التي لا يمكن أن تكون إلا نافعة ومطهرة. على عكس البخور، يستدعيان دائماً الابتلاعات والحجب، تشغيل سحر ترميمي يعيد الأشياء إلى نصابها.

ترافق الطقوس اليدوية دائماً طقوسٌ شفهية، أي صلواتٌ ونُذُرٌ وتمنيات ووصفات بسيطة) تعزيمة، استعطافية، واقية، الخ.). وفيما تنعدم الطقوس اليدوية الخالصة توجد الطقوس الشفهية الخالصة، وهي تأخذ شكل عزيمة ـ نبوءة سبق أن سُقتُ ثلاثة أمثلة منها في الفصل الأول[١٧]. تشكل كل عزيمة بمفردها الطقسَ نفسَه بكامله. وبينما يمكن للطقس الشفهي أن يكتسي فعالية خاصة يستمدها من طبيعته، لا يكون الطقس اليدوي فعالا إلا إذا أرفِق بأَوالِه، أي بكلمته.

ويمكن أن تصل قوة الكلمة في الحضارة البربرية ـ وهي حضارة كلمة[١٨] ـ إلى حد الاستبداد، إذ يمكن للمرء أن يجرؤ على ارتكاب القتل بسبب كلماتٍ، وبذلك فمصير الفرد يرتبط بما يقالُ فيه. فالكلمة التقريضية أو التأنيبية تحددان مجرى حياته وترسخانه في أحد قطبي الإيجابية والسلبية. إن القيمة المقدسة لكل من الأيمان والكلمة المتلفَّظ بها تُبَنين الكلام في «أمر قاطع».

يربط بين الثلاثي «معرفة ـ حكمة ـ شعر» رابط قوي. فالعلم والحكمة يكادان يختلطان، ذلك أنَّ كلمة حكيم (أمسناو) مشتقة من الجذر (س ن) الذي ينحدر منه فعل إسّن (علم): وعلم الأمْسْنَاوْ وحكمته لا يجدان تعبيرا أفضل من الكلمة المنظومة، أي الشكل الأكثر نقاء والذي يتطلب تعليما صعبا لا يكتمل أبداً[١٩].

ولا يتعلق الأمر هنا بتاتاً باعتبار لـلا فاضمة أمْسْنَاوَ رغم أن عزائمها أكبر من مجرد وصفات مقولبة. فالإكثار من التكرار عندها لا يعدو مجرد خاصية من خاصيات الارتجال الشفهي، وقراءتها لوصفات، بل وحتى لأبيات شعرية جاهزة هو مجرد إجراء لتقوية الذاكرة. ومع ذلك، يمكن القول إن العزائم بشكلها (المنظوم لا المنثور) وبالأثر الذي تحدثه تقترب من كلمة أمسناو الحقة رغم كون هذه العزائم لا تستخدم إلا في المجال السحري. إنها كلمة عِرافية، كِهانية، كشافة عن المقدس في عالم الإنسان.

إن القدرة على العرافة، أي القدرة على رؤية ما لا يراه عامة الناس، تُكسب كلمة العرافة - الشاعرة فعالية، لأنه «إذا كان الشاعر يتلقى إلهاماً حقاً، وإذا كان كلامه يقوم على هبة من العرافة، فإن كلمته تنحو إلى إن تكون هي "الحقيقة" عينها» (م. ديتيان، ١٩٨١: ٢٧). وقوة الكلمة الشعرية العرافية تتأسس على الاعتقاد الراسخ في قدرتها على «التحقق» بمجرد ما يتم النطق بها[٢٠]. والسحر الذي تمارسه هذه الكلمة لا ينبع من كونها إبداعاً إنسانياً، وإنما من جوهرها الرباني. فالساحرة لا تستطيع أن تتلفظ بها إلا بعد الاتصال بولي أو عدة أولياء أو أرواح تثني عليهم في مستهل قصيدتها أو في نهايتها أحياناً. ويتعلق الأمر بظاهرة مماثلة لظاهرة إلهام ربات الفن للشاعر الإغريقي:

«إليكم الكلمات الأولى التي خاطبتني بها الآلهة ربات الأولمب، بناتُ زوس الذي بيده الملك: "أيها الرعاة القاطنون في الحقول، يا تعساء الأرض الأذلاء، [أنتم] الذين ما أنتم بشيء آخر غير بُطون! إننا نعرف كيف نحكي أكاذيب مماثلة تماماً للحقائق". هكذا تكلمت بنات زوسٍ الحقيقيات. وأهدينَ لي، بمثابة قضيبٍ، غصنا بهيا انتزعنه هنَّ أنفسهن من شجر رند مزهر، ثم ألهمنني كلمات إلهية لأمجِّدَ بها ما كان وما سيكون. وفي تلك الأثناء أمرْنَني بأن أمجّدهن في مستهل كل نشيد من أناشيدي ونهايته، وأمجِّد أيضاً عِرقَ السعداء الأحياء دوما» هزيود، ١٩٨٢: الأبيات ٢٤ - ٢٩).

ولا يفوتني أن أسجل هذا التشبيه للكلمة بغصن شجرة الرَّند. فالقبائليون يرون أن الكلمة تخرج من الأرض وتنمو كأنها عشبٌ. إنها تشكل جزءاً من العالم الفيزيقي. فهي تحيا وتنمو وتتراجع. ويُعدّ إلهام الكائنات الفوطبيعية العنصر الأساسي الذي يمنح الفعالية لهذه الكلمة المشرقة والمتعالية، تلك الفعالية التي يحققها الوسطاء المقدَّسون بفهم الإلهام. وما تمنحه الساحرة هو انصهار الكلمة بين الفعل، والزبونة القلقة تجد تخفيف ألمها داخل هذه الكلمة «المتحقّقة». والزبونة نفسها، في الواقع، هي التي «تترجِم» هذه الكلمة الملغِزَة الإعجازية وتمنحها تفسيرها الشخصي. وبما أن الاشتراك اللفظي هو الخاصية المميزة للنبوءة، فما من فرد إلا ويمكنه العثور فيها على ما يبتغيه، وبذلك يمكن لتأويل العزيمة أن يتعدَّد بتعدد المستمعين إليها لأن صياغتها المجازية تتيح للمتلقية أن تمسَّ للحظةٍ حبكة قدرها الملغزة. «النبوءة لا تُحَدِّثُ ولا تَكتم، وإنما تلمِّح» (هراقليطس، D. K: 93). ومع أن الكلمة - النبوءة ذات طبيعة ملغزة، ومع أنها علامة معتمة يصعب فك رموزها، فإنها بطبيعتها تلك ليست في نهاية

المطاف سوى صياغة لواقع ما، هو واقع عجز المرأة العادية عن فهم وقائع حياتها في المستقبل.

يحتل البعد الزمني مكانة أساسية في نبوءات العرافة، ولذلك فإن «الكلمة النبوءة تُدخِل ثانية في زمن الأحياء هذه الكثافة الأساسية، أي هذه الطبيعة الصُّدفَوية للتنبؤات والمشاريع التي للعرافة نظريا مهمة تهدئتها إن لم تكن إلغاؤها» (جان بول فرنان، ١٩٧٤ : ٣). وإذا فحصنا العزائم التي أوردتُها في الفصل الأول، وجدنا أيضاً أنه تمّ الفصل بين العناصر المثيرة للقلق (الحالية) والعناصر الباعثة على الاطمئنان (المستقبلة). وهذه الأخيرة تختم القصيدة وتتيح لزائرة العرافة أن تضع حدًّا لتأرجحها المقلق بالاحتفاظ [من كلمة العرافة] بكلمة مُوافقة، والعودة إلى بيتها بتخفيف مُحقَّقٍ حتى وإن كانت تجربتها قد أبانت لها عن طبيعته المؤقتة.

تحقِّقُ العزيمة السحرية فعلَها السحري بالتدخُّل في الحتمية الطبيعية لتعديل مجراها. والكلمة السحرية الدينية تجمِّع في طياتها العلمَ والحكمة، والقدرة والفعالية، وسائر هذه الخاصيات التي تأخذ شكلا كاملا، هو البيت الشعري.

المراجع:

Andezian, S.
1983, «Pratiques féminines de l'Islam en France», Archives des sciences sociales des religions, janvier - mars, 55/1, pp. 53-66.
Apulee,
1975, L'âne d'or ou les métamorphoses, trad. P.Grimal, Gallimard, Paris.
Camps, G.
1961, Aux origines de la Bérbérie: monuments et rites funéraires protohistoriques, Arts et métiers graphiques, Paris.
Corbin, H.
1958, L'imagination créatrice dans le soufisme d'Ibn Arabi, Flammarion, Paris.
Dallet, J. M.
1972, Esquisse d'une théorie de la pratique, Genève, Drose.
De Husch, L.
1971, «Pour une approche structurale de la pensée "magico-religieuse bantoue", in Pourquoi l'épouser?, Gallimard, Paris.
Detienne, M.
1981 [1967], Les maîtres de vérité, Maspéro, Paris.
1972, Les jardins d'Adonis, Gallimard, Paris.
Detienne, M. et Vernant, J-P.
1974, Les ruses de l'intelligence, la métis des Grecs, Flammarion, Paris.

Devereux, G..
1977 [1956] «Normal et anormal», in Essais d'ethnopsychiatrie générale, Gallimard, Paris.
Devulder, M.
1951, «Peintures murales et pratiques magiques dans la tribu des Ouadhias», in La Revue Africaine, tome XCV, pp. 63-102.
Dodds, E. R..
1979 [1965], Païens chrétiens dans un âge d'angoisse, D. Saffrey, La pensée sauvage, Claix.
Echard, N.
1981, «Indifféreces, hésitation: le cas des Haussa de l'Ader (Niger)», in La première fois ou le roman de la verginité perdue à travers les siècles et les continents, Ramsay, Paris, pp. 343-355.
Eliade, M.
1983 [1968], Le chamanisme et les techniques archaïques de l'extase, Payot, Paris.
Evans-Pritchard, E. E.
1972 [1937], Sorcellerie, oracles et magie chez les Azandé, trad. L. EVrard, Gallimard, Paris.
Favret-Saada, J.
1977, Les mots, la mort, les sorts, Gallimard, Paris.
Hesiode.
1982, Théogomie, trad. P. Jaccotel, Maspéro, Paris.
Kilborne, B.
1978, Interprétation des rêves au Maroc, La pensée sauvage, Claix.
Laplanche, J. et
Pontalis, J. B.
1978, Vocabulaire de la psychanalyse, P.U.F., Paris.
Levi-Strauss, C.
1974 [1949], «Le sorcier et sa magie», in Anthropologie structurale, I, Plon, Paris, pp. 183-203.
Mammeri, M.
1980, Contes berbères de la Kabylie, Bordas, Paris.
1980, Poèmes Kabyles anciens, Maspéro, Paris.
Mammeri, M. et
Bourdieux, P.
1978, «Dialogue sur le poésie orale en Kabylie», in Actes de la recherche en sciences sociales, n° 23, septembre, pp. 51-66.
Rouget, G.
1980, La magie et la transe, Gallimard, Paris.
Vernant, J. P.
1974, «Parole et signes muets», in Divination et rationalité, Seuil, Paris.

الهوامش:

(١) لقد ذكرتُ أعلاه تعدد معاني كلمة الساحرة. وعندما أتحدث عن العرافة بشأن للا فاضمة، فإنني أدخل كلا من التخمين، والعرافة بمعناها الدقيق، والكهانة، ومناجاة الأرواح، وإبطال السحر، الخ..

(٢) وهي الخميس والجمعة في الجزائر.

(٣) تقصد جان فافري بالمتلفِّظ «(annonciateur) الشخص الذي يكون قد تخلص من سحره، ثم يقصد أحد الأشقياء، يفتَرَض أنه لم يفكر في يوم من الأيام في السحر أو لم يسمع به أبدا - ويخبره أنه بدوره قد تعرض للسحر (...) ولكي يتحقق الشقي من ذلك، يجب عليه أن يتأكد من أن المعرفة الوضعية قد فشلت فشلا تاما في معرفة أصل ما يعانيه من أضرار» (جان فافري، ١٩٧٧: ٦١) (م).

(٤) حينما لاتتوفر للا فاضمة على خيط أملس، فإنها تلجأ إلى استعمال خيط كُبَّة غزل تشتريها من الدكاكين.

(٥) من المفيد تسجيل أن للقسم بالجد واهِبِ اسمه (éponyme)، مؤسس قبيلته، عند القبائلي وزنا يكاد يفوق وزن القسم بالله.

(٦) ويعرف ابن عربي ارتداء الخرقة الصوفية قائلا: «الخرقة عندنا هي عبارة عن الصحبة والأدب والتخلق. ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله (ص)، ولكن توجد صحبة وأدبا وهو المعبر عنه بلباس التقوى، فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمر ما وارادوا أن يكمِّلوا له حاله يتحد بهذا الشيخ. فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في حال ذلك الحال ونزعه وأفرغه عن الرجل الذي يريد تكملة حاله فيسري فيه ذلك الحال، فيكمل له ذلك فذلك هو اللباس عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا».

(٧) بخصوص زاوية عيساوة في المغرب، لاحظ بعض الباحثين أن قسماً من ممارستها يرتكز على الإيمان بالتعرض لمس أرواح تتقمص الأسد، وابن آوى، والخنزير البري، الخ. فهذه الزاوية «تمارس طقساً لاستهلاك اللحم النيء «الفريسة» كثيراً ما تمت مقارنته بأوموفاجيا [=أكل المثيل] كاهنات باخوس».
راجع ج. روجيه (١٩٨٠: ٣٧٩ - ٣٨٠)، وهو ما ينقل هنا ما كتبه ر. برونيل.

(٨) ترتوليان Tertullien: أحد آباء الكنيسة، انقلب إلى بدعة تُدعى المونطانية (montaniame) نسبة إلى مؤسسها مونطانوس (Montanus ق٢م)، كانت تريد استبدال التراتبية الكَنَسية بأنبياء يوحى إليهم. (م).

(٩) «لقد أفاض كبار المتصوفة المسيحيون في شرح شطحهم. كما فعل ذلك أيضاً آباء الكنيسة وزُهَّاد الهند. أما الجذبة، فهي على العكس، سواء أكانت جذبة مملوك أم شامان، فخاصيتها أنها تتعرض للنسيان التام. ومن ثمة، فعلاقة الأنا بجذبتها، في هذا الصدد، هي تماماً عكس علاقة الأنا بشطحها». (ج. روجيه، ١٩٨٠: ٣٣).

(١٠) البانطو (Bantou): اسم يطلق على إحدى كبريات العائلات اللغوية بإفريقيا، وتتكلمها مجموعة سكانية من إفريقيا السوداء تقدر بحوالي ٦٠ مليونا، تقطن في حزام يمتد من دُوالابك كاميرون إلى مومباسا بكينيا .عن: معجم الإثنولوجيا (بالفرنسية)، م. س. (م).

(١١) حول الفرق بين الكلمتين، فاللغة العربية هي الأخرى لا تتوفر على مصطلحين للدلالة على السحر بكيفية تسهل إيجاد معادل لكلمة «Sorcellerie» الفرنسية ومعادل آخر لكلمة «Magie» في اللغة العربية، وإن كان ممارسو السحر يميزون، بشكل ضمني في الغالب، بين نوعين من السحر. هكذا ففي حالة المغرب، مثلا، يمكن القول بصفة عامة إن السحر بمعنى «Magie» ينتمي إلى حقل المقدس الديني ويمارسه «الفقهاء» وله - حسب مزاوليه - وضع محلل ومشروع. إنه يصدر أيضاً من الأولياء والزوايا

الدينية على شكل بركة. أما السحر بمعنى «Sorcellerie»، فهو ممارسة دنيوية، مناهضة للدين، ترتكز أحيانا على سلطات غريزية ينفرد بها الساحر، هذا الأخير الذي يعتقد أنه يتحكم في العفاريت ويسحر ضحاياه عبر وجبات تحوي مواد سامة. والسحر بهذا المعنى يمارسه أفراد كالشوافات (العرافات) اللواتي يظل وضعهن محرما وغير شرعي. وبالجملة، فإن سياق تلفظ كلمة «سحر» من قبل الثلاثي الساحر - الزبون (أو الضحية) - المجموعة الاجتماعية، هو الذي يحدد المعنى الدقيق المراد بها. (م).

[١٢] الأزاندي (les Azandé): أحد شعوب إفريقيا يتكلم اللغة السودانية ويقطن في منطقة اقتسام المياه بين النيل والكونغو داخل تراب متقاسم بين جمهوريتي الزايير وإفريقيا الوسطى ثم السودان. وقد أقام إيفانس برتشارد بين الأهالي الأزانديين مدة عشرين شهرا متقطعة فيما بين ١٩٢٦ و١٩٣٠، فألف انطلاقاً من المعطيات التي جمعها خلال هذه الحقبة سفره الضخم (بالإنجليزية) الذي ترجم إلى الفرنسية في ٦٢٤ صفحة تحت عنوان:

Sorcellerie, oracles et magie chez les Azandé, Paris, Gallimard, 1972.

عن: معجم الإثنولوجيا، مرجع سابق. (م).

[١٣] السر هو «بريق العينين، وجمال الجسم المشرق، وتألق المحبوب. كما أنه هبة المرأة للرجل في الزواج» (م. ديتيان، ١٩٧٢: ١٦٧ - ١٦٨).

[١٤] يتجلى حب المرأة للعطور بشكله العصري في الكمية المدهشة من قارورات العطر مختلفة الأحجام التي تحفظها النساء في لوازمهن الشخصية، وكذا في جمعهن للصابونات المعطرة.

[١٥] تعمد النساء، لتطييب أنفسهن، إلى علك حبات من القرنفل.

[١٦] لقد قمت شخصيا بجمع هذه الخرافة التي حكتها لي امرأة من قرية آت ويليس (من القبائل الصغرى).

[١٧] تقصد الفصل الأول من الكتاب الذي نترجم منه الفصلين الحاليين. (م).

[١٨] يقول مثل قبائلي: «بوييلس مدّن أكّوينس» (فصيح اللسان يملك العالم بلسانه).

[١٩] في ما يخص الأمسناو، راجع: م. ماميري، وب. بورديو، ١٩٧٨، وم. ماميري، ١٩٨٠.

[٢٠] تستعمل النساء فعل إسّنْ (عرف، علم) لتسمية الساحرة، فيقلن مثلاً: «فلانة تَعْرف». ومن ثمة، فالساحرة تكون بالضرورة عالمة وبصيرة.

عن بعض تأويلات السحر العصرية[1]

❖ خوليو كارو باروخا

قبل أن يعتلي العقل عرش أوروبا عرفت هذه الملكة إبان القرون XV وXVI و XVII ضغطاً غير مسبوق في التاريخ. فقد سجنت محاكم التفتيش التي انتشرت في مجموع دول أوروبا، بتزكية من الكنيسة وتحت إشرافها، لحفظ الكاثوليكية من البدع والشيطان، سجَنت وشنقت وأحرقت عشرات الآلاف من الأشخاص أكثرهم ساحرات مزعومات... كان يكفي أن يبلغ عن امرأة ما أحد جيرانها أو أقاربها (ابن، زوج، أخ، الخ)، بل وحتى طفل ما، فتجد نفسها في جحيم العقاب. وكانت محكمة التفتيش، في المقابل تلتزم بعدم إفشاء اسم الواشي. بعد اعتقال المشتبه بها، يُطلب منها أن تعترف (بأنها ساحرة) وتزود المحكمة بأسماء شركائها. فإن أقرَّت عوقبت وإن لم تعتَرف أجبِرَت على ذلك بالقوة. ولأجل ذلك، تفننت محاكم التفتيش في استخدام أساليب العقاب الجسدي :منها، مثلا، التكبيل بالسلاسل، الضرب، وضع المشتبه بها في سجن مساحة من الضيق بحيث ترغم الضنينة على الجلوس فوق غائطها، إنفاذ إبر حادة طويلة في مختلف أطراف الجسد بحثا عن علامة الميثاق الذي قد تكون الساحرة المزعومة عقدته مع الشيطان، إلقاؤها في صهريج ماء،فإن غرقت قيل إنها بريئة، وإن طفت فوق الماء قيل إنها ساحرة، الخ. وخلال اعتراف الساحرة المزعومة، كان يُنتزع منها إكراها أنها وقعت ميثاقا مع الشيطان، بعد أن تبوّلت على الإنجيل وكسَّرت الصليب، وشتمت (مريم) العذراء، بموجبه صارت تملك القدرة على الطيران في الهواء وإرسال الرياح لإغراق السفن وتمريض الآخرين... كما تعترف بأنها تواظب على حضور محافل السبت، حيث ترقص عارية وتضاجع التيس على إيقاع دقات طبول جماعة السحرة وبحضور الشيطان نفسه...

وقد كُتبت ـ ولازالت تكتَب ـ دراسات عديدة جداً، ومن زوايا متنوعة، عن ظاهرة مطاردة الساحرات واضطهادهن. والدراسة الحالية محاولة لإيجاد تفسير لها: هل كان الضحايا سحرة بالفعل أم أنهم لم يكونوا سوى أكباش فداء عبَّر المجتمع من خلالهم عن توتراته الداخلية؟ والبحث التالي كتبه مؤرخ إسباني ضليع في الموضوع،

ربما كان كتابه «الساحرات وعالمهن» من أهم المؤلفات في هذا المجال، يناقش فيه تلك التأويلات. (المترجم)

I. التأويـلات الأنثـروبـولوجيـة:

اهتم عدد كبير من الناس، في الأزمنة الحديثة، بالسِّحر الكلاسيكي، وأقصد به ذلك السحر الذي تكشف عنه كتب القضاة والمحققين التابعين لمحاكم التفتيش[٢] في القرون XV، و XVI، وXVII. من أولئك المهتمين مؤرخو القانون وأطباء المرض العقلي وعلماء النفس وعلماء الاجتماع ثم الأنثروبولوجيون. ولن أتحدث عن البحاثة وهواة جمع الوثائق الذين لا يسعون مطلقاً إلى تفسيرها، ولا عن زمرة الشيطانيين أو مناهضي الشيطان الذين يؤمنون بالسحر أو يتظاهرون بالإيمان به أمثال بيير دولانكر[٣] أو كتَّاب آخرين قبله. وقد دخل مؤرخو الأديان هم الآخرون الحلبة. وإذن فنحن في خطر كبير، خطر الضياع في غابة الآراء المتناقضة التي أتاح التحليل الحر استخلاصها. لكن يمكننا أن نخاطر، دون خوف كبير، بإنجاز تحليل وجيز من هذه الأحكام المتناقضة، وذلك بعدما لاحظنا أنها غالباً ما كانت سطحية لا تهدف إلى أي شيء عدا إذهال جمهورٍ جشعٍ بحكاياتٍ فظة وبعد أن حذفنا ثلثيها إن لم يكن ثلاثة أرباعها.

قبل الشروع في هذا التحليل، أودُّ الإلحاح على طبيعتي الأساسية باعتباري مؤرخاً سعيتُ دائماً إلى البحث، خلف الوثيقة التاريخية أو خبر الوقائع الجارية، عن الدلالات المتعالية عنها، فنتج عن ذلك أنني اعتبرتُ دائماً بعض تقنيات إعادة البناء التي يستخدمها أركيولوجيو المدرسة القديمة وأنثروبولوجيوها، تقنيات فيها شُبهَةٌ ما. عندما يتحدث كهلٌ من العصر الوسيط عن علاقات عبادة ديانا[٤] بالسحر، فإن الأمر يبدو لي واضحاً فأتمُّ عملي بهدوء، ولكن عندما يُرادُ إقناعي بأن نصا قديما آخر، يتحدث عن الشيطان المسيحي، إنما هو إشارة محجوبة لإله قديم مُقَرَّنٍ [= له قرنان] تمتد عبادته منذ ما قبل التاريخ إلى العصر الوسيط، فإنني أضطر لبذل جهد كبير لمواصلة قراءتي، فأتوقف حائرا في البداية، ثم متشككا بعد ذلك .إذا كان من الضروري إعادة البناء والتجريد، فإنني بالتأكيد لن أندفع في هذا الطريق الحفري- الميال إلى الخيال بحثا عن الحقيقة. لستُ في سن من تَفتنُه الفرضيات التطورية[٥] الصادرة من ذهنِ شاب محشو بحفريات ما قبل التاريخ.

لكي أوجِّه نفسي وأوجِّه القارئ في مجال التأويلات، أعتقد أنه من اللائق الآن أن نضع أنفسنا في منتصف الطريق.

لقد أظهر لنا كلُّ ما قلتُه حتى الآن بشأن الواقع التاريخي للسحر أن هذا الأخير يرتبط بنظام خاص من المشاعر والمعتقدات. وما نعرفه في هذا المجال لا ندين به إلى ما يعتقده السَّحرة والساحرات بقدر ما ندين به إلى ما يعتقده الآخرون بشأنهم، لأن مشاعر هؤلاء ومعتقداتهم تعد أكثر انسجاماً وأسهل للدراسة عبر الزمان والمكان من مشاعر ومعتقدات السحرة أنفسهم.

من جهة أخرى، يسهل دائماً التأكد مما يقال أكثر مما يسهل التأكد من الحدث الذي يشكل أساس ما يُحكى. فساحرة علاقات المحاكمات يمكن أن تخفي شخصية حقيقية يصعب رسمها بطريقة واقعية. ولذلك سندرسُ بعض المؤلفين المعاصرين الذين لا يشكون في الوجود الفعلي لساحرات كنَّ مقتنعات تماماً بأنهن ساحرات حتى وإن لم يكنَّ مسؤولات عن أفعالهن. ومما يدعو للمفاجأة كوننا سنكتشف من بين هؤلاء المؤلفين مدافعين متحمسين عن هذه الأطروحة.

من المعروف أن مارغريت موراي قد نشرت كتاباً آخر بعدما سبق لها أن عرضت في مؤلفها The Witch Cult in Western Europe أطروحتها حول السحر باعتباره مخلفات[٦] من عبادة ديانا. ولكونها تعاملتْ مع جميع المعلومات الخاصة بـ «محفل السبت»[٧] باعتبارها معلومات صحيحة، فقد انتهت في كتابها الجديد إلى أن الساحرات كنَّ يعبدن إلها غريبا أقرن يرتد أصله إلى ما قبل التاريخ، وهي أطروحة لا يمكنني تبنيها. وأشير، من جهة أخرى، إلى أن هذا النوع من التأويلات المرتكز تقريبا على معرفة صلبة وعلى منهج مقارن أقل صلابة، ليس وليد اليوم. فقد كان بيير لولواييه Pierre le Loyer، وهو رجل قانون معاصر لدولانكر، سريع التصديق مثله، وصاحب فكر أرهقته معرفة كبيرة، قدسية ودنيوية، شرقية وكلاسيكية[٨]، كان لواييه يستند إلى نص لأرنوب Arnobe ويرى أن التيس الذي كانت تعبده الساحرة إنما هو أتيس(Athys)[٩] نفسه، وأن عَبَدة باخوس والجدة (Grande Mère) والـ Côtyto[١٠] كانوا رواد سحرة عصره (ب. لولواييه، ١٦٠٥: VII، ٧٠٨). فكل العادات والاحتفالات الشيطانية، بحسب رأيه، توجد في العصور القديمة الكلاسيكية. أما نحن فنمضي اليوم بعيدا جداً، إذ أصبحت حقبة ما قبل التاريخ موضة في المجتمع المترف حيث تضم

التماثيل إنسانية الشكل المنحدرة من العصر الحجري القديم الأعلى إلى الأقنعة البدائية وإلى التماثيل والمنحوتات المرعبة، كما في متحف إثنوغرافي قديم.

وأتباع مارغريت موراي الذين يمضون أبعد منها قادرون على كتابة ما يلي:

It was shown earlier that the Horned God of the primitive paleolithic peoples Known in a nmber of different forms everywhere, took on a special significance in Mesopotomia and Egypt, where he became associated with the whole ancient magical system» (Hughes, 1952: 91).

لا أرى ضرورة لتقفي طريق هذا الإله الأقرن عبر القرون، كما أنني مقتنع بأن العديد من الآلهة، منذ العصر الحجري القديم إلى الأزمنة الحديثة، كان لها خاصياته نفسها. والرغبة في اكتشافه في محاكمات السحر وراء قسمات الشيطان أو إبليس ـ كما يظهر دوما في معجزة تيوفيل ـ هو خطأ شائع في الأنثروبولوجيا التي ترتكز على مقارنة وقائع معزولة وعلى نظام من التداعيات خاص بها؛ خطأ يرتبط هو نفسه بنظرية في المخلفات صارمةٍ وبأطروحات أخرى لا داعي لعرضها في هذا المقام. والشيء البديهي الوحيد هو تأثير فكرة الشيطان في الحياة الوسيطية وحتى في الحياة اللاحقة. ومن وجهة نظر تاريخية، يستحيل اقتلاع تلك الفكرة؛ وذلك كما لو أردنا إزالة الخوف من الشيوعية باللجوء إلى تفسير بعض أعمال المجتمع الراهن أو ـ على العكس ـ بأن نزعم تبريرها بأفكار تعود إلى مائتي عام أو أكثر، حيث نتمسك بأبسط سمة فيها يمكنها أن تذكر بالمذهب الشيوعي.

وباختصار، أرى من الخطأ البحث عن أصل مشترك، عن اتصال تاريخي لمجموع الظواهر المدرجة تحت اسم سحر، إذا كان ذلك البحث يرجع إلى عصور ما قبل تاريخية، ويرتكز على وقائع كتلك التي تحتج بها مارغريت موراي وترى أن السِّحر هو عبادة خصبٍ تنحدر من أصل مصري، الخ. فالبحث عن أسلافه المباشرين في عبادة بعض الآلهة الوثنية الأوروبية من جهة، وفي عبادة الشيطان ذات الأصل الوسيطي من جهة ثانية، يكون أقل مجازفة. إن الجناحين يتقدمان على هذا النحو:

السحــر معتقد منفعل

(ما يُعتقَد عن الساحرات)

إمكانية قيام المُقطَعين[١١] وأتباع عبادة الشيطان وعبادة الجن بأعمال مؤذية.

معتقد فاعــل (ما تعتقده الساحرات)

إمكانية القيام بأعمال سحرية، رُقى نافعة أو مؤذية، تحت حماية إلهية مثل ديانا وهيكا وهولدا وبنسوزيا، الخ.

وبذلك فمشكل الإيمان بالسحر يعتبر أشد تعقيداً من أي مشكل آخر. ذلك أن الأمر فيه لا يتعلق بمعرفة ما إذا كان هذا السحر زائفا فقط، بل يتعلق أيضاً بإظهار أين تكمن صحته أو زيفه و ـ في نهاية المطاف ـ لماذا كان من الصعب جداً إثبات زيف بعض الأعمال [السحرية]. وسأتوقف هنا لأشرع في تفصيل التقسيم بين الاعتقاد الفاعل والاعتقاد المنفعل.

II. التأويلات اللاهوتية:

بعد مواجهتي للأنثروبولوجيين ها أنذا أمام اللاهوتيين الذين لا عهد لي بهم. من البديهي أنهم يرون أن السحر واقع غير قابل للنقاش. لكن الأمر الذي يشكل موضوع نقاش هو فقط طبيعة الحالات المتأملة: أقصد أن لاهوتيي أيامنا هذه يمكنهم، أكثر بكثير من علماء الدين القدماء، أن يدرجوا ضمن الأعمال السحرية وقائع لا علاقة لها إطلاقا بالسحر. لكن لا شك بتاتا في أنه «باستطاعتنا أن نواجه تشكك المصرِّين على نفي وجود هذه الأعمال وجودا موضوعيا، واعتبارهم إياها مجرد نتاج للمخيلة، بحجج تنحني أمامها العقول القوية نفسها». هكذا كان يتحدث أحد لاهوتيي مستهل القرن الحالي، وهو مؤلف صدر له كتيب في السحر ضمن سلسلة كاثوليكية (برتراند، ١٩١٢: ٧). وتميل الظواهر التي يعرضها، وهي مأخوذة من مصادر متنوعة جداً، إلى إثبات حضور إبليس في عدد لا متناه من الشعائر والطقوس وإثبات حقيقة بعض حالات «الإصابة بالسحر»، الخ. ولكن المؤرخ لا يجد على الإطلاق في إبليس لاهُوتيِّنا هذا، السِّمَات التي يتعين عليه أخذها دائماً بعين الاعتبار.

وفي الحقبة نفسها كان كاتب آخر، ذو فكر حجاجي، يجهد نفسه في البرهنة على كون العصور الوثنية لم تكن بعيدة عن الحقيقة بالقدر الذي نتصوره عادة. وقد كان يرى أن عبادات تلك العصور قد تكرست في شعيرة جوبيتر[١٢] أو زوس من جهة، وفي عبادة ديونيزوس، من جهة ثانية. الأولى تسبِّح للإله الواحد، والثانية تسبح لروح الشر (غودار، ١٩٢٥: ٣٠ ـ ٣٢). فيما وراء كل صيرورة تاريخية، ستكون الإبليسية، إذن، ظاهرة ثابتة تحكم أوروبا وباقي القارات.

يجب التعامل بحذر مع هذه الأطروحة القابلة ـ بلا شك ـ للدفاع من وجهة نظر دينية، بحذر لأن الديانات الفلسفية الباطنية ليست خليطا من الأضاليل التي يتخيلها من

يجهلها أو من لم يدرسها إلا سطحيا وبأفكار مسبقة. كما أن بعض اللاهوتيين العصريين، الذين يتحلون بجدية وموضوعية أكبر، يكتشفون فيها عناصر هامة بشأن البحث عن آثار الوحي الأول، الخ. فلندرس بشكل خاص السحر الوسيطي والحديث.

من بين اللاهوتيين الذين يشجبونه لكونهم يؤمنون به نذكر مؤلفاً إنجليزياً، هو مونتاغ سوميرس الموقر (Le Révérend Montague Summers) الذي نشر كتبا أصيلة وطبع ترجمات كتب قديمة مرفوقة بتقديمات وشروح[١٣].

يتحدث مونتاغ عن إنستيتور وسبرانجر وبودان ودانو، الخ. بتبجيل، ويعتبرهم مكتشفي وكاشفي ظواهر واقعية. كما لا يتردد في إطلاق أقبح النعوت على من كانوا يتهمونهم بالسحر: «لقد كانوا أناسا - أو هم أناسٌ - ملاحدة، جهنميين، وممقوتين». وهو يرى أن تعليم الفنون السحرية - بطليطلة - هو بالتأكيد شبيه بـ«محفل السبت» أو المنتديات الجحيمية في الجامعة الإنجليزية. ولجميع القوانين القديمة والشهادات الأكثر جسارة معنى جسيم في رأي هذا اللاهوتي صاحب الأسلوب النثري القديم شيئا ما - في اعتقادي - الذي يعتبر آراء مؤرخي بداية القرن العقلانيين أمثال هانسن (Hansen) وليا (Lea)، الخ. آراء غير مقبولة. لا أظن أن مثل هذه الأفكار يمكن أن تمارس تأثيرا حاسما في المجتمعات الراهنة. ويبدو لي أن ذوق قطاعات واسعة تجاه هذه الموضوعات - سواء أتمّت معالجتها «بالأقدمية»، بطريقة أرثوذكسية، أم بطريقة ابتداعية - هو ذوق عَرَضي (symptômatique) بمقدار خفة هذه القطاعات في استعمال المصادر.

III. الشيطانيون المحدثون:

فلنترك هذا الميدان الذي تخضع فيه معاييرُ المؤرخ الجادة لمقاييس ربما لا يملك الكثير ليتكلم. لكن لنسجّل مفاجأتنا لرؤية مؤلفين يتبنون وجهة نظر لاهوتية، يستخدمون كتبا ليست أرثوذكسية ولا حتى مسيحية، وعلى كل حال ليست جديرة بالثقة الكبيرة. ولا نخفي قلقنا من هذا التكاثر الذي تعرفه اليوم كتب السحر الأسود والتعاويذ والسِّحر، وأعمال من يزرعون هذه الممارسات القديمة. بمقدار ما استطعت الحكم على مؤلفيها فقد وجدتهم في أغلب الأحيان مخادعين، مشعوذين، استعراضيين[١٤] ماكرين أو مفسدين تقريبا، يُتعِبُون حقا القلم، ويكتبون لجمهور سهل الإرضاء. ومن هنالك مصدر كونهم يستعملون في أغلب الأحيان أسماء مستعارة لإخفاء حياتهم الصعبة البئيسة، أو عدم كفاءة لا علاقة لها إطلاقا بالإبليسية الحقة

التي تعبر من مسالك أخرى والتي، مثل الإحسان، تبدأ من النفس كما يقول سانشو بانصا.

هكذا لازال كتَّاب لم يكونوا روائيين ولا مهرجين، أمثال الإكليركي تارك الرهبانية ألفونس لويس كونسطان Alphonse Louis Constant (1816-1875)، المعروف أكثر بالاسم المستعار إليفاس ليفي، لا زالوا يملكون عددا كبيرا من القراء، ولازالت كتبهم تطبع بشكل يفوق كل ما يتصوره المرء منذ قرون وتُتَرْجَم بروز كروا[١٥] وهُرمُسيين، الخ. وذلك رغم أن المدعو إليفاس ليفي اضطر لبيع الفواكه تحت وطأة حياته الصعبة، ثم التحق، على مرأى ومسمع الجميع، بحضن الكنيسة الكاثوليكية.

ومع أن آخرين يُعَدُّون خصوما لمنظري السحر، فإنهم يشاركون هؤلاء في الإيمان بأن جرائمَ الساحرات جرائمُ واقعية، فينبذونهن ويضيعون في متاهة من التأملات القبَّالية[١٦]. لنقرأ، مثلا، ما كتبه سطانيسلاس دي غوايطة عن الساحرات في واحد من كتبه الأكثر شهرة (س. دو غوايطا، ١٩١٥: ٣٠ ـ ٣٣). وقد أخذ رجالٌ أمثال موريس باريس Maurice Barrés تلك الترهات والأباطيل مأخذ جد!، بمعنى أن أتباع السِّحر و ـ أكثر من ذلك ـ أتباع عبادة الشيطان، أو على الأقل المتعاطفين منهم، هم متذوقون للجمال. ومثلما تحوَّلَ أكثر من بروتستاني إلى الكاثوليكية، تحت إغراءات حسية وفنية، حضَر بعضُ الأشخاص ذوو الحياة القلِقَة والمُقلِقَة قدَّاسات سوداء واجتماعات سحرٍ وألعابا منحرفة بتأنق خالص ودون أي باعث ديني. وتلك حالة هوسمانس Husmans في كتابه الشهير هناك Là-bas، الذي أخذه مأخذَ جد السحرة والمعوِّذُون الذين يمضون بعد ذلك إلى حدٍّ تأليف مصنفات في السحر (انظر ر. شوابل، ١٩١١: ١١٥) على شاكلة ما يؤلف كتاب الطَّبخ أو في صناعة الأثاث.

لكن ملاحظات حول هذا الموضوع وإحالات عديدة جداً متعلقة به، تسمح لي التأكيد بأن هؤلاء الناس من كتاب متفسخين، ونساء عائدات إلى الشهوات الشاذة، وشباب غامض، ينتمون إلى أوساط خاصة جداً من المجتمع الحضري. ودراسة هذا الوسط الغني بالأشخاص المحرومين، خائبي الظن، المنحرفين، ذوي الحساسية غير السوية، تلك الدراسة قد تكون ذات أهمية أكيدة لتشييد نظرية عامة في عبادة الشيطان .لكن من يستطيع بناءها على الوجه الأكمل دون أن يسقط في الشعوذة والكذب؟

إن ما نعرفه عن هذه الحلقات، عن طريق بعض أعضائها، لا يعدو مجرد كلام فارغ، والأعمال التي تقوم بها لا تكون في أغلب الأحيان سوى لوائح من الوقائع التاريخية المحدَّدة أو معارضات[١٧] خالصة تكذِّب زعمهم في تواصلية مجموعات من السحر قديمة جداً كالتي لا زالت متبقية في أوروبا الشرقية[١٨].

IV. أطباء المرض العقلي وموقفهم:

لا يمكن إنكار أن بعض المجتمعات تتأثر أكثر من غيرها بالإيمان بالسحر. ويعتبر كتاب الدكتور فورتن Fortune (سحرة الدوبو[١٩] Les sorciers de Dobu نيويورك، ١٩٣٢) الذي يصف جماعة بشرية غارقة في عالم لا ينتهي من الرقى المؤذية الحاضرة في حياة سائر الأيام، يُعتبر مثالا كلاسيكيا لهذا الأدب العلمي الحديث. ورغم أن كتابه قد اتُّهِم بالمبالغة[٢٠]، فمحتواه قابل للمقارنة ببعض فصول تاريخنا.

عندما كانت السلطات المدنية في كيبوزوكا (Guipûzoca) وبسكاي (Biscaye) ومناطق أوروبية قديمة أخرى تشكو من الرقى المؤذية التي تضر بمواطنيها، وتطالبُ بتدخل العدالة، فإنها لم تكن تفعل سوى الإشارة إلى أنها كانت هي الأخرى تعيش في «سحرية magicité» كاملة. لقد كانت أشكالُ البؤس والشقاء الفردية والجماعية تُعزَى دائماً إلى العمل المتجدِّد للرُّقى المؤذية. لكن خلافا للأنثروبولوجيين (وبارتكازي على حالات تاريخية)، أقدِّرُ أن تأثير من يعانون من الرُّقى المؤذية هو أهمّ بكثير من تأثير من يعتقدون أن لهم قدرة على استعمالها. فالشعور المنفعل لدى المسحور يعمل أكثر من الشعور الفاعل عند السَّاحر على خلق مناخ اجتماعي مماثلٍ للمناخ الذي عمَّ كيبوزوكا في القرنين XV وXVIم. والأمر نفسه ينطبق على أشهر الحالات الفردية التي ستعرف فيما بعد.

ها هي في إسبانيا حالة الملك شارل الثاني الذي افلح بعضهم في حمله على الاقتناع بأنه كان مسحوراً. وقد قُبِلَ الأمر وانتشر في المجتمع المدريدي بكامله تقريباً، من الأرستقراطية الأكثر رقيا إلى عامَّة المدينة. كانت طبيعة السحر دائماً غامضة وظلت شخصية الساحرة دائماً مجهولة. لكن أولئك الذين زعموا التخفيف عن الملك الشقي، بواسطة العزائم والتعاويذ أو بواسطة ممارسات أخرى، سرعان ما سيدفعون ثمن تدخلهم فيما بعد، حيث سيتعرضون للتعذيب من قبل المحكمة المقدسة[٢١] (د. دو ماورا، ١٩٥٤: ٢٩٤ ـ ٣٠٧).

ينشأ السِّحر ـ وقد قال مالينوفسكي هذا ـ من شعور الساحر بالحرمان والعجز. ما القول في من يعتقد أنه مسحور؟ إن هوس التعذيب متعدد الأشكال في المجتمع اللائكي، يلعب في المجتمعات التي تهيمن فيها السِّحرية (magicité) دوراً مماثلاً إن لم يكن أكبر من دور الشعور بالحرمان هذا. من هنا كون السحر أثار اهتماماً قوياً لدى من اهتموا بأحوال النفوس المريضة، سواء تعلق الأمر باختصاصيي الأمراض العقلية أو بالرجال الذين يعتنون بالعلاقة بين طب الأمراض العقلية والطب الشرعي، أو السيكولوجيا الاجتماعية للجماهير. وسيساعد التمييز بين الاعتقاد الفاعل والاعتقاد المنفعل على فهم هذه الوجهات للنظر.

قد سبق لأطباء المرض العقلي أن اعتبروا في النص الأول من القرن XIX سحر المحاكمات الكبرى بمثابة نوع من الجنون الجماعي المعدي. ويقدم كالميل Calmeil في كتابه الشهير عن الجنون de la Folie أمثلة عديدة عن «التجنن» démonomanie تمثل هذه الوجهة للنظر (ج. لوي كالمي، ١٨٤٥). وقد استعمل آخرون من بعده هذا التوثيق الغني[٢٢]. من جهة أخرى، لم يتم دائماً التمييز بدقة بين ممسوسي الجن أو الأرواح والمصابين بالاختلاج، أو على الأقل إن التمييز بين الشخصية المريضة نفسياً وبين الساحرة لم يكن مرسوما بوضوح، وذلك خلافا لشخصية ضحاياها. ويقارن ريشي بلا تردد مرضى شاركو الهستيريين، بالسالبتريير[٢٣]، بالشيطانيين القدماء. وكان يجد عند الإثنين سمات مشتركة، منها على الخصوص فقد الحسّ في بعض أطراف الجسم. وهو ما كان مصدراً لإنجاز دراسة واسعة حول السحر باعتباره «مرضاً معدياً»، صنَّف الباحث ضمنها حالات المسّ من الشيطان (ش. ريشيه، ١٨٨٧: ٢٦١ ـ ٣٩٤).

بعد ذلك بكثير، سجل أ. ماري التزامن بين ظهور حالات الإصابة بالسحر وبين المراحل الطويلة من المعاناة الجسمية والمعنوية (أ. ماري، ١٩٠٧: ١٣٤ ـ ١٥١). لكنه، كالذين اهتموا «بأمراض الشيطان»، درسَ اضطرارا الحالات المتأخرة التي يعد فيها المس الشيطاني أساسياً، بدل دراسة حالة السحر بحصر المعنى. يتعارض أطباء المرض العقلي في نهاية القرن XIX وبداية القرن XIX بوضوح مع اللاهوتيين؛ إلا أنه يجب الإشارة إلى أنهم قليلاً ما يكترثون لكتب القدماء، كما يفتقرون إلى الدقة والاهتمام بنقد مصادر معلوماتهم. إن أبحاثهم المباشرة، غير الكتبية، تفيدنا أكثر. وهكذا فحالة النساء اللواتي يقعن فريسة قلق مرتبط بحضور شخص، ويمكنه أن يتحول إلى شهوة حسية، تعتبرُ حالات مثيرة للاهتمام. ومعنى ذلك أن السّقوبة[٢٤] (لا أعرف إن

كانت شائعة) ثابتة طبيا[٢٥]. كما يمكن مقارنة حالات أخرى معزولة، أو بعض السمات الحسية (كفقد الحس أو جمود العاطفة)، بالصفات التي تعطى للسَّحرة. لكن تنقصنا ترسيمة الكل المرتكزة على ملاحظات العيادة أو المستشفى. ولذلك أبدي تحفظات حول أطروحة العدوى عند ضحايا القمع، وبعبارة أخرى عند السحرة والساحرات. في الحقيقة، يمكن دراسة إوالية العدوى عند القضاة وشهود المحاكمات (وعلى ضوء بحث طب الأمراض العقلية الأكثر أمانة)، ذلك أنهم هم الذين يسوقون أولى الملاحظات ويقدمون الوثائق الأكثر مباشرة عن أنفسهم. وأعتقد أني بيَّنتُ ذلك بما فيه الكفاية ضمن هذا الكتاب[٢٦]. عندها، يجب الانطلاق ليس من مشكل طب الأمراض العقلية فحسب، بل ومن المشكل الشرعي أيضاً، من دراسة عقلية القضاة والشهود، لا من عقلية المتهمين.

وسأذكِّر هنا ببحث جول فاليس العامِّي[٢٧] العنيف الذي كان يجد في الكتاب دافع أغلب الأعمال الإنسانية ويستبدل النصيحة المسلية المعطاة للمؤرخين وعلماء النفس: «ابحثوا عن المرأة» بالنصيحة: «ابحثوا عن الكتاب»[٢٨]. وبالفعل، فتأثير الكتب في الأعمال الفردية والجماعية تأثير عظيم؛ ويعدُّ أحد هذه الكتب نموذجا في تاريخنا: إنه الـ Malleus malefiorum[٢٩]. لقد انتشر مذهبه بسرعة كبيرة في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وبلدان الشمال. كما أثر أيضاً في الكاثوليكيين والبروتستانيين على حد سواء. وكلما كان القاضي مثقفا ازداد تمسكه به. لقد كان بيير دولانكر بحاًثة أكثر من دون ألفونسو دي سالاثار Don Alfonso de Salazar وفرياس Frias. وملك إنجلترا، جاك الأول، لم يكن جاهلاً. لكن يمكن لمن يدَّعون المعرفة من أهل السلطة أن يكونوا ـ بعيداً عن ترسانة من السلطات وعن آراء متحذلقين آخرين ـ مرعبين، خاصة إذا وجدوا جمهورا مهيئا للخضوع، لا بل ومُهَيئاً حتَّى لتعظيم التظاهر بالعلم المتحالف مع الرّعب. في مواجهة الساحرة الحقيقية أو المفترضة يقف مدّعي المعرفة المتحذلق، ممتلك السلطة، المستعد لعقاب أصحاب الرّقى المؤذية المزعومين.

لنتحدث الآن عن شخصية أخرى معادية للمعَذَّبة، أي الساحرة، إنها شخصية الشاهد. في اعتقادي، يمكن لأطباء المرض العقلي أن يقولوا عنها أيضاً، وانطلاقاً من تجارب عامة، أشياءَ أكثر يقينا مما يقولونه عن الساحرة نفسها.

V. عن الشهود:

لقد أحدث أ. دوبريه، وهو أحد أطباء باريس في بداية القرن الحالي، متخصص في الطب العام، وخلف عدة كتب امتلأت بملاحظات ساطعة، أحدَثَ كلمة «الولع بالأكاذيب». هكذا حدد النزعة المرَضية (الإرادية الشعورية تقريباً) إلى الكذب والتخريف، التي لاحظها مراراً في الاعترافات التي حصل عليها في حياته المهنية (دوبريه، ١٩٢٥: ٣).

رغم أن الميتوماني[٣٠] يَكذِبُ إرادياً، فهو يؤول إلى تصديق مزاعمه؛ ونجد هذه الخدع في أغلب الأحيان عند الأطفال والمرضى العقليين (نفسه: ٩٩). وهي عند الطفل لا تَكون حالة مرضية بالضرورة، بينما عند الراشد تكون دائماً حالة مرضية (نفسه: ٥٤).

غالباً مايُرافقُ الميتومانيا عند الطفل، أو المراهق غير الطبيعي، خُيَلاءٌ وخبثٌ وبعض الشهوات الفاحشة (نفسه: ١٤). وهو كثيراً ما يتصرَّف في هذه الحالة تحت تأثير إيحاء خارجي (نفسه: ١٨). وهذا الشكل من الميتومانيا الموحى به، الذي انصب عليه اهتمامُ أ. دوبريه، هو ما سندرسه هنا. فبواسطة الإيحاء قدَّم الأطفال تصريحات زائفة تماماً أمام المحاكم، وأعطوا تفاصيل خارقة للعادة حول انتهاكات العرض والفضائح الخلقية بصفة خاصة.

وما يشكِّل محور اتهامات الطفل دائماً، بحسب قول دوبريه، هو محادثات الجيران وأسئلة الآباء:

«تحت وطأة المفاجأة وما يصيبهم من نقمة، يجنِّنُ المقربون ـ وخاصة الآباء الجشعون لمعرفة تفاصيل الجريمة، وتحديد ساعة وقوعها، ومكانها، ودوافعها ـ بأسئلتهم الطفلَ المضطرب والمفزوع. وهم يعزون ارتباكه إلى الإحساس بالعار والرَّغبة في التوبة اللذان يمليان عليه لا شعوريا من قبل الأجوبة التي ينتظرونها منه بتلهف. هكذا تتضح وتفبرك معالم سرعان ما سيحفظها الطفل عن ظهر قلب ويتمسك بها تجاه الجميع وضد الجميع. لن ينس منها أي شيء وهو يحكيها؛ أثناء عمليات الاستنطاق، سيعيد بسُهولةٍ ما يوحى إليه به» (نفسه: ٢١ ـ ٢٢).

يمكن أن نذكر هنا بمظاهر أخرى للاعتراف وقيمته العلمية، درسها أطباء شرعيون. وقد يُلاحَظ أن ما صلح باعتباره أساساً لدراسة علمية قصد البرهان في مادة الشهادة هو تحديداً محاكمات سحر، وأن الاختصاصيين متفقون على السمات التي تجعل الشاهد الحقيقي (وليس الزائف) يبالغ ويكذب جزئياً.

إن أمكَن في باريس الراهنة، أو في أية عاصمة أخرى، لمراهقين وأنصاف مجانين أن يُربكوا قضاة ومحامين بحكاياتهم النيئة والفاحشة، فإن النبوءة نفسها والفضائح الخلقية نفسها كان بإمكانهما أن ترافقا الإيمان بأعمال شيطانية، أو مجرد سحرية، في المجتمعات التي كان يحتل فيها اللغز مكانة تفوق بكثير مكانته في مجتمعنا. لا تخلو تصريحات الأطفال أبداً، ذكوراً كانوا أو إناثاً، من سمات الفحش الأكثر إثارة للدهشة. ولا يسهل دائماً التمييز في تلك التصريحات بين ما يعود إلى الإيحاءات العائلية أو القضائية، كما يتم في حالة الفونطارابي[٣١] حيث تكون الإيحاءات واضحة.

عندما تحيي مارغريت موراي ومدرستها (وأترُك جانبا عبّاد الشيطان العصريين الذين يخلدون قداساتهم السوداء في فنادق باذخة ذات الهواء المكيّف) الأطروحة الواقعية وتقليد الإله الأقرن وهراءات أخرى، فإنهما يقطعان الطريق على أبحاث مباشرة صلبة وعريقة (ما داما ينطلقان من القرن XVI) لاستبدالها بخرافات حفرية نَزَوِيّة تقريباً. وهما يبخسان أيضاً قيمة الكتّاب الذين عالجوا محاكمات سحر، معالجة دقيقة، بوصفها قضايا شرعية أساساً. وفي الواقع، لقد تمّت في عصرنا مقارنة هذه المحاكمات ببعض المحاكمات السياسية. فقد كتب المسرحي الأمريكي الشمالي الشهير ميلر Miller مسرحية عن ساحرات سالم Salem[٣٢] أحرزت على نجاح كبير، تلمحُ - فيما يبدو - إلى المحاكم السياسية العاملة في بلده منذ بضع سنين. كل ما فعله ميلر في الحقيقة لا يعدو كونه أعطى شكلا فنيا لأبحاث أهل التنقيب الذين، لسبب أو لآخر، لا يرون في السِّحر سوى خطإ قضائي جسيم نشأ عن تجاوزات السلطة.

لنميِّز مع ذلك بين من يزعمون إصلاح شر موجود، كألونسو سالاثار والأب سبي Spé وسلطات كاثوليكية أخرى، وبين من لوَّحوا فيما بعد بالأخطاء وبقدر مماثل من الاتهامات ضد السلطة، وبالخصوص ضد الكنيسة الكاثوليكية في هذه النزعة. ويحذو مؤرخون بروتستانيون هنا، مِثلَ ليا Lea، حذو لاهوتيين منشقين مثل دولينجر Dollinger. وفي نهاية القرن XIX وبداية القرن XX بالغ في هذه النزعة أيضاً بعض الكتاب العقلانيين المناهضين للكاثوليكية: من بينهم جيل بيساك Jules Baissac والمؤلف الذي يختفي وراء الاسم المستعار جان فرانسوا .والجميع يزعمون أنه تمَّ نصب حجج قضائية جسيمة على قاعدة تافهة استعملها البروتستانيون بلا شك، لكنها كانت من عمل الكنيسة الكاثوليكية (إ. لوكارد، ١٩٢٠: ١٠١). كل ذلك يبدو لنا اليوم صبيانيا إلى حد ما، ونريد على الأقل معرفة الأسس التي بني عليها الخطأ

القضائي: ذلك أن خلق جُنحة ما ومتابعة صاحبها بفعلٍ ارتجاعي وإعطاء القوانين محتوى لا يتطابق مع الوقائع وإنما مع جُنَح مُتخيلة يصفها من يمليها أو شهود مشبوهون كما يحلو لهم، كل ذلك تجاوزات اقترفتها المجتمعات البشرية مرات عديدة قبل العصر الوسيط وبعده. مِثلُ هذه التجاوزات أمرُ يُهَدِّدُنا اليوم من جديد، والمحاكمات السياسية يمكن أن تضيء موضوعنا؛ فصحيح أن الحياة هي سيدة التاريخ لا التاريخ سيد الحياة. ولكن شيئا واحدا يبقى مؤكداً، وهو: مَنْ يَرتكب تجاوُزات ينطلق دائماً من حدث واقعي؛ فمنْ كانت محاكمات التفتيش القديمة تتهمه باليهودية لم يسبق له أن ارتكب ما كان يُتهَم به من جرائم طقوسية، بل كان دائماً ـ تقريباً ـ يهودياً مؤمناً.

VI. السحر والسياسة:

سأقول أيضاً، ومع التماسي مسبقا المعذرة من الرجال الذين يتقلدون الحكم في أيامنا هذه (وليس في ذلك مفارقة)، إنه يوجد تشابه كبير بين الساحرة القديمة والسياسي العصري. فكلاهما تُنسَبُ له قدرات تعلو بكثير قدراته الواقعية؛ عن هذا وذاك يتم البحث في فترات الوهم، كلاهما يخيِّبان الأمل فتُعزى إليهما في النهاية، ودفعة واحدة، جميع الشرور التي يعاني منها المجتمع .يُقال أيضاً إن السياسيين يُشكلون بعض المِلل ذات الطقوس السرية التافهة التي تكون رسالتها نشر الشر في اجتماعاتها السرية ومأدباتها. متى انهزموا فجر قضاة صارمون وشهُودٌ أبرياء أعمالَهم الإجرامية في محاكمات مثيرة. وإذا وجدت المحرقة، فإنهم سيغذونها أيضاً. ومن حسن حظهم أنها لم تعد توجد في البلدان المتحضرة، وأنهم متى حُوكموا تمَّ ذلك بصفة ساحرات القرن XVIII السعيد أنفسهن، فيعاقَبون بصفتهم خداعين ودجَّالين.

لكن لنترك هذا التوازي (بين السياسي والساحرة) دون أن نغفل مع ذلك التعبيرَ عن أمنيتنا في أن نرى دور السياسي يتراجع، ولمَ لا يُحذَفَ، في يوم من الأيام داخل المجتمع السياسي كما حدث لدور الساحرة.

VII. شخصية الساحرة:

لنصل أخيرا إلى الساحرة، إلى الشخصية التي تعتقد أنها ساحرة. ما هي الخصائص العامة لوريثات سيميتيا Simeta وكانيديا Canidia؟

فمن جهة، رأينا الكيفية التي ترتسم بها جانبيا الساحرة من نوع سيلستين Célestine[٣٣]. ومن جهة أخرى، هناك كائن غريبٌ مجنونٌ شاذٌ لا نستطيع إنكار

حقيقة وجوده، لكن يجب أن نقلص شخصيته بصفة خاصة. غالباً ما تكون الساحرة القروية عجوزا تعيش على هامش المجتمع، يخشاها الجميع ويحتقرها. كما يبدو أنها امرأة عصبية تتعرض لأزمات كبرى، لها معارف محدودة في التطبيب؛ تضع اللصقات، وتمارس أحياناً العرافة، وربما تبحث عن العزاء في الجنان الاصطناعية التي تمنحها إياها نباتات البلدة الأوروبية. ونحن وإن كنا نترك جانبا كل حكايات المساحيق الضارة ودهانات الضفادع، الخ. التي يقدمها البعض دون إبداء أقل فكر نقدي، فإننا نضطر للاعتراف بأن الساحرة كثيراً ما تمكنت من اللجوء إلى المخدرات والمُخبِّلات لكي تجلب لنفسها، أو لآخرين، بعض حالات الحلم[٣٤].

لقد كانت المخدرات والمخبِّلات الأكثر استعمالاً في أوروبا تستخلصُ أساساً من أعشاب من عائلة الباذنجانيات، كالأطرب، والبنج، والداتورة. وبمقدار ما كانت السكوبوليا تستعملُ في الشرق، كان اللفاح يُستعمَلُ في البلدان المتوسطية. يتم الوصول إلى حالة النوم بوسائل مختلفة، عن طريق طبخ أوراق أو تدخينها. وعبر الاستخلاص بالغليان كان يتم صنع مرهم أساس لجميع الدهانات المشار إليها كثيراً في المحاكمات. وأثناء النوم المثار بهذا الشكل يتم الحصول فعلا على رؤى غريبة. وفي أوروبا الوسطى لازالت الباذنجانيات تشكلُ اليوم مصدر لذة للذين يحرمهم فقرهم من الخمور والمشروبات الروحية، ولمن يقوُّون بفضلها - رغم كونها ممنوعة - الجعات قليلة التكحُّل. ويؤكد الاختصاصيون في المادة أن الباذنجانيات هي المخدرات الأكثر إيذاء للإنسان، أكثر إضرارا حتى من الحشيش. إضافة إلى ذلك، فما تحدثه من رؤى يكون معتماً جداً وكئيباً في أكثر الأحيان (هـ. فوهنر، ١٩٣٠). وسبق لكتاب من القرن XVI، كما رأينا، أن تحدثوا عن هذه المخبلات (خ. ك. باروخا، ١٩٧٢: الفصل VII). والمعنيون بالأدب هم الآخرون يعرفونها ويستخدمونها لشرح الاعتقاد في الطيران في الأجواء، الخ.

ولنستمع في الحوار الآتي ماكان يريده الماركيز بيِّينا (Villena)، وهو حوار مقتطف من كوميديا دون فرانسيسكو روخا:

«الماركيز: أيعتقد الآخرون أن الساحرات يَطِرنَ؟

زامبيا بالوا: ألا تؤمن بذلك؟

الماركيز: لا، أيها الجاهل.

زامبيا بالو: إني أسألك فقط، فأنا لستُ سوى مجرد راهب مساعد.

الماركيز: إنهنَّ يتدَهَّنَّ جميعهن بمِرْهَم.

زامبيا بالو: وماذا بعد؟

الماركيز: ماذا بعد؟

هذا المرهم الذي يهديه لهن إبليس، [مرهمٌ] مخبّلٌ من الطراز الممتاز مأخوذ من البنج، يحدث النوم.

حينئذ يبدو الحلم واقعا،

وبما أن إبليس

لا يريد سوى الكيد بهن

فهو يجعلهن يحلمن

كل واحدة بطريقتها.

هكذا يعتقدن أنهن يطرنَ

فيما يكنَّ غارقاتٍ في النوم

ورغم أنهن لم يطرن

فحين تستيقظ كل واحدة منهنَّ يبدو لها

أنها قد زارت التيس

وأنها قد تنزهت

في حقول الباراونا؛

بحيث،

شوهد منهن أحيانا

أكثر من اثنتين مدهونتين بالمرهم.

ونائمتين في مخدعهما» (د. فرنسيسكو دي روخاس، LV: 330-331).

من لا يملك حول إبليس سوى فكرة قديمة جداً وأكاديمية، ومن لا يحسن أن يتصوَّر قدرته كلية الوجود، عليه أن يكون على الأقل قد قام بتجارب شخصية، وتناولَ هذه المخدرات حتَّى يفهم جزئياً تأثيراتها ويتحدث عنها آنذاك بسلطة. لكنني أعترف أني لم أجرؤ إطلاقاً على دراسة تأثيرات هذه الباذنجانيات على مخيلتي. وبذلك يكون هذا الكتاب قد افتقر بلا شك إلى عنصر أساسي.

لا تخلق الساحرة لنفسها عالماً من التخيلات والمشاعر بواسطة المكنسات الطائرة أو الحيوانات الشيطانية، وإنما بواسطة هذه المخدرات البسيطة.

مما يؤسف له كون علماء النفس المحدثين لم يدرسوا بعضا من تلك النساء ولم يصفوا تلك الشخصيات التي كانت تتعرض للمضايقة في محيطها الذي كانت تعتقد أنها مختلفة جداً عنه، بل وحتَّى متفوقة عليه، أمثال إمَّا بوفاري (Emma Bouvary) المنحدرة من مجتمعات متميزة عن البورجوازية التي وضع فيها فلوبير شخصيته الشهيرة.

والصالح من الصور الظلية النادرة التي تركها لنا مؤلفون قدماء عن الساحرة يعكس تقريباً دائماً تضخماً في الشخصية ويقينا في كون قروية فقيرة تستطيع القيام بأعمال يتعذر تصورها، وذلك في سن النضج أو في شيخوختها، أو ـ كما في بعض الأحيان ـ تظهر قوتها الشيطانية في سن مبكرة.

وعلى كل حال، تكادُ تعتَبَرُ دائماً ساحرة بعد تعدد فشل الوجه الأنثوي في حياتها: علاقات حب محرومة أو مُخجلة تترك فيها عقدة عجز وعار، فتواجهها بوسائل غير مشروعة، لكنها ليست منحدرة دائماً من الجحيم المسيحي. وبالانتقال من سن النضج إلى مرحلة الشهوات الصَّلبَة، فالشيخوخة، تتغير حالتها. كل ما ترغب فيه آنذاك هو أن ترى نساء صغيرات يسقطن مثلها في هذا الوضع الذي يبدو أن جميع القيم فيه مفسدة ومشوهة، إن لم تكن مقلوبة حيث الشرّ خير والملتوي مستقيم، وحيث كل ما هو عمومي لا جدوى له، ووحدها الأعمال الخاصة والسرية هي التي لا زالت تحتفظ بفائدة. وبذلك كانت الساحرات القدامى تشكلن نوعا من مجتمع سري نسوي. مع ذلك، أعتقد أن الوقت لم ينصرف بعد للبرهنة اليوم على أن السحر النسائي وعبادة الشيطان الخالصة، يجب أن يُدرَسا من وجهة نظر تاريخية وأنثروبولوجية منفصلتين، رغم أنهما يمتزجان أحياناً. وفي مثل هذه الدراسة يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار التمييز بين الشعور الفاعل والشعور المنفعل. أخيراً، أعتقد أنه لا مناص اليوم من ضرورة القيام بتفسير جديد للوثائق التاريخية والفلكلورية وإحداث طريقة جديدة لمعالجة القضايا من وجهة نظر سوسيولوجية وفلسفية بعيدا عن كل اعتبار ديني.

إني مقتنع بأن القدّاسات السّوداء ما زالت تقام إلى أيامنا هذه، وأن بعض حالات عبادة الشيطان موجودة. لكن الذين يحضرون هذه القداسان هم على العموم كائنات مصطنعة، ذوُو أنا (Moi) متضخمة وفضول مرضي تجاه بعض السيكوباتيات، خاصة الجنسية منها. إنهم أناس ليس لهم علاقة كبيرة بساحرات أوروبا الوسيطية والقرنين XVI و XVII، وأقل من ذلك لا علاقة لهم بالمرضى الذين كان القانون يضربهم بفظاعة، في غياب تشخيص جيد للأمراض. أفكر هنا أساساً في حالة الذؤابيين.

والذَّابة[٣٥] مرضٌ درسه الأطباء العقليون منذ وقت طويل، ويؤول اليوم في ضوء نظريات يونغ Young، كما كان الأمر بالنسبة للسادية والمازوشية في كتابٍ لسلسر طُبع بعد وفاته.

باختصار، إنني أرى، ليس بصفتي لاهوتيا أو قانونياً أو طبيباً عقلياً، وإنما باعتباري مجرد مؤرخ، أرى أن السِّحر يجب أن يثير ـ أساساً ـ الشعور بالشفقة الشفقة تجاه المعذبين الذين كانوا يرغبون في إحداث الشَّر، رغم أنهم لم يكونوا يفعلونه وعاشوا جزئيا حيوات محرومة وتراجيدية؛ الشفقة أيضاً على المعذِّبين الذين اعتقدوا أنهم كانوا مهدَّدين بمخاطر لا تحصى، ولهذا السَّبب تصرفوا بعنف وشراسة.

في الوقت الذي لا تزهر فيه أنظمة وجودية فحسب، بل أيضاً نمط معيشة حياتي يواجه فيه الإنسان قلقه وحيدا بعدَ أن كسَّر كل الحواجز والأعراف، يمكننا أن نتصوَّر أفضل من الأزمنة السعيدة، التي كانت فيها الأخلاق العمومية والفلسفات والديانات المهيمنة شديدة التفاؤل، حالة من كان يكتشف بداخله رغبة سلطة إبليسية أو يحس أنه عبد لهذه السلطة، يعتقله عدوّ قريب ومكروه طوال سنوات من الجوار والاشتباه .وكم من الرجال والنساء، على الخصوص، عاشوا هذا القلق العريق بسبب امتلاكهم تصوراً مختلفاً كلياً عن تصورنا!

المراجع:

Baroja, Julio Caro.
1972, Les sorcières et leur monde (Traduit de l'espagnol par M.-A. Sarrailh), Gallimard, Paris.
Bayle, Pierre.
1820, Dictionnaire historique et critique, 16 vol, Paris.
Benedict, Ruth.
1944, El hombre y la cultura, Buenos-Aires.
Bertrand, I.
1912, La sorcellerie, Paris.
Calmeil, J. L. F.
1845, De la folie considérée sous le point de vue pathologique, philosophique, historique et judiciaire, depuis la Renaissance des sciences en Europe jusqu'au XIXe siècle, description des grands épidémies de délire, simple ou compliqué, qui ont atteint les populations d'autrefois et régné dans les monastères. Exposé des condamnations auxquelles la folie a souvent donné lieu, 2 vol., Paris.
Dupre, E.
1925, Pathologie de l'imagination et de l'émotion, Paris.
Fuhner, H.

1930, «Los estupefacientes», in Investigacin y progreso, IV, mars, n° 3, p. 37.
Gardner, Gerald B.
1954, Witchraft today, Londres.
Godar, André.
1925, La piété antique, Paris.
Guaita, Stanislas de.
1915, Essais de sciences maudits. Au seuil du mystère, 5eme édition, Paris.
Hughes, Pennethore.
1952, Witchraft, Londres.
Locard, Edmond.
1920, L'enquête criminelle et les méthodes scientifiques, Paris.
Marie, A.
1907, Mysticisme et folie (étude de psychologie normale et pathologique comparée), Paris.
Maura, Duque de.
1954, Vida y reinado de Carlos II, 2 vol., Madrid.
Reinach, Salomon.
1914, Orpheus - Histoire générale des religions, Paris.
Richet, Charles.
1887, L'homme et l'intelligence. Fragments de physiologie et de psychologie, Paris.
Rojas, Fernando de.
1913, La Celestina, édition de Julio Cejador, 2 vol., Madrid.
Rojas Zorrilla, Francisco de.
(s.d), «Comedias escogidas», in Bilioteca des autores espaoles, LIV.
Schwaeble, René.
1911, Le problème du mal. La sorcellerie pratique. Astrologie. Alchimie. Magie, Paris.
Summers, Montague.
1958, Witchraft and black Magic, Londres.
Juquelier, P.
1914, El contagio mental, traduction espagnole de César Juarros, Madrid.

الهوامش:

[١] سبق أن نشرنا هذه الدراسة في مجلة العرب والفكر العالمي، ع: ١٣ / ١٤، (١. من نص البلاغة والبيان؛ ٢. من نص السحر والإثنولوجيا)، ربيع ١٩٩١، ص ص. ١٣٧ - ١٥١، وصدّرناها بالتقديم الحالي ذاته (م).

[٢] محكمة التفتيش (Tribunal d'inquisition): محكمة دينية كانت تلاحق المتهمين في دينهم. (م).

[٣] Pierre de Lancre مستشار وقاض في البرلمان الفرنسي، ترأس بأمر من الملك هنري الرابع، إلى جانب رئيس البرلمان Espagnet، لجنة برلمانية كلفت بالتفتيش عن السحرة والساحرات في بلاد البورغ، وهي أصغر أقاليم منطقة الباسك السبعة، ومحاكمتهم. وقد زرع دو لانكر رعبا حقيقيا في اللابورغ حيث أرسَل إلى المحرقة في ظرف أربعة أشهر ما لا يقل عن ٥٠٠ أو ٦٠٠ من الضحايا، فيهم رجال ورهبان وحتّى

أطفال، لكن أغلبيتهم كانت من النساء. وبعد انتهاء العملية ألّف دو لانكر كتابين روى فيهما أعمال السحرة بحسب الاعترافات التي تم انتزاعها منهم. والمؤلفان هما:

- Tableau de l'inconstance des mauvais anges et démons (Paris, 1912)

- L'incrédulité et Mescréance du sortilège pleinement convaincue (Paris, 1622). (م)

[٤] إلهة القمر والنساء والولادة والصيد والغابات عند الرومان. وقد كانوا إلى حدود القرن XI م يحجون إلى مزارها ببحيرة نيمي، أي المكان الذي ضاجَعَت فيه فيريوس (Virius) ملك الغابات الأول في اعتقادهم. (م).

[٥] نسبة إلى الاتجاه التطوري، وهو مدرسة في الإثنولوجيا كانت تقول بسلوك جميع المجتمعات البشرية، في تطورها، خطا واحدا. وذلك بخلاف المدرسة الانتشارية التي كان يقول أصحابها بمحدودية الاكتشافات الثقافية البشرية، ويفسرون وجود العنصر الثقافي الواحد في العديد من المجتمعات بفكرة الانتشار عن طريق اتصال هذه الشعوب فيما بينها بواسطة التجارة أو الحروب. (م).

[٦] المخلفات (أو البقايا أو الرواسب survivances): واحده مخلفة، وهي «عنصر من ثقافة يعتبر بمثابة شاهد على حالة أقدم للثقافة، أو بمثابة أثر لاتصالات تاريخية بين مجتمعات مختلفة..». عن:

- Michel Panoff et Michel Perrin, Dictionnaire de l'ethnologie, Paris, Payot, 1973. (م)

[٧] محفل السبت: سبق شرحه في الهامش ١١٠ من دراسة إدموند دوتيه «السحرة والعرافون بشمال إفريقية...» المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

[٨] انظر المقال الذي خصصه Bayle لهذا الموضوع، بايل، ١٩٢٠، IX: 303-306.

[٩] إله روماني تروي الأساطير الرومانية أنه ابن لإلهة نباتية تُدعى سيبيل (Cybele) مات وانتقل إلى مقام الموتى، ثم عاد إلى الحياة من بين الأموات، وهو رمز للخريف والربيع. (م).

[١٠] لعله كاتو الأصغر، وهو شخصية رومانية، خرج عن مبادئ جده واعتنق الفلسفة الرواقية. اشتهر بالاستقامة في عصر تفشى فيه الفساد المالي والأخلاقي. ولما قضى قيصر على الجمهورية وضع كاتو حدا لحياته وبجانبه كتاب من كتب الفلسفة. (م).

[١١] جمع مُقطِع (Vassal): شخص يقطعه السيد الإقطاعي أرضا مقابل تعهده بتقديم خدمات له. (م).

[١٢] إله روماني، قبل أن يصير كبير الآلهة مثل زوس اليوناني، كان يمثل رقعة السماء المتلألئة وضياء الشمس والقمر وقصف الرعد والمطر والخصب. وقد كانت نساء روما الثريات يسرن، أيام الجفاف، حافيات في موكب كبير إلى تل الكبتولين، حيث يوجد هيكل جوبتر، من أجل الاستسقاء. (م).

[١٣] أذكر على سبيل المثال كتابه المنشور سنة ١٩٥٨ (انظر قائمة المراجع في نهاية هذا البحث).

[١٤] نسبة إلى الاستعراضية (exhibitionnisme): مفردة تنتمي إلى حقل التحليل النفسي، ويقصد بها استلذاذ المرء بأن يكون محطّ نظر الآخرين، كأن تعمد المرأة - مثلاً - إلى الكشف عن أجزاء من جسدها... ونقيض هذا المصطلح التلصُّصُ (voyeurisme)، ويعني تلذذ الفرد باختلاس النظر إلى مشاهد شهوية مثيرة. (م).

[١٥] rose-croix: جمعية سرية من المنورين، تتخذ بمثابة شعار لها، وردة حمراء (رمزا للزهد) معلقة وسط صليب لعلها ترمز إلى المعرفة الكاملة بحسب بعض التأويلات. وهذه الجمعية التي يبدو أنها تكونت في نهاية القرن XVم، كانت تنسبُ إلى مصادر مصرية قديمة، وتعتبر توتموسيس III وأمينوفيس IV الفرعونيين من أوائل مؤسسي تقليدها. (م).

[١٦] نسبة إلى القبالا La Kabbale: تفيد معنيين: الأول «التقليد اليهودي الذي يفسر العهد القديم تفسيراً صوفياً ومجازياً»، والثاني: «علم خفي يزعم ربط الاتصال بين مريديه يتواصلون مع كائنات فوق طبيعية»، وهذا المعنى هو المقصود في النص. (م).

[١٧] جمع معارضة pastiche «أن يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثر الأديب آخر محاكاة دقيقة تدل على براعته ومهارته مثل ذلك». عن مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، بيروت، مكتبة لبنان، د. ت.، مادة "المعارضة". (م).

[١٨] حول هذه الجماعات، انظر: ج. ب. غاردنر، ١٩٥٤.

[١٩] الدوبو: اسم إثنية ميلانيزية تقطن جزيرة تنتمي إدارياً إلى غينيا الجديدة. ويشتهر المجتمع الدوبي بنظامه القائم على النسب الخطي الأموي (filiation matrilinéaire) وبأهمية السحر في الحياة اليومية ومشاركته في الحلقة الكبرى من التبادلات القائمة بين العشائر. والكتاب المشار إليه يعتبر اليوم مونوغرافيا كلاسيكية في دراسة المجتمع المذكور. عن: معجم الإثنولوجيا، م. س.(م)..

[٢٠] وقد اتخذته R. Benedict كمثال، ١٩٤٤: ١٦٥ ـ ٢١٣.

[٢١] محكمة تفتيشية تم إنشاؤها في إسبانيا سنة ١٤٧٨م بطلب من الملوك الكاثوليكيين لمعاقبة المرتدين. وابتداء من سنة ١٤٩٢ شرعت في معاقبة جميع اليهود والموريسكيين والمنورين والبروتستانيين، فأصبحت أداة للسلطة الملكية وتم تصديرها لجميع المستعمرات الإسبانية، خاصة بلدان أمريكا الجنوبية. (م).

[٢٢] وكتاب A. Vigouroux وPierre Juquelier، الذي تعتبر ترجمته الإسبانية ناقصة بشكل كبير، يتبع عن كثب Calmeil، ١٩١٤: ٢٩٣ ـ ٢٩٦.

[٢٣] السالبتريير: مستشفى للأمراض العقلية بباريس، التحق به فرويد سنة ١٨٨٥، حيث راقبَ مظاهر الهستيريا وتأثيرات التنويم المغناطيسي والإيحاء، ليتأثر ـ من ثمة ـ بشاركو تأثراً كبيراً. عن و. مانوني، مذهب فرويد، ترجمة :هنري عبودي، بيروت، دار الحقيقة، للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٧٩، ص. ١٠. (م).

[٢٤] السقوبة (le succube): شيطانة يُعتقد في الديانة المسيحية أنها تأتي ليلا لتضاجع الرجل وهو نائم. (م).

[٢٥] انظر الحالات التي جمعها Jean Vichon بتعاون مع Maurice Garçon, 1926: 200-217.

[٢٦] يقصد الكتاب الذي ترجمنا منه الفصل الحالي. (م)

[٢٧] جول فاليس Jules Vallès: كاتب وصحفي فرنسي (١٨٣٢ ـ ١٨٨٥)، كان يدافع عن الطبقة الشعبية في جريدته «صرخة الشعب». أما العامي (Communard)، فصفة تطلق على نصير ثورة باريس العامية التي جرت سنة ١٨٧١. (م).

[٢٨] وجهة نظر استعملها من درسوا «العدوى العقلية». انظر: ج. ب .غاردنر، ١٩٥٤.

[٢٩] كتابٌ ألفه أخوان واعظان، هما Henri Insistor وJacob Sprenger سنة ١٤٨٦، بعدما لاقيا أثناء مزاولتهما لمهمة تفتيشية بألمانيا عداء من قبل بعض المثقفين اللائكيين. ويعتبر هذا المؤلف أكبر مدونة قانونية مخصصة كليا لجرائم السحر. قسّمه مؤلفاه إلى ثلاثة أبواب: الأول نظري يتألف من ١٧ فصلا، ويثبت وجود السحر والشياطين. والثاني حِكَائيّ يروي المدى الذي يمكن تبلغه قدرة السحرة، ثم يعرض سبل القضاء على أعمالهم. أما الباب الأخير فيعرض للإجراءات التي يجب اتباعها في المحاكمات السحرية. (م).

[٣٠] الميتومانيا (Mythomanie): مصطلح ينتمي إلى حقل التحليل النفسي. وتجنبا للاستثقال، فقد آثرنا تعريبه حرفيا بدل تبني الترجمة التي يقترحها له البعض، وهي «هوَس المرض التّكاذبي». انظر: «معجم الثقافة

النفسية لمصطلحات الطب النفسي»، الصادر ضمن مجلة الثقافة النفسية، مركز الدراسات النفسية الجديدة، ع. ١١، مج. ٣ تموز ١٩٩٢، ص ص. ١١٧ - ١٥٢. (م).

[٣١] Fontarabie: مدينة إسبانية شمالية تقع في الإقليم الباسكي من منطقة كيبوزوكا، في الحدود الإسبانية الفرنسية، شهدت في ما بين ١٦١١ و١٦٢٧م محاكمة العديد من «السحرة». وكان الشهود في تلك القضايا أطفال لا تتجاوز أعمارهم عشر سنوات في أغلب الأحيان، يدعون أن أولئك السحرة والساحرات قد اختطفوهم واتجهوا بهم إلى محافل السبت. (م).

[٣٢] مدينة في الولايات المتحدة تقع في المحيط الأطلسي قرب بوسطن، تأسست سنة ١٦٢٦، وكانت في نهاية القرن XVIII معقلاً لاضطهاد الساحرات، حيث تعرضت المئات منهن للشنق والإحراق. (م).

[٣٣] السيلستين أو تراجيكوميديا كاليكست وميليبي (Tragi-comédie de Calixte et de Mélibée): رواية حوارية تنسب للكاتب الإسباني فرناندو دو روخاس ١٤٩٩(م). وهي تحكي قصة علاقة غرامية بين شاب وسيم اسمه كاليكست وفتاة جميلة، تمكّنا من الوصال بفضل امرأة تدعى سيلستين، كانت قوادة تتصف بالحيلة والسذاجة، كانت كريمة وخسيسة، ساحرة وطمّاعة. (م).

[٣٤] تلك أطروحة .Salomon Reinach, 1914: 444 - 445

[٣٥] الذّأبة :(lycantropie) جنون يجعل المريض يتخيل أنه ذئب. (م).

السِّحْرُ في الفَنّ والأدَب

❖ خُوليو كَارُو بارُوخَا

I. ج. بوش[١] أو الرَّقابة الواقعية

يكاد المؤلفون الذين يناقشون قضايا السحر أن يتبنوا دائماً معياراً نفسياً، اجتماعياً أو تاريخياً (بل وحتى لاهوتيا)، ومن ثمة، ما من انشغال إستطيقي إلا ويجد نفسَه مُبعداً. فالأنثربولوجيون ومؤرخو الأديان وعلماء الاجتماع عادة ما يجهلون أشياء الفن. ومع ذلك أقدر أن من شأن دراسة إستطيقية أن توضح على نحو فريد بعض جوانب الأنثربولوجيا وتاريخ الأديان، التي تم تفضيل دراستها حتى اليوم من وجهة نظر الأخلاق والعلوم الإنسانية لا غير. وإذا كان هناك جانبُ قابل لإفادة الفنانين (وحتى البحاثة) بالتأكيد فهو السحر. ذلك أنَّ «التصحيح الذهني» الذي أتاح، في حالات عديدة جداً، الإفلات من جنون التعذيب ومن رعب الساحرات، عبَّر عن نفسه بالسخرية والفكاهة في خدمة الفن. فهوراس، وأوفيد وبيترون ومؤلفون آخرون لاتينيون سبق أن حاربوا الخوف من الساحرات بفعاليةٍ على النمط الهجائي. فهجائية جيدة واحدة كان لها في بعض عقول الأمس - واليوم - مفعول أكبر من أطنان الكتب التي ألفها الميتافيزيقيون والأخلاقيون أو اللاهوتيون للبرهنة على أن الساحرات لا يطرن في الأجواء. لكن على قدر هذه القيمة التصحيحية للفكاهة والفن، يجب علينا الإشارة إلى بعض الروابط بين السخرية النقدية دائماً، بل وحتى المتشككة في جوهرها، وسرعة التصديق بل وحتى الرعب.

حوالي نهاية عام ١٨٧١، أنهى نيتشه كتابه أصل التراجيديا أو الهلينية والتشاؤم Origine de la Tragédie ou hellénisme et pessimisme، وهو مؤلف يعالج في مجموعه، كما هو معلوم، التمييزَ المطروح في الفصل الأول بين الأبوليني والديونيزوسي، تمييز سيفسح المجال لتطبيقات عديدة. يشدد نيتشه على التنافر العميق الموجود في العالم الإغريقي، في بداياته أو حوالي نهايته، بين الفن التشكيلي الأبوليني، والفن اللاشكلي الموسيقي أو الفن الديونيزوسي. تبدو التصورات التشكيلية في فترات الحلم، وتولد فنا مليئاً بالروعة والجلال. أما الفن الديونيزوسي، فيبدو على العكس في حالات السكر

والهيجان الراجعين إلى تناول الكحول أو منبهات أخرى؛ إنه فن تعددي وعنيف. وحالات السكر الديونيزوسية هاته، ترافقها الموسيقى، ولها تأثيرات نفسية متناقضة: أوّلا ابتهاج مجنون، ثم حزن متعذر السبّر. الفكر الأبوليني تحكمه مفاهيم مكانية، أما الديونيزوسي فتحكمه تصورات زمانية. الأول يحب ما هو سكوني، يحب النظام، والخضوع للقواعد، أما الثاني فيحب ما هو ديناميكي، يحب اللامنتظم والمتبدّل.

ومن الطبيعي أن النزعتين استطاعتا التجلي في أمكنة أخرى غير اليونان. وعندما يقارن بيدرو دِ فالينسيا Pedro de Valencia بين ما يقال عن ساحرات شمال إسبانيا الحقيرات وما قالته التراجيديات الإغريقية عن الكاهنات، فإنه يرى أن أشكال الجنون الديونيزوسية واحدة في الحالتين ولها أسباب متشابهة، وهذا تعميم سيكولوجي لا يخلو من قيمة.

الساحرة شخصية من النوع الديونيزوسي لأسباب عديدة، أولها علاقاتها بالإيقاع، والموسيقى، والرقص العنيف، والشأن الجنوني. مثل ديونيزوس، ومثل شيطان القرون الوسطى، تكون (الساحرة) أحيانا موضوع تهكم وتثير الضحك، لكنها أحيانا أيضاً، تزرع الرّعب والفزع. وهذا الانتقال من السخرية، من الهجاء (بل وحتى من الابتهاج الذي لا يمكن قمعه) إلى الغضب والذعر، يتولد ميكانيكيا لدى مدمني الخمر. والساحرة الحقة، مضطربة وحمقاء، كانت غالباً مدمنة خمر[٢]، تثير الضحك والخوف، في آن واحد، لدى العقول البسيطة التي لم تكن غرائزها وعواطفها منظمة كما في مصنفات علم النفس. بيد أن هذا الانتقال الجماعي من الخوف إلى الضحك والسخرية هو ما نزع عن ظاهرة السحر طبيعتها الجماعية. وقد ساهم الفنانون إلى حد بعيد في هذا النقل، بشكل إرادي أو لا إرادي. وبذلك ساعَدَ الشعراء والروائيون والرسامون بالخصوص، عبر تفسيراتهم الشخصية، على إضعاف الإيمان بالساحرات.

بتقديم مشاهد غروتيسكية في أمكنة مخصصة للدين والعبادة، كانت نية العديد من فناني القرون الوسطى، عموما، في منتهى الورع والتدين. غير أنّ النتيجة لم تستجب دائماً للنوايا، إلى حدّ أنه اعتقِد في القرن XVII، مثلا، بأن بوش كان «مُلحداً»[٣] والحال أنه كان في الحقيقة صوفيا يَرى أن التعلق بالشهوات الجسَدية من أبشع المكروهات، ويعتبر الأحاسيس التي تولدها الموسيقى من أخطر سائر الأحاسيس اللذيذة والمولّدة للخطيئة .وإضافة إلى أنّ عالم الأصوات والإيقاعات والحركات يحضر دائماً في هجائياته، توجد لوحة بمتحف اللوفر تكشف تماماً عن هذا الاعتقاد لدى

الرسام بأن كلّ ما هو حركة مختلة، توازنُ قليلُ، استشباحُ عضلي، هو شيطاني في جوهره"[٤].

يحتوي العديد من لوحات بوش على حشد من التمثيلات الخاصة بالسحر، أشدها وضوحا يتعلق بتنقلات غريبة وحركات مخالفة للمألوف. في إحدى تجارب القديس أنطوان من متحف البرادو (Prado رقم ٢٠٥١) نشاهد الزوج (couple) الكلاسيكي ذاهبا إلى محفل السبت[٥] على متن حوت طائر. يتقدم الرجل حاملا على الكتف عصا عُلق عليها قِدرُ المنقوعات السحرية، تليه المرأة مُرتدية فستانا له رفلٌ[٦] طويل ومزهو"[٧].

كان بوش يرسم ليُصَادِر، ولهدف ديني وتخليقي اشترى فيليب الثاني قماشاته. بعد ذلك بوقت طويل، أثار تأمل استشباحات الفنان العبقري تهكما وسخرية باردين. واليوم، من النادر أن نشاهد زائراً واحداً من زوار متحف البرادو، حيث توجد أفضل أعمال بوش، يبدي أقل حماسة روحية. فهي لم تعد تلهم إلا تأملات هجائية أو إيحاءات مَرَضية.

II. الواقعية الأدبية:

أغرت تلك الموضوعات فنانين آخرين فلامنديين حظوا بتقدير عظيم في إسبانيا. وتصل المقاصد الكاريكاتورية درجة قصوى عند بعضهم على نحو ما نجد لدى صاحب لوحة المأدبة السبتية، بمتحف بلباو[٨]. وبتكاثر هذه الأعمال، يفسح المقصد الديني الأولي والتخليقي المجالَ تدريجياً للإستطيقي وللفكاهة.

من يمكنه أن يحس بتمكّن الفضيلة في نفسه أمام تجارب القديس أنطوان على طريقة تينييه[٩]، أو أمام مشهد جهنمي لبروغهيل[١٠]، على نحو ما يحس أمام لوحة لفرا أنجيليكو[١١]؟ يصير فن الرسم الديني للقرنين XVI و XII دراميا وواقعيا (كما في إسبانيا) أو تزيينيا (في إيطاليا) أو فانطاستيكيا، بما أنَّ الموضوعة الدينية صارت تابعة أو ملحقة، شاغرة الخطوة لمشاهد طبيعية أو فلكلورية (في هولاندا). وما كان من قبل نهاية صار وسيلة للرسم، لريشة خفيفة، لمشاهد جميلة، لشخصيات صغيرة، أو لتركيبات كبيرة على طريقة روبنس[١٢]. والأمر ينطبق أيضاً على الأدب. فيما يخص موضوعنا، نلاحظ أن الواقعية الورعة لمؤلفي العصر الوسيط التي تنتقد بقسوةٍ رذائل الساحرات وانحرافاتهن، أعقبتها واقعية إستطيقية محضة لم تعد تعير أدنى اهتمام للمحاكمات بما أن الساحرات صرنَ موضوعة أدبية. كلما كان المؤلف واثقاً من لغته

كلما وصفهن بأنهن مجرد شخصيات لعالم الرواية الخليط الذي تطوَّرَ على نحو غير مألوف بإسبانيا في القرنين XVI و XVII كما هو معروف.

لقد رسم سرفانتس سلفا، وبشكل فكاهي، شبحَ الساحرة في عمله الذي يحمل عنوان ندوة الكلاب Coloque des chiens. عندما يذكر البطل ذريته، في أول فصل لبوسكون Buscon، يُلمحُ كيفيدو - Quevedo وهو يتحدث عن أمه التي كانت قوادة ـ على النمط الهزلي (ف. د. كيفيدو، (د. ت.): ٢٩)[١٣]، إلى مواهبها باعتبارها ساحرة. في الساعة التي عاش فيها هذان العبقريان الكبيران انتشرت المدعوات aquelarres[١٤] باسكيات في جميع أنحاء إسبانيا. وعندما تعرَّضَ عددُ كبير من الساحرات للمحاكمة في منطقتي قشتالة والأندلس، بدل أن يتحدث سرفانتس وكيفيدو وآخرون كثيرون ـ على غرار ما ظل معمولا به إلى ذلك الحين ـ عن سحرهن وحيلهن السحرية، أثناء ذكرهما الاجتماعات الشيطانية، بدل ذلك فضل الاثنان الرجوع إلى aquelarresالشمال. هكذا في ندوة الكلاب، هذا العمل الذي سبق ذكره والذي يعد تحفة صغيرة للملاحظة، يصف أحد المتكلمين عادات ساحرة أندلسية سبق أن كانت مُرضعة له. ويورد سرفانتس تأكيدها بأنها قامت بحيلة كبيرة في أحد وديان جبال البرانس، وأنها تقدم تفاصيل حول ما جرى هنالك يعجز المرء عن نقلها كتابة:

«نذهب إلى مكان بعيد جداً عن هنا، إلى حقل كبير حيث يكون عدد من السحرة والساحرات مجتمعين، فيقدم لنا الشيطان وجبة أكل من طعام تافه. وفي الحقيقة، لا أستطيع أن أحكي ما يجري بعد ذلك، في شأن الله وفي شأن نفسي، مادام أشياء قذرة ومقرفة، لا سيما أني لا أريد أن أخدش أذنيك العفيفتين» (سرفانتس، (د. ت): ٣٣٨ ـ ٣٣٩)[١٥].

هذه التأملات على لسان كلب هي تلك التي يضعها آخرون على لسان قضاة صارمين. أيّ سبيل تمَّ اجتيازه!

وبتقدم القرن XVII تكبر شهيرة الشمال هذه. ففي مؤلف الشيطان الأعرج El diablo cojuelo، الذي صدر عام ١٦٤١، يلقي فيليث دِ غيفارا Vélez de Guevaraعلى لسان دون كليوفاص Don Cléophas، من أعلى صومعة القدِّيس سالفادور San Salvador بمدريد، ما يلي:

«التفت، وتمعن في هذه المنافقة العصرية وهي تدهن بدنها للذهاب لاجتماع الساحرات الأكبر الذي ينعقد بين سان سيباستيان[١٦] والفونطارابي[١٧]، ولعمري كان

علينا أن نذهب إلى هناك لو لم أخش أن يتعرف علينا الشيطان. فقد سبق أن وجهتُ لها، يوم اختصمنا، صفعة قوية في غرفة انتظار إبليس» (لويس فيلس دِ غيفارا، ١٩٠٢: ١٨ - ١٩).

المقصد هنا تهذيبي تخليقي، ولكن ماذا عن اللهجة؟ شيئاً فشيئاً لا يجد قرَّاء هَذِهِ الأشياء بُدّا من التحوّل إلى متشككين.

خلال حكم شارل الثاني، وبعد مضي وقت طويل عن الحدَث، كتب رسام الأعراف فرانسيسكو سانطوس بضعة أسطر حول محاكمة لوغرونيو[١٨] في مؤلف شجب فيه المعتقدات الخرافية العامية (ف. صانطوس، ١٦٩٧)، ولكن دائماً على النمط الهجائي. رغم القصد الخلقي لجميع هؤلاء المؤلفين، فإن لهجة كتاباتهم ونوعَها هُما على ما هما عليه، أكرِّر هذا، بحيث لا يملك قراؤهم سوى أن يعتبروا السحر مجرد مزاح. وبفضل أدباء من ذوي الموهبة الكبرى، يستعملون هذه الفكاهة استخداما غزيراً، سينتهي الأمرُ بأناس مثقفين إلى الإيمان بأن السحر لم يكن سوى هراء. ذلك أن الفنانين لم يعالجوا هذه الموضوعة لمهاجمة السحرة والساحرات ومحاكمتهم، وإنما للتهكم على الذين آمنوا بوجودهم فعذبوهم وحاكموهم.

III. غُويَا[١٩] والذهنية الحديثة:

كان التصورُ الموضوعي للعالم السائد في العصور القديمة وفي جزء كبير من العصر الوسيط، يُساعِدُ على الإيمان بأعمال السحر (magie et sorcellerie)[٢٠]. بالطريقة نفسها، ابتداء من القرن XVII ساهمت ذاتانية[٢١] العصر الحديث بكيفية واسعة في تقويض هذا الاعتقاد الذي لم يعد يشكل نظاما متماسكا ومُنَظما. تفكَّك الوعيُ القديم، فغير الهجاء موضوعَه واستهدَف في الأعوام الأخيرة من النظام القديم أولئكَ الذين ظلوا متعلقين بأعراف القرن السَّابق ومواضعاته. وفي ما يلي مثال على ذلك:

يحكي دون أنطونيو بونث، وهو ناقد ومؤرخ للفن الكلاسيكي الجديد، أنه حظي - خلال إحدى رحلاته في إسبانيا، إبان عهد شارل الثالث، ذات يوم ممطر في ولاية سينكة[٢٢] - باستُقبال جيد في منزل أحد النبلاء. بعد أن دفئ أمام النار، وأثناء تناول وجبة الأكل، شاهد قدوم النبلاء أصحاب المنزل، الراغبين في تجاذب أطراف الحديث مع المسافرين، جريا على ما كانت تقتضيه العادة بحكم ندرة العلاقات مع الخارج بالمقارنة مع اليوم. فشرع أحدهم، وهو الذي كان يعتز ويفتخر بأنه مثقف، في مُهَاجَمَة الأب فييخو Feijho، وإنكار قدرة أعماله على تبديد الجهل:

«أكد الرجل الشجاع قائلاً: "كل ما يقوله [فيبخو] حول السحر خاطئ، ناهيك عما تبقى بكامله؛ إن الساحرات لموجودات. لقد وُجدنَ وسيوجدن على الدوام، وأنا لا أتكلم بلغة سمعتُ أنه قيل، بل عن تجربة شخصية"» (أ. بونث، ١٧٧٧: ٢٦١).

ثم أخذ يحكي أشياء مذهلة لا يوردها قِسّنا. ذلك أنَّ ما يهمه هو رسم البورتريه الهجائي لرجل له ثقافة معينة، ولكنه مغرم بالإيمان القديم بالساحرات، هذا الإيمان الذي لا زال موجودا. في روايات هجائية أو في كتابات أخرى تحدثنا عنها في مقام آخر (باروخا، ١٩٧٢: ٢٣٤ ـ ٢٤٠)، يحارب العديد من الكتاب، مثل بونث، هذا «الانشغال» ـ كما كان يقال في ذلك الوقت ـ واسع الانتشار بين العامة. للأسف، فموهبة الإبداع الروائي في القرن XVIII الإسباني هي من القلة بحيث لا تعدو هذه الكتابات إطلاقاً كونها مجرد بحوث مُجهَضة. فمؤلفوها يتخيلون أنفسهم يتبعون التقليد السرفانتي، بيد أننا لا نجد سبيلا للمقارنة بين أسلوبهم كثير الحشو والغامض وبين النثر المباشر عند سرفانتس. بالمقابل، وبمفارقة غريبة، من هذا الوسط المتأدب انبثق عبقري متدفق يزعم التشطيبَ، بريشته، على الأفكار ذاتها مثل بونث وأصدقائه الحكماء. لقد خلف لنا أعمالا قوية جداً بحيث لا تلهمنا الضحك، وإنما (تلهمنا) الذعر. وأعتقد أنَّ أي رجل من رجال محاكم التفتيش كان سيفضل أن يكونَ في خدمته، من أجل وصف الرعب البشع للاجتماعات السرية وأفعال أخرى صادرة عن السِّحر، كان سيفضل أن يكون في خدمته شخصُ اسمه غويا بدل شخص اسمه بوش برؤاه التي تبقى الفنان التشكيلي الوسيط.

تناسب أعمال غويا المستوحاة من السِّحر لحظتين وتقنيتين: من ١٧٩٣ إلى ١٧٩٦ أو ٩٧ اشتغل غويا على الـ Caprices .التي نتوفر منها على عدد لا يستهان به من الرسوم التحضيرية والرسوم ومجموعة الـ ٨٠ مائية قوية التي أعيد طبعها مرات عديدة. وأولى هذه الطبعات ظهرت عام ١٧٩٩، وتعرضت للسَّحب على الفور بما أن محاكم التفتيش ندَّدت بها (أ. ل. ماير، ١٩٢٨: ٤٧٢)؛ (إ. ل. فيراري، ١٩٤٦: ٢٩١ ـ ٢٩٣). لا شيء في ذلك يدعو للاستغراب. فالعداء تجاه هذه المحكمة باد بوضوح في تلك المائيات. آخر الرسوم، يحمل رقم ٨٠، ويسمى «حانت الساعة»، يبدو تلميحاً للساعة التي سيكف فيها الرهبان ورجال محاكم التفتيش عن العمل في إسبانيا (ميغيل فيلاسكو وأغيرّي، ١٩٢٨).

ولكن من يشاهد ويعيد مشاهدة التركيبات التي تظهر فيها الساحرات، «بصدد البحث عن الأسنان»[٢٣]، يمصصن دماء الأطفال، طائرات في الأجواء وهن

تعقدن اجتماعات سرية غريبة[٢٤]، من يشاهد ذلك يحسّ بقلق لا توقظه فيه إبداعات بوش ولو أنها مُقلقة بالتأكيد وأكثر هزلا وسخرية بكثير. ذلك أن غويا كان، في هذا التاريخ، قد احتبس في الصمم المرير؛ ولا شك أنه ساهم إلى حد بعيد في اختيار موضوعاته وطريقة معالجتها، وهي طريقة تختلف عن نظيرتها في الهجائيات الفكرية الخالصة أو «الثقافية».

أما الصباغات السوداء من مجموعة série «La Quita del Sobro» المحفوظة في مَتحَف البرادو، بفضل تبرع من بارون Etrangler، فهي أكثر تراجيدية من الـ .Caprices والصباغات التي تعالج الساحرات تحمل أرقام ٧٥٦ (ساحرتان طائرتان) ٧٥٧ (aquelarre) و٧٦٢ (مأدبة الساحرة وعائلتها).

تنحدر هذه اللوحات من فترة وقوع الرسام تحت طائلة يأس عميق، ولربما كانت صورة للتشاؤم المطلق الذي يمكن أن يمنحنا إياه الفنّ. العالم أسود وكل ما يحدُث فيه هو أشدّ سواداً.

يُعتبر الـ aquelarre، بكل الخاصيات التي تعزوها إليه النصوص القديمة، الرمزَ الكاملَ لمجتمع قبيح وبهيمي وفريسة لسائر أنواع الجرائم والعنف. ومن جهتي، أعتقد أنه كان لقراءة علاقة إحراق لوغرونيو Logronio لعام ١٦١٠، الذي نشره مارتان Martin، وهو صَديق كبير لغويا، كان لها تأثيرُ حاسمُ في تصور هذه الصباغات السَّوداء التي تلعب فيها الحركة دائماً دوراً أساسياً.

لكنني أظن أنَّ عبقرية الفنان الكبرى قد خضعت، حتى في الـ Caprices، لتأثير الفكر الجلي والمضبوط للدراماتورجي. فقط خطأ غوياً خطوة زائدة عن موراتان Moratan رائداً للأزمنة الحديثة، اكتشف حدسيا - لستُ أدري كيفَ - ما نعرفه اليوم، وهو: ليست التحليلات العقلانية الخالصة للذين يسخرون من رجال القانون هي التي ستلقي الضَّوْء على مُشكل السحر، ولا واضعو القوانين القمعية، بل وحدَه تحليلُ جدِّي للحالات النفسية الغامضة عند السَّحَرة وضحاياهم هو ما سيلقيه. في أعمال غويا بالتأكيد تلميحاتُ واضحة للقضاة، لكتاب المسودات، للسلطات الرجعية التي لها مصلحة في قتل الحقيقة[٢٥]. لكن علاوة على ضروب القلق الناشئة عن عدالة عرجاء، علاوة على أضرار الحرب وأشكال المعاناة المادية، تحدق بنا ضروب أخرى من المعاناة الملغزة، ذات طبيعة نفسية، إلى حدّ أن الحياة البشرية، تصير مثل مائيات غويا القوية،

مصنوعة من «الأهواء»، و«الفواجع»، و«السَّخافات». وبطرح هذا نستطيع أن نخطو إلى الأمام بشجاعة.

كل من يتأمل اليوم أعمال غويا يحس بالفرق الكبير بينها وبين الكتابات الباردة والجافة التي خلفها رجالٌ أمثال موراتين Moratin أو جوفيانوس Jovellanos المنشغلين بتحطيم العادات السيئة المشروعة، والمؤسَّسات الفاسدة، والمعتقدات البالية. يُعتبر غويا الرائد النابغة للإنسان الحديث. فهو في الوقت نفسه أنثربولوجي، وطبيب نفساني، وعالم اجتماع. وفوق ذلك كله، فهو فكاهي مدهِش؛ لا يتوفر على المزاج السخري لأصدقائه السعداء دائماً بأنفسهم والمتأكدين من امتلاكهم الحقيقة .لا، إن غويا يتهكم ويشكو من كل شيء، وهذه الصَّرخة تنشأ ربما من الوعي بجوانب ضعفه وعجزه .

IV. الرّومانسية والفلكلور:

والخلاصة أن الفن الحديث، بفضل الحدوس العبقرية لبعض الفنانين، يرسم طرقا جديدة ويوحي بتوجهات لا يمكن للتأمل الطويل أن يثيرها إلا بصعوبة. لكن في هذا الميدان، كما في ميادين أخرى عديدة، كانت الرومانسية تراجعاً إلى الوراء. فمريميه Mérimée، مثلاً، أثناء حديثه عن الساحرات الإسبانيات[٢٦]، لا يرى في السِّحر سوى «لون محلي»، وفي رواياته أو قصصه القصيرة المستلهمة بهذا القدر أو ذاك من والتر سكوط Walter Scott لا يرى في السحر نفسه سوى «لون تاريخي». وإذن فقد فقدت تواريخ الساحرات الكثير من قوتها.

شرع الفنانون في النظر عن بُعدٍ إلى محاكمة السّحر، باحثين فيها بالأحرى عن أثر مَسْرحي. وقد تطلب الأمر استخدامها لإحداث تأثير في جمهور المباريات، والمعارض، ومجلات اللحظة وكتبها، وهو جمهور برجوازي أساسا فرحُ بنفسه أكثر من أي درس للتاريخ. لنترك جانباً الوصف الذي يقدمه لنا غوته عن محفل السبت، والذي يستوحي إلى حد بعيد أوصاف القرن XVIII ويلتمس العذر لجميع أنواع التلميحات الهجائية السياسية والفلسفية. لنأخذ على العكس، كمثال عن الأثر (oeuvre) الرومانسي، وصفَ فكتور هوغو (١٨٦٢: ٣٥٦ - ٣٦١) في نزهة شهيرة ألهمت لويس بولانجيه Louis Boulanger ليثوغرافيا صارت أشهر من النزهة نفسها. الأحاسيسُ البصرية تهيمن في هذه سلفا؛ الشاعر يعرض فيها بلاغته العظيمة.

فيما بعد، سيصف تيوفيل غوتييه (١٨٩٦: ١٧٧ - ١٨٣) هو الآخر، في عمله ألبرتوس أو النفس والخطيئة Albertus ou l'âme et le pêché، محفل سبتٍ يهيمن فيه

اللون اللامع تارة والمعتم تارة أخرى. ولكن ما يُدهِش عند هذا كما عند ذاك، هو مهارة احترافية تذكر بغوستاف دوريه Gustave Doré أو برسامين آخرين من تلك الحقبة، لكنها مهارة بعيدة عن الإخلاص الساذج لدى بوش بقدر ما هي بعيدة عن غويا.

ومع ذلك، فقد كانت الرومانسية في أصل العديد من الأبحاث والأعمال، ويمكننا القول إن الفلكلور قد نشأ تحت رعايتها. فبعد أن استوحى الفنانون التاريخ الوسيطي ووقائعه الفظة المثيرة المنحدرة من القرون البعيدة، يطلبون من الشعب عناصر قصصية وابتكارات دائماً رائعة.

إنها السَّاعَة التي زعم فيها بحاثة أمثال غريم Grimm اكتشافَ أغنى مناجم الميثولوجيا الجرمانية في التقاليد الشفهية وترسيخَ هوية شبه مطلقة بين معتقدات الجرمانيين «البدائية» ومعتقدات القرويين. والشيء نفسه يقوم به بعض المؤلفين بالنسبة للتقاليد السلّتية. لكن شيئاً فشيئاً صارت تلك الأبحاث ليست شَيئاً آخر غير una collecanea، أي تراكم من الظواهر شبه روتيني دائماً، ومجرد من كل روح.

تظهر السَّاحرة حتى في الأوبيريتات، والدرامات، وروايات النهر[٢٧]، وتُبتَذلُ بالخصوص، إذ اتخذها الأدب الجهوي موضوعا للاستخدام الغزير. يستغل شعراء نهاية القرن، الحداثيون وأقرانهم سلفاً شبحها. في إيطاليا تعتبر الـ strega الشخصية الرئيسية أو الثانوية لمئات ومئات الأعمال. ومنذ وقت غير بعيد، اعتبر نقاد الأدب ابنة جوريو لأنونثيو Annunzio مأساة مساوية لتراجيديات سوفوكل التي كان رامون دل فاليه أنكلان Ramon del Valle Inclan، في إسبانيا، يؤثث بها أعماله المتعلقة بالساحرات؛ بأعمال السحر والأشباح.

وهكذا نصل إلى ثولواغا Zuloaga ولوحته المعروفة جداً التي تحمل عنوان ساحرات سان ميلان les soricères de san Millan، والتي يعدّ قصدها واضحاً، ويتمثل في رغبة الفنان في أن يقول عنه فنانٌ آخر، شاعرٌ آخر، بعد قرون، ما قاله تيوفيل غوتييه Théophile Gauthier عن فالديس ليال[٢٨]:

«رسامٌ إسباني حق، كاثوليكي وشرس،
بالبشاعة الفظيعة والمعاناة الشنيعة،
يضاعف في قلب الإنسان الهلع المذعور،
قلق جحيم الأبدية».

لكن ليس لكل جنس سوى زمن واحد. فالفلكلور الرومانسي لبداية القرن XX، هذا الفلكلور المرعب بهذا القدر أو ذاك مثل نزعات أخرى أكثر حداثة تظن

نفسها بعيدة الأصول بل وحتى مُواجِهة، كل ذلك يبدو لنا دائماً مفتقداً إلى إخلاص، بل وحتى إلى عمق. ويصل المؤرخ إلى التفكير في أنه لإنشاء عمل (oeuvre) نافع، يجب عليه أن يدافع ضدّ هذه الرؤية الرومانسية والفلكلورية. وهو أمرٌ صعبٌ في عصر فيه للرومانسية الفلكلورية في التعليم الرسمي والحياة الاجتماعية تأثيرٌ قوي بقدر ما هو سرِّي، ويشكل فيه هواة الأهازيج الجهوية والخصوصيات الريفية الموجَّهَة من قِبَل متخصصين يتلقون رواتب، (يشكلون) أبناء البورجوازية الحضرية، بينما أطفال التراب المحلي، بعيدا عن أن يحلموا بأن لهم ساحرات وأرواحا في خدمتهم، لم يعودوا في أغلب الأحيان يرغبون سوى في أجهزة تلفزيون أو ثلاجات.

مهما يكن الأمر، فإنه لازال من الممكن استكشاف وعي بعض الرجال ذوي المثال (idéal) الأقل وضعية. وعنهم تحدثنا في سياق آخر (باروخا، ١٩٧٢: ٢٥٢ ـ ٢٦٦)، متحررين من كل فلكلور طريف ومن كل رومانسية عتيقة.

المراجـــع:

August L. Mayer,
1928, Historia de la pictura espaola, Madrid.
Baroja, Julio Caro.
1972, Les sorcières et leur monde (Traduit de l'espagnol par M.-A. Sarrailh), Gallimard, Paris.
Cervantes,
(s.d.), El casamiento enganoso y coloquio de los perros, éd. Gonzales Ameza.
Lafuente Ferrari, Enreque,
1946, Breve historia de la pictura espaola, Madrid.
Ponz, Antonio,
1977, Viaje de Espara en que se da ed las cosas mas apreciados y dignas de saberse que hay en elia, III, (2e éd.), Madrid, (lettre IX, n° 10).
F. de Quevedo,
(s.d.), Historia de la vida del Buscon, édition A. Castro Londres.
Santos, Francisco,
1697, El arca de Noé y campana de Belilla, Saragosse.
Theophie, Gautier,
1896, «Albertus», in Poésies complètes, Paris, I, (Strophes CVIII-CXX).
Père Siguenza,
1909, Historia de laorden de San Jeronimo, Madrid, II (3e partie, liv. IV, discours XVII).
Velasco, Miguel y Aguirre,
1928, Les Grabados y litografias de Goya, notas historico-artisticas par (Madrid), n° 101 (n° 80 de la série des «Caprices»).
Valez de Guevara, Louis,

El Diablo cojuelo, éd. Bonilla y San Martin (vigo, 1902), (2e partie: fos 12 r°-12 v° de l'édition princeps).
Victor, Hugo,
1862, Odes et Ballades, Paris, (Balladee XIV); l'ouvrage est de 1823-1828.

الهوامش:

[١] Bosh Hieronymus (حوالي ١٤٥٠/١٤٦٠ - ١٥١٦): رسام هولندي «يعتبر عمله إسهاماً استثنائياً في فن زمنه باتجاهه الملغز، وكذلك بغنى ابتكاره الإيقونوغرافي. ويبدو أن توجهه الأساسي كان من إملاء انشغالات أخلاقية، ويليق موضعته في وسط ديني في غمرة التطور، تنشطه حركة الـ Devotio moderna» عن:

- Michel Laclotte (Dir), Dictionnaire des grands peintres, Paris, Librairie Larousse, Références Larousse, 1987, t. 1, p. 74.

ويعود عدم تعريفنا بمجموعة من الرسامين الذين يذكرهم المؤلف، في النص الحالي، إلى كوننا لم نعثر على أسمائهم في م. س. ولا في موسوعة Universalis (ط. ١٩٩٥)، ولا في موسوعة الفن:

- Dr. Horst Vey et Dr. de Salas, Le Livre d'Art, encyclopédie illustrée de la peinture, du dessin et de la sculpture, (tr. de l'Anglais), Grolier, 1985.

[٢] لنتذكر اللوحة الشهيرة لفرانس هال Frans Hall، التي تمثل هيل بوب Hille Bobbe، ببومها وقدحها الكبير المملوء جعَّة (متحف برلين).

[٣] لا يمكنني أن أعثر في هذه اللحظة على النص الذي يعتبره ملحدا، ولكني موقن أنه سبق لي أن قرأته. وقد نبهني بولينو غاراغوري Paulino Garagorri إلى أن الأب سيغنثا Père Siguenza، في مؤلفه الشهير nimo, II (Madrid, 1909), p. 635 (3e partie, liv. IV, discours Historia de la orden de San Jer (XVII، يدفع عن الرسام تهمة الزندقة وتفاهات أخرى.

[٤] انظر اللوحة في أي ريبرتوار من الريبرتوارات المعروفة. مثلاً:

- Jérôme Bosh, Paris, 1946, p. 133 des planches.

[٥] سبق شرح «محفل السبت» في الهامش رقم ١١٤ من دراسة إ. دوتيه «السحرة والعرافون بشمال إفريقيا»، المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م).

[٦] الرفل: ذيل ثوب منسحب. (م).

[٧] انظر أيضاً: Jacques Combe, op. cit., p. 45, 59, etc....

[٨] تم استنساخ هذه اللوحة بشكل كبير.

[٩] Le jeune David Teniers (1610-1970): رسام فلاماني تحتفظ أغلب متاحف العالم الكبرى بمجموعات كاملة من لوحاته. عن معجم كبار الرسامين (بالفرنسية)، م. س.، ج. ٢، ص. ٨٢٣ - ٨٢٤. (م).

[١٠] Bruegel Piter Le Vieux ou l'Ancien أو Breughel أو Bruegel (حوالي ١٥٢٥/١٥٣٠ - ١٥٦٩): رسام فلاماني. عن: م. س.

[١١] Angelico Fra Giovanni de la Fiessole: رسام إيطالي ولد في ضواحي فلورنسا، يعتبره البعض أهم رسام في النصف الأول من القرن XIV. كان راهباً، ونسجت حوله أساطير. من ذلك أنه لم يكن يمسك الريشة للرسم إلا بعد أن يصلي .عن: م. س.، وموسوعة Universalis، م. س.

[١٢] Rubens Pierre Paul (1577-1640): رسام فلاماني، ولد بإيطاليا وانتقل إلى هولاندا. يعتبر من أساتذة الرسم الكبار الذين يتم على الدوام اكتشاف أعمال لهم ظلت مجهولة. يعتبره النقاد آخر «أكبر رسام» ينتمي إلى عصر النهضة (الأوروبية) و أول رسام «باروكي» ينتمي إلى العصر الحديث. عن موسوعة Universalis، م. س.

[١٣] «ولذا، فإن أمي لم تعرف الشقاء .ذات يوم كانت تغني فيه مدائح، قالت لي عجوزٌ حملتني إن سحرها كان من الكبر بحيث تفتن كل الذين يقتربون منها، ولكنها كانت قد قالت لها ما لم أفهمه بشأن تيس عرضها لمخاطرة».

[١٤] كلمة إسبانية بصيغة الجمع، مفردها aquelarre، ومعناها: اجتماع الساحرات. عن: ف. كورينطي، قاموس إسباني - عربي، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٧٧. (م).

[١٥] في الهامش رقم ٢٧٧، ص. ٦٢٤، يقول الناشر إن سرفانتس عرف علاقة محاكمة ساحرات نافاريات لنسبة إلى نافاريا: منطقة تقع شمال شرق إسبانيا بمحاذاة الحدود الإسبانية الفرنسية (م)]، يقال لها محاكمة ١٥٩٠. ولكن هذه (المحاكمة) ليست سوى نقل أو رسم شفاف لعلاقات ١٥٢٧. انظر الفصل .XI

[١٦] Saint Sébastien: دينة شمال شرق إسبانيا، تقع على الحدود بين إسبانيا وفرنسا. (م).

[١٧] سبق شرحها في الهامش رقم ٣١ من دراسة خ. ك. باروخا «عن بعض تأويلات السحر العصرية»، المنشورة ضمن الكتاب الحالي. (م)

[١٨] محاكمة شهيرة، بدأت يوم السبت ٦ نونبر ١٦٠٩، بقرية Logroro الواقعة في منطقة الباسك الإسبانية، اتهم فيها ٥٣ فرداً من الجنسين بالتعاطي للسحر، وانتهت بإعدام ٦ ساحرات حرقا. لمزيد من التفاصيل، يراجع:

- Josane Charpentier, La sorcellerie en pays basque, Paris, Guénégaud, 1977, pp. 196-203.

[١٩] Goya y Lucientes Francisco de (1746-1828): رسام إسباني «توجد لوحاته في كبريات متاحف العالم بأكمله، ولكن القسم الأكبر من أعماله محفوظ في مدريد، في مجمّعات خصوصية وعمومية، وفي متحف البرادو بالخصوص. وفي فرنسا، توجد بعض أعماله في متاحف اللوفر، وأجُن، وبايون، وبيزانصون، وكاستر، وليل، وستراسبورغ». عن معجم كبار الرسامين (بالفرنسية)، م.س.، ج ١، ص.٣٣٦. (م).

[٢٠] خلافاً للغة الفرنسية، لا تتوفر اللغة العربية على مفردات كثيرة للدلالة على أعمال السحر مصنفة على هذا النحو. وقد تأكدنا من هذا الغياب من طرق عديدة: فكتب السحر العربية نفسها تكتفي بتصنيف السحر إلى علوم، كعلم الحروف، وعلم الأوفاق، وعلم الأعداد، وعلم خواص الآيات القرآنية، الخ. ثم إنها لا تسمي الأعمال السحرية مفردة ولاتجمعها في تصنيفات محددة. وعليه فهي لم تفدنا في إيجاد اسمين مقابلين لهذين المصطلحين. وتصنيف ابن خلدون (المقدمة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج ٢: ٦٢٣ ـ ٦٦٠) اكتفى بالتفريق بين السحر والطلسمات من جهة، وبعرض علمين فرعيين من علوم السحر هما علم أسرار الحروف وعلم الزايرجة. أما بطاش كبرى زادة (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥، ج١: ٣٤٠ ـ ٣٤٦)، فهو ـ مثل ابن خلدون ـ اكتفى بتعريف علوم السحر الفرعية مركزا على تقنيات تدخلها وليس على الأهداف التي تحققها في شبكة العلاقات الإنسانية، وهذه العلوم الفرعية عنده هي: علم الكهانة، علم النيرجات، علم الخواص، علم الرقى، علم العزائم، علم الاستحضار، علم دعوة الكواكب، علم الفلقطيرات، علم الإخفاء، علم الحيل الساسانية، علم كشف الدك وإيضاح الشك، علم الشعبذة والتخيلات، علم تعلق القلب، علم الاستعانة بخواص الأدوية والمفردات. هذا عن كتب السحر ومنظريه، أما عن أصحاب المعاجم فالحالة معهم ليست بأريح: فصاحب اللسان يجعل الرقية مرادفا للعوذ (أو التعويذة) فيفسر كلتاهما بالأخرى دون إعطاء مزيد من التوضيحات. هكذا، فالرقية عنده هي «العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع» (لسان العرب، مادة «رقي»)، والعوذة والمعاذ والتعويذ هي «الرقية يرقى بها الإنسان» (نفسه، مادة «عوذ»). والمعاجم مزدوجة اللغة (كالمنهل والسبيل) لم تجدنا في حل المشكل، إذ تترجم «commination» بـ «تهديد»، و «conjuration» بـ «تعزيم»، «رقية»، و «exorcisme» بـ «تعزيم، عزيمة،

رقية، تعويذة»، الخ. ولعل السبب في عدم توفر اللغة العربية على مقابلات للمصطلحات المعنية يرجع إلى اختلاف الحضارتين الغربية المسيحية والعربية الإسلامية في معاملة السحر. فهما معا تشجبان هذه الممارسة، لكن فيما مارس الغرب اضطهادا واسعا على الساحرات، كان ضرورياً معه إخضاع الظاهرة للتمحيص والتسمية، اكتفت الثقافة العربية الإسلامية بجر السحر إلى منطقة المسكوت عنه. وغني عن التذكير بأن ترجمتنا للمصطلحات السابقة تبقى مجرد اجتهاد شخصي متواضع سيجد في المعطيات الآنفة ما يبرر الهفوات التي قد يسقط فيها. (م).

[٢١] الذاتانية: مذهب فلسفي يقيّم المعرفة كلها على أساس من الخبرة الذاتية. (م).

[٢٢] Cuenca: تقع شرق إسبانيا. (م).

[٢٣] كانت أسنان الموتى شنقا وشحومهم تشكل مواد سحرية شهيرة، بحسب المعتقدات السحرية في أوروبا العصور الوسطى. ولغويا لوحة، يسوقها باروخا في الصفحة ١٦ من مؤلفه الذي نترجم الفصل الحالي منه، يبدو فيها ميت مشنوق، ويداه مكبلتان، وقبالته تقف ساحرة مدَّت يدها اليمنى إلى فمه لخلع أسنانه... (م).

[٢٤] إن المائيات القوية التي تلمح بوضوح إلى السحر هي التالية:

من السلسلة سابقة الذكر: ١٩ («A caza de dientes», n° 3 - nos 12 («Todos caeran», n° 40); 44 («Correccin», n° 67); 47 («Obsequio al maestro», n° 68); 48 («Soplones», n° 69); 59 («Y an no se van»); n° 80); 60 («Ensayos»; n° 81); 61 («Volaverunt», n° 82); 62 («Quién lo creyera», n° 83); 63 («Miren que grabes», n° 84); 64 («Buen viaje», n° 85); 65 («Dnde va mama?», n° 86); 66 («Alla va eso», n° 87); 67 («Aguarda que te unten», n° 88); 68 («Linda maestra», n° 89); 69 («Sopla», n° 90); 70 («Devota profesin», 91); 71 («Si amanece nos vamos», n° 92).

[٢٥] لنتذكر المائية القوية المسماة «Murdo la vedad» (رقم ١٥) من «فواجع الحرب»، (رقم ١٨٠ من الكتاب المذكور)، متبوعاً بمائية قوية «si rescitara?» (رقم ٨٠؛ ١٨١). في السلسلة نفسها، بورتريه من يكتب «Contra el bien general» هو رهيب (رقم ٧١؛ ١٧٢).

[٢٦] رسالة تحمل عنوان: «الساحرات الإسبانيات» (Las brujas espa olas)، تنشر باستمرار مع أعمال أخرى حول موضوعات إسبانية، للمؤلف نفسه.

[٢٧] الرواية النهر(Roman-fleuve): «هي رواية نثرية طويلة موضوعها حياة أسرة عبر أجيالها المختلفة، وتنقسم هذه الرواية عادة إلى مجلدات منفصلة بعضها عن بعض ليستطيع القارئ أن يقرأ كل واحدة على حدة من غير أن يلتزم بقراءة الكل. مثال على ذلك ثلاثية نجيب محفوظ التي تتضمن "بين القصرين" (١٩٥٦)، و"قصر الشوق" (١٩٥٧)، و"السكرية" (١٩٥٧)». نقلاً عن: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب. انكليزي ـ فرنسي ـ عربي مع مسردين للألفاظ الإفرنسية والعربية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٤. (م).

[٢٨] Valdés Leal (1622-1690) رسام إسباني «مفرط، شخصي، وعنيف، لم يخلف تلاميذ عدا ابنه الذي أكمل عمله التزييني الذي بدئ في مستشفى أعيان إشبيلية»، عن معجم كبار الرسامين (بالفرنسية)، م. س.، ج. ٢، ص. ٨٦٠. (م).

